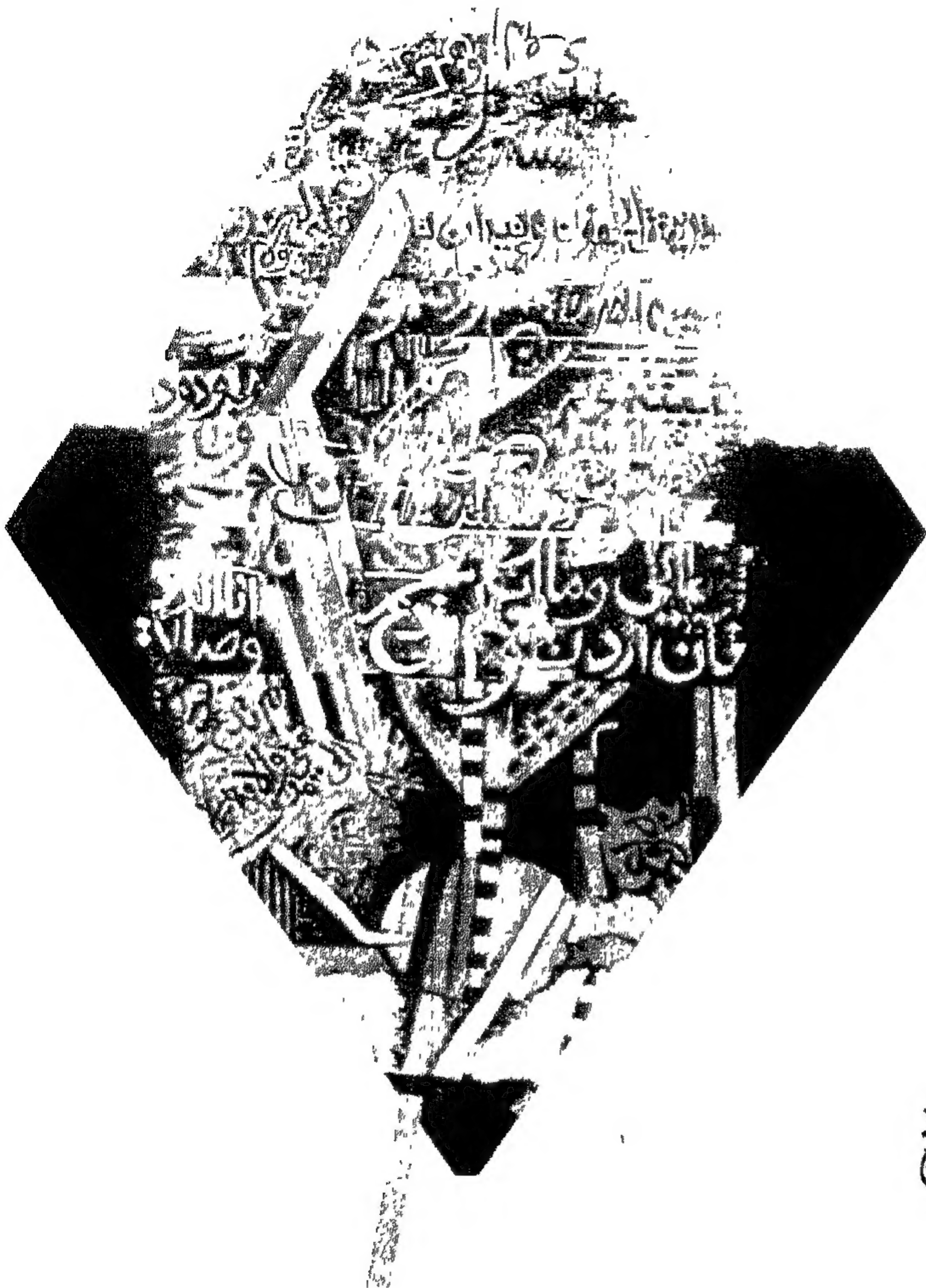


دكتورة طيبة بالقاهرة

ألفاظ الحضارة العباسية

في مؤلفات الجاحظ



دار فضاء للطباعة والنشر والتوزيع
عبد العزيز

الْفَائِظُ الْحَضْرَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ
في مؤلفات الجاحظ

الكتاب : ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ

المؤلف : د. طيبة صالح الشنر

تاريخ النشر : ١٩٩٨ م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبدعزیز غريب

شركة مساهمة محدودة

المركز الرئيسي : مدينة العاشر من رمضان

والمطابع المنطقة الصناعية (CI)

ت: ٠١٥/٣٦٧٧٧٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت، ف: ٧٤٧٤٠٣٨

رقم الإيداع : ٩٧/١٠٢٤١

الترقيم الدولي : I. S. B. N.

977-5810-63-9

ألفاظ الحضرة العباسية

في مؤلفات الجاحظ

د. طيبة صالح الشذر

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (الفاخرة)

عمدة غريب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

صدق الله العظيم

(الإسراء : ٨٥)

تقديم

هذا كتاب يدرس ألفاظ الحضارة العربية الإسلامية فى ضوء مؤلفات الجاحظ ، ويمثل إضافة جادة للبحوث اللغوية فى تاريخ المفردات العربية . وهذا العمل جزء من منظومة دراسات جامعية استوعبت بالبحث المعجمى جوانب شتى من تراث العربية من القرن الثانى الهجرى حتى بدايات العصر الحديث . وقدمت لبنات مهمة لصنع المعجم التاريخى للعربية . اللغة لا تحيا فى فراغ ، وهى ذات دلالة كبيرة على نمط الحضارة وحياة المجتمع .

مؤلفة هذا الكتاب تخرجت فى كلية الآداب بجامعة الكويت وعرفها أساتذتها بتميزها وتفوقها وطموحها ، ثم التحقت بالدراسات العليا بقسم اللغة الغربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وظلت تعمل بأناة وصبر ودأب ، إلى أن حصلت على درجة الماجستير بامتياز ، ثم نالت درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى . وانتظم مسار بحوثها بعد ذلك فى الربط بين النمو المعجمى والتغير الدلالى فى العربية من جانب والتغيرات فى نمط الحياة والعلم والحضارة من الجانب الآخر .

هذا الكتاب واضح الخطة والمحتوى ، ضم فى بابه الأول الألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية ، ثم الحياة السياسية ، ثم الحياة الاقتصادية ، ثم الحياة العلمية . وهنا نجد قراءة لغوية معجمية لنمط الحضارة وحقائق المجتمع فى ضوء ألفاظ دالة تناولتها المؤلفة فى ضوء مؤلفات الجاحظ ، وسياق استخدامه لها . أما الباب الثانى فكان للدراسة الدلالية ، وفيه نجد الألفاظ ذات الأصول العربية من جانب وما دخل العربية من ألفاظ إيرانية أو يونانية أو آرامية أو هندية من الجانب الآخر . واهتمت المؤلفة بموقف العربية من هذه المعربات .

إنّ هذا الكتاب عمل له أهميته ، فقد أفاد من تراث اللغويين ، ولكنه

تجاوز هذه الجهود إلى جمع المادة من كتب الجاحظ في نصوص طبيعية موثقة ومحقة ، فأضاف الكثير إلى تاريخ ألفاظ العربية . وقدم الكتاب إلى دراسة اللغة العربية في السياق الحضارى ما يمثل رؤية معجمية للتحويلات في المجتمع العربى فى القرن الثانى الهجرى وبدايات القرن الثالث الهجرى .

ولهذا كله ، يطيب لى أن ينشر هذا العمل الذى أجارته كلية الآداب بجامعة القاهرة عندما تقدمت به الباحثة على شكل رسالة جامعية فى عام ١٩٧٥ . ويسعدنى أن أقدم هذا العمل لجمهور الباحثين والقراء .

والله ولى التوفيق

أ.د. محمود فهمى حجازى

فهرس الموضوعات

٧

مقدمه

الباب الاول «المجالات الدالية»

الفصل الاول : الالفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

١٦	اولاً : الالفاظ الخاصة بالبيئة الجغرافية
٣٦	ثانياً : الالفاظ الخاصة بتصنيف الفئات الاجتماعية
٥٩	ثالثاً : الالفاظ الخاصة بالملابس
٧٢	رابعاً : الالفاظ الخاصة بالحياة اليومية
١٢٠	خامساً : الالفاظ الخاصة بالعادات
١٣٢	سادساً : الالفاظ الخاصة باللهم والصيد
١٤١	سابعاً : اللغة والفئات الاجتماعية

الفصل الثاني : الالفاظ الخاصة بالحياة السياسية

١٦٠	اولاً : الالفاظ الخاصة باقليم الدولة الإسلامية
١٧٢	ثانياً : الالفاظ الخاصة بشعوب الدولة الإسلامية
١٧٦	ثالثاً : الالفاظ الخاصة بالوظائف والجيش في الدولة الإسلامية
١٨٨	رابعاً : الالفاظ الخاصة بالتيارات السياسية

الفصل الثالث : الالفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

٢٢١	اولاً : الالفاظ الخاصة بالزراعة
٢٣٥	ثانياً : الالفاظ الخاصة بالصناعة
٢٤٣	ثالثاً : الالفاظ الخاصة بالتجارة
٢٥٢	رابعاً : الالفاظ الخاصة بالملاحة

الفصل الرابع : الالفاظ الخاصة بالحياة العلمية

٢٦٨	أولاً : الالفاظ الخاصة بالعلم ومراكزه
٢٧٢	ثانياً : الفاظ الطب والرعاية الصحية
٢٨٤	ثالثاً : الالفاظ الخاصة بدراسة الحيوان
٣٠١	رابعاً : الالفاظ الخاصة بدراسة النبات
٣٠٩	خامساً : الالفاظ الخاصة بالمعادن والتعدين
٣١٤	سادساً : الالفاظ الخاصة بالظواهر الجغرافية الطبيعية
٣١٨	سابعاً : الالفاظ الخاصة بالكون والمسائل الفلكية

الباب الثاني « الدراسة الدالية »

الفصل الأول : الالفاظ ذات الاصول العربية

٣٢٩	أولاً : الالفاظ الحضارية القديمة
٣٧١	ثانياً : التغير الدلالي
٤٠٢	ثالثاً : الاشتقاق

الفصل الثاني : الالفاظ ذات الاصول غير العربية

٤٤٣	أولاً : الالفاظ الإيرانية
٥٦٢	والالفاظ اليونانية
٥٧٢	والالفاظ الآرامية
٥٨٨	والالفاظ الهندية
٥٨٩	ثانياً : الالفاظ الدخيلة بين الجمود وتكوين مشتقات
٦٠٥	الخاتمة
٦٠٩	الكشاف اللغوى
٦٤٣	المصادر والمراجع

تقديم

يعد أبو عثمان الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب درة في جبين المعرفة العربية والإنسانية ، عالماً في كل فن آخذاً في كل علم بطرف بل بأطراف ، ألف نفائس الكتب التي كتبت له ولها الخلود بعد مائة ٢٥٥ هـ .

هذا البحث هو بداية الطريق لمعرفة ألفاظ الحضارة العباسية في ضوء المفردات التي ذكرها الجاحظ في كتبه ورسائله التي قاربت الثلاثمائة والستين كتاباً ، وكتابي هذا هو أول عمل يتعرض بالتفصيل لجانب من الدلالة في لغة الجاحظ ، فكل ما سبق من بحوث كانت تتناول الجاحظ الأديب والناقد والمفكر ، أما لغة الجاحظ فهناك إشارات بين دفات الكتب لا تتعدى الصفحات القليلة . وقد كان هدف هذه البحوث هو شرح أمر من أمور اللغة وليس تناول الجاحظ من حيث استخداماته اللغوية وما استحدثه من اشتقاقات ودلالات تمثل معجمه اللغوي الخاص به . ولا شك أن ما جاء في كتب الجاحظ من ألفاظ تمثل العصر العباسي لا يمكن الإحاطة بها جميعاً وإحصاؤها إحصاء دقيقاً . . . ولكن بشكل تقريبي نستطيع ذكر جانباً من الألفاظ لنقل ما في الواقع في ذلك العصر .

ومما يجدر الإشارة إليه أن الألفاظ التي يمكن أن تمثل بعض جوانب العصر العباسي ليست بالضرورة وليدة ذاك العصر نفسه ، ولكن المقصود بالألفاظ التي وردت عند الجاحظ وكانت شاهداً على جانب بعينه أو مظهر من مظاهر الحياة العامة استحدثته التطور الحضاري في ذلك العصر . وقد كان انتقائي لألفاظ الحضارة العباسية من خلال ما عرضه الجاحظ في مؤلفاته ورسائله فهو يعطينا صورة واضحة المعالم لتلك الحضارة الزاهرة .

لقد اعتمدت على نصوص الجاحظ ولا سيما تلك التي وردت في البخلاء والرسائل والحيوان ، وقد توخيت أن تكون النصوص قصيرة موجزة جهد

الإمكان . وجعلت هذه الدراسة في باين يتفرعان إلى عدة فصول . وجعلت الباب الأول خاصاً بالدراسة الدلالية لألفاظ الحياة في العصر العباسي بكل ما تعنيه كلمة الحياة وما يتبعها من فعاليات اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية وعلمية . وتناولت الحياة المعيشية لأفراد المجتمع العباسي فدخلت البيت العباسي وتعرضت لمحتوياته وأقسامه وما يقدم فيه من أطعمة وأشربة وما يلبس أفراد من أزياء وعاشت تقاليد وأعرافه وما يسوده من أساطير . ولغة هؤلاء الأفراد ولهجاتهم أفردت لها مكاناً خاصاً في رسالتي هذه وقد كانت تقسيمات الباب الأول إلى أربعة فصول : الأول منها يعني بالألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية وما تحويه من فعاليات تتعلق بالحياة اليومية مثل الأطعمة والأشربة والملبس واللهو والعادات واللهجات للفئات المتنوعة والثاني عن الحياة السياسية والتيارات الدينية . والفصل الثالث عن ألفاظ الحياة الاقتصادية وما يتعلق بهذه الحياة من أمور زراعية وصناعية وتجارية وحركة ملاحية واسعة تجوب الأقطار . أما الفصل الرابع فهو عن الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية وما في هذه الحياة من تقدم علمي في مجال الطب ، والعلاج والعقاقير وعالم الحيوان والنبات والتعدين والظواهر الطبيعية .

والباب الثاني جعلته من فصلين خصصت الفصل الأول للقضايا اللغوية التي تتعلق بالألفاظ ذات الأصول العربية ، فستبعت الألفاظ التاريخية القديمة ووصفت طريق سيرها عبر القرون وقد أفردت حيزاً كبيراً للألفاظ الحضارية الشائعة في عصر الجاحظ . ومن القضايا التي اعتنيت بها في هذا الفصل قضية التغير الدلالي عند الجاحظ وما أوجده الجاحظ من الدلالات الجديدة والتغيرات التي لحقت هذه الدلالات فغيرت من مجالها أو ضيقت هذا المجال أو وسعته أو خصصته .

وكان أساس الانتقاء تلك الكلمات التي أوجدها الجاحظ بدلالة جديدة

وبمعنى مغاير للمعنى الذي جاء في المعاجم العربية ، وقد تأكدت من معرفة ذلك من لسان العرب وتاج العروس وغيرها من المعاجم لأنها تعطي الاستخدام البدوي القديم على نحو موثق ودقيق ولسان العرب وتاج العروس حددا معنى الدلالة في هذا المجال . وقضية أخرى تعرضت لها في هذا الفصل وهي قضية الاشتقاق عند الجاحظ وقد استعنت بالمعاجم والكتب اللغوية لمعرفة أصول الكلمات الحضارية التي تكونت عن طريق الاشتقاق .

والفصل الثاني خصصته للألفاظ المعربة وهي الألفاظ ذات الأصول غير العربية وهذا الفصل زاخر بعدد كبير من الألفاظ التي وردت في كتابات الجاحظ من اللغات الإيرانية والآرامية واليونانية وقد شملت هذه الألفاظ المعربة جميع مظاهر الحضارة العباسية . وقد استعنت بالمعاجم الأجنبية ويكتب العربيات لتحديد أصول هذه الألفاظ الأجنبية وكان كتاب العرب للجواليقي خير مرشد في طريق الألفاظ المعربة وقد قسمت هذه الألفاظ إلى مجموعات دلالية ثم البحث في القضايا اللغوية المترتبة على استخدامها ، كالتغير الدلالي الذي طرأ عليها بانتقالها من لغاتها إلى مجال اللغة العربية وجمود هذه الألفاظ أو خضوعها للاشتقاق بعد تعريبها ، وإن كانت هذه الصيغ الاشتقاقية قليلة جداً عند الجاحظ .

ويعتمد البحث أساساً على كتابات الجاحظ وعلى مصادر أخرى عديدة ومتنوعة ، منها الحضارية واللغوية وكتب التاريخ والكتب التي تتعرض للحياة العباسية في عصر الجاحظ بصفة عامة ولحياة البصرة بصفة خاصة ، وفي مقدمتها كتاب شارل بيلات الذي عنوانه باسم الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء . وكتاب د. طه الحاجري عن الجاحظ حياته وآثاره وكتاب د. وديعة النجم وهو يتحدث عن الجاحظ والحاضرة العباسية وكتب أخرى مثل كتاب الحضارة الإسلامية لآدم ميتز وغيرها من الكتب التي تعني بحياة العرب بوجه

عام و حياة الشعوب غير العربية وكذلك كتب أصول الدين والأحكام . وقد اعتمدت على المعاجم مثل لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس والمخصص لابن سيده ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وكذلك استعنت بكتب اللغة مثل أدب الكاتب وديوان الأدب وشذا العرف . وكتب العربات مثل العرب للجواليقي وشفاء الغليل للخفاجي وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ومعجم اشتاينجس للألفاظ الفارسية .

والحقت بالبحث كشافاً لغوياً عاماً يشمل جميع الألفاظ التي وردت في البحث لتوفير مزية أخرى في التصنيف ، يستفيد منها القارئ الباحث عن أشياء بعينها قد لا يتيسر العثور عليها في إطار التصنيف الأساسي للمواد .

وختاماً تحية إكبار وإجلال لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي لما أولاني من رعاية ومتابعة وما بذله من جهد صادق لإخراج هذا البحث على هذه الصورة، وكم أنا عاجزة حقاً عن شكره . والله ولي التوفيق .

الباب الأول المجالات الدلالية

الفصل الأول الالفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

الفصل الثاني الفاظ الحياة السياسية

الفصل الثالث الالفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

الفصل الرابع الالفاظ الخاصة بالحياة العلمية

الفصل الأول
الانفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

الفصل الأول

الألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية

اهتم الجاحظ اهتماماً كبيراً بالحياة الاجتماعية ووصفها ، وأفاد في ذلك من عدد كبير من الألفاظ ليعبر بها عن البيئة الجغرافية التي عاش فيها ، في البصرة وبغداد وكذلك عن الفئات الاجتماعية وطبقاتها ، كما عبرت ألفاظ كثيرة عن أزياء طبقات وفئات المجتمع وألفاظ أخرى عن جوانب عديدة لدورة الحياة اليومية وتدبير الحياة المعيشية وعن العادات واللهو والصيد ، وإلى جانب هذا كله فقد اهتم الجاحظ باللغة عند الفئات الاجتماعية في العراق في عصره ، ونحاول في هذا الفصل أن نعرض للألفاظ الخاصة بالحياة الاجتماعية بأن نعرض لها من جوانبها الكثيرة المتنوعة .

أولاً : الألفاظ الخاصة بالبيئة الجغرافية

البُصرة صور الجاحظ في كتبه البلدان والأمصار المختلفة التي كان لها شأن كبير في عصره ، فأعطانا صورة واضحة المعالم لأحوال بلدان معينة كانت لها مكانة خاصة في العصر العباسي مثل : البصرة والكوفة وبغداد وغيرها من أمهات المدن الإسلامية ، وعن بيئته المحلية حدثنا الجاحظ عن البصرة مدينته المفضلة ومسقط رأسه فقد ولد ونشأ فيها وعاش ما عاش شديد التعلق بها والحنين إليها ، ويدلل على علو منزلتها فيقول : « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق » ، وعن أهل البصرة قال الجاحظ : « ويدل على صلاح مائهم وكثرة دورهم ، وحسن عقولهم ، ورفق أكفهم ، وحذقهم لجميع الصناعات وتقدم ذلك لجميع الناس »^(١) . وقد ظل الجاحظ وفيماً لمدينة البصرة حتى بعد استقراره في بغداد مقر الخلافة العباسية . ويؤكد هذا القول شارل بيلات في كتابه عن الجاحظ والبصرة فيقول : « إن الجاحظ في الواقع نتاج صاف للبصرة حيث قضى فيها القسم الأوفى من حياته ، ولكنه كان نبتة إقليمية تغذت بنسج قوي مستمد من أرض خصبة ، فلم تفتح بصورة كاملة ، ولم تؤت ثمارها إلا في العاصمة بغداد »^(٢) .

وعن اسم البصرة وهل هي من أصل أعجمي يجيب شارل بيلات فيقول : « وتبدو صفة البصرة العربية بوضوح في اسمها بالذات الذي يصعب نسبته إلى أصل أعجمي ، مع العلم بأن المسألة ليست سهلة الحل والمظنون أن الاسم مشتق من طبيعة الأرض »^(٣) . فقد أطلق على البصرة مدينة الفطر النبات (Villes Chanpsgnons) . فهي وليدة خطة رسمية غايتها تحضير البدو ،

(١) الفصول المختارة ج ٢ ص ٢١٦ .

(٢) الجاحظ ، شارل بيلات ص ١١ .

(٣) الجاحظ ، شارل بيلات ص ٢٦ .

ويستمر شارل بيلات في حديثه عن البصرة المدينة الخالدة في تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإنسانية فيقول : فإن البصرة وطن الجاحظ قد طغت فوق الأحداث التي أوجدتها وذلك بخلقها عوامل رخاء اصطناعية جعلت منها مدينة كبرى^(١) . أما المواصفات التي وضعها الجاحظ لإقامة المدن وتشيدها يحددها بقوله : لا تبني المدن إلا على الماء والكأ والمحتطب^(٢) . وقال : « لا تقيموا ببلاد ليس فيها نهر جار وسوق رائجة وقاضي عادل »^(٣) .

١ - أسماء الأماكن :

فصل الجاحظ الحديث في أسماء الأماكن بالبصرة وبغداد تفصيلاً يعكس اهتمامه الكبير بالمدينتين وأهم هذه الأسماء التي ذكرها الجاحظ في حديثه عن البصرة : المربد ، والأبله ، والخريبة ، والحريية ، والسبايحة ، وباب الجسر ، والقاطول - والأساوره ، والسدة ، والشماسية .

المربد : من معاني كلمة المربد أنها مكان تحبس فيه الإبل والماشية ، وما يجفف فيه التمر وبهذا المعنى جاء قول بعضهم : « فلو أراد أبو هام وجد من ثمامة مربداً » جميع مساحة الأرض^(٤) ، وبيئة المربد الذي كان وسطاً « في موقعه بين بادية العرب وسواد العراق كانت ذات أثر ظاهر في الحياة اليومية العراقية إذ أن بيئة المربد كانت حلقة الاتصال بين الحياة العربية الصميمة والحياة العباسية الجديدة وهذا ما أكدته الجاحظ بقوله عن المربد : « عليك بالمربد ، فإنه يطرد

(١) الجاحظ ، شارل بيلات ص ٣٦٤ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٩٣ .

(٣) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٩٣ .

(٤) اللسان ج ١ ص ١١٠٥ وانظر - البغلاء ص ٢١٠ وانظر الحيوان ج ١ ص ٢٥٨ ، ص ٢٦٠ ،

ج ٦ ص ٧٨ ، ص ٢٣٩ .

الفكر ، ويجلو البصر ، ويجلب الخير ، ويجمع بين ربيعة ومضر^(١) . ويعلق طه الحاجري على هذا القول ويؤكد أن المربد أقرب البيئات إلى بيئة الحياة اليومية العاملة بطبيعة الأصل فيه ، وبطبيعة الجمهور الذي يغشاه^(٢) . ونرى بعض شخصيات المربد المرموقة يتمسكون بعاداتهم العربية الصميمة وإن تغيرت بعض ألوان الحياة الاجتماعية والثقافية ، ويورد لنا الجاحظ نصاً يؤكد هذا القول بأن صيغة الحياة العربية البدوية بقيت غالبية على بيئة المربد فيقول : «إن مواليه من ولد جعفر وكبار أهل المربد ، كانوا لا يطمعون أن يشهدوه إلا على أمر صحيح لا اختلاف فيه»^(٣) .

السَّبَابِجَةُ وهي مكان كان يسكنه السبابجة بالبصرة وكانوا من الجلاوزة وحراس السجون .

الْأَسَاوِرَةُ وهو مكان نزله قوم من العجم بالبصرة وقد ذكر هاتين اللفظتين بقوله : «حدثني يونس قال : لما بنى قيل ، مولي زياد داره وحمامه بالسبابجة عمل طعاماً لأصحاب زياد ودعاهم إلى داره ، وأدخلهم حمامه فلما خرجوا منه غداهم ثم ركب وغبر في وجوههم»^(٤) . وقال عن الأساور : «ومرت يوماً وأنا أريد منزل لمكي بالأساور»^(٥) . وذكر الجاحظ الخريبة والباطنة والبلالية وهذه كلها مواضع في البصرة يسكنها الشطار فقال : «وما أظن أن أحداً يدعو مثلي إلى الخريبة من الباطنة . ثم يأتيه بكسرات وملح»^(٦) . وقال : «والصبر

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٥ ، ج ٢ ص ١٥٥ ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، ج ٤ ص ١١ .

(٢) الجاحظ - الحاجري ص ١٠٠ .

(٣) فخر السودان على البيضاء ص ١٨٢ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ٨٣ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٦) البخلاء ١٢١ ص ١٣٨ .

على قتال السجون ، فسل عن ذلك الخليدية ، والكتفية والبلالية والخريبة^(١) .
وقال «وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الخريبة»^(٢) .

القَاطُولُ : من أماكن بغداد ، قال الجاحظ : «وأردت مرة القاطول -
وهي المباركة وأنا خارج بغداد»^(٣) .

الْحَرِيَّةُ ذكرها بقوله : «تحول أبو عبد الله الكرخي اللحياني إلى الخريبة
فادعى أنه فقيه»^(٤) .

وقال ذاكرًا **باب الجِسْرِ** وهي منطقة مشهور في بغداد : وبكرت على أبي
رجاء إلى باب الجسر ، أحدثه بالحديث^(٥) .

السَّدَّةُ : «وكما قالوا : أبو مالك السدي كان يبيع الخمر في سدة
المسجد»^(٦) .

الشَّمَّاسِيَّةُ وهي من الأماكن التي يسكنها الأرستقراط والطبقة المرفهة ،
وقد ذكرها الجاحظ في كلامه عن القصور وأصحابها فقال : «قال :
ونظر إليه جعفر والفضل ابنا يحيى وهو واقف في ظل قصر من قصور
الشماسية»^(٧) .

الأُبْلَةُ : المدينة المجاورة للبصرة التي اكتسحتها البصرة على الرغم من
أهميتها لأنها تصل العرب بدور العجم كما ذكر الجاحظ في حيوانه فقال : «إن

(١) مناقب الترك ص ٢٧ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٦ ، ج ٢ ص ٢٥٢ وانظر البخلاء ص ٥٠ .

(٣) مناقب الترك ص ٦٢ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٨ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ١١٦ .

(٦) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

(٧) كتاب البغال ص ٢٤٢ .

مسيلمة طاف قبل المتنبي في الأسواق التي كانت بين دور العجم والعرب ، يلتقون فيها للتسوق والبيعات كنعو سوق الأبله^(١) .

طرقات الأبله : «فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيار النظام ، فأنا خرجنا ليلة في بعض طرقات الأبله»^(٢) .

نهر الأبله : والبصرة تتصل بالأبله بنهر يسمى نهر الأبله ويصف الجاحظ هذا النهر فيقول : «وهذا بحر البصرة والأبله يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة معروفة من السنة السمك الأسبور»^(٣) .

٢ - أجزاء المدينة العباسية

المحلة : فالمحلة تعني : مكان صغير يشبه الحي تقيم به فئة معينة من الناس وأحياناً يطلق على هذه المحلة اسم ساكنيها ، وقد ذكر الجاحظ هذه اللفظة محدداً اتساع رقعتها في الأحياء السكنية إذ أنها لا تتعدى بضعة بيوت فيقول : «ويكون طيرانه لا يجاوز محلته»^(٤) ويورد نصاً يحدد به سعة هذه المحلة فيقول : «ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة»^(٥) ويحذر الجاحظ من يريد تغير سكناه فيقول : «وتوخوا المتجاورين في المحلة والمتقاربين في الدور من الموفرين على النيذ ، والمقصورين على التنادم»^(٦) .

(١) الحيوان ج ٤ ص ٣٦٩ وانظر البخلاء ص ١٧٥ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٢٨١ وانظر فخر السودان على اليبضان ص ١٩٥ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ١٠١ ، ج ١ ص ٢٨١ ، ج ٤ ص ٣١٦ ، ص ٣٦٩ وانظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩٧

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٤ .

(٥) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ١٥٨ وانظر ج ٢ ص ١٥٥ .

الكور : «وبعث في الكور وأنحى على أهل الشرف والبيوتات حسداً لهم وإشفاء لغيليل صاحبه منهم»^(١).

جيزة : فقد وردت عند الجاحظ بقوله : «وما قسم الله تعالى لأهل كل جيزة من الشكل والصورة ومن الأخلاق واللغة»^(٢).

الدرب : «وزعم لي غلماني وغيرهم من أهل الدرب ، أنه كان ينبح على كل راكب يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه»^(٣).

الأوب : فقال « ورموني بسهامهم من كل أوب وأفق وتتابعوا على تتابع الدبر على مشتار العسل»^(٤). ولفظة أوب من الممكن أن نضعها إلى ألفاظ الطرق وإلى الألفاظ الخاصة بأجزاء المدينة فهي تمثل جزءاً من المدينة وتفرعاتها.

٣ - الطرق داخل المدينة :

وهذه الطرق التي توصلنا إلى أجزاء المدينة وأطرافها الأهلة بالسكان تدعي بأسماء مختلفة ومتعددة ، أوردها الجاحظ في كتبه من خلال أحاديثه عن الناس أو عن الطرق التي سميت بأسماء أشخاص معينين ذاع صيتهم لأمر من الأمور مثل : سكة بني مازن ومربعة بني منفر ، وسكة اصطفانوس وغيرها .

وأهم الألفاظ المستخدمة في هذا المجال :

الجادة ، والسكة والجمع سكك ، والشارع ، والرائغ ، والأزقة ، والرحبة ، والمربعة ، والجهارسوك والنقب .

(١) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٦ .

(٢) مناقب الترك ص ١١ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٢٩ ، ج ٣ ص ٢١٥ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٦٧ .

الجادة هي اللفظة التي أطلقها الجاحظ على الطريق الواسع الممتد فقال :
«وعليك بالجادة فإنه خير لك ، ودع الثنيات ، فإنه أمثل بك»^(١) . وقال عن
الجادة : «فاستقبلني واحد فلزم الجادة التي أنا عليها ، فلما غشيني انحرفت
عنه يمينا فأنحرف معي»^(٢) .

السكة : السكة والجمع سكك ووصف لنا سكك معينة بأسماء ساكنيها
وهذه السكك تربط المناطق السكنية وأهل المحلة بعضهم ببعض ، فقال عن
السكة : ولم أجد أهل سكة اصطفانوس ، ودار جارية ، وباعه مربعة بني
منفر يشكون أن كلباً كان يكون في أعلى السكة وكان لا يجوز ، فحرس
الحارس أيام الأسبوع كله^(٣) وقال : «كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له
عروة بن مرتد نزل ببني أخت له في سكة بني مارن»^(٤) وقال عن السكك :
«وكان إبليس يتراءى في السكك في صورة سراق المدلجي»^(٥) .

الشارع : ويتدافع معها الرائغ وقد ذكرهما الجاحظ بقوله : «قد أردت أن
أهدم المسجد الذي كنت بنيت له ليزيد بن هشام حين ترك أن يبنيه في الشارع وبناه
في الرائغ»^(٦) .

الأزقة : ذكرت في نص لم يعطنا معناها بالتحديد وسأورده كما قاله
الجاحظ بدون أن توضح لي صورة هذه الأزقة من شبكة الطرق التي نحن
بصددها قال الجاحظ في نصه : «ولنا المواجهة في الأزقة ، والصبر على قتال
السجون»^(٧) .

(١) التزيين والتدوير ص ٧١ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٤٦٩ وانظر ج ٥ ص ٣٩٤ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٢١ وانظر ج ٣ ص ١٤٢ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٣١ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٢٩٩ .

(٦) البخل ص ٢١٠ .

(٧) مناقب الترك ص ٢٧ .

النَّقَب : ولنا القتال عند أبواب الخنادق ورؤوس القناطر ، ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب^(١) .

المَرْبَعَة : والجهار سوك ، قال الجاحظ عنهما مفسراً لاستعمالهما من قبل هذه الفئات : «وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ، ويسميها أهل الكوفة الجهارسوك . والجهار سوك بالفارسية^(٢) والمربعة تعني التقاء الطرق الأربعة .

الرَّحْبَة : فقال : «وتركت مجلسك في ساباط غيث ، وإشرافك على رحبة بني هاشم ، وجلسك في الأبواب التي تلي رحبة بني سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم»^(٣) .

٤ - أماكن السكن ومواد البناء :

المَحَارِيب : «ولم صوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صور عظمائهم ورجال دعوتهم»^(٤) .

الدُّور : «لا يدعون في صحون دورهم وأعالى سطوحهم شيئاً من الصفر إلا رفعوه»^(٥) .

البيوت : «ثم إنا نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاء روئاً وتراباً»^(٦) .

(١) مناقب الترك ص ٢٧ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٩ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٦ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٣١٦ .

(٦) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٧ وانظر الحيوان ج ٥ ص ٣٥٩ وأماكن أخرى كثيرة .

الجواسق قال : « وإن جف قبل انقضاء الصيف ، وعاد عليه الحر ، عاد عليه بالآثارة والصب وبالمثل فإنهم اتخذوا نوعاً من الجواسق »^(١) .

الأخصاص : كانت الأخصاص بيوت الطبقة الدنيا وسكنها لهم وهذه الأخصاص كانت تضمها رقعة واحدة عرفت باسم أخصاص البصرة وقد ذكره الجاحظ في بيانه فقال : « أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة »^(٢) .

مواد البناء :

حدثنا الجاحظ عن البيوت والدور والقصور ووصف لنا أشكالها ، والمواد التي تستعمل في بنائها تختلف حسب مستوى الفرد في المجتمع العباسي فالطبقة المرفهة تستعمل مواد غير التي كانت تستعملها الطبقات الدنيا وهكذا جاءت البيوت مختلفة حسب اختلاف الطبقات والأفراد فمنها من يستعمل الطين ، والآجر باللوانه والجبس والجص الأبيض والشورج والقرميد والبلاط والرخام واستعمال هذه المواد جاءت بنصوص في كتب الجاحظ وكأنه المعماري الخبير بأمر البناء فيقول في وصف بناء بيت بالبصرة : « إن الدار في البصرة إنما يتم بناؤها بالطين واللبن والآجر ، والجص ، والأجذاع ، والساج ، والخشب ، والحديد والصناع »^(٣) . حتى الأيدي العاملة ذكرها في هذا النص إذ أنه لا يتم تشييد البيت إلا بها .

(١) البخل ص ٢٠٥ ، ص ٩١

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٩٨ .

(٣) عيون الأخبار ج ١ ص ٣١١ .

(٤) البلدان ص ٤٢ .

وعن مواد البناء : أني يحيى بن خالد ابنه جعفرأ وهو يبني داره التي ببغداد بقرب الدور وأتاهم يبيضون حيطانهم فقال : اعلم أنك تغطي الذهب بالفضة ، فقال جعفر ليس في كل مكان يكون الذهب أنفع من الفضة ، ولكن هل ترى عيباً ؟ قال : نعم مخالطتها دور السوق^(١) .

الْجَصُّ والآجر بألوانها فقال : «إذا رأيت بناءهم وبياض الجص الأبيض بين الآجر الأصفر لم تجد لذلك شبيهاً أقرب من الفضة بين تضاعيف الذهب^(٢)» .

الْقَرْمِيدُ : «إن كانت الدار مقرمدة أو بالآجر مفروشة»^(٣) . وذكر الجص والجبس فقال : «وكانوا يطلون حوائط دورهم بالجص والجبس»^(٤) .

الجبس وهو مادة يطلّى به الحائط أيضاً : «فمتى وجد من لا علم له في أسفل القمقم كالجبس ، أو وجد الباقي من الماء مالخاً عند تصعد لطائفة ، على مثال ما يعتري ماء البحر ، ظن أن النار التي أعطته اليبس»^(٥) .

مَجَصَّصَةٌ فقال : «وهشموا بلاطها بالمساحي»^(٦) وعن البيوت المَجَصَّصَة قال : «إن الأقدام إذا كثرت كثر المشي على ظهور السطوح وعلى أرض البيوت المَجَصَّصَة»^(٧) .

وذكر الحاحظ ألفاظاً كانت تستعمل في مواد البناء :

(١) عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٢) الفصول المختارة على هامش الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢١٦ .

(٣) البخلاء ص ٨٤ وانظر الحيوان ج ٣ ص ٣٣٥ .

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٨ .

(٥) الحيوان ج ٥ ، ص ٣٨ .

(٦) البخلاء ص ٨٣ .

(٧) البخلاء ص ٨٢ .

السميط وهو الآجر القائم بعضه فوق بعض .

ولكن الجاحظ جاء بلفظة فارسية تعبر عن هذه الكلمة ولا توفي بالمعنى المطلوب وهي لفظة :

الرَّزْدَق وهو السطر والصف من النخل وغيره . «لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخريز ، ويسمون السमित الرزدق»^(١) . ومنهم من استعمل في بناء داره الفسيفساء والرخام وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمات بقوله : «سألني عليك علم الإدراك وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء»^(٢) .

الشَّوْرَج قال الجاحظ : «فيأكلان من شورج أصول الحيطان ، وهو شيء بين الملح الخالص وبين التراب الملح»^(٣) . وما تبقى من عملية البناء وفضلات المواد يدعي . اشكنج وهو قطع الطوب والآجر المكسر قال الجاحظ عنه : «وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء ، ثم يحرك ويثار ويخلل حتى يجتمع قماشه ثم يعزل للتنور»^(٤) .

في النصوص السابقة تبين لنا ما كانوا يستعملونه في العصر العباسي من مواد بناء ساهمت في تشييد الدور والقصور الشاهقة فأنعشت حركة العمران والتقدم الحضاري . وهناك أدوات لا يمكن الاستغناء عنها في عمليات البناء وتشييد البيوت إذ أنها من مكملات مواد البناء مثل الضبة والرزات والغلق والدروند وقد ذكر الجاحظ هذه الأدوات عندما تحدث عن الصناعات والحرفيين

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

(٢) البخلاء ص ٤٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٥٣ .

(٤) البخلاء ص ١٤٣ .

وأدواتهم وفي مجال إتمام عمليات البناء والمحافظة لصيانة الدور لابد أن تستعمل الأقفال والرزات ومفردها الرزة .

الرزة : قال الجاحظ : ونزعت مسامير الأبواب قلعت كل ضبة ونزعت كل رزة^(١) . وذكر الرزات بقوله : «وجعلوا لدورهم الأبواب يحكم غلقها الأقفال والرزات»^(٢) .

الحوزة : «وقلعت كل ضبة ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة»^(٣) .

الغلق : «والبانون الذي يقف على الباب ويسل الغلق ، ويقول بانوا»^(٤) .

الدروند : وهى التي تستقبل الباب من أعلى الأسكفة وهو النجاف كما ذكر ابن الأعرابي وهى كلمة فارسية وفى اللسان نجف^(٥) قال الجاحظ : «وربما جعلت مأواها بالليل دروند الباب»^(٦) .

يورد الجاحظ نصاً يدعو فيه إلى الاعتناء بالدور فقال : «إذا أكثر الدخول والخروج والفتح والإغلاق والأقفال وجذب الأقفال تهشمت الأبواب وتقلعت الرزات»^(٧) .

٥ - أجزاء البيت :

وبعد هذه المقدمة عن البيوت : ذكر الجاحظ البيت العباسي بأجزائه ابتداء من العتبة وحتى السطح وكذلك أماكن الفضلات ومن ألفاظ أجزاء البيت :

(١) البخلاء ص ٨٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٢ ص ٨٣ .

(٣) البخلاء ص ٨٣ .

(٤) البخلاء ص ٥٢ .

(٥) حاشية الحيوان ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٧) البخلاء ص ٨٢ .

عتبة - ودهليز - وممر - وساباط ، والكناديج وايوان ، وصحن ، وعلالي ،
وحمامات ، وكذلك شاذروان ، والدرج ثم البالوعة والبالسوعات والخلاء ،
والكنيف ، والمزيلة ومايرمى بها من كساحة ، وسوف أذكر النصوص التي أورد
فيها هذه الألفاظ . وهي كثيرة ولكني سأورد بعضها .

وأول جزء تطؤه قدم الداخل للبيت العباسي :

العتبة قال الجاحظ : «وربما خرجن من الفتح الذي يكون بين أسفل
الباب العتبة^(١) ، وبعد العتبة ندخل البيت فيصادفنا الدهليز وهو الممر المؤدي
إلى صحن الدار . وللهليز دور مهم في البيت ففيه يتقي أصحاب البيت من
حرارة الجو صيفاً . ويكون الدهليز أحياناً ملاذاً لعبري السيل ممن لا تربطهم
بأصحاب البيت علاقة حميمة . فهو مستراح لهم ، والبيت مهماً كان صغيراً لا
يمكن أن يستغنى عن .

الدهليز : «وقيل للجماز : رأيناك في دهليز فلان وبين يديك قصعة
وأنت تأكل»^(٢) . وقال : «فدعني أبيت بقية ليلتي في الدهليز في ثيابي التي
على فإذا كان مع الفجر مضيت»^(٣) . ومن الدهليز ندخل إلى صحن الدار قال
الجاحظ : «وان كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع»^(٤) .

وقال عن **الايوان** : لقينهم في مقدار سطح الايوان»^(٥) .

والساباط وهو الجزء الذي يكثُر فيه الظل لأنه يقوم على أعمدة ويظله
سطح ذكره الجاحظ بقوله : «وتركت منجلك في ساباط غيت ، وأشرافك

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٢) البقاء ص ٧٣

(٣) البرصان والعميان ص ٢٦٠ .

(٤) البقاء ص ٨٣ .

(٥) صناعات القواد ص ٣٨٩ .

على رحبة بني هاشم^(١) . وقد وصفه صاحب الألفاظ الفارسية بأنه مأخوذ من ساية بوشي ومعناها المظلة ، أي هو السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . وبعد أن تجولنا بين أجزاء البيت من الداخل نصعد الدرج لنصل إلى جزء مهم في البيت العباسي وهو .

السطح والجمع سطوح وقد اتخذوا المطابخ في السطوح واستعمل السطح للنوم صيفاً وفي نص للجاحظ يبين لنا النوم في السطوح إذ جاء على لسان أحدهم فقال : «ليس نحن في الصيف فأضيق على عيالك السطح»^(٢) وفي السطوح اتخذوا .

العلالي وهي ماكان الطبخ ، والغرفة التي في السطح تدعى العلية والجمع علالي ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع»^(٣) إذا اتخذ المطابخ في السطوح هي عادة عباسية وليس ضيق المكان هو الذي أجبرهم على ذلك لأنه من النص السابق نرى الجاحظ يقول وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع . وقال موضعاً أهمية السطح «ثم لا ينصبون التناير ولا يمكنون القدور إلا على متن السطح»^(٤) ويصل لهذه العلالي بواسطة .

الكناديج وهي خشبة يستخدمها الباني في بناء الجدران والطبقان وقال عنها الجاحظ : «يصعد إلى العلالي فوق الكناديج درجة بعد درجة وكذلك نزوله»^(٥) .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٩ وانظر ج ٧ ص ١٢٢ .

(٢) البرصان ص ٢٦٠ .

(٣) البخلاء ص ٨٣ وانظر الحيوان ج ٣ ص ٢٥٦ .

(٤) البخلاء ص ٨٤ ، ص ٨٧ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٢٤ .

الدرج : «والصعود على الدرج الكثيرة ، فينقشر الطين وينقلع لذلك الحصى وينكسر العتب»^(١) فقد ذكر الدرج والمفرد درجة ، وذكر أيضاً أشباه الدرج فقال : «وقد تصعد الحيات في الدرج وأشباه الدرج لتطلب بيوت العصافير»^(٢) .

ويقول آدم ميتز : لقد كشفت لنا حفائر سامرا عن :

طريقة بناء الدور عند أهل العراق في القرن الثالث الهجري ، فقد كانت الدور بسامرا تبني على مثال واحد يصل بينها وبين الشارع أو الدرب دهليز سقوف يفضى إلى صحن واسع قائم الزوايا يبلغ عرضه ثلثي طوله في العادة ، ويتصل به من جانب العرض القاعة الكبرى وفي أركانها غرف صغيرة ، ويحيط بالصحن أيضاً غرف متجاورات مربعة للسكنى وللمرافق المنزلية ، ولا تخلو الدور قط من حمامات ومجارٍ تحت الأرض^(٣) . ومن مرافق البيت **الحمامات** التي كانت تعتبر في العصر العباسي من دلائل الترف ومن أمارات هيئة أهل الشرف والبيوتات كما ذكر الجاحظ في البخلاء : «واتخذوا الحمامات في الدور ، وأقاموا وظائف الثلج والريحان»^(٤) وهناك لفظة تدل على الغنى والترف وهي **الشاذروان** في البيوت ، وهو عبارة عن نافورة تكون في وسط البيت العباسي الغني ، وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمة فقال : «وحدثني إبراهيم ابن الندي : قال كان على ربض الشاذروان شيخ لنا من أهل خراسان»^(٥) ، ونعود للمرافق الصحية التي يستخدمونها لتصريف الفضلات مثل مياه الغسيل والاستحمام والأمطار وغيرها من الفضلات التي يجب التخلص منها بواسطة

(١) البخلاء ص ٨٢ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٣ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٢١٠ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٥) البخلاء ص ٢٤ .

البالوعات التي يقوم على تنقيتها عمال اتخذوا هذه المهنة حرفة لهم قال الجاحظ في بخلائه عن هذه العملية الصحية ، وذكر لفظة البالوعة والجمع بالوعات : «وكان من البخل يؤخر تنقية بالوعته إلى يوم المطر الشديد وسيل المتاعب ، ليكتري رجلاً واحداً فقط ، يخرج ما فيها ويصبه في الطريق فيجترفه السيل ويؤديه إلى القناة»^(١) . وقال عن البالوعات : «واتخذوا في دورهم بالوعات لتصريف الفضلات الإنسانية» وعملية تنقية البالوعة من فضلاتها كانت تعتبر في عصر الجاحظ من دلائل الكرم لكثرة الزوار ، وفي هذا يقول الجاحظ : «الخصال التي تدعو إلى ذلك كثيرة ، وهي قائمة معروفة . من ذلك سرعة امتلاء البالوعة وما في تنقيتها»^(٢) . ثم مرفق آخر لتصريف الفضلات وهو الخلاء أو الكنيف أو الحش ، وكلها كنايات كما قال الجاحظ : «وكذلك الخلاء والحش والغائط وكلها كنايات»^(٣) وذكر الكنيف فقال : «قال : قد تحرك بطني فأريد المنزل قال : فلم لا تتوضأ ها هنا ؟ فإن الكنيف خال نظيف»^(٤) .

وهناك ألفاظ تستعمل لإلقاء الفضلات وهي المزبلة التي ترمي فيها الكساحة المتخلفة من عملية التنظيف أو الكسح كما يسميها الجاحظ : «ولا تكسح عليها الأرض إلا في الفرط»^(٥) وقال على لسان أحد بخلائه : «والأ يلقوا عظماً ولا يخرجوا كساحة»^(٦) وقال في البخلاء أيضاً : «وكان أبو سعيد ينهي خادمه أن تخرج الكساحة من الدار»^(٧) وهذه المخلفات أو **الكَسَاحَة** تجمع في المزبلة التي

(١) البخلاء ص ١١٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٢ ، وانظر الحيوان ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) البرصان والعرجان ص ٧٣ .

(٤) البخلاء ص ١٩٨ .

(٥) البخلاء ص ٦٧ .

(٦) البخلاء ص ٨٢ .

(٧) البخلاء ص ١٢٩ .

تكون من الملحقات المهمة في البيت ، فقال الجاحظ على لسان أحد ملاك البيوت : «ونظفناها لتحسن في عين المستاجر ولا يرغب فيها الناظر فإذا خرج ترك مزبلة وغراباً»^(١) .

٦ - أدوات البيت :

ذكر الجاحظ مسميات الأدوات الضرورية للبيت في نصوصه ، قال عن الإضاءة : «دخلت على رجل من أهل خراسان ليلاً ، وإذا هو قد أتاننا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الدقة وإذا هو قد ألقى في دهن المسرجة شيئاً من الملح» . وعنوا بالزرع وزينوا دورهم بالورود ووضعوها في **قَوَاصِر** داخل البيت ، وذكر الجاحظ هذا فقال : «إن حب الأراك يغرس في جوف طين في قواصر ويسقى الماء أياماً» . ومن وسائل الترف **الخيوش** ومفردتها خيش قال الجاحظ واصفاً لنا عملية التهوية والتكيف في عصره : «ربما لبس في الصيف خف لبود وهو جالس في الخيش» وقال، عن الخيوش : «لو كانوا إذا جلسوا في الخيوش ، واتخذوا الحماسات في الدور وأقاموا وظائف الثلج والريحان»^(٢) ويقول الطبري عن الخيوش : في عهد المنصور العباسي اتخذت طريقة أخرى للتبريد فكانوا ينصبون الخيش المغليظ ، ولا يزالون يبلونه بالماء . فيبرد الجو ، وكان الخيش ينصب على قبة ثم اتخذت بعدها الشرائح^(٣) ومن الطبيعي أن من يستعمل هذه الأشياء في بيته هو الثرى المترف لأنها كلها أمور تبين إلى أي مدى وصل الترف في الحضارة العباسية وكذلك استعملوا في بيوتهم رشى اللبن في البيت للوقاية من الذبان ، وفي نص للجاحظ يبين لنا هذه العملية الوقائية قال : «ويقال إن

(١) البخلاء ص ٦٧

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤١٨

اللبن إذا ضرب بالكندس ونضج به بيت لم يدخله ذبان»^(١) واستعملوا الطست^{٥٣} من أجل تنظيف الملابس وأمور أخرى ، قال الجاحظ يعدد فوائد الطست : «إذا فرغ من غسل يده في الطست نفّض يديه من الماء»^(٢) وقال : «وكانوا يلقون النوى في طست»^(٣) واستعملوا الزبيل^{٥٤} لجمع الكساحة . وهذا ما ذكر في أماكن عدة منها في بخلائه : «فإذا كان في الحين جلس وجاءت الخادمة ومعها زبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلاً»^(٤) وقال : «فما كان إلا بقدر ما يكنس الرجل زبيلاً حتى تركناهم»^(٥) .

وعن التبريد يحدثنا آدم مitzer نقلاً عن المقدسي : ويحكي المقدسي أنه رأى في دار عضد الدولة بشيراز بيوت الخويش يبللها الماء على الدوام بواسطة قنى حولها من فوق ويظهر أن هذه الطريقة في التبريد كانت شائعة جداً في بغداد»^(٦) .

٧ - تأثيث البيت وفرشه :

اهتم الجاحظ ببيان أثاث البيت وفرشه ، وذكر في هذا المجال كلمات كثيرة أهمها : سرير . أسرة . الكلة . اللحاف . الملاءة . المخاد . البواري .

ما يرويه الجاحظ عن أحد بخلائه فقال : «كان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشر لأن البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينه وملاسته»^(٧) وقال

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٢) البخلاء ص ٧٦ وانظر الحيوان ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) البخلاء ص ١٥٠ .

(٤) البخلاء ص ١٤٢ .

(٥) صناعات القواد ص ٣٨٩ .

(٦) الحضارة الإسلامية آدم مitzer ج ٢ ص ٢١٢ .

(٧) البخلاء ص ١٠٢ .

عن هذه الظاهرة : « فاحتالوا لبراغيثها بالأسرة فلم يتفعلوا بذلك لأن براغيثهم تمشي »^(١) واستعملوا لنامهم الكلة ، واللحاف والملاءة والمخاد ولفرشهم المساد والبسط والبواري والحصر ، وهذا الفرش يتفاوت حسب منزلة الفرد الاجتماعية وموارده الاقتصادية وقد ذكر الجاحظ ألفاظهم المستعملة في إعداد أسرته أو في فرش دورهم فقال عن **الكلة** وهي الستر الرقيق الذي يتوقى به النائم من البعوض ، قال : « وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهن ربما تعودن المبيت على خوص فسيلة وأقلا بها من فساتل الدور أو شجرة أو كلة »^(٢) وذكر **الحاف** فقال : « ومعي لحاف لي سمل »^(٣) وقال عن الملاءة : « اشتريت ملاءة قذارية فلبستها ما شاء الله رداء وملحفة »^(٤) **والمخاد** قال عنها : « جعلت مادون خرق المخاد للقلانس »^(٥) وعن المساد قال : « وذاكرتم الاتكاء على المساد . وربوضى ذات الأربع »^(٦) . ومن الفرش : **البسط** والبواري والحصر ذكرها الجاحظ بقوله : « فبطنوا البواري وبطنوا الحصر وبطنوا البسط وبطنوا الغداء بشربة باردة »^(٧) وقال عن **البواري** : « فألقى على باب داره - البواري ، وجلس إليه الجيران »^(٨) وعن **الحصر** قال : « حدثني عن وصفك أطباق الرطب وبسطك الحصر في السكك »^(٩) والملاحظ أن الطبقة الغنية سكنت في محلات خاصة بها وأبت أن تخالطها طبقة العامة ، وفرشت الدور بالفرش المترف الذي يدل على

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٧٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٣٢ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٤) البخل ص ١٠٥ .

(٥) البخل ص ١٠٥ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٣٥٢ .

(٧) البخل ص ١٠٤ .

(٨) الحيوان ج ٣ ص ٨ وانظر كتاب البغال ص ٢٦٤ .

(٩) البخل ص ١٣٤ .

مستوى معيشتها المرتفع . أما الطبقة الفقيرة التي تروح تحت عبء الحاجة فقد تكتلت في أماكن خاصة بها ، وسوف نتطرق إلى هذا في كلامنا عن الفئات التي تكون المجتمع . وقبل أن نترك البيوت وساكنيها والبيئة المكانية البصرية أو البغدادية نرى أن الرفاه الحضاري تمثل في ترتيب البيوت بالأثاث الرقيق المترف المتلائم مع المناخ الذي يسود العراق وخاصة في فصل الصيف ، ويعلق شارل بيلات بقوله : «ونجد إلى جانب رقة الأنواع ، ترف الخوان والأثاث»^(١) . وبعد أن تجولنا مع الجاحظ في بيئته التي عاش فيها والتي تمثل الحضارة العباسية بأوج ازدهارها ، بعد هذه الجولة سنتناول أمور الحياة المعيشية لطبقات المجتمع العباسي ، فالحياة اليومية لها جوانب متعددة ستتطرق إليها .

يقول آدم ميتز في وصفه للبيت العباسي :

كان يستعمل في هذه البيوت الصيفية مروحة تشبه شراع السفينة تعلق في سقف البيت ويشد بها حبل يديرها ، وهي تبل بالماء وترش بماء الورد ، فإذا أراد الرجل أن ينام وقت القائلة جذبها بحبلها ، فتذهب بطول البيت وتجيئ ويهب منها نسيم بارد طيب^(٢) .

(١) الجاحظ شارل بيلات ص ٣٤٥ .

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٢١٢ .

ثانياً: الالفاظ الخاصة بالفئات الاجتماعية

كانت البصرة من أكبر المراكز التي تجمعت فيها القبائل العربية المختلفة من عدنانية ويمينية ، وقد اندمجت في وقت مبكر عناصر أجنبية جاءت من فارس والهند في هذه القبائل العربية التي تكون سكان البصرة بصفتهم جنوداً مرتزقة، واشتركوا في الفتوح التي كانت تجوبها تلك العناصر العربية الناشرة لدين الإسلام . وهكذا استوطنت البصرة فروع من القبائل العربية الرحل والمتحضرة . كما أن الأراميين كانوا يشكلون قسماً كبيراً من أهل السواد الذين يطلق عليهم كتاب العرب دون تمييز اسم النبطيين . وقد ظل هؤلاء النبطيون منعزلين عن العرب ويؤلفون طبقة الزراع الدنيا . ومن غير العرب أيضاً الإيرانيون والسند والهند والمالقيون والزنج . والمالقيون يعتبرهم المؤرخون بصورة عامة **السبابجة و الزط** ، وهم من زمرة واحدة . وقد ذكر لنا الجاحظ كل هذه الأصناف والفئات في كتبه وعدد صفاتهم ومواصفاتهم .

فترى الجاحظ يعدد بعض هذه الأنواع بصورة عامة بقوله : وزعم أن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام خراساني وتركى ومولى وعربي وبنوي^(١) . وبتحديد أكثر نراه يصف أقواماً في بيئات معينة كقوله : «سل عني **الكتفية و الخيدية و الخريبة و البلالية** وبقية أصحاب صخر ومصخر وبقية أصحاب فاس وراسي مقلاسي»^(٢) . وقد عدد الجاحظ **الزنج** بأنواع مختلفة قال «قالوا : وأنتم لم تروا الزنج الذين هم الزنج قط ، وإنما رأيت السبي يجرى من سواحل قبلة وغياضها وأوديتها ، ومن مهنتنا وسفلتنا وعبيدنا ، وليس لأهل قبلة جمال ولا عقول . **وقنبلة** : اسم الموضع الذي ترفون منه سفنكم إلى ساحله .

(١) مناقب الترك ص ٩ .

(٢) الحلاء ص ٥٠ .

لأن الزنج ضربان : قنبلة ولنجويه^(١) . وقد ذكر الجاحظ كل هذه الأصناف من البشر في رسالته الجامعة لهذه الأجناس البشرية فخر السودان على البيضان .

١ - طبقات المجتمع :

إن التغيير السياسي في المجتمع العباسي أعقبه تغيير اجتماعي في تقسيم الطبقات الاجتماعية وترتيب منازل فئاتها تبعاً لتغير الوظائف الاجتماعية التي تؤديها هذه الفئات والطوائف والطبقات ، وقد أوضح لنا الجاحظ طبقات المجتمع هذه عندما تكلم عن التقسيم الطبقي في مجتمعه قائلاً : «إن اجتماع الأعلو والأوسطون والأدنون فدعوت بواحد منهم دون من يعلوه في القدر لأمر لا بد من الدعاء به له ، فأظهر العذر في ذلك لئلا تخبث نفسي من علاه ، فإن الناس يتغالب لمثل ذلك عليهم سوء الظنون»^(٢) .

فمن هذا النص نستطيع أن نميز طبقات المجتمع العباسي آنذاك فهي طبقات ثلاث : العليا ، والوسطى ، والعامية ، وقد أشار الجاحظ في أماكن عديدة من كتبه عن العوامل التي تؤثر في التقسيم الطبقي للمجتمع وأهمها العامل المادي وبين أهميته في تحديد نوع الطبقة الاجتماعية للشخص وذلك بملاحظته لأصحاب الحرف السفلى بأنهم لم يستطيعوا أبداً أن يثروا الشراء اللازم الذي يرفع من منزلتهم الاجتماعية ، فنراه يقول في الحيوان مدلاً على رأيه : «ولم أر سقاء قد بلغ حال اليسار والثروة وكذلك ضراب اللبن والطيان والحراث وكذلك ما صغر من التجارات والصناعات . ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجوهر ، وعند أصحاب الوشي والأنماط ، عند الصيارفة والحناط وعند البحرين والبصريين والجلاب أبداً ، والبيازرة

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢١١ .

(٢) الرسائل كتاب الحجاب ص ٣٥ .

أيسر ممن يبتاع منهم»^(١) .

أما الطبقة العليا فقد عدد الجاحظ فئاتها ، وهم **الخلفاء** والأمراء والولاة والقواد **والوزراء** ، والخلفاء هم رأس الطبقة العليا فقد حدثنا الجاحظ بأنه لا يصح أن يكون للأمة غير خليفة واحد ، وهو الرئيس الذي يجمع شمل الأمة فيقول : قضية واجبة ، إن الناس لا يصلهم إلا رئيس واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ويمنع قويهم من ضعيفهم ، وقليل له نظام أقوى من كثر لا نظام لهم ولا رئيس عليهم^(٢) . ويؤكد الجاحظ رأيه هذا في كتابه العثمانية فيقول «إن صلاح الدنيا وتمام النعمة من تدبير الخاصة وطاعة العامة»^(٣) ويقول في العثمانية أيضاً : «فالرسل طبائعهم فوق طبائع الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء»^(٤) .

والطبقة الوسطى التي يعرض لنا الجاحظ طوائفها وفئاتها ، وهم **التجار** والشعراء و **القضاة** و **كتاب الدواوين** والمغنون ، فهي تضم في صفوفها عناصر عربية وأعجمية مسلمة وغير مسلمة ، ويعلل لنا شارل بيلات أسباب ظهور هذه الطبقة في المجتمع العباسي قائلاً ، بأنها نشأت إزاء فكرة التوكل المنتشرة في الأوساط العربية الخاضعة للنفوذ الأعجمي فكرة أخرى توسعت بصورة خاصة بين الموالي وهي فكرة الادخار وغايتها إدخال مال احتياطي يدفع به المرء عن نفسه غدر الزمان وهكذا ظهرت طبقة بورجوازية تعتمد على المال وتضم في صفوفها أغلبية المسلمين والمسلمين الجدد الذين انضم إليهم اليهود والمسيحيون»^(٥) .

(١) الحيوان ج ٤ ص ٢٣٤ .

(٢) هامش الكامل للمبرد ص ١٤٩ (ج ١ كتاب النساء) .

(٣) العثمانية ص ٢٥١ .

(٤) العثمانية ص ٢٥٧ .

(٥) شارل بيلات - (الجاحظ) ص ٣١٥ .

وفي الدرك الأسفل من طبقات المجتمع العباسي كانت هناك الطبقة الدنيا، وهذه الطبقة نالت من الجاحظ عناية خاصة ، من حيث تحديد الفاصل بينها وبين الطبقة العليا أي الطبقة الخاصة ، وقد وصف لنا الجاحظ طوائف وفئات هذه الطبقة السفلى وصفاً مسهباً وأن أفرادها يقومون على أقل المهن الاجتماعية شأناً ، وهي تتكون من عناصر عربية وأعجمية إسلامية ومجوسية ويهودية ونصرانية ، وحين يتحدث الجاحظ عن العامة فإنه كان ينبه إلى فرق ما بين عامة المثقفين وعامة الأجناس ، ويجعلنا أمام فئات تمتاز بثقافتها المتوسطة وتسمو في مرتبتها الاجتماعية على فئات أخرى فيقول : «إذا سمعتموني أذكر **العوام** فإنني لست أعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ، ولست أعني **الأكراد** في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار»^(١) .

أما عامة الشعب فتضم :

طوائف وفئات اجتماعية عديدة . وقد رجح البعض سبب التسمية هذه باسم **العامة** إلى كثرة أفرادها وعدم إحاطة البصر بهم ، وسموهم **السوقة** ، ويفسر ذلك ابن منظور في لسانه بقوله : السوقة بمنزلة الرعية التي تسوقها الملوك ، وسموها سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم . يقال للواحد سوقة وللجماعة سوقة . وهم عند الجاحظ «هؤلاء حاشية **واعلاج وأكرة** ونزال السواحل والأجام والغيوض والجزائر من أكار ومن صياد»^(٢) وذكر **الحشوة** والطغام قائلاً «فأما الحشوة والطغام فإنما هم أداة للقادة وجوارح للسادة»^(٣) وذكر الجاحظ الأجام بقوله : «**زط الأجام** ورؤوس الأكراد و**مَرْدَة** الأعراب»^(٤) .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) الرسائل فخر السودان على اليفضان ص ٢١٢ .

(٣) العثمانية ص ١٨ .

(٤) البهلاء ص ٤٩ .

ويعتبر الجاحظ أن طوائف عامة الشعب أداة للخاصة تبتذلها للمهن وترجى لها الأمور وتطول بها على العدو وتسد بها الشغور . ويرى الجاحظ أن من العوام الحشوة ورذال الناس والصناع والباعة والأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار **والببر ، والطيلسان وموقان ، وجيلان** والزنج وأشباه الزنج^(١) .

ويعد من العامة في الحضارة العباسية سقاء الخمر في مجالس اللهو ، والباعة الجوالون الذين يجوبون الدروب ويمرون على الدور بتجارتههم ، وكذلك الأكرة ، وكان منهم من يكرى دابته بالأجر^(٢) وكذلك الحمالون الذين كانوا يكررون بالأجر لحمل الأثقال^(٣) . ويشير الجاحظ إلى فئات من سفلة عامة الشعب مثل الحوائث والراقين ، ويكشف لنا عن حيلهم وعن خدعهم فنقول : «والحواء والراقي يرى الناس أنه إذا رأى جحراً لم يخف عليه : أبحر حية هو أم جحر شئ غيره ، فإن كان جحر حية لم يخف عليه أهى فيه أم لا . ثم إذا رقى وعزم فامتنعت من الخروج وخاف أن تكون أفعى صماء لا تسمع ، وإذا أراغها ليأخذها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نقرة لا يفلح بعدها أبداً ، فهو عند ذلك يستبري بأن يشم من تراب الجحر ، فلا يخفى عليه : أهى أفعى أم حية من سائر الحيات»^(٤) . وهناك طوائف من عامة الشعب تخصصت في حرف متنوعة ظهرت كآثر من آثار الامتزاج الحضاري وما صاحبه من تقدم مادي وفكري وقد بين لنا الجاحظ صوراً لهذه الحرف وما كانت عليه من تنوع وتخصص ، فالمهنة وإن كانت وحدها لا تحدد الطبقة التي ينتمي إليها الفرد في مجتمعه إذ أن الطبقة سابقة على المهنة ، وكثيراً ما تؤثر الطبقة في اختيار المهنة ، ويشير الجاحظ في كتبه مبيناً أثر الطباع التي أوجدها الله في النفوس

(١) البيان ج ١ ص ١٣٧ .

(٢) البيان ج ٣ ص ٦٨ .

(٣) البخل ص ١٢٥

(٤) الحيوان ح ٤ ص ١٩٠ .

وأهميتها في المهنة التي يتخذها الفرد دون الآخر مما يؤثر في مكانته الاجتماعية في المجتمع قائلاً «فأما الصناعات فقد تقصر الأسباب بعض الناس على أن يصير حائكاً وتقصر بعضهم على أن يكون صيرفياً»^(١) .

٢ - اصحاب المهن :

وصف لنا الجاحظ فئات الطبقة السفلى من المجتمع العباسي وحدد مهنة كل فئة من هذه الفئات واهتم بصفة خاصة بأقل المهن الاجتماعية شأناً ونراه ينظر نظرة ازدراء إلى بعض فئات من عامة الشعب التي تمتهن المهن الوضيعة في نظره مثل : الحجامين والحاقة وغيرهم ، وهذا المعيار من الرؤية بالنسبة لتلك المهن كان معياراً لعامة الناس في المجتمع العباسي في تلك الفترة من ازدهار الحضارة ورفيها ، فلو استعرضنا بعض المهن لتلك الطبقة السفلى من المجتمع العباسي لوجدنا **الأكرة** ومفردها الأكار ، وقد ذكرهم الجاحظ في مواضع عديدة مثل قوله في الحيوان : قيل لما سرجويه «ما بال الأكرة ، وسكان البساتين ، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشربهم ماء السواقي على المالح أقل الناس خفشاناً وعمياناً وعمشاناً وعوراً»^(٢) ؟ «وجاء ذكرهم في البخلاء بقوله : «إذا صرنا بأرضه كلف أكاره أن يجشمه في مجشمة له»^(٣) .

وصنف آخر من المهنيين وهم **الحاكة** والبزازون فقد ذكرهم الجاحظ قائلاً : «قال أحمد الخاركي : لا تصير القرية قرية حتى يصير فيها حائك ومعلم»^(٤) . وذكرهم في الحيوان أيضاً في أماكن متفرقة كقوله : وإذا قالوا : فلان أخضر البطن ، فإنما يريدون أنه حائك فإن الحائك بطنه لطول التزاقه

(١) الحيوان ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٣) البخلاء ص ١٢٩ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٩٣ .

بالخشبة التي يطوى عليها الثوب يسود»^(١) وقال أيضاً : «ومن القنافذ جنس وهو أعظم من هذه القنافذ ، وذلك أن لها شوكة كصياصي الحاكة»^(٢) ويقول الجاحظ في تشابه طبائع العامة في كل بلدة وكل عصر : ألا ترى أنك لا تجد بدافي كل بلدة وفي كل عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحمق والغباوة والظلم ، وكذلك النحاسون على طبقاتهم من أصناف ما يبيعون ، وكذلك السماكون والقلاسون ، وكذلك أصحاب الخلقان كلهم في كل دهر وفي كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة»^(٣) «وذكر الجاحظ **البزازين** بقوله «قال : نلت أطول أمالي في قرب هؤلاء البزازين»^(٤) .

ثم نوع آخر من المهنيين وهم الحجامون والخناقون وحراس الأسواق والخمارون والدباغون والنفاطون وغيرهم . وقد جاءت هذه المهن ومن يقوم بها في مواضع كثيرة عند الجاحظ وكان الجاحظ ينظر إلى بعض هذه الطوائف والفئات التي تقوم بالمهن المذكورة نظرة ازدراء وتحقر مثل ما يذكره من **الحَّجَّامِينَ** والنحاسين والقلاسين : معنى القلاسين الضاربون بالدف «ويؤكد أن طبائع هذه الفئات تتشابه في كل عصر وبلد ، فيقول : وكل حجام في الأرض فهو شديد الاستهتار بالنيذ وإن اختلفوا في البلدان ، والأجناس والأسنان»^(٥) . كان الحجام يقوم على حجمة الأمراء والسادة في دورهم ، ويدلنا على هذا ما يرويه الجاحظ عن فرج **الحَّجَّام** مملوك الأمير جعفر بن سليمان يقول الجاحظ : «وكان فرج الحجام مملوك جعفر بن سليمان ، إذا حجمه أو أخذ من شعره لم

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٨

(٢) الحيوان جـ ٦ ص ٤٦٤ .

(٣) الحيوان جـ ص ١٠٥ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٨-٣٠ .

(٥) الحيوان جـ ٢ ص ١٠٥ ص ١٠٦ .

يتكلم ولم يتحرك ، ولم يأخذ في شئ من الفضول»^(١) . ويصف لنا الجاحظ إقبال الناس على الحجامة والتطبيب بها فيقول : «وكان أهل المربد يقولون : لا نرى الإنصاف إلا في حانوت فرج الحجام ، لأنه كان لا يلتفت إلى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل ، ويقدم الأول ثم الثاني ثم الثالث أبداً حتى يأتي على آخرهم ، على ذلك يأتيه من يأتيه ، فكان المؤخر لا يغضب ولا يشكو»^(٢) . ثم **الخناقون** نجدهم من سفلة العامة في المجتمع العباسي وقد كانوا مصدراً من مصادر التوتر في حياة الناس آنذاك ، ويحدثنا الجاحظ عنهم بقوله : «أن الخناقين يظاهر بعضهم بعضاً ، فلا يكونون في البلاد إلا معاً ولا يسافرون إلا معاً ، فربما استولوا على درب بأسره . أو على طريق بأسره ولا ينزلون إلا في طريق نافذ ويكون خلق دورهم : إما صحارى وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك ، وفي كل دار كلاب مربوطة ودفوف وطبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلم كتاب منهم ، فإذا خنق أهل دار منهم إنساناً ضرب النساء بالدفوف ، وضرب بعضهم الكلاب ، فسمع المعلم فصاح بالصبيان انبحوا وأجابهم أهل كل دار بالدفوف والصنوج ، كما يفعل نساء أهل القرى ، وهيجوا الكلاب فلو كان المخنوق حماراً لما شعر بمكانه أحد»^(٣) .

أما مهنة حراس الأسواق فسوف أتكلم عنها عندما أتعرض لمهنة اللصوص وما يمارسونه من فنون لصوصية في ذلك الوقت ، والآن نتقل إلى أصحاب مهنة أخرى وهم **النفاطون** ، فقد ذكرهم الجاحظ بقوله «لأن الطلق لو أوقد عليه ألف عام لم يسخن وبه يتطلى النفاطون إذا أرادوا الدخول في النار»^(٤) . وذكر **الدباغين** وهم أيضاً من الطبقة السفلى لعامة الشعب فقال يصف مهنتهم : الدباغة

(١) الحيوان ج ٧ ص ٢٦١ .

(٢) الحيوان ج ٧ ص ٢٦٢ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٤) الرسائل ج ١ ص ٢٠٠ .

«ولذريقة غلات ، أ يعرف ذلك أصحاب الحجر وهو يصلح في بعض وجوه الدبع»^(١) ومهن أخرى كان الجاحظ ينظر إليها باحتقار وازدراء كالقلاسين والمكارين والقرادين والطوافين والمتكسين وبائعي الحلقات ، وغيرهم من الفئات والطوائف الذين يعدهم من سفلة عامة الشعب ومن الدرك الأسفل للمجتمع فقد ذكر **القلاسين** بقوله «ألا ترى أنك لا تجد بداً في كل بلدة وفي كل عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدار واحد وجهة واحدة من السخط والحق والغباوة والظلم ، وكذلك **النخاسون** والقلاسون وكذلك أصحاب الحلقات كلهم في كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة»^(٢) . وذكر **المكارين** الذي يكرون دوابهم بالأجر قال : «ولقد كان أبو دبوبة الزنجي مولى آل زياد ، يقف بباب الكوخ بحضرة المكارين فينهق ، فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير ، ولا متعب بهر إلا نهق»^(٣) وذكر الجاحظ **الطوافين** والمتكسين **والقرادين** بقوله : «هذه السباع المشتركة الخلق المتولدة فيما بين السباع المختلفة الأعضاء المتشابهة الأرحام ، التي إذا صار بعضها في أيدي القرادين والمتكسين والطوافين وصفوا لها أسماء فقالوا : مقلاس ، وكيلاس ، وشلقطير وخلقطير وأشباه ذلك»^(٤) ثم مهنة **الخمارين** وهؤلاء لهم صفات معينة ومواصفات خاصة تؤهلهم للمهنة وقد وصفهم الجاحظ بقوله : «وأعجب من هذا أنني لا أنتفع بشربها حتى يكون بائعها على غير الإسلام ، ويكون شيخاً لا يفصح بالعربية ويكون قميصه متقطعة بالقار ، وأعجب من هذا أن الذي لا بد منه أن يكون اسمه إن كان مجوسياً شهريار ومازيار ، وما أشبه ذلك مثل أدير ، وأردان ، ومازان ، فإن كان يهودياً فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك وإن كان

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٣ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ١٠٥ .

(٣) البيان ج ١ ص ٧٠ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٢٨ .

نصرانياً فاسمه يوشع ، وشمعون وأذين وازدانقاذارا وأشباه ذلك»^(١) ومهنة أخرى وهى الحراسة وكان يقوم بها **حراس الأسواق** وعلى رأسهم صاحب الحرس وقد ذكرهم الجاحظ قائلاً : «وعلى أنا لو حلنا بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس ، وبين اتخاذ الكلاب لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا متنع كل محروس من إعطائهم تلك الأجرة ولوجد اللصوص ذلك من أعظم الغنم وأجود الفرص»^(٢) وقال يصف **صاحب الحرس** : «ومن تمام آلة صاحب الحرس أن يكون زميتاً قطوباً أبيض اللحية ، أقنسى ، أجنى ويتكلم بالفارسية»^(٣) . لقد وصف الجاحظ طوائف وفئات هذه الطبقة السفلى من المجتمع وصفاً سهياً وأورد بأن أفرادها يقومون على أقل المهن الاجتماعية شأناً .

قال آدم مitzer عن الخمارين :

وقد حكى الجاحظ المتوفي عام ٢٥٥ هـ . عن أحد الثقات الذين يعتمد عليهم أن من تمام آلة الخمار أن يكون ذمياً مختوم العنق . ويصف الجاحظ عادة العرافين فيقول : من تام آلة الخمار أن يكون اسمه أذين أو مازيادا أو أزدانقا ذا أو ميشا أو شلوماً ويكون أرقط الثياب مختوم العنق»^(٤) .

٣ - فئات ذات طبيعة اجتماعية خاصة :

هناك طوائف وفئات في المجتمع العباسي في عصر ازدهار الحضارة العباسية ذات طبيعة خاصة بالنسبة للمجتمع ، وهذه الفئات لها مكانتها في هذا المجتمع الخليط من الأجناس المتنوعة . وقد كانت لكل من هذه الفئات ظروف

(١) البيان ج ١ ص ٩٤ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٣٠٣ .

(٣) البيان ج ١ ص ٩٥ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم مitzer ج ١ ص ١٠٠-١٠٢ .

اجتماعية أو اقتصادية أوجدتها وفرضتها على ذلك المجتمع في عصر ازدهاره ، وهذه الفئات هي الجوّاري والغلمان والقصاص والشطار والمكديون ، وسوف نتكلم عن هؤلاء بشئ من التفصيل عندما نتناول كل فئة على حدة ، وأول هذه الفئات هي :

الجوّاري والغلمان :

هذه الفئة تضم الرقيق بأنواعه والخصيان والسراري وغيرهم من أصناف الرقيق ، وقد حظيت هذه الفئة باهتمام خاص من الجاحظ حتى أنه أفرد للحدث من أحوالها بعضاً من كتبه ورسائله ، مثل كتابه مفاخرة الجوّاري والغلمان ، وكتابه في القيّان ، وكتابه في النساء ، وعقد في الحيوان فصلاً تحدث فيه عن الخصيان وفصلاً عن النساء ، وتناول جانباً من أقوال هذه الفئات في كتابه البغال بما ضمنه من ملاحظات ، وكان للرقيق في المجتمع العباسي تجارة رائجة لها قواعدها وأصولها من حيث ما يحتاج إليه البائع والمبتاع في سوقها يقول الجاحظ : «إن الرقيق تجارة من التجارات تقع عليها المساومات والمشارة بالثمن ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفى العلق ويتأملاه تأملاً بيناً بينما يجب فيه خيار الرؤية المشترط في جميع البياعات ، وإن كان لا يعرف مبلغه بكيل ولا وزن ولا عدد ولا مساحة فقد يعرف بالحسن والقبح»^(١) وقد كان مقاييس الذوق في زمن ازدهار الحضارة العباسية بنظام الرقيق ، وكانت هذه المقاييس تختلف باختلاف الأمصار وتعتمد اعتماداً كبير على نوع الرقيق **والجوّاري** الذي كانت التجارة تأتي به إلى ذلك الجزء من العالم الإسلامي آنذاك ، هذا وقد تعددت جنسيات الجوّاري فمنهن البغلات ، والمطهومات ، والسراري والسبابة والعلات ، **بغلات** ومفردها **بغلة** وجنس آخر ، والواحدة منهن يقال لها بغلة ولهّن أبدان ووثارة وخدّارة ، فقد ذكر الجاحظ البغلات

(١) القيّان رسائل الجاحظ ص ١٦١ .

بقوله : «البغلات : جوار من رقيق مصر ، نتاج ما بين الصقالبة وجنس آخر»^(١) وذكر **المُطَهَّمَات** بقوله «وكذلك مطهّمات جوارى الكوفة ، زرقا تجدهن»^(٢) **والسراري** جمع سرية وهي الأمة المملوكة ، وهذا النظام مسموح به للمسلمين ممنوع على النصاري ، وقد جاء ذكره عند الجاحظ بقوله : «على أن الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر له السلطان ناحية ، وكان طيمانو رئيس الجاثليق ، قدهم بتحريم كلام عون العبادي عندما بلغه من اتخاذ السراري ، فتوعده وحلف»^(٣) ثم **العَلَات** وقد جاء كلام الجاحظ عنهن بقوله «ثم كأنكم أولاد علات وضرائر أمهات»^(٤) . ولا بد من الإشارة إلى دور المرأة في ميادين الحرف والمهن في المجتمع العباسي ، فقد أشار الجاحظ إلى بعض النسوة مارسن حرفاً معينة كزينب بنت جحش التي كانت امرأة صنّاع تدبغ وتخبز وتتصدق به»^(٥) .

وذكر الجاحظ أنواع الغلمان كالقن بقوله «وصار هو العبد القن المملوك لمن ائتمنه على سره»^(٦) . وقد نتج عن تزاوج هذه الأجناس المتباينة من الجوّاري والرقيق ظهور أجناس جديدة من مثل الخلاص من الرقيق ، وهو الذي يتخلق بين الحبشي والبيضاء وقد وصفهم الجاحظ بقوله : «إنهم يخرجون أعظم من آبائهم وأقوى من مثل **البَيْسَرِي** من الرقيق ، وهو الذي يخلق من بين البيض والهند ، وهذا التّاج لا يخرج على مقدار ضخّم الأبوين وقوتهما ولكنه يجيء أحسن وأفلاح»^(٧) . وكانت سوق القيان عامرة بأصنافه المختلفة ويشرف عليه

(١) كتاب البغال ص ٢٨١ .

(٢) كتاب البغال ص ٢٨٩ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٢٧ .

(٤) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠١ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٢٩ .

(٦) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٧ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ١٥٧ .

المقيّن وهو الذي يأخذ الجوهر ويعطي العرض في سوق القيان ، . والغلمان كانوا على شاكلة القيان يباعون في سوق الرقيق وكانوا جنسيات مختلفة مثل الروم والسند وكان السادة يحرصون على أن يسير في مواكبهم غلمانهم ، وكانوا يقيمونهم على طهي الطعام في دورهم ، وقد تنوعت وظائفهم في هذه الدور ، فمنهم **الشواؤون والفراشون والمعدون والطهاؤون** ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف في حيوانه فقال «وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم»^(١) وقال «والشوائين والطهائين والفهادين والبيازرة والصقارين والكلابين لا ترى أحداً منهم صار إلى غني ويسر ولا تراه أبداً إلا فقيراً محارفاً»^(٢) وقال وهو يصف القيان «والمعدين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشرية»^(٣) .

ويذكر الجاحظ أن **القيان** كن يحذقن أموراً خاصة بصنعتهم ، مثل حذقهن الغناء والشعر الفاضح والعزف ، وكان يشترط في العارفة مواصفات معينة ، مثل قول الجاحظ في **الزَّامِرَة** «ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء»^(٤) والقهرمان هو الرأس المدبر لكل بيت من بيوت الطبقة العليا وكان يشرف على هؤلاء الجوّاري والغلمان ولا يستغنى عنه بأي حال من الأحوال ، وقد ذكره الجاحظ في بخلائه «أنه إذا دعى على مائدته بفضل دجاجة أو بفضل رقاق أو غير ذلك رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان حتى يصل له بذلك إلى صاحب المطبخ»^(٥) وكان رقيق السند طبّاخين وطهّاءة مهرة ، وكما وصفهم الجاحظ «لا يوجد في العبيد أطبخ من السندي»^(٦) ولوهم الصيارفة أكسيتهم وبيوت

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٣٥ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٤٣٠ .

(٣) كتاب القيان ص ١٧٧ ط .

(٤) البيان ج ٦ ص ٩٣ .

(٥) البخلاء ص ٥٦ .

(٦) فخر السودان على البيضان - ص ٢٢٤ .

صروفهم ويرع هؤلاء الرقيق السنديون بالعقاقير أيضاً كما قال الجاحظ «كل صيدلاني عندنا إلا وله غلام سندي»^(١) .

أما **الزنج** فهم من الطوائف التي جاءت للمجتمع العباسي نتيجة للسي وكانوا يعملون في **الفشكرة** وهي زراعة الأرض وفلاحتها^(٢) ، وبرع الزنج في الرقص والزمركان بعضهم يعمل مع الرقاصين والزمارين وطوائف الملهم ، فقد وصفهم الجاحظ بقوله «أطبع الخلق على الرقص الموقع الموزون والضرب بالطبل على الإيقاع الموزون من غير تأديب ولا تعلم»^(٣) ومنهم من كان يقوم على رعاية الإبل^(٤) وقد يعمل بعضهم بالحجامة كقول الجاحظ وهو يصف أحد الشيوخ : «وقد جلس على قارة الطريق وحجام زنجي يحجمه وقد وضع على كاهله وأخذعه محاجم ، كل محجمة كأنها مقب»^(٥) أما رقيق الروم فقد كانوا يقومون على رعاية الإبل ، كقول الجاحظ في وصفهم : «وقد كان يحيى بن خالد أراد أن يحول إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والنوبة إلى صبيان السند»^(٦) .

القصاص والحاكية والوعاظ الشعبيون :

كان القصاص يثيرون الحماسة الدينية أيام الفتوح الإسلامية ثم وصلوا في زمن مبكر إلى مزاولة مهنتهم في المساجد ، وقد كانوا عرضة لغضب السلطان لأنهم سيئون استعمال حقهم في مزاولة مهنتهم في المساجد ، وكانوا يذكرون تحت ستار القصص أنواع الترهات ، واختلط الجاحظ بهؤلاء القصاص كثيراً منذ حدائته وأفاد من تعاليمهم في مطلع شبابه ، فقد زاد هؤلاء القصاص في

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٣٥ .

(٢) البيان ج ١ ص ٦٠ .

(٣) فخر السودان على البيضان - ص ١٩٥ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٢ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٤٣٥ .

تجاربہ الإنسانية كما تدل على ذلك الاستشهادات المبعثرة في كتبه ، أما القصاص الرصناء فقد أسهموا ولا ريب في تكوينه الديني وفتحوا عينه على قضايا طرحتها الأساطير والأخبار التي تسيروا بين الناس ، وقد تكون خطب القصاص مصدراً للقضايا التي يثيرها الجاحظ في رسالته الترييع والتدوير ، وهؤلاء القصاص الذين من الصنف الآخر من القصاص المسجدين يعتمدون على ثقافة جديرة بالتقدير ، والقصاص ورد ذكرهم عند الجاحظ في البيان والتبيين وكذلك الحاكية والوعاظ الشعبيون، قال في بيانه يذكر **الحاكية** : «ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم ، لا يغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك . نصم حتى تجده كأنه أطبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الفأفاء، فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد، وتجده يحكي الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه، لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله ، فكأنه قد جمع جميع طرف حركات العميان في أعمى واحد»^(١) وذكر الجاحظ **القصاص** ومفردهم قاص بقوله وهو يصف مواصفات **القاص** وصفاته : «قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخاً بعيد الصوت»^(٢) وقال عن الجادين الرصناء «ومن القصاص : أبو بكر الهذلي وهو عبد الله بن سلمى ، وكان بينا خطيباً صاحب أخبار وآثار»^(٣) ومنهم موسى بن سيار الأسواري الذي كان الجاحظ مفتوناً بفصاحته وقد ذكره في بيانه قال : ومن القصاص : موسى بن سيار الأسواري ، وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور له فتقعد العرب عن يمينه ،

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٢ .

(٣) البيان : ج ١ ص ٣٦٨ .

والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدري بأي لسان هو أبين^(١) وهناك قاص ورد ذكره كثيراً عند الجاحظ وهو عبد الأعلى ، وأدهش الجاحظ اشتقاقاته الغريبة وحكمه الموجزة كقوله : «الفقير رداؤه علقه وسرقته سلقه وجردقته فلقة ، وسمكته سلقة»^(٢) وعلى تقدير الجاحظ وإعجابه بهؤلاء الذين ذكرهم في كتبه^(٣) يعظم هزؤه بغيرهم من السذج ، وقد تصل به الحال إلى حد الكيد بهم .

الفتيان والشطار والفتاك :

الفتيان في المجتمع العباسي كانت لهم أساليبهم في الحياة ، فقد اتخذوا الفتوة سبيلاً إلى قيامهم بالعبث والسلب والنهب مما كان له أثر اجتماعي سيئ ، بحيث اعتبرت الخلافة العباسية الفتوة خطراً على المجتمع . والفتوة في الأصل مفهوم خلقي يعني الخصال التي يطلب أن يتحلى بها فتى من الفتيان في بلاد العرب قبل الإسلام ، وأبرزها الكرم والشجاعة ، وقد ظلت الفتوة طوال صدر الإسلام والعصر الأموي وشطراً من العصر العباسي مسلكاً فردياً يسلكه بعض الأفراد ، وفي بداية القرن الثاني الهجري انتشرت الفتوة بين الراغبين في الدنيا والتشوق إلى اللهو والمتعة . وفي نهاية القرن نفسه أخذت الفتوة تلاقى إقبالاً ، من جماعة عرفت بالشطار **والعيارين** ، ويبدو أن حركتهم كانت موجهة ضد الحكام والأغنياء وكان الدافع لميلهم إلى التطرف هو وضعهم الاقتصادي الذي ولد فيهم الرغبة في نيل ثأرهم من المترفين ، وكانوا يسمون أنفسهم بالفتيان ، فالعيار فيه فتوة وله مروءة «كما قالها ابن الأثير في كتابه الكامل ، وقد ورد

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦٨ .

(٢) البخلاء ص ٩٤ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٢٤ وانظر في نفي التشبيه ص ٢٨٥ .

ذكر **الفتيان** عند الجاحظ في أماكن متعددة من كتبه ، قال في الحيوان : «وخبرني كم شئت أن نبتة الأقطع وكان من أشداء الفتيان وكانت يده قطعت من دون المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ، فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه فإن أصاب الضريبة ثبت وإن أخطأ سقط لوجهه ، وذكر **الفتوة** بقوله : «ونحن أفتك وأخشب ، ونحن أقطع للطريق وأذكر في الشغور من حسن القدود وجودة الخراط ومقادير اللحى وحسن العمة ، والنفس المرة وأصحاب الباطل والفتوة ، ثم الخط والكتابة والفقہ والرواية»^(١) وجاء ذكر الشطار عند الجاحظ في بخلائه قال : «واني لم أكل مع أحد إلا رأيت منه بعض ماذمه وبعض ما شنع ومنتجه . فشئ يقبح بالشار ، فما ظنك به إذا كان في أصحاب المروءات وأهل البيوتات»^(٢) ؟ .

وكان للفتوة تنظيم متدرج فهناك الشيخ أو المقدم أو القاضي للفتيان الذي يقوم بنصحهم وموعظتهم وتنظيم أمورهم ، وقاضي الفتيان يشترط فيه أمور يجب أن تتوافر في شخصه حتى ينال منصبه : يفي بالعهد ويعفو عن الظالم ويبذل المعروف ويحتمل الأذى بالنسبة لجماعته ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : «قالوا : ومن أبو الفاتك قال : قاضي الفتيان»^(٣) وجاءت لفظة **فاتك** بمعنى اسم لشخص وهو قاضي الفتيان وبمعنى صفة لشخص تتوفر فيه صفات الفتوة كقول الجاحظ «وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس»^(٤) وتوالت الاشتقاقات من هذه الكلمة أفتك وفتك وفاتك والفتاك ، وقد أوردها الجاحظ في كتبه ورسائله قال عن **الفتك** : «ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٣١ .

(٢) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٣) البخل ص ٦٧ .

(٤) البخل ص ٦٧ ، البرصان ص ٣٣٣ .

(٥) البيان ج ١ ص ٣٢٥ .

لرعمت أن ابنه لا يقول شعراً^(١) وقال عن الفاتك «إن الحارث بن ظالم كان فاتكاً»^(٢) ووردت كلمة **فاتك** في أماكن عديدة ، منها قول أحد بخلاء الجاحظ «وخالطت النساك والفتاك»^(٣) وقال «وكذلك أهلها لأهلها ، وفتاكها لفتاكها»^(٤) وقال : «عند الخاصة والعامة وعند النساك والفتاك»^(٥) هذا بعض ما أورده الجاحظ في كتبه عن الفتيان وقد أجاد في وصفهم ووصف عاداتهم ومفاهيمهم سواء في التصرف الاجتماعي أو في سلوك المواكلة بصورة خاصة بلسان أبي فاتك الذي يصفه الجاحظ بقاضي الفتيان . ونرى أبا الفاتك يوجه الفتيان توجيهات طريفة في أصول المواكلة والمائدة ، وقد وردت هذه التوجيهات في البخلاء وذكرتها عندما تكلمت عن عادات الطعام المذمومة .

الكدية والمكديون :

فئة **المكدين** من سفلة الطبقة العامة في عصر الجاحظ ، وقد أسماهم الجاحظ المكدين الذين أفنى أفرادها حياتهم في الاحتيال للحصول على المال غير عابئين بما يتخذون لذلك من وسائل وأساليب من قبل استخدامهم القوة والاستلاب بالعنف والغلبة ، واستغلال غفلة الناس وغرائز الرحمة والرقعة التي تكمن في طبيعة كثير منهم . ونستطيع أن نتمثل السمات الاجتماعية التي تميز أفراد هذه الطائفة من خلال قصة وردت في البخلاء من مكدي يدعي خالد بن يزيد نزل في منازل بني تميم بالبصرة ، وجلس في مجالسهم دون أن يعرفوا فيه صفة الكدية إلى أن وقف عليه سائل ، فأراد أن يخرج له فلساً من فلوس البصرة فغلط بدرهم بقلبي ، ولم يفطن إلى غلظه حتى وضع الدرهم في يد

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ .

(٢) العثمانية ص ٢٦٦ .

(٣) البخلاء ص ٤٨ .

(٤) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٥) البرصان ص ٢٠٢ .

السائل ، فاسترده واستبدله بفلس ، واستنكر من حوله هذا الصنيع باعتباره من الأمور القبيحة ، لكنه رد عليهم بأنه لا يرى رأيهم ، ذلك أن طالب الإحسان ليس من مساكين الدراهم وإنما هو من مساكين الفلوس ، وهو يعرف بما لديه من فراسة فرق ما بين سائل وآخر^(١) ، واحترف أناس الكُدِيَّة ، وأطلق عليهم اسم بني - ساسان وأصبحت لهم تقاليد ومراسيم خاصة بحرفتهم^(٢) وقد وردت كلمة كدية كثيراً في مؤلفات الجاحظ ، ففي الحيوان جاءت بمعنى آخر غير الذي يقصده قال الجاحظ «والكدية من الأرض : ارتفاع في صلابة»^(٣) وقال في هذا المعنى «والضب لا يحفر إلا في كدية»^(٤) وقال أيضاً في الحيوان «ولذنبها من الصلابة ما إذا اعتمدت به على الكدية والكدانة جرح فيهما»^(٥) ثم جاءت الكلمات أكدي وتكدي ويكدي وتكدية وقد جاءت بمعان متعددة ثم كلمة مكدي ومكدين الجمع ، ولنذكر أماكن ورود هذه الكلمات عند الجاحظ قال : بل يناله الاستبطاء عند أول الزلة وإن أكدي ، ويدركه العذل بأول هفوة وإن لم يرض»^(٦) وجاءت كلمة تكدي بقوله «وأنت تعلم حين مضيت بطلاً هارباً من العمل ، الكدي أو تنجح»^(٧) وقال : «فلولا أن صاحب برذون فرق بيننا لكان إلى الساعة يكدني»^(٨) أما كلمة مُكْدِي وجمعها مكديون ، فقد وردت في أماكن لا يمكن حصرها ولنأت بمثال على بعض مكدي الجاحظ وأشهرهم خالويه ، قال الجاحظ عنه في بخلائه : هو خالويه المكدي وكان قد بلغ به في البخل

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) المختار في كشف الأسرار للجويري ص ٢٩ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٥٠ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١٧٢ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٥٤٩ .

(٦) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩١ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٨٥ .

(٨) الحيوان ج ٣ ص ٤٦٩ .

والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها أحد»^(١) وقال يذكر **المكدين** : «فأما الذي يجعل أولاد المكدين عمياناً وعرجاناً وعمشاو حذباء فهو يسمى المشعب»^(٢) وشخصية خالويه ، المكدي أعجب شخصيات البخلاء عند الجاحظ ، وكان مصدراً مهماً يدير حوله نوادره وحكاياته ، وقد أبرز لنا خالويه صورة مجسمة ذات جوانب مختلفة الألوان من حياة الطبقات السفلى من الناس في عصر ازدهار الحضارة العباسية ففي شخصية خالويه تجتمع شخصيتان البخيل المتشرد والقاضي المحتال ، وهو مع هذا صاحب مال وثروة يخاف عليها ويبخل بها ، ونستدل من حديث خالويه المكدي عن نفسه وعن تفسير الجاحظ لما ورد في كلامه من ألفاظ أن هذه الطائفة كانت تضم فئات وجماعات من السفلة اتسموا بسوء الخلق مثل المخطراني ، والمستعرض والشحاذ ، والكاغاني ، والبانوان ، والقرسي ، والعواء ، والمشعب ، والفلور ، والمزيدي ، - والأسيتل وقال الجاحظ في شرحه لهذه الكلمات التي جاء بها خالويه **والمخطراني** : الذي يأتيك في زي ناسك ويريك أن بابك قد قور لسأزه من أصله لأنه كان مؤذناً هناك ثم يفتح فاه كما يضع من يتشاءب فلا ترى له لساناً البتة ولسانه في الحقيقة كلسان الثور . وأنا أحد من خدع بذلك ، ولا بد للمخطراني أن يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته^(٣) . وقال عن **المستعرض** : «الذي يعارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد مات من الحياء ويخاف أن يراه معرفة . ثم يعترضك اعتراضاً ويكلمك خفياً»^(٤) . وعن **الكاغاني** قال : «والكاغاني الذي يتجنن ويتصارع ويزبد ، حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له لشدة ما ينزل بنفسه وحتى يتعجب

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) البرصان ج ٢٣٧ .

(٣) البخلاء ص ٤٦ ، ص ٥١ .

(٤) البخلاء ص ٥٣ .

من بقاء مثله على مثل علقته^(١) وجاء ذكر الكاغاني في الحيوان «وهو اسم الذي يتجنن أو يتفالج فالج الرعدة والارتعاش»^(٢) وصنف آخر من المكدين وهو **المقدس** الذي قال عنه الجاحظ «والمقدس الذي يقف على الميت يسائل في كفه، ويقف في طريق مكة على الحمار الميت والبعر الميت فيدعي أنه كان له ويزعم أنه قد أحضر . وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والأفريقية . وتعرف تلك المدن والسكك والرجال . وهو متى شاء كان أفريقياً ومتى شاء كان من أهل فرغانة ومتى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء»^(٣) **والبانوان** قال عنه الجاحظ في شرحه لكلام ابن خالويه : «والبانوان الذي يقف على الباب ويسل الخلق ويقول بانوا وتفسير ذلك بالعربية يا مولاي»^(٤) ثم شرح كلمة أخرى وهي **القرسي** قال : «القرسي الذي يعصب ساقه وذراعه عصياً شديداً ويبيت على ذلك ليلة . فإذا تورم واختنق الدم ، مسحه بشئ من صابون ودم الأخوين - وقطر عليه شيئاً من سمن ، وأطبق عليه خرقة وكشف بعضه فلا يشك من رآه أن به الأكلة أو بلية شبه الأكلة»^(٥) . ثم العواء قال عنه الجاحظ في شرحه : «والعواء : الذي يسأل بين المغرب والعشاء وربما طرب إن كان له صوت حسن وحلق شجن»^(٦) ثم **المشعب** فسرهُ قائلاً : «والمشعب الذي يحتال للصبي حين يولد بأن يعميه أو يجعله أعم أو أعضد . ليسأل الناس به أهله ، وربما جاءت به أمه وأبوه ليتولى ذلك منه بالعزم الثقيل ، لأنه يصير حيثئذ عقدة وغلة فإما أن يكتسبها وإما أن يكرياه بكرأء معلوم . وربما أكرأوا أولادهم ممن يمضي إلى

(١) البخلاء ص ٥٢ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٤٦٥ .

(٣) البخلاء ص ٥٣ .

(٤) البخلاء ص ٥٢ .

(٥) البخلاء ص ٥٢ .

(٦) البخلاء ص ٥٣ .

أفريقية فيسأل بهم الطريق أجمع بالمسال العظيم»^(١) وذكر المشعب أيضاً قال :
الذي يجعل أولاد المكدين عمياناً وعرجاناً وعمشاً وحديباً فهو يسمى المشعب»^(٢)
ثم القلور قال عنه «الذي يحتال لخصيته حتى يريك أنه آدر . وربما أراك أن بها
سرطاناً أو خراجاً أو غرباً»^(٣) . ثم المزيدي وهو نوع آخر من المكدين شرح
معنى الكلمة هذه الجاحظ بقوله : «والمزيدي الذي يدور ومعه الدريهمات ،
ويقول : هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة ، فزيدوني فيها رحمكم
الله . وربما احتمل صبيّاً على أنه لقيط . وربما طلب كفن»^(٤) .

وصنف آخر من المكدين وليس بالآخر لأن الجاحظ قال في تفسيره
لل كلمات التي قالها خالويه عندما ذكر أنواع المكدين إن «هذا تفسير ما ذكر
خالويه فقط . وهم أضعاف ما ذكرنا في العدد . ولم يكن يجوز أن نتكلف
شيئاً ليس من الكتاب في شيء»^(٥) وآخر من ذكر خالويه وشرح المعنى الجاحظ
بقوله «والأنسطيل هو المتعamy : إن شاء أراك أنه منخسف العينين وإن شاء أراك
أنه نهم ماء ، وإن شاء أراك أنه لا يبصر للخسف ولريح السهل»^(٦) . إن
شخصية خالويه المكدي بصفاته النفسية وهيئته لا تختلف عن شخصية أي مكدي
محترف في عصر الجاحظ عصر الحضارة العباسية الزاهرة سواء في المظهر أو
التصرف منها نحن نرى خالويه يصف نفسه حينما يمارس مهنته قائلاً : «اللحية
وافرة بيضاء والحلق جهير طل ، والسمت حسن والقبول على واقع إن سألت
عين الدفع أجابت ، والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير وصرت

(١) البخلاء ص ٥٢ .

(٢) البرصان ص ٢٣٧ .

(٣) البخلاء ص ٥٢ .

(٤) البخلاء ص ٥٣ .

(٥) البخلاء ص ٥٣ .

(٦) البخلاء ص ٥٤ .

محتالاً بالنهار واستعملت صناعة الليل أو خرجت قاطع طريق أو صرت للقوم
عيناً ولهم مجهراً . سل عني صعاليك الجبل وزواقل الشام وزط الأجسام
ولصوص القفص وسل عني القيقانية والقطرية وسل عني وسل عني المتشبهة
وذباحي الجزيرة^(١) إن شخصية كخالويه التي تجمع بين القاضي والمكدي تعطينا
صورة واقعية عن الطبقات السفلى في المجتمع العباسي وتكشف لنا عن
جوانب مهمة من هذه الشخصية «المكدي» . والكدية أصبحت في عصر
الجاحظ صناعة خاصة بطائفة بعينها ، تميزها صفات خاصة تفرق بينها وبين
المتطفلين عليها ، وكما ذكر الجاحظ بأن المكدين كانوا يتكلمون أكثر من لغة
وكانوا يجوبون في آفاق المملكة الإسلامية .

(١) البخلاء ص ٤٩ .

(٢) البخلاء ص ٥٣ .

ثالثاً: الألفاظ الخاصة بالملابس

كانت الملابس في عصر الحضارة العباسية الزاهرة متنوعة زاهية في ألوانها وأشكالها ، ومن أهم مظاهر الحضارة آنذاك تخصص كل فئة من فئات المجتمع بزي معين . وهكذا نرى أن تنوع الأزياء في عصر الجاحظ يعكس لنا طبيعة تباين طبقات المجتمع العباسي واختلاف عناصره ، وقد بين لنا الجاحظ هذه الظاهرة في بيانه وأفرد لها صفحات وهو يصف زي كل قوم على حدة فقال : «ولكل قوم زي : فللقضاة زي ، ولأصحاب القضاة زي ، وللشروط زي ، وللكتاب زي ، ولكتاب الجندري . وكان لحرائر النساء زي ولكل مملوك زي ، ولذوات الرايات زي وللإماء زي»^(١) ومن هذا نرى أن زي طائفة بعينها يعكس مكانتها الاجتماعية ، ولا يجوز أن يتساوى في هذه المكانة الأتباع مع من يتصلون به من رؤساء وغيرهم ، كل حسب مكانته في المجتمع . بل إن أفراد الطائفة الواحدة تتنوع أزيائهم حسب تنوع الأحوال المعيشية والمناسبات والطقوس . ومثال على ذلك ترى أن التجار كان لهم زي خاص بهم ، ولكنهم مع هذا كانوا يتخذون للسفر ثياباً خاصة بجانب هذا الزي الخاص المتمثل في **العمائم والقلائس** والأكسية^(٢) أما بالنسبة لسكان بعض البلدان الإسلامية التابعة للخلافة العباسية كخرسان مثلاً ، كان لهم زيهم الخاص فقد كانوا يحرصون على أن تكون ثيابهم سوداء اللون باعتبار أنهم أهل الدعوة العباسية ومخرج الدولة وأن السواد شعارها ، وكأنهم أرادوا أن يكون زيهم معبراً عن اتجاههم السياسي . ولو أردنا أن نلقي نظرة على ألبستهم وأنواعها في ذلك العصر لوجدنا أنواعاً مختلفة في نسيجها وفي تكلفتها ، وقبل أن نخص فئة معينة بألبسة مخصوصة نقرب الملابس التي ذكرها الجاحظ في كتبه لنرى ما نريده من معرفة لتلك الأزياء .

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٦٤ ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) البخلاء ص ٢٢ .

١ - أنواع الالبسة :

من أزيائهم الجبة وجمعها جباب والجلاليب والمبطنة وجمعها مبطنات ،
والدراعة ، والنعش ، والملحفة وجمعها الملاحف واللحف والمقطعات
والقطوع ، والأقبية ، والجمازات ، والجواشن ، والبازيكند ، والطيلسان ،
والدواويج . وقد ذكر الجاحظ كل هذه الأنواع في أماكن عديدة منها ، قال :
عن **الجبة** والجباب «وكان على جبة وقميصان»^(١) وذكر **الجباب** بقوله :
«وتقرض الثياب الثمينة وتفسد بذلك اللحف والدواويج والجباب»^(٢) وذكر
الجلاليب وهذه الكلمة خاصة بالجاحظ لأنه يوجد جلاليب ومفردها جلاب ،
وهذه اللفظة جاحظية بحتة ، وقد أوردها في رسائله قائلاً «وما تخفيه الجلاليب
مما يحل للزوج والولي ويحرم على غيرهما»^(٣) والطمر بمعنى الثوب أيضاً ، وقد
ذكر الجاحظ في أثناء كلامه عن الثياب قائلاً «وقد يتخذون للصبي طمرين
وكذلك الفصيل»^(٤) ويؤكد آدم مبرز أن اللباس كان عند أهل الشرق في العصور
الإسلامية من أهم المطالب الأساسية التي يحتاج إليها جسم الإنسان وهي :
الطعام واللباس والمسكن وكانت صناعة الملابس أرقى في العصر العباسي^(٥)
ونوع آخر من الأردية : **المبطنة** والجمع **مبطنات** ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله
«ربما رأيت المبطنة الواحدة تقطع أربعة أقمص»^(٦) وقال : «فمنهم من يلبس
المبطنة»^(٧) وذكر المبطنات بقوله : «يستغشون به بلبس المبطنات»^(٨) وذكر أيضاً

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٥١ انظر البخلاء ص ١٠٥ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٣٢٢ .

(٣) كتاب القياد ص ١٥٤ .

(٤) البرصان ص ١٨٣ .

(٥) الحضارة الإسلامية آده مبرز ج ٢ ص ٣٥٠ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) البيان ج ٣ ص ١١٤ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٧٠ .

في بيانه **المقطعات** وهى الثياب التي تشبه الجباب وتُصنع من الخز أو أنها برود عليها وشى مقطع ، وهذا ما جعلهم يدعونها بالمقطعات ، قال الجاحظ : «وكانت الشعراء تلبس الوشى والمقطعات والأردية السود»^(١) وذكرها وذكر القطوع معها في الحيوان قائلاً : «إذا تبلل مجلل بقطوع ومقطعات»^(٢) وضرب آخر من الثياب يدعي بالأقية **الخفّاتين** : جمع خفتان وهو لفظ فارسي - وقال أدى شیر ص ٥٦ إنه لفظ فارسي محض وهو ثوب من القطن يلبس فوق الدرع ، ومنه التركي والقفطان . وسمى بذلك لاجتماع أطرافه وقد جاء ذكره عند الجاحظ بقوله «والجباب والأقية والخفّاتين وتحسو الأدهان» وقال «ولا تعرفون **الأقية** ولا السراويلات ولا تعليق السيوف»^(٣) وهناك رداء يلقي على الكتف وهو **البازيكند** ، وقد ذكره الجاحظ قائلاً «ومنهم من يلبس البازيكند ويعلق الخنجر»^(٤) وذكر أيضاً : «ونحن أصحاب التجافيف والأجراس والبازيكند واللبود الطوال»^(٥) ، وكساء آخر يختص به المشايخ والعلماء وهو **الطيلسان** ، وقد ذكره الجاحظ في الحيوان قائلاً «نزع طيلساني من عنقي فديبت به عني بدل كمي»^(٦) وهناك رداء يلبس في الشتاء وهو الدواج وجمعه **الدواويج** ، وقد ذكر الجاحظ الجمع في أماكن متفرقة قائلاً «وتفهيده بذلك اللحف والدواويج»^(٧) ثم **الملحفة** قال الجاحظ «ولا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص إلا الرداء» ، وأكد الجاحظ على فئة معينة بلبسها **الدَّرَاعَة** قائلاً «وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس

(١) البيان ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) الحيوان ج ٧ ص ٢٠١ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ .

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ١١٥ .

(٥) مناقب الترك ص ١٩ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٦ انظر البخلاء ص ١٠٥

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٣٢٢ .

المبطنة ، ومنهم من يلبس الدراعة ، ومنهم من يلبس القباء»^(١) ، وذكر **الجواشن** بقوله «ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود ولا التجافيف ولا الجواشن»^(٢) **والتجافيف** هو ما جلل الفرس وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

ومما تقدم نرى أنهم كانوا يتخذون في ذلك العصر تحت دروعهم أردية خاصة مثل الخفاتين والأقبية التي مر ذكرها ، واتخذت النساء رياً خاصاً في مناسبات معينة وهو **النعش** وقد ذكره الجاحظ «ومنها النعش وهي أستر للنساء وأصون للحرم»^(٣) وهذا الزي اتخذ للنساء بعد أن كثرت الإماء والجواري وأصبحت المرأة الحرة المحصنة ذات طابع خاص وزي يفرقها عن غيرها من الإماء .

وقبل أن أنتقل إلى وصف نوع آخر من الألبسة أرى من الضروري أن أذكر الأنواع للخامات التي تتخذ منها هذه الألبسة ، فليست كلها من نسيج واحد وإنما هي من أنسجة متعددة ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : البزبون ، والبز ، واللبد ، والمسوح ، والشعار والكرابيس .

٢ - أنواع الأنسجة :

ذكر الجاحظ **البزبون** - وهو لفظة فارسية بمعنى السندسي الذي هو ضرب من رقيق الديباج - «ولا بشئ من مقاريض واسط ، وبزبون واسط»^(٤) وذكر **البز** بقوله : «ولولا القوم لهلك أصحاب البز والغزول»^(٥) . وذكر **اللبد** وهو

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) البيان ج ٣ ص ١٨ انظر التجافيف - مناقب الترك ص ١٩ .

(٣) فخر السودان على البيضاء ص ٢٠٢ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٧٠ .

نوع من الصوف بقوله : فإذا تحت النرد قطعة لبد»^(١) **والمسوح** وهو كساء من الشعر ذكره الجاحظ «ولا ندب على المسوح» وذكر **الكرابيس** وهو ثوب من القطن «فلما قام عمر بن عبد العزيز ، جلله بالجلال وغطاه بالكرابيس»^(٢) وقد ذكر الجاحظ أسماء متنوعة للأردية نذكر منها **الأردية القطرية** والكسناء القومسية والجمازات والثوب أحمي ، وهذه كلها ذكرها الجاحظ في أثناء كلامه عن الأرياء قال في البيان والتبيين يصف هذه الأردية الثمينة : «وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع ، وعصا شريان ، وعصا آبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان ، شريفة الأغصان ، وأردية قطرية ، وركان يمانية»^(٣) وهذه الأردية القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة ، وكانت ثمينة تأتيهم من قطر تلك البلاد البعيدة ذلك الوقت . ثم الثوب القومسية ذكره الجاحظ بقوله «فلبست كساء في قومسيًا خفيفا»^(٤) أما **الجمازات** ومفردتها **جمازة** فهي جبة من صوف ضيقة الكمين وايضاً بمعنى المركب السريع فلها معنيان ، وقد ذكرها الجاحظ في مجال الركوب قائلاً : «وقد علمتم أن أول شأن الجمازات أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا في سير النجبية التي كانت عليها»^(٥) وهناك الثوب الذي يدعونه أحمي وهو من البرود الحمر ، وقد ذكره الجاحظ في الحيوان قائلاً «وجعله نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغة عرقه ، حتى كأنه ثوب أحمي»^(٦) ويقول في اللبس أيضاً : «الشعار دون الدثار» والشعار ما ولى شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب ، أما **الدثار** ما كان من الثياب

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٨٢ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٥٧ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٢١ .

(٤) البخل ص ٥٩ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٨٣ .

(٦) الحيوان ج ٧ ص ٢٣١ .

فوق الشعار ، ومن المصطلحات الخاصة باللبس أيضاً **الجربان** وهو جيب القميص يذكره الجاحظ في رسائله بقوله «وتركناهم في أضيق من جربان»^(١) ، ومن أجزاء الثوب أيضاً **الرْدُن** وهو الكم ، وقد ذكره الجاحظ قائلاً «فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن»^(٢) وأيضاً من أجزاء الثياب **التَّكَّة** ، وقد ذكرها الجاحظ «وعمل التَّكَّ والهرابش بالديوك»^(٣) ويبدو أن هذه الكلمة معربة كما قال عنها الخفاجي في شفاء الغليل . ثم كلمة **دَرَز** وهو مكان الخياطة ، قال الجاحظ «فما كان بقدر ما يخيظ الرجل درزاً حتى قتلناهم وتركناهم»^(٤) فالدرز موضع الخياطة . ثم **الحوك** وهو ما نسج من ثياب ، ذكره الجاحظ بقوله «ويسمى أهل الكوفة الحوك الباذروج ، والباذروج بالفارسية والحوك كلمة عربية»^(٥) وكان لحرائر النساء زي يخالف زي الإمام والمملكين والعبيد ، وقد اختصت بعض مكملات الألبسة بالنساء عموماً دون الرجال منها **المرط** وجنة وجمعها جنن والخبرة والأزر وهذه الأخيرة «وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه اشترك بها الرجال والنساء ، فكلمة **أزر** تستعمل للجنسين ، قال الجاحظ يذكر الأزر : «والعمامة الواحدة تقطع أربعة أزر»^(٦) وقال ذاكراً **المرط** وزودته عند انصرافه خصلة من شعرها وقطعة من مرطها»^(٧) . وذكر **الجنة** والجمع جنن بقوله «وأمنع جنة هي الجامعة محبة قلوب العباد»^(٨) فهنا بمعنى ما وقى من سلاح وغيره . والمعنى الذي نقصده وهو غطاء الرأس للمرأة

(١) صناعات اقواد ص ٣٨٤ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٣٩ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ١١٨ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٨٤ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠ .

(٦) البغلاء ص ١٠٤ .

(٧) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٨) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

ولوجهها أيضاً ما عدا العينين . وذكر **الجن** بقوله : «فلو كان سخياً لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجن»^(١) وذكر **الحبرة** بقوله «واجعلها حبرة فإنها مما له مرجوع»^(٢) .

٣ - ملابس الرجال وما يتعلق بها :

الأزياء الرجالية متنوعة حسب الفئات المكونة للمجتمع في عصر الخلافة العباسية وبالذات في عصر الجاحظ ومن عاصره من خلفاء ووزراء وشعراء وكتاب ثم العامة من بقية فئات المجتمع العباسي ، وقد تميزت ملابس الخلفاء بعلامات فارقة حتى تكون ذات صفة مميزة عن العامة وعن بقية أفراد الشعب ، ويصف الجاحظ هذه الظاهرة بقوله «فإن كانت القلانس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها ، حتى تكون فوق قلانس الأمة»^(٣) وقد جاءت هذه الكلمة بلفظ المفرد **الْقَلَنْسُوة** ، وكان يصف الجاحظ حالة قلنسوة الفقير قائلاً «ومن الإصلاح الواجب قلب خرقة القلنسوة إذا اتسخت ، وغسلها من اتساخها بعد القلب»^(٤) . واتخذ القضاة **الْقَلَانِس** للتعظيم والإجلال لأنها تعطي الهيبة في لبسها حتى إنهم في شدة الحر لا يتخلون عنها لأنها جزء من شخصيتهم ، وبهذا يقول الجاحظ «واتخاذ القضاة القلانس العظام في حمارة القيط»^(٥) حتى زي المجالس تفنن فيه الخلفاء وجعلوه يتبع نظاماً خاصة بهم . فقد حرصوا على أن يكون زي مجالسهم في الشتاء والصيف من فرش الصوف ليس غير ، وبهذا قال الجاحظ «وزي مجالس الخلفاء في الشتاء والصيف فرش

(١) البخل ص ٧٢ .

(٢) البخل ص ١٠٥ .

(٣) البيان ج ٣ ص ١١٧ .

(٤) البخل ص ١٠٥ وانظر البرصان ص ٢٥٥ .

(٥) البيان ج ٣ ص ١١٧ .

الصوف . وترى أن ذلك أكمل وأجزل وأفخم وأنبل»^(١) واتخذ الخلفاء لرؤوسهم مع القلانس **العمائم** . وإن لم تكن هذه القلانس في منزلة العمائم ، ذلك لأن العمائم عربية الأصل ، وقد سئل عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : تيجان العرب وحين سئل أعرابي عن سبب كثرة لبس العمامة ؟ قال . إن شيئاً فيه السمع والتبصر لجدير أن يوقي من الحر والقر»^(٢) . وقد كان من تقاليد خطباء العرب لزومهم العمائم في أيام الجموع»^(٣) وقد استمر هذا التقليد إلى عصر الجاحظ ، وبهذا يقول : وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ، ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء ، والذي لا بد منه العمة **والمُخَصَّرَة**»^(٤) ويصف آدم مبرز نوعاً من الأزياء المنتشرة في العصر العباسي قال : أمر أبو جعفر المنصور في عام ١٥٣ هـ بلبس القلانس الطوال والدراريع مكتوب عليها بين كتفي الرجل : فسيكفيكم الله ، كما أمرهم بتعليق السيوف في أوساطهم»^(٥) وقد أحسنوا استخدام العمامة ، وكانوا ربما جعلوها لواء ، وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهرة وإذا طالت العقبة»^(٦) وقد كان لهم أسلوبهم الخاص في الاعتماد ، ولم تكن عمائمهم على هيئة واحدة ، بل تباينت حسب طبقات المجتمع العباسي في زمن الحاضرة العباسية ، يقول الجاحظ : «للخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، ولأصحاب التشاجي عمة» . ولبس الرجال **الخوذ** وهى من ألبة الحرب ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود ولا

(١) البيان ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) البيان ج ٣ ص ١٠٠ .

(٣) البيان ج ٣ ص ٦ .

(٤) البيان ج ٣ ص ٩٢ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم مبرز ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٦) البيان ج ٣ ص ١٠٥ .

التجافيف ولا الجواشن ولا الخوذ»^(١) وكان الرجال يرتدون تحت الدروع أردية خاصة مثل : **الخفّاتين والاقبية** التي مر ذكرها عندما تكلمنا عن الألبسة بصفة عامة . وانتفعوا في أزيائهم بفراء الثعالب ، وكان أندره عندهم فراء الثعلب الأسود ، وإن كان الدعم عندهم فراء الثعلب الخاص الذي يدعي **بالخلنجي** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : «ففي الثعلب جلده وهو كريم الوبر . وليس في الوبر أغلى من الثعلب الأسود وهو ضروب ، ومنه الأبيض الذي بينه وبين الفنك ومنه الخلنجي وهو الدعم»^(٢) . واتخذوا أيضاً من جلود الحيات قمصاناً وكان يقال : لا ثوب ولا جناح ولا ستر عنكبوت إلا وقشر الحية أحسن منه ، وأرق وأخف وأنعم وأعجب صنعة وتركيباً»^(٣) ويتبع أزياء الرجال الأزياء الخاصة بالشعراء ، وقد كانوا على غير عادة الناس عندما ينشدون أشعارهم بين يدي الخلفاء ، فالزي الذي يميزهم عمامة عظيمة الكور وخف مسدير للمس ، وكان الخلفاء يتشددون بالأخذ بهذا التقليد ، ويذكر لنا الجاحظ حادثة عن الرشيد والشاعر العماني يقول «وأخبرني إبراهيم السندي قال : دخل العماني الراجز على الرشيد لينشد شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال : إياك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكورة وخفان دمالقان»^(٤) وبما أننا بدأنا نتطرق إلى ذكر الخفاف . ونرى أنهم في ذلك العصر كانوا يستعملون النعال والخفاف وإن كانت العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف^(٥) وكان بعضهم يدهن **النعال** بالشحم لتقويتها وإلا نتهأ^(٦) وكان من عاداتهم إذا

(١) البيان ج ٣ ص ٨٤ .

(٢) البيان ج ٣ ص ١٨ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٥ ٣ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١٧٧ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٥ .

(٦) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠٧ .

(٧) البخلاء ص ١٠٥ .

دخلوا على الخلفاء ينزعون نعالهم خارجاً»^(١) . وقد عرفوا أنواعاً من النعال السندية والنعال السبتية والنعال البقرية وغيرها ، **والنعال السندية** كانت تأتيهم من السند ، وقد تميزت بالتخانة ولها صرير عند المشي وكان من هذه النعال غير المشترك يقول الجاحظ «فأنت لا تجده أبداً» إلا حافياً أو لابساً نعلأ سندية^(٢) ويقول عن **النعال السبتية «والنعال البقرية** من السبت وغير السبت مقسوم نفعها بين الماعز والبقر»^(٣) فالسبت هو الجلد المدبوغ بالقرظ وتصنع منه النعال السبتية . وقد شبه بعضهم النعال **بالخلاخيل** ، وفي ذلك يقول الجاحظ قال الأحنف : استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال»^(٤) ولبس الرجال «**الجورب**» ، قال الجاحظ : «وشهدته مرة وأشرطه على رأسه في السماطين ، فقال أجد ريح جورب عفن منتن فتشممنا بأجمعنا ، فلم نجد شيئاً ، ثم تشمم وقال ، انزعوا خف ذاك ، فتزعوا خفه»^(٥) .

٤ - الحلي :

من حلي ومصاغ النساء الشنف والجمع شنوف والرعاث والحبلات والمفرد حبله والخواتيم والرشوم والدملجان والخنزائنة ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف وأنواعاً أخرى من الحلي التي كانت سائدة في عصره أيام ازدهار الحضارة العباسية ، فقد جاء ذكر **الشنف** في الحيوان «وشنف الأكفاء ، ومشناة الجلساء»^(٦) ؟ وقال في الحيوان عن **الشنوف** «وفي الجرذان جنس لها عنبث

(١) البيان ج ٣ ص ١١٠ .

(٢) البخلاء ص ١٠٤ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٧٧ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ١٢١ .

(٤) البيان ج ٣ ص ١١٠ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٤٢٥ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ٢٥ .

بالعقود والشنوف»^(١) . وذكر الجاحظ **الرَّعَاثَ** بقوله «الرعاث القرطة»
والحبلات : كل ما تزينت به المرأة من حسن الحللي والواحدة حبله»^(٢) وقال
عن **الرشوم** والخواتيم : «ونقشت الرشوم وعملت الخواتيم»^(٣) وقال يذكر
الدملجان وهذا النوع من الحللي خاص بالنساء ولكن اتخذه بعض الملوك
للتجميل ، وهى حلية تخطط بالمعصده ، قال الجاحظ يذكر هذه الحلية :
«ورأيت النعمان بن المنذر في أعظم ما كان ملكه عليه قرطان ودملجان»^(٤) ثم
الخنزوانة وهى تتخذ للنساء وللبيع أيضاً ، وهذا يدل على مكانة الإبل عند
العربي مهما وافته أسباب الترف والتقدم الحضاري ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله
«والأنف هو موضع الخنزوانة والنعرة»^(٥) **والسَّبَج** يستعمل أيضاً للحلي ، وهو
خرز أسود ذكره الجاحظ بقوله : «فيزعم أن سواد السبج وبياض الثلج وحمرة
العصفور وصفرة الذهب وخضرة البقل إنما تحدث عند روية الإنسان»^(٦) .

٥ - مواد التجميل :

مواد التجميل التي كانوا يستعملونها في عصر الحضارة العباسية العطور
بأنواعها وهذه يستعملها الجنسان معاً الرجال والنساء وتدعي الغالية وهى الطيب
بأنواعه ومنها دهن البنفسج ودهن الورد ثم الاثمد والسبج ، وهذان النوعان
لاستعمال النساء أكثر من الرجال . وقد ذكر الجاحظ هذه الأنواع في صفحات
كثيرة من كتبه ، وخص **الغالية** بعدة مواقع ومن قوله : «والغالية تشيب

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٠١ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٣) البغلاء ص ٩١ .

(٤) البرصان ص ١٠٢ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٠٦ انظر البرصان ص ٢٩٥ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٨ .

الشعر»^(١) وقال عن الغالية أيضاً : «قالوا : وثلاثة أشياء جاءكم من قبلنا .
منها الغالية وهي أطيب الطيب وأفخره وأكرم»^(٢) وقال : «ولم أر مثل أبي
جعفر طرسوسي : زار قوماً فأكرموه وطبوه وجعلوا في شاربه وسلبه غالية»^(٣)
وذكر الجاحظ **دهن البنفسج** قائلاً «ومما يعالج به الخنان أن يلين لسانه يوماً أو
يومين بدهن البنفسج»^(٤) وذكر **دهن الورد** بقوله «ثم يطلي بعسل ودهن ورد
حتى يبرأ»^(٥) . أما **الإثمد** فقد ذكره الجاحظ بأنه أحسن أنواع الكحل قائلاً :
وأكرم الأكحال الإثمد وهو أسود»^(٦) . فمن أدوات الزينة المناقيش والمكحل
والشيزان والليفة والجمع ليف ثم الإجانة والجمع إجانات ، وقد ذكر الجاحظ
المناقيش بقوله «ولا إلى المناقيش والكحل»^(٧) ثم **المكحل** يقول عنه الجاحظ :
«ثم لا يدع فريقاً ولا مكحلاً ولا زائفاً»^(٨) ويذكر عملية تمشيط الشعر بأنها
التسريح قائلاً : «وكانوا يكرهون تسريح الشعر»^(٩) وعلى ذكر الشعر يذكر
الشيزان وهو الخشب الأسود الذي تعمل منه الأمشاط فيقول : «وصاغوا من
المنافع كالقرصطونات ، والقبانات والأسطرلابات وآلة الساعات ، وكالكوينا
وكالشيزان»^(١٠) . أما عملية تنظيف الجسم مما علق به من أوساخ فهذه يتركها
إلى الليفة التي تقوم بهذه العملية يقول : «كنت أرى زياداً وهو أمير يمر بنا على

(١) البرصان ص ٤٠ .

(٢) فخر السودان على البيضاء ص ٢ ٢ .

(٣) البخل ص ٥٨ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٦) فخر السودان على البيضاء ص ٥ ٢ .

(٧) التريخ والتدوير ص ٥٦ .

(٨) البخل ص ٨٥ .

(٩) الحيوان ج ٥ ص ٣٧٧ .

(١٠) مناقب الترك ص ٦٨ .

بغلة في عنقها حبل من ليف مدرج على نمقها البخلاء»^(١) هنا يذكر **الليف** بصورة عامة ولكن اختصاص **الليفة** يذكره بصورة خاصة في صناعة القواد قائلاً : «لقيناهم في مثل بيت الأنبار ، فما كان إلا بقدر ما يغسل الرجل رأسه حتى تركناهم في أضيق من باب الأثون ، فلو ليفة ما وقعت إلا على رأس الرجل»^(٢) وما يتبع تنظيف الجسم هو تنظيف الملابس وكانوا يستعملون **الإجانات** ومفردها **إِجَانَة** لغسل ملابسهم ، وقد ذكر الجاحظ هذا بقوله : «قد أخرج إجانة كان فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب»^(٣) وذكر تفصيل هذه العملية عندما قال «وكانت عندهم أوعية يغسلون فيها ثيابهم يقال لها إجانات»^(٤) .

(١) البخلاء ص ٢٠٤ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٩ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٩ .

رابعاً: الألفاظ الخاصة بالحياة اليومية:

إن التطور المادي للحضارة العباسية استتبع تطوراً في الذوق والتصرف والعادات الاجتماعية . وبذلك نرى أن شئون الحياة المعاشية اليومية أصبحت في كثير من شؤونها في مراحل بعيدة عن البادية . واختلاف البادية عن الحاضرة لا يظهر في جانب واحد فحسب ، فالعادات الاجتماعية وأصول المؤاكلة ومقاييس الكرم والضيافة أو البخل والتقصير كل هذه الأمور تختلف الناس في نظرهم إليها في المجتمع العباسي عن أهل البادية .

فترى أن مسألة الضيافة وآداب المؤاكلة من المسائل البارزة التي تظهر طبيعة الحاضرة الإسلامية التي تمتاز فيها عناصر حضارية مختلفة في جذورها وفي طبائعها . فالظروف التي بدأت تصيب المجتمع الإسلامي في طوره الحضاري المادي الجديد أحدثت اختلافاً في حياة الناس وأنماط معيشتهم ، وخلفت وراء ظهرها كثيراً من المثل التي كان المجتمع الإسلامي يدين بها في أطواره السابقة ، فالمبادئ الإسلامية مضافاً إليها العادات الفارسية التي تأثر بها المجتمع آنذاك . ويبدو أن التأثير الفارسي كان واضحاً في آداب المائدة وتنظيم شئون الخدم وترتيب أنواع الأطعمة وإعدادها ، وهذا ما أوضحه لنا الجاحظ في كتاباته عن شئون الحياة اليومية .

١ - الطعام والشراب وأدواتهما:

فقد اتخذوا في دورهم التناير والمطابخ لطهو الطعام وربما جعلوها في العلالى على ظهور أسطح الدور كما ذكر الجاحظ في البخلاء فقال : «ثم يتخذون المطابخ في العلالى على ظهور السطوح ، وإن كان في أرض الدار فضل وفي صحنها متسع ، مع ما في ذلك من الخطار بالأنفس ، والتغريب بالأموال ، وتعرض الحرم ليلة الحريق لأهل الفساد ، وهجومهم مع ذلك على

سر مكتوم وجنى مستور : من ضيف مستخف ، ورب دار متوار ، ومن شراب مكروه ، ومن كتاب متهم ، ومن مال جم أريد دفنه ، فأعجل الحريق أهله عن ذلك من ، ومن حالات كثيرة وأمور لا يجب الناس أن يعرفوا بها^(١) .

هناك عدة كلمات أفاد منها الجاحظ لتسمية الأماكن التي تتخذ للطبخ وإعداد الأطعمة ، هي : التناير ، والمرجل ، والوجار ، والأسرنج ، وقد وردت هذه الكلمات عند الجاحظ في أماكن عديدة ، فقد ذكر التنور والجمع **تَنَائِير** قال : ثم لا ينصبون التناير ولا يمكنون للقدور إلا على متن السطح حيث ليس بينها وبين القصب والخشب إلا الطين الرقيق والشئ لا يقي هذا مع خفة المؤنة في إحكامها وأن القلوب من المتألف بسببها^(٢) .

وقال موردا لفظة **تَنُورٌ** وهو يصف أحد بخلائه : ضرب الشواء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج . وذلك أنه قال له ضع الجدي في التنور حين نضع الخوان حتى استبطئك أنا في إنضاجه ، وتقول أنت بقي : قليل ثم تجئنا به وكأنه قد أعجلتك ، فإذا وضع بين أيديهم غير منضج احتسبت عليهم بإحضار الجدي^(٣) . فالتنور هنا يؤدي وظيفة الفرن الكبير الذي يعد الخراف المشوية بحجمها الطبيعي وليست مقطعة فهو إذن كبير الحجم يصلح لإعداد الجداء وغيرها .

أما **الِوَجَار** فقد ذكره الجاحظ بقوله : «ولما علم أنه ناء سيئ الهداية ، لم يحفر وجاره إلا عند أكمة ، أو صخرة ، أو شجرة ، ليكون متى تباعد عن جحره لطلب الطعام ، أو لبعض الخوف فالتفت وراه أحسن الهداية إلى

(١) البخل ص ٨٣ .

(٢) البخل ص ٨٤ .

(٣) البخل ص ٥٦ .

جحره^(١) . . . وذكر **المرجل** فقال : «أنا لا أعرف الأكرار وحساب القفزان ولكن عندي مرجل أطبخ فيه تمر نبيذي ، وهو يسع مكوكين»^(٢) .

فهذا السوءاء الذي ذكره حدده بمقدار معين من الوزن الذي كان يستعمل آنذاك وهو المكوك ومن الأوعية التي تتخذ للطبخ **الأسرنج** وهو يستعمل للخبز ، قال «وآلات معرفة الساعات ، وصنعة الزجاج والفسيفساء والأسرنج والزنجفور واللازورد والأشربة»^(٣) .

وجاءت كلمة **موقد** واضحة في رسائل الجاحظ قال : حتى تركناهم في أضيق من موقد نار فقتلناهم فلو سقطت مغرفة ما وقعت إلا في قدر»^(٤) .

ومن النص السابق نرى أيضاً أن استعمالهم **القدور** لإعداد طعامهم قال «ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها فلم ير الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لها منه ، وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر ، لقلة ما يخالطها من الدخان»^(٥) وقال : «وصار هذا الدبس أضر علينا من العيال . وإن أنا جعلته نبيذاً ، احتجت إلى كراء القدور»^(٦) وقال : «وكان يكتري قدور الخمارين التي تكون للنبيذ»^(٧) وقال : «وكان إذا وجد القدور المختلفة الطعوم كدرها في قدر واحدة ، وقال إن العرب لو أكلت هذا لقتل بعضها بعضاً»^(٨) وهناك نوع معين من القدور كان يستعمل في ذلك العصر ، وجاء ذكرها في البخلاء ، قال الجاحظ :

(١) الحيوان ج ٦ ص ٤٢ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ٩١ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٦١ .

(٥) البخلاء ص ٣٣ .

(٦) البخلاء ص ٦٣-١٢٦ .

(٧) البخلاء ص ٦٣-١٢٦ .

(٨) البخلاء ص ٢٠٢ .

«قال : فلم ألبث أن رأيته قد طلقت، وتبسمت . فقلت : ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم . قالت : أجل ذكرت أن عندي قدوراً شامية جداً . وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها من التلطيخ بالدم الحار الدسم . وقد استرحت الآن إذ وقع كل شيء موقعه»^(١) وذكر القدور الشامية بقوله «وكان لا يرى الطبخ في القدور الشامية ولا تبريد الماء في الجرار المدارية . لأن هذه ترشح ، وتلك تنشف»^(٢) وقد اتخذ العظماء والأجواد في دورهم قدوراً بلغ من ضخامتها أن شبهها الشعراء بالنعامة ، كما قال الجاحظ والشعراء يشبهون القدر الضخمة التي تكون بمنزل العظيم وأشباهه من الأجواد بالنعامة . قال الرماح بن ميادة :

إلى جامع مثل النعامة يلتق عواربه فوق^(٣)

ونجد إلى جانب رقة الأنواع ترف الخوان وأدوات المائدة ، فاتخذوا الخوان مع الموائد ليوضع عليها الطعام ، وذكر الجاحظ **الخَوَان** في كتبه الكثيرة ففي الحيوان يقول : «قال : وكنا إذا تغدينا دنا من الخوان فزجرناه مرة أو مرتين فكان لا يقربنا لمكان الزجر ولا يبعد عن الخوان لعله الطمع ، فإن ألقينا إليه شيئاً أكله ثم ، ودنا من أجل ذلك بعض الدنو»^(٤) وذكره في البخلاء فقال «رفع يحيى بن عبد الله بن خالد بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد رغيفاً من خوانه بيده ثم رطله والقوم يأكلون»^(٥) وقال وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وقطرب النحوي ، وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان بن فلان . والخوان من جزعة والغفار صيني ملمع أو **خَلْجِيَّة**

(١) البخلاء ص ٣٤ .

(٢) البخلاء ص ٤٥ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٣٣١ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٣٠ .

(٥) البخلاء ص ٥٤ .

كَيْمَافِيَّةٌ^(١) وقال : وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس ييخلون من قبل عدد جنزه ورأوا أرض خوانه^(٢) وقال : فإن الخبز إذا كثر على الخوان فالفاضل مما يأكلون لا يسلم من التطليخ^(٣) وقال : وكان يستعمل على خوانه من الخدع والمكايد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلب بن أبي صفرة وحازم بن خزيمة وهرثمة بن أعين^(٤) وقال : قال : لأنك لا تدع لشرب الماء موضعاً : ، ولأنك تكتنز في جوفك كترأ لا يجد الماء معه مدخلاً والعجب لا تتخم لأن من لا يشرب الماء على الخوان لا يدري مقدار ما أكل ، ومن جاور مقدار الكفاية كان حرياً بالستخمة^(٥) ، وقال في الحيوان : وكان أبو إسحاق إبراهيم النظام والعدار إذا كان عند أيوب قاما عن خوانه إذا وضع عليه ضب^(٦) ، وذكره أيضاً في الحيوان في عدة مواضع منها قال : «ومن جلودها تكون القرب ، والزقاق ، وآلة المشاعل ، وكل نحي وسعن ، ورطب ، وشكية وسقاء ، ومزادة ، مسطوحة كانت أو مثلثة . وفيها ما يكون الخون ، وعكم السلف ، والبطائن والجرب . ومن الماعزة تكون أنطاع البسط ، وجلال الأثقال في الأسفار ، وجلال قباب - الملوك . وبقباب الأدم تتفاخر العرب^(٧) .

نما سبق نرى أن هذه الكلمة الخون أو الخوان جاءت في أماكن متعددة من كتب الجاحظ ، وفي أكثر المناسبات التي تصف الأكل أو الآكلين ، فهي المائدة التي تدار حولها أحاديث المواكلة ، هذه الأحاديث التي نراها متناثرة في كتاب

(١) البخل ص ٥٤ .

(٢) البخل ص ٩٤ .

(٣) البخل ص ٩٥ .

(٤) البخل ص ٩٩ .

(٥) البخل ص ١١٧ .

(٦) الحيوان ج ٦ ص ٧٨ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٤٨٥ .

البخلاء فهي تكون الشطر الأكبر من هذا الكتاب الذي يصور فيه الجاحظ جوانب ممتعة من شخصية البخيل ويبرز لنا صورة غاية في الإمتاع .

٢ - أواني المائدة ومحتوياتها:

وبعد أن تكلمنا عن المائدة والعادات المتبعة في إعدادها لنرى ماذا أعد عليها من أوان وأطعمة ، وكيف تتنوع هذه الأواني وتشكل تلك الأطعمة حسب المناسبات والشخصيات لنلقي نظرة على أواني المائدة ومحتوياتها ، نرى من الأواني السكرجات والجامات والطبق والغضار الصيني والصينييات والطفشيل والقصعة والأسيكرة والمغرفة والماعون والبارجين .

فقد جاء ذكر **السُّكَّرَجَات** ومفردتها **سُكَّرَجَة** في البخلاء قال الجاحظ : «دخل علي الأعمى على يوسف بن كل خير ، وقد تغدى ، فقال : «يا جارية هاتي لأبي الحسن غداء» : قالت : لم يبق عندنا شيء» . قال : «هاتي - ويلك - ما كان فليس من أبي الحسن حشمة» . ولم يشك على أنه سيؤتي برغيف ملطخ ، وبرقاقة ملطخة ، وبسكر وبقية مرق ، وبعرق وبفضلة شواء ويبقايا ما يفضل في الجامات والسكرجات ، فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف أرز قاحل ، لا شيء معه غيره»^(١) . وذكرها في الحيوان في أماكن عدة كقوله : «خير الطعام في أسمان الكلاب رأس مطبوخ ، وأكارع بشعرها ، من غير أن تطعم من عظامها شيئاً . والسمن إذا طعم منه قدر ثلاث سكرجات مرتين أو ثلاث مرات فإن ذلك مما يسمنه ، ويقال أنه يعيد الهرم شاباً ، حتى يكون ذلك في الصيد وفي المنظر»^(٢) وقال : «مما يعالج به الكباد الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندبا يجعل في سكرجة ثم يوجر ذلك أو يمج في حلقه وهو على

(١) البخلاء ص ١٢٠ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ٤٨ .

الريق»^(١) وقال : وحديثي محمد بن القاسم قال : «قال الأعمش لجليس له : أما تشتهي بناني زرق العيون نقية البطون ، سود الظهور ، وأرغفة حارة لينتة ، وخلا حاذقاً ؟ قال : بلى قال : فانهض بنا ، قال الرجل فنهضت معه ودخل منزله . قال : فأوماً إلى : أن خذ تلك السلة . قال : فكشفها فإذا برغيفين يابسين وسكرجة كامخ شبت : قال فجعل يأكل . قال : فقال لي تعال كل : فقلت : وأين السمك ؟ قال ما عندي سمك ، وإنما قلت لك : تشتهي»^(٢) .

وقد ذكر **الجامات** ومفردها **جام** وهي آنية من الفضة لفئة معينة من أفراد المجتمع تضعها على موائدها فقال في البخلاء : إنه سيؤتي برغيف مطلق ، ورقاقة ملطخة ، وبسكر وبقية مرق ، ويعرق وفضلة شواء ويبقايها ما يفضل في الجامات والسكرجات^(٣) .

وقال في البخلاء أيضاً : «تغديت مع راشد الأعور فأتونا بجام فيه بياح سنجي الذي يقال له الدراج»^(٤) وقال «فأبطأ ساعة ثم جاءني بجام لباً وطبق تمر فلما مددت قال يا أبا عثمان إنه لباً وغلظه وهو الليل وركوده»^(٥) . وفي الحيوان ذكر الجاحظ الجام بقوله : «قال : وقدموا إلى أبي الحارث جميز جام خييص وقالوا له : أهذا أطيب أم الفالودج ؟ قال لا أقضي على غائب»^(٦) .

ومن الأواني التي يوضع فيها الطعام وأوعية الطعام الصغيرة أيضاً وهو **الطبق** ويستعمل للطعام الناشف مثل الخبز أو التمر وما شابه ذلك من الأطعمة المجففة التي لا تحتاج إلى سكب ، قال الجاحظ : «فجاءت بطبق ليس عليه إلا

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٩ .

(٣) البخلاء ص ١٢٠ .

(٤) البخلاء ص ١٩٦ .

(٥) البخلاء ص ١٢٣ ج ٥ ص ١٩٢ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ١٠٧ .

رغيف أرز قاحل لاشئ معه غيره» وقال «قالوا : وكان له دكان لا يسع إلا مقعده وطبقاً يوضع بين يديه وجعله مرتفعاً له عيان كي لا يرتقي إليه أحد»^(١).

ومن الأواني التي تستعمل في تقديم الطعام **الصينيّات والصينية** وهذه أواني تتخذ من الزجاج ، كما ذكرها الجاحظ قال «وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة وكأنه جمارة رطبة» وقال عن الصينيّات : ثم جعلت ما دون خرق المخاد للقلانس ثم عمدت إلى أصح ما بقى منعت من أصحاب الصينيّات **والصلاحيات**^(٢) وذكر **الكُوز** والمركب الصيني فقال : «وبمثل ذلك قام الماء في جوف كوز السقاة المنكس . ولعلمهم يضيع الهواء إذا اختصر وإذا خصر ، جعلوا سمك الصينية مثل طولها أعني المركب الصيني»^(٣).

وذكر **الغضار الصيني** فقال : «والخوان جزعة والغضار صيني ملمع»^(٤) ومن أنواع الغضار الخلنجية الكيمائية وهو نوع فاخر من الأواني ، وقد جاء ذكره عند الجاحظ بقوله «والخوان جزعه الغضار صيني ملمع أو خلنجية كيمائية» .

وهناك أوان أخرى مثل **القصة** التي ذكرها الجاحظ في أماكن كثيرة لا يمكن حصرها لأنها الأنية الرئيسية على الموائد المختلفة ، وهي معروفة للعرب جميعاً ، قال الجاحظ : فقال وتحت القصة رقاقة فقال : يا أبا الفتح خذ ذلك الرغيف فقطعه وأقسمه على أصحابنا»^(٥) وقال «وقيل للجمار : رأيناك في دهليز فلان ، وبين يديك قصة وأنت تأكل فمن أي شيء كانت القصة وأي

(١) الحيوان ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) البخلاء ص ١٠٥ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ١١٧ .

(٤) البخلاء ص ٥٤ .

(٥) البخلاء ص ٥٤ .

شيء كان فيها»^(١) وقال : قاتل الله رجلاً كنا نوءاكلهم ، ما رأيت قصعة قط رفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضل»^(٢) وقال «قال أبو كعب : فرمى نسي بعضنا فمديده إلى القصعة ، وقد مديده صاحبه إلى الماء . فيقول له موسى : يدك يا ناسي»^(٣) .

وذكر في البخلاء أيضاً فأتوه يوماً بقصعة ضخمة فيها ثريدة كهيئة الصومعة مكللة بأكليل من عراق»^(٤) .

ويعلق آدم ميتز على كلمة الخلنج فيقول : كان خشب الخلنج يستعمل في الطيافير وكان يجهز بكثرة في جرجان على بحر الخزر . وفي القرن الثالث الهجري بالمشرق أعجب الجاحظ بأنية من الخلنج الكيماكي (التركي إلى جانب أنية الصيني الملمع وكانت هذه محبوبة في جميع البلاد)^(٥) .

وقد ذكر الأواني التي يتناول بها الطعام من أطباقه مثل **المَغْرَفَةِ** فقال : «حتى تركناهم في أضيق من موقد نار فلو سقطت مغرفة ما وضعت إلا في قدر»^(٦) وذكر **البارجين** فقال : «والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحسو وتقزروا من التعرق ويهرجوا صاحب التمشيش وحين أكلوا بالبارجين وقطعوا بالسكين ولزموا عند الطعام السكته»^(٧) وذكر **الأسيكرة** فقال : «وأتانا بأرزة ولو شاء إنسان أن يعد حبها لعهده ، ولتفرقه ولقلته . قال : فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة فوقعت ليلتئذ في فمي قطعة»^(٨) .

(١) البخلاء ص ٧٣ .

(٢) البخلاء ص ٩٧ .

(٣) البخلاء ص ١٢٨ .

(٤) البخلاء ص ١٩٩ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٦) صناعات القواد ص ١٩١ .

(٧) البخلاء ص ٦٨ .

(٨) البخلاء ص ١٢٨ .

٣ - أنواع الأطعمة :

أما الأطعمة فقد تنوعت في المجتمع العباسي تنوعاً ظاهراً واختلقت من بلد إلى بلد ومن طائفة اجتماعية إلى طائفة اجتماعية أخرى ، وغدت في تنوعها صورة واضحة لامتزاج العناصر المتباينة في المجتمع والطبقات المختلفة ، ففي الوقت الذي كان يعد فيه الخبز الطعام الأساسي عند الطبقة العامة فهو لا يشكل سوى عنصر ثانوي من عناصر الطعام عند الطبقة الغنية ، تلك الطبقة التي استعارت من بلاد فارس أنواعاً من الأطعمة معقدة في إعدادها وفي طريقة أكلها ، وقد نثر الجاحظ في كتبه وخاصة البخلاء طائفة من أسماء الأطعمة ، وقد خصص الفصل الأخير من كتابه هذا لأسماء الأطعمة البدائية المعروفة عند العرب القدماء ، ويظهر بجلاء التضاد بين الحضارتين الفارسية والعربية ومنها نستخلص الأسماء لأنواع الأطعمة الواحدة علينا مع تيار الحضارة فمن هذه الأطعمة (الشبارقات - والسكباجة والطباهجات والجوذاة والديكبريكة والمصوص والبزماورد والفالوذجات) فقد ذكر الجاحظ **الشَّبارِقات** وهي ألوان من اللحم في الطباخ ، وأصلها الفارسي شفارج قال : «الشبارقات والأنخبة **والفالوذجات** قال : طعام العجم وعيش كسرى ولباب البر بلعاب النحل بخالص السمن»^(١) وأيضاً من طعامهم نوع من العرق يعمل باللحم والخل وهو **السَّكْبَاج** ، ويصفه الجاحظ في البخلاء بشكل تفصيلي يقول : «اشترى لحم بقر بدرهم واشترى بصلاً بدائق وباذنجان بدائق وقرعة بدائق ، فإذا كان أيام الجزر فجزرا بدائق وطبخه كله سكباجا»^(٢) وذكره في الحيوان بقوله : «قال فأني شئ تأكل على الحجامة ؟ قال : أما في الصيف فسكباجة محمضة عذبة ، وأما في الشتاء فديجirage خائفة حلوة»^(٣) وقال في رسائله : «فقال له ذات يوم وهو

(١) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٢) البخلاء ص ١٢٢ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٢٦١ .

يحجمه : يا غلام أمتحجم ؟ قال نعم . قال : ومتى ؟ قال عند الحاجة . قال :
وتعرف ذلك ؟ قال : أعرف أكثره وربما غلظت . قال فأني شئ تاكل ؟ قال :
«أما في الشتاء فدأكبراه خاترة حلوة وأما في الصيف فسكباجة حامضة عذبة»^(١).
«من أصناف الطعام **الطَّباهجات** وهو طعام مثل الكباب تسميه العرب
«مفيف»، وذكر أدى شير أن اللفظ فارسيته تباهة ، وقال إنه طعام من بيض
وبصل ولحم، وقد ذكره الجاحظ في الحيوان بقوله «وللعصافير طباهجات
وقلايا تدعي العصافيرية ولها حشاوى يطعمها العوام المفلوج»^(٢) وذكر **الذكبراه**
في رسائله فقال «قال : فأني شئ تاكل ؟ قال أما في الشتاء فدأكبراه خاترة
حلوة»^(٣) ونوع آخر يعمل من فراخ الزنابير وهو **البزماورد** ، وقد ذكره الجاحظ
بقوله : «وأهل خراسان يعجبون باتخاذ البزماورد من فراخ الزنابير»^(٤) . ويقول
في الحيوان عن هذا الصنف من الطعام وكيف أنه خاص ببلاد فارس وخاصة
أهل خراسان، قال «كان بشر بن المعتمر خاصاً بالفضل بن يحيى ، فقدم عليه
رجل من مواليه ، وهو أحد بني هلال بن عامر فمضى به يوماً إلى الفضل
ليكرمه بذلك ، وحضرت المائدة فذكروا الضب ومن يأكله ، فأفرط الفضل في
نمه وتابعه القوم بذلك ، ونظر الهلالي فلم يرد على المائدة عربياً غيره وغاضه
كلامهم فلم يلبث الفضل أن أتى بصحيفة ملآنة من فراخ الزنابير ، ليتخذ له
منها بزماورد والدبر والنحل عند العرب أجناس من الذبان - فلم يشك الهلالي
أن الذي رأى من ذبان البيوت والحشوش . وكان الفضل حين ولى خراسان
استطرف بزماورد الزنابير ، فلما قدم العراق كان يشهدها ، فتطلب له من كل

(١) فخر السودان على اليفضان ص ١٨٢ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٣) فخر السودان على اليفضان ص ١٨٢ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٤٤ .

مكان . فشمت الهلالي به وبأصحابه»^(١) وهناك صنف يدعي **الجَوَذَابَة** وهو طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبندق ، وقد ذكره الجاحظ حين قال : وقد أتيتم بهطة أو بجوذاة أو بعصيدة أو ببعض ما يجرى في الحلق ولا يساغ بالماء»^(٢) ونوع آخر من الطعام يدعي **المصوص** ، وقد جاء ذكره في البيان والتبيين ، قال الجاحظ : «ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ **الشر** ، ويزعمون السميطة الرزدة ويزعمون المصوص المزور ويزعمون الشطرنج **الاشترينج** في غير ذلك من الأسماء»^(٣) .

وهناك أنواع أخرى تصنع من لحوم الجداء أو البقر أو غيرها من لحوم المجترات مثل الهريسة والكرنية والطفشلية والفجلية وجميع أنواع الثريد الذي يغطي باللحوم .

فقد ذكر الجاحظ **الهريسة والطفشيلة** بقوله : «والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخصي صغير الحجم وليس الطفشيلية ولا كالهريسة ولا كالفجلية»^(٤) . وقال في الطفشلية أيضاً : «وتعشق واحدة ، فلم يزل يتبعها ، ويبكي بين يديها حتى رحمته وكانت مكثرة وكان فعلاً . فاستهداها هريسة وقال : أنتم أحذق بها . فلما كان بعد أيام تشهى عليها رؤوساً فلما كان بعد قليل طلب منها حبة . فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفشيلة»^(٥) . وقول آخر في **الطفشيل** قال : «وتعشى أبو كعب القاص بطفشيل كثير اللوبيا وأكثر

(١) الحيوان ج ٦ ص ٩١ .

(٢) البخلاء ص ١٢٧ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

(٤) البخلاء : ص ٦٩ .

(٥) البخلاء ص ١٢٤ .

منه وشرب نبيذ تمر ، وغلس إلى بعض المساجد ليقص على أهله^(١) وذكر **الفجلية** بقوله : «والعادة في مثل ذلك اللون أن يكون لطيف الشخصي ، صغير الحجم ، وليس كالطفشيلية ، ولا كالهريسة ، ولا كالفجلية»^(٢) **والثريد** يتكرر في مناسبات عدة وهو الطعام المفضل للعرب بلا استثناء ، كما قال الجاحظ : وقال يوسف بن عمر لقوام موائده : أعظموا الزبدة فإنها لقمة الدرداء فقد يحضر طعامكم الشيخ الذي ذهب فمه والصبي الذي لم ينبت فمه وأطعموهم ما يعرفون ، فإنه أنجع وأشفى للقوم فقلتم : إنما أراد العجلة والراحة ، بسرعة الفراغ . وأن يكبدهم بالثريد ويملاً صدورهم بالعراق . وقد قال رسول الله - ﷺ - سيد الطعام الثريد^(٣) . . وقال أيضاً : «ولهذا ما قال الأعرابي حين قيل له : لم تبدأ بأكل اللحم الذي فوق الثريد قال : لأن اللحم ظاعن والثريد مقيم»^(٤) وكانوا يفضلون نوعاً معيناً من الثريد هو الذي يكثر فيه العراق ممن كان غيره ذلك فهو مذموم عندهم ، ومنها التريدة البلقاء حين قال : «وإن ثريدته لبقاء إلا أن يياضها ناصع ولونها الآخر أجهب»^(٥) ويؤكد الجاحظ أن الثريد هو طعام العرب منذ القديم من قبل أن يمتزجوا بالأقوام الأخر ويروي حكاية تؤكد كلامه قال : «وقال عوف بن القعقاع لمولاه : اتخذ لنا طعاماً يشبع فضله أهل الموسم : قلتم : فلما رأى الخبز الرقاق والغلاظ والشواء والألوان ، واستطراف الناس للون بعد اللون ودوام أكلهم لدوام الطرف ، وأن ذلك لو كان لوناً واحداً لكان أقل لأكلهم ، قال : فهلا جعلته طعام يد ولم تجعله طعام يدين : فقلتم : اتسع ثم ضاق ، حين أراد

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٤ .

(٢) البغلاء ص ٦٩ .

(٣) البغلاء ص ٧٤ .

(٤) البغلاء ص ١٢٨ .

(٥) البغلاء ص ٥٧ .

إطعامهم الثريد والحيس وكل ما يؤكل بيد دون يدين . وابن القعقاع عربي كره لمولاه أن يرغب عن طعام العرب إلى طعام العجم^(١) . وكان من طعامهم لحوم الطيور مثل الديكة والبط والدجاج والدراج وما يعمل من هذه الأنواع من أطعمة مختلفة كالنمكود والديججراجة والدجاجة الخلاسية والدراجة **والنيمبرست** وعنها قال الجاحظ : «ومنهم من يشتهي النمكود . وليس بين النمكود وبين المصلوب اليابس كبير فرق وإنما يذبحون الديكة والبط والدجاج والدراج من أول الليل ليسترخي لحمها وذلك أول النجيف^(٢)» وقال عن **الديججراجة** «وأما في الشتاء فديججراجة خائرة حلوة^(٣)» وقال يذكر الدراجة : «وكانوا ربما حضوه ، فوضعوا بين يديه الدراجة السمينة والدجاجة الرخيصة^(٤) . وهناك أنواع كثيرة من الدجاج كانت تستعمل في أطعمتهم مثل الدجاج الخلاسي والدجاج الخوامزكي ، قال الجاحظ يذكر هذه الأنواع : «وما يصنع بذلك القائل ؟ هو ذا أنا أشتري لحم دجاجتين : واحدة خلاسية مسمنة ، وأخرى خوامزكية رخصة^(٥)» .

٤ - أنواع الأطعمة حسب الفئات والأقوام :

إن معلوماتنا عن طعام العامة كان طعاماً بسيطاً ، وهذا ما وصفه الجاحظ في أحاديثه المتفرقة ، فكان الأرز والماش والعدس واللوبيا مما يأكله الوقادون والزبالون ، وكانت الهريسة طعام السوقيين والسفلة^(٦) وكانت الأطعمة الشعبية تشمل الباقلاء والسمك بأنواعه ، وهو يعمل بأشكال مختلفة ، وجدت مثلاً

(١) البخلاء ص ٧٤ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٢٢٩ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٢٦٢ .

(٤) البخلاء ص ٥٦ .

(٥) البخلاء ص ٦٢ .

(٦) الإمتاع والمؤانسة التوحيدى ج ٣ ص ٧٠ .

دكاكين خاصة تباع السمك المقلي^(١) ، ومن الأطعمة الشائعة في العصر العباسي ، وقد وردت عند الجاحظ مثل الباذنجان والبصل ، والجزر أما طعام أهل القرى فالكرات والبصل^(٢) ومع روافد الحضارة العباسية تنوعت الأطعمة بتنوع البلدان وعرف كل بلد بنوع معين من الطعام وهذا ما وصفه الجاحظ بقوله : «وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام ، وما قسم لكل قوم منه ، فقال : «ذهبت الروم بالحشو والحسو وذهبت فارس بالبارد والحلو» وقال عمر : «لفارس الشفارق والحموض» وقال دوسر المديني : «لنا الهرائس والقلايا ، ولأهل البدو اللبلاء والسلاء والجراد والكمأة والخبزة في الرائب والتمر والزبد»^(٣) .

ومن هذا نرى أن البحرين قد أعجبوا بالأسماك عموماً وبأكل الرق والكوسج والبليلى والبنى بصفة خاصة و البليلى وهو اللحم الذي في جوف الأصداف ، وكان السمك من طعامهم الرئيسي حتى قيل أن البصري لا يصبر على السمك ، وكانوا يرون في الشبوط والبنى أجود أنواع السمك وكذلك البياح والجري والأسبور . وذكر الجاحظ **الشَّبُوط** بكل تعظيم وافتخار ومفردتها **شَبْوَطَة** قائلاً : واشترى مرة شبوطة وهو ببغداد . وأخذها فائقة عظيمة ، وغالى بها وارتفع في ثمنها ، وكان قد بعد عهده بأكل السمك . وهو بصري لا يصبر عنه . فكان قد أكبر أمر هذه السمكة ، لكثرة ثمنها ولسمنها وعظمها ولشدة شهوته لها^(٤) وكان البصريون يفضلون أن يكون السمك طرياً وهو الأفضل والأحسن ، إذ قال الجاحظ في البخلاء : قال ابن جهانة الشقية : عجبت ممن يمنع النبيذ طالبه ، لأن النبيذ إنما يطلب ليوم فصد . أو يوم حجابة

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٨ ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٧ ص ٧٥ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٤٨

(٣) البخلاء ص ١٧٨ .

(٤) البخلاء ص ١٠٠ .

أو يوم زيارة زائر ، أو يوم أكل سمك طري^(١) ، وذكر **البُني** بقوله «قال الأعمش لجليس له : أما تشتهي بناني زرق العيون نقية البطون سود الظهر ، وأرغفة حارة لينة»^(٢) ، وذكر **البياح** بقوله «وحدثني إبراهيم بن عبد العزيز قال تغذيت مع راشد الأعور ، فأتونا بجام فيه بياح سنجي ، الذي يقال له الدراج فجعلت آخذ الواحدة فأقطع رأسها ، ثم أعزله ثم أشقها باثنين من قبل بطنها فأخذ شوكة الصلب والأضلاع ، فأعزلها وأرمي بما في بطنها ، وبطرف الذنب والجناح ثم أجمعها في لقمة واحدة وأكلها»^(٣) ونوع آخر من الأسماك **الجري** قال الجاحظ «وفي الجري قال أبو كلدة : هو آدم العميان وجيد في الكوشان ، ودواء للكليتين»^(٤) وهناك أطعمة لها أسماء معينة تعد وتحضر من الأسماك مثل **الكباب** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله «فإن أصبنا من السمك شيئاً جعله كباباً على نار الخبز»^(٥) وقال «ولا يؤكل كباباً ولا يختار مطبوخاً ، ويرمي كله إلا ذنبه»^(٦) والجاحظ يقصد الجري وهذه أوصافه كما جاء ذكره في الحيوان»^(٧) **والكوشان** والريثاء والصحناء أطعمة تعد من السمك الرديء أو الصغير الرخيص الثمن ، وبهذا قال الجاحظ عن الكوشان «وفي الجري قال أبو كلدة هو آدم العميان وجيد في الكوشان ودواء الكليتين»^(٨) وقال في الريثاء والسحنة «فأين من كان عن جداء كسكر وسمك كسكر وصحناء كسر وريثاء كسكر»^(٩) وذكر سمكاً غير جيد وهو **الجَوَافَة** بقوله «فإذا أراد أن يتغذى أخذ الجوافة فسحها على وجه الرغبة»^(١٠).

(١) البخلاء ص ١٣٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٩ .

(٣) البخلاء ص ١٩٦ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٢٣٤ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ١٩ .

(٦) البخلاء ص ١٢٩ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٢٣٥ .

(٨) الحيوان ج ١ ص ٢٣٤ .

(٩) الحيوان ج ٣ ص ٢٩٥ .

(١٠) البخلاء ص ١٢٠ .

٥ - أنواع الحلوى والفطائر :

وكان فطائرهم وحلواؤهم متنوعة متشكلة حسب الفئات المكونة للمجتمع ، ومن بين فطائرهم البستندود والخشكان والكعك والفانيد وغيرها من الأنواع الأخرى ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأنواع في كتبه ليدلل على مظاهر الحضارة في عصر العباسيين وفي عصره بالذات ، فقال عن **البستندود** : «إذا صار إلى المنزل صار سبياً لطلب القصيدة والأرزة والبستندود»^(١) وذكر **الخشكان** بقوله : «وقد عاب ناس من أهل المازح والمديرامور : منها أن خشكانهم من دقيق شعير»^(٢) وهو نوع من الخبز المصنوع بالزبد والسكر والجوز والفسق ويكُون على هيئة هلال»^(٣) وهذا حسب ما فسره محقق البخلاء ، ومن فطائرهم أيضاً الكعك ، وذكره الجاحظ بقوله «بعد أن كنا لا نرى إلا شيئاً كالبر من ييس الكعك . وهذا ثلث يعبر عن أكل غض»^(٤) وذكر **الفانيد** بقوله «اشتكت أياماً صدري ، من سعال كان أصابني . فأمرني قوم بالفانيد السكري ، وأشار على آخرون بالخبزيرة تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك فاستثقلت المؤنة كرهت الكلفة ورجوت العافية»^(٥) . وكان من حلوائهم الجوزيينج والحريرة والحيس والفالوذق أو الفالودج والخبيص والأرزة والعجوة والوطيئة والسلوى والزردج والسويق وغيرها ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأنواع من الأطعمة في أكثر من موضع في كتبه قال في **الجوزيينج** «وما أعرفها هنا اجتماعاً على مشاكلة إلا في الإيثار بخبز الخشكار على الحواري والباقلي على

(١) البخلاء ص ٦٣ .

(٢) البخلاء ص ١٢٢ .

(٣) البخلاء ص ٣٦٩ .

(٤) البخلاء ص ٢٠١ .

(٥) البخلاء ص ٣١ .

الجوزينج^(١) وهذا الضرب من الحلوى يصنع من الجوز ، ويقال له جوزنيق أيضاً وفارسيته كوزينة (اللوزنية) ، **والحريرة** ذكرها الجاحظ بقوله «وما أشبه ذلك من الحريرة والعصائد والحيسى»^(٢) وقال «وإن كان الطعام حيساً . أو ثريداً أو حريرة فهو طعام يد ، وإن كان شواء فهو طعام يدين»^(٣) ، **والحيس** والحيسة والحسو جاءت بمعنى واحد ووردت بأكثر من مكان قال : «فأناه بلبن وتمر وحيس وخبز»^(٤) وقال «وهم وإن كانوا في بلاد جذب فإنهم أحسن الناس حالاً في الخصب فلا تظن أن كل ما يصفون به قدورهم وجفانهم وثريدهم وحيصهم باطل»^(٥) وقال : «وكان يحاس لأحدهما الحيسة على عدة أنطاع فكان يأكل منها الراكب والقائم والقاعد»^(٦) وقال في **الحيسة** أيضاً : «فلما كان بعد قليل طلب منها حيسة . فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة»^(٧) . وعن الحسو قال : والله إننى لأفضل الدهاقين حين عابوا الحسو وتقززوا من التمر»^(٨) ونوع آخر من الحلوى **الفالودج** أو الفالودق والجمع **فالودجات** ، وقد ذكره الجاحظ حين قال : ومن أشرف ما عرفوه من الطعام ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان وهو الفالودج»^(٩) وقال «وكان له عرس ، فجعل طعامه كله فالودق ، وذكره في البخلاء أيضاً فقال : «ثم يقول للذي يليه أبا فلان ما أدمك ؟ فيقول : الشبارقات والأخبصة والفالودجات

(١) في الجذ والهزل ص ٢٦٦ .

(٢) البرصان والعميان ص ٣٤٥ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٤٢٤ .

(٤) البخلاء ص ٧٣ .

(٥) البخلاء ص ٢٢٣ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٣ .

(٧) البخلاء ص ١٢٤ .

(٨) البخلاء ص ٦٨ .

(٩) البخلاء ص ٢٢٩ .

وقال : طعام العجم وعيش كسرى ولباب البر بلعاب النحل بخالص السمن»^(١) وذكره في الحيوان بقوله . «قال وقدموا إلى أبي الحارث حمير جام خبيص وقالوا له أهذا أطيب أم الفالوذج ؟ فقال لا أقضي على غائب»^(٢) وقد وردت في النص السابق كلمة **خَبِيص** وهي من الحلواء المخبوصة أي المخلوطة من السكر والزعفران والشيرج والدقيق وماء الورد والعسل والفسق ، وقد ذكرها البغدادي في كتاب الطبخ ، وذكرها الجاحظ أيضاً بقوله : «وقالوا مثل ذلك في جميع الأخبصة والأنبذة»^(٣) ونوع آخر من الحلوى **الأُرْزَة** ، فقد ذكرها في البخلاء بقوله «صار سبباً لطلب العصيدة والأرزة وقال : «فلما رأنا لا تطاوعه دعا ليلة بالماء ، ثم خط بأصبعه خطأ في أرزة كانت بين أيدينا فقال : هذا نصيبي ، لا تعرضوا له ، حتى انتفع بشرب الماء»^(٤) وذكر **العَجْوَة** بقوله «وقد يأكل الناس القت قداحاً والشعير فريكا ونوى البسر الأخضر ، ونوى العجوة»^(٥) ونوع آخر يعمل من التمر وهو **الوَطِيئة** ، وهو يعجن باللبن والأقط والسكر ، وقد ذكره الجاحظ في قوله : «والحيس والوطيئة والأرز»^(٦) ثم السلوى وفيها يقول «ألذ من السلوى وأمتع من النسيم» فهي إذن حلوى من نوع فاخر التي تدعي **المن والسلوى**^(٧) والزردج ، وقد ذكره في الحيوان بقوله : «ولهم صب **الزَّرْدَج** واستخراج النشاستج وتعليق الخيش ، واتخاذ الجمازات ، وعمل الحراقات»^(٨) ونوع آخر من حلوائهم التي تتخذ من الحنطة

(١) البخلاء ص ١٣١ ص ٢٠٣ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ١٩٣

(٣) الحيوان ج ٥ ص ١٤ .

(٤) البخلاء ص ٦٣ ص ١٩٧ .

(٥) البخلاء ص ١٠٣ .

(٦) البرصان ص ٣٤٥ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٢٣٢ .

(٨) الحيوان ج ١ ص ٨٢ .

أو الشعير المدقوق وينساق في الحلق انسياقاً ، وقد ذكره الجاحظ في مواضع عدة منها قوله : «هو عنه بمعزل بغلاء الدقيق ، ولا عوز السويق ولا عزة الزيت - ولا فساد النيذ»^(١) فالذي يقصده حلوى **السَّوِيق** ذلك النوع الذي كان معروفاً عندهم وذكره في البخلاء قائلاً : «وهو الذي يقطع أصبعه ، ثم يعيدها في مرق القوم أو لبنهم أو سويقهم وما أشبه ذلك»^(٢) وقال «وعيت السويق بحضرة أعرابي فقال : لا تعب فإنه من عدد المسافر ، وطعام العجلان ، وغذاء المبكر ، وبلغة المريض ، ويسر فؤاد الحزين ، ويرد من نفس المحدود ، وجيد في التسمين ، ومنعوت في الطب قفاره يجلو البلغم ومسمونه يصفى الدم . إن شئت كان ثريداً وإن شئت كان خييصاً ، وإن شئت كان طعاماً وإن شئت كان شراباً»^(٣) ومما تقدم يبدو أن التأثير الفارسي واضحاً في أدب المائدة وتنظيم شؤون الخدم وترتيب أنواع الطعام ، وفي الوقت الذي كان يعد فيه الخبز طعاماً أساسياً عند الطبقة الشعبية فهو لا يشكل سوى عنصر ثانوي من عناصر الطعام عند الطبقة الأرستقراطية تلك الطبقة التي استعارت من إيران أنواع الأطعمة المعقدة المتنوعة^(٤) ، هذا ما قاله شارل بيلات عن نوع رئيسي من أنواع الأطعمة وهو الخبز الذي كان يتخذ من أنواع متعددة من الدقيق كالخشكار والحواري والدرمك والفريك والنخالة وغيرها ، كل حسب مستواه الاقتصادي لنوعية دقيقه وعمل خبزه ، ومن متطلبات الضيافة عند العرب منذ القدم أن يكون الطعام الذي يقدم للضيوف فائضاً عن حاجتهم بمقدار عظيم . والخبز يعتبر في هذا بالدرجة الأولى من الأهمية، ويبدو أن **الخبز** كان من أجل أنواع الطعام . فالغزالي في كتابه إحياء علوم الدين يشرح مبيناً سبب إكرام الناس للخبز، بأنه

(١) كتاب القيان ص ١٧٨ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) البخلاء ص ١٨٠ .

(٤) الجاحظ شارل بيلات ص ٢٤٤ .

يديهم الرمح ويقوى على العبادة^(١) . وفي بخلاء الجاحظ يعد البخيل بخيلاً لا لأنه لم يدع أصحابه إلى بيته بل لاختلاف طريقته في آداب المؤاكلة عن المستوى الذي يتخذ كمقياس للكرم والضيافة^(٢) فالبخيل يلام لأن خبزه قليل ، ويعد بعض الناس بخلاء لأن الخبز الذي يقدمونه كان بعدد الآكلين ، بالرغم من أن الطعام قد أعد بعناية فائقة وهيئ وقدم باهتمام كبير . يقول الجاحظ : وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وقطرب النحوي وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان بن فلان ، والخوان من جزعة ، والغضار صيني ملمع أو خلنجية كيماكية ، والألوان طيبة شهية وغذية قوية ، وكل رغيف في بياض الفضة كأنه البدر ، وكأنه مرآة مجلوة ، ولكنه على قدر عدد الرؤوس ، فأكل كل إنسان رغيفه إلا كسرة ، ولم يشبعوا فرفعوا أيديهم ولم يمدوا بشئ فيتموا أكلهم والأيدي معلقة ، وإنماهم في تنقير وتنتيف^(٣) ، وكان محمد بن أبي المؤمل عند الجاحظ من البخلاء ، رغم أنه يصرف الأموال الطائلة في إعداد طعام ضيوفه إعداداً جيداً ، لكن الجاحظ يلومه على قلة خبزه ، يقول : قلت لمحمد بن أبي المؤمل : أراك تطعم الطعام وتتخذ وتنفق المال وتجوده وليس بين قلة الخبز وكثرته كثير ربح . والناس ييخلون من قل عدد خبزه ورأوا أرضي خوانه . وعلى أنني أرى جماجم من يأكل معك أكثر من عدد خبزك ، وأنت لو لم تتكلف ولم تعمل على مالك بإجادته والتكثير منه ثم أكلت وحدك لم يملك الناس ، ولم يكثرثوا لذلك منك ولم يقضوا عليك بالبخل والسخاء . فزد في عدد خبزك شيئاً ، فإن تلك الزيادة السقيلة ينقلب ذلك اللوم شكراً وذلك الذم حمداً^(٤) .

(١) إحياء علوم الدين - الغزالي ج ٢ ص ٤ .

(٢) الجاحظ والحاضرة العباسية د . وديعة النجم ص ١٥٦ .

(٣) البخلاء ص ٥٤ .

(٤) البخلاء ص ٩٤ .

وبعد هذه النبذة القصيرة عن أهمية الخبز على موائلهم في ذلك العصر لنرى أنواع هذا الخبز ، فهناك نوع اسمه **الْجُرْدُق** وجمعه **جُرَادِق** ، وهو معرب من الفارسية يقول الجواليقي : الجردق إنه الغليظ من الخبز ، وقد يقال في تقريبها جردق بالذال ولكن الأول أجود ، ويقول استينجاس في تفسير معنى اللفظ الفارسي الذي هو كرده أنه يعني الرغيف المستدير الغليظ ، وهذا ما ذكر في حاشية الحيوان ج ١ ص ١٠٧ ، أما ما ذكره الجاحظ عن هذا النوع من الخبز ، فهو يقول : «وحدثني أحمد بن المثنى أنهم كانوا يعمدون إلى الجرادق التي ترفع عن مائدته»^(١) وقال «والمقور الذي يقور الجرادق ، ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف»^(٢) وقال في البخلاء أيضاً «فما ألبث أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها في الخل الحاذق ويغرقها فيه»^(٣) وذكره في الحيوان بقوله : «الفقير سرقة سلفة ، ورداؤه علقه ، وجردقته فلقة ، وسمكته مشلقة ، وإزاره خرقة»^(٤) ، وذكره الجاحظ في البيان والتبيين بالذال أيضاً « وقال رجل لرجل : انتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جردقتين»^(٥) . فمرة يذكر الجاحظ هذا النوع من الخبز بالذال ومرة بالذال . وكان خبزهم يتخذ أيضاً من دقيق **الْخَشْكَارِ** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : «وقد عاب ناس من أهل المازح والمدير بأمور : منها أن خشكنانهم من دقيق شعير وحشوه الذي يكون فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار»^(٦) وذكره في البخلاء أيضاً : «قلت : فتأمر به للعيال : فيقوم الحواري المتطلخ مقام الخشكار النظيف»^(٧) وفي رسائله

(١) البخلاء ص ٥٧ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) البخلاء ص ٥٥ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ١٠٧ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٢١ .

(٦) البخلاء ص ١٢٢ .

(٧) البخلاء ص ٩٦ .

قال «وما أعرف ها هنا اجتماعاً على مشاكلة إلا في الإيثار بخبز الخشكار على الحوارى والباقلي على الجوزيينج»^(١) ثم **الحواري** وهو الدقيق الأبيض الجيد وبالأصح لباب الدقيق وأجوده ، وقد ذكره الجاحظ في النص الآتي : «أبا فلان ما أدامك ؟ قال : اللحم السمين والجداء الرضيع» قال : فتأكله بالحواري؟^(٢) وقال في وصف الحوارى وكيف أنه خبز المترفين وهو من أرقى أنواع الدقيق قلت : فتأمر به للعيال : فيقوم الحوارى المتلطنخ مقام الخشكار النظيف وعلى أن المسح والدلك يأتي على ما تعلق به من الدسم . قال : عيالي يرحمك الله - عيالان : واحد أعظمه عن هذا وأرفعه عنه وآخر لم يبلغ عندي أن يترف بالحواري . قلت : فاجعل إذا جميع خبزك الخشكار فإن فضل ما بينه وبين الحوارى في الحسن والطيب لا يقوم بفضل ما بين الحمد والذم»^(٣) وذكره في الحيوان بقوله : «ما أعرف ها هنا اجتماعاً على مشاكلة إلا في الإيثار بخبز الخشكار على الحوارى»^(٤) وقال في رسائله : «لا يتخذ حاجباً ولا يلبس كتانا ولا يأكل درمكاً»^(٥) وقال في البخلاء : «وإذا نظرت في أشعارهم علمت أنهم قد أكلوا الطيب وعرفوه ، لأن الناعم من الطعام لا يكون إلا عند أهل الثراء وأصحاب العيش فقال زياد بن فياض ، ويذكر الدرمل وهو الحوارى»^(٦) ، فإذا دقق الحوارى هو الذي يتخذ في عمل الطعام الجيد للطبقة المرفهة ، كما جاء في وصف أكلة الدرمل وهو من طعام الطبقات الغنية الميسورة . أما الطبقات العامة فهي تأكل **الفريك** وهو دقيق الشعير وبهذا قال

(١) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(٢) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٣) البخلاء ص ٩٦ .

(٤) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(٥) كتاب الحجاب ص ٣١ .

(٦) البخلاء ص ٢٢٩ .

الجاحظ : والله لو حملتم أنفسكم على البزر والنوى ، وعلى قضم الشعير واعتلاف القت ، لوجدتموها سريعة القبول ، وقد يأكل الناس القت قداحاً ، والشعير فريكاً ، ونوى البسر الأخضر ونوى العجوة^(١) وأحياناً تلجأ الطبقات المعدمة في ذلك العصر من عصور الحضارة العباسية إلى أكل ما دون الشعير وهو **النخالة** ، يقول الجاحظ : «يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدتها»^(٢) وقال عليك بماء النخالة فاحسه حاراً .

مواد تؤكل مع الخبز :

ومع الخبز كانوا يأكلون (الجبن والزبد والزيتون والدبس والأقط واللبأ والنيمرشت و البيض) فهذه أصناف كانت توضع على الموائد مع الخبز بأنواعه ، وقد ذكر الجاحظ **الجبن** والزبد بقوله : «زعم أن الزبد الحادث بعد المخض لم يكن في اللبن وأن جبن اللبن حادث ، وقاس ماء الجبن على الجبن . وليس اللبن إلا الجبن والماء»^(٣) وقال إذا كان في غداة كل جمعة حمل معه منديلاً فيه جردقتان ، وقطع لحم سكباج مبرد ، وقطع جبن وزيتونات وصرة فيها ملح»^(٤) وقال : وكان يتأدم بجبنة عنده»^(٥) وذكر **الزبد** أيضاً بقوله : «أنا لست أطعم الجزء المسلوق بالخل والزيت والمرى دون الكمأة بالزبد والفلفل لمكان الرخص أو لموضع الاستفضال ولكن لمكان طيبه في الحقيقة ولأنه صالح للطبيعة»^(٦) **والدبس** ذكره في أماكن كثيرة منها «فأنته من البصرة هدايا فيها رقائق

(١) البخلاء ص ١٠٣ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٢٢١ .

(٣) البخلاء ص ٣١ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ١٣ .

(٥) البخلاء ص ٩٤ .

(٦) البخلاء ص ١٣١ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ١٣ .

دبس»^(١) والدبس موجود في هذه المنطقة بكثرة ، وكذلك **الأقط** المادة البدوية المستعملة منذ الأبد ، ولكن في زمن الجاحظ اتخذوا الأقط على موائد الشراب» قال الجاحظ : «ثم دعا بالنبذ ، فإذا هو في عس خشب وإذا بنبذ تمر ، ثم دعا بنقل فإذا بأقط ومقل وتنوم»^(٢) ثم تطور المجتمع وزاد ترفه فإذا هو يرمي الأقط للمعز بعد أن كان غذاء البدوي الرئيسي ، قال الجاحظ : قال : والأقط للمعز . وقرونها هي المتفع بها»^(٣) .

وكذلك اللبأ فنرى أحد شخصيات الجاحظ يباهي بما عنده من **لبأ** فيقول : «وعندي لبأ لم ير الناس مثله ، وتمر ناهيك به جودة»^(٤) .

هذه هي الصورة الحضارية لتلك المائدة العباسية بأنواعها من الأطعمة الكثيرة الغريبة في إعدادها واللذيذة في طعمها ، ومع هذا نرى العربي لا يزال يحن إلى طبيعته البدوية في أكلة الأقط واللبأ والدبس وغيرها من الأنواع التي عاصرت حياته منذ القدم من قبل أن تأتيه هذه الأنواع من الأطعمة مع ما أتاه من ترف وتطور حضاري . فهو يضع على مائدته الزبد والسمن واللبأ والأقط بجانب البيض الذي أصبح يدعي **النيمبرشت** قال الجاحظ : «ليحملا له من الزبد والسمن ، ومن اللبأ واللبن والبيض النمبرشت»^(٥) .

وهناك مواد لا يمكنهم الاستغناء عنها في إعداد أطباقهم وقد وردت عند الجاحظ مثل الأبرار والأصبار والسلاء والسمان والكزبرة والمرى والسكر الطبرزد والدار صيني والجوارشن والنشاستج والزعفران . إذ أن هذه المواد

(١) البغلاء ص ٦٩ .

(٢) كتاب البغال ص ٣٦٥ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٨١ .

(٤) البغلاء ص ١٢٣ .

(٥) البغلاء ص ٧٧ .

تعطي نكهة محببة للأكل . **وَالزَّعْفَرَانُ** يتصدر هذه المواد من حيث أهميته في الاستعمال فهو يستعمل في الأطعمة وفي العلاج وفي الصبغة وفي التطيب ، وقد ذكر الجاحظ الزعفران في الحيوان كعلاج قال : «فما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندبا»^(١) . وقال عن ولوع النساء به واستعماله في الصبغة والتعطير وغيرها من أمور التجميل قال : «وأهلك النساء الأحمران : الذهب والزعفران»^(٢) . وقال «ومن الصفر يريد بن أبي مسلم قالوا : وكان كأنه الزعفران»^(٣) والسكر **الطَّبْرُزْدُ** ، وقد ذكره فقال : فما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر الطبرزد والدارصيني وهو من التوابل رخيص الثمن»^(٤) ويستعمل كثيراً في الأطعمة يقول الجاحظ : «فدخلت عليه يوماً : وإذا قدامه قطع **دارصيني** لا تسوي قيراطاً ، فلما نال حاجته منها مددت يدي لأخذ منها قطعة ، فلما نظر إلى قبضت يدي ، فقال : لا تنقبض وانبسط واسترسل وليحسن ظنك ، فإن حالك عندي على ما تحب ، فخذ كله فهو لك بزوبره وبخذافيره»^(٥) **وَالجَّوَارِشَنُ** وهو مجموعة من التوابل يستعمل كدواء أحياناً ، قال الجاحظ : «قال : إنك لست تدري أنهم أكلوا أكل جوارشن كان عندي»^(٦) والجوارشن ذكرها محقق البخلاء بالنون وتذكر بغير النون كوارش ، كما جاءت عند أدى شير ومعناه الهضام ، و «الهضام» ، هو الذي ذكره أدى شير يوافق ما ذكره التهانوي في كشف اصطلاحات الفنون»^(٧) ثم **الابزار** قال :

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٢) البخلاء ص ١٠٩ .

(٣) البرصان ص ١٠٠ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٥) البخلاء ص ١٢٢ .

(٦) البخلاء ص ٣٥ .

(٧) البخلاء ص ٢٩٩ .

« لا يبالي أن يدع ملحمهم بلا أبحار»^(١) والمرى يذكر الجاحظ بقوله «وأنا لست أطعم الجزر المسلوق بالخل والزيت والمرى دون الكمأة بالزبد والفلفل»^(٢) **والفلفل** ذكره في نفس النص وهو من المواد المستعملة كثيراً في إعداد الأطعمة. **والكزبرة** ذكرها بقوله : «لأن الكزبرة من بين جميع الحب تنبت وإن كانت أنصافاً ، وهذا علم غامض إذا عرفه الشيخ الفلاح المجرب»^(٣) والسماحي قال الجاحظ : «وأكل الطعام الذي فيه سماني يورث الدوار»^(٤) **والنشاستج** وهذا يستعمل في الحلوى خاصة ، وقد ذكره الجاحظ أيضاً في مجال سياق كلامه عن فضل الكتب ومآثر المتقدمين ، فقال «ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج وتعليق الخيش»^(٥) وذكره في البخلاء لاستعمال آخر قال : فأمرني قوم بالفانيد السكرى ، وأشار على آخرون بالخزيرة تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز وأشباه ذلك»^(٦) .

٦ - الفاكهة :

أما فاكهتهم فكانت التمر بأنواعه يرص على الموائد ، فكأنه حلية المائدة ثم **الكمثرى والموز والشمام والتفاح** وأصناف أخرى من الفاكهة ، وكانت هذه الفاكهة تدفن في الثلج من أجل تبريدها ، وطريقة تقديمها على المائدة لها أصول يتبعونها مثل وضعها على أطباق مزدانة بالمناديل النظيفة ، يقوم على تقديمها الخدم والمعدون للموائد . ويصف لنا الجاحظ من يقوم بتقديمها وطريقة ترتيبها بقوله «ولو أن رجلاً جلس على بيدر تمر فائق ، وعلى كرسي كمثرى

(١) البخلاء ص ٧٧ .

(٢) البخلاء ص ٩٨ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٣٧ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٣٠٢ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٨٢ .

(٦) البخلاء ص ٣١ .

منعوت ، وعلى مائة قنو موز موصوف ، لم يكن أكله إلا على قدر استطرافه ولم يكن أكله على قدر أكله إذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه منديل نظيف»^(١) ويذكر لنا الجاحظ طريقة تبريد الفاكهة والعناية بها بقوله «**والثلج** يؤكل ويشرب ويقضم قضمًا ويمزج بالأشربة ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه»^(٢) . أما أنواع التمر التي عددها الجاحظ فهي كثيرة ومتعددة الألوان والأشكال منها الجيسران والهلبائا والهنسته والبرني والنايجي والسهريز وغيرها ، وقد ذكر الجاحظ قائلاً «فلم يلبث أن جاءنا بطبق عليه رطب سكر **وجيسران** أسود فوضعه بين أيدينا»^(٣) ويذكر **النايجي** بقوله : «أجمع أهل البحرين أن لهم تمراً يسمى النابجي ، وأن من فضه وجعله نبيذاً ثم شربه وعليه ثوب أبيض صبغه عرقه حتى كأنه ثوب أحمى»^(٤) وقال عن **السهريز** «فلو جئتنا بشئ من السهريز والبرني لأكلنا»^(٥) وعن الهلبائا قال : «إذا طعمتهم اليوم **البرني** أطعمتهم غدا السكر وبعد غد الهلبائا»^(٦) **والشمام** ذكره الجاحظ بقوله : «وإنما هن بمنزلة الشامم والتفاح الذي يتهداه الناس بينهم»^(٧) .

٧ - الأطعمة والمناسبات :

وبعد أن ذكر الأطعمة بأنواعها المختلفة وطريقة إعدادها ووضعها على الموائد أو الخوان يجب أن نذكر أنواع المناسبات وأسماء الأطعمة التي تقدم في كل مناسبة وتختص بها دون غيرها من المناسبات التي اعتادها المجتمع العباسي

(١) البخلاء ص ٩٨ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٦٨ .

(٣) البخلاء ص ١٩٧ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٥) البخلاء ص ١٩٧ .

(٦) البخلاء ص ١٣٤ .

(٧) كتاب القيان ص ١٤٨ .

في عصر الحضارة العباسية المزدهرة ، حتى إننا نرى بعض الفئات في المجتمع العباسي لها طعامها الخاص بها ، وهناك أطعمة تعد من الأنواع المذمومة وأخرى من الأنواع الممدوحة ، وهذه بالنسبة لمعيار العرف العربي والذوق الفارسي . ومن الأنواع الممدوحة التي يتفاخر بها العربي خاصة : **الحيس والخبز** :

كان من عاداتهم أن يقدموا اللحم على اللبن وعلى التمر ، وتزعم مخزوم أن أول من حاس الحيس سويد بن هرس^(١) والخبز يفخرون به بقولهم : منا أكل الخبز ومنا مجير الطير يعني ثوب ابن بني شحمة الذي يقال له أكل الخبز ، وهو سيد بني العنبر في زمانه «وليس عندهم فوق عقر الإبل وإطعام السنام شئ»^(٢) وكل هذه المعايير تغيرت بتغير مفاهيم الناس وبالتطور الحضاري الذي حصل في ذلك العصر العباسي ، فأصبحت عندهم أصناف أخرى من الطعام تعد في المركز الأول من موائدهم ، وإن كان الخبز والحيس لم يفقدا مكانتهما ، ولكن هناك أنواعاً أخرى توضع بجانبهما على الموائد ، وقد ذكر لنا الجاحظ الطعام الممدوح آنذاك قائلاً : «ومن أشرف ما عرفوه من الطعام ، ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان وهو الفالوذق»^(٣) وهذا صنف ذكرته في صفحات سابقة وهو من أجود أطعمتهم .

يحدثنا الجاحظ عن الأطعمة المذمومة عندهم ، ويذكر أنها على ضربين أحدهما طعام **المجاوع والحطمت والضرائك والسياريت** واللثام والجبناء والفقراء والضعفاء ومثل هذه الضروب تقوم على أكل أصناف بعينها من الأطعمة عددها الجاحظ بقوله : «والطعام المذموم عندهم ضربان ، أحدهما

(١) البغلاء ص ٢٣٠ .

(٢) البغلاء ص ٢٣ .

(٣) البغلاء ص ٢٢٩ .

طعام المجاوع والخطمات والضرائك والسباريت واللثام والجبناء والفقراء والضعفاء . من ذلك الغث والدعاع **والهبيد والقُرَامَة** والقررة والعسوم ومنقع البرم والعضد والقد والحيات^(١) هكذا عدد الأطعمة الجاحظ في البخلاء . وذكر بعضاً منها في مجال الحديث عن الحيوان مثل الهبيد قال «والشعوية تهجو العرب بأكل العلز والغث والدعاع والهبيد والمغافير وأشباه ذلك»^(٢) وقد فصل الجاحظ نوعية بعض هذه الأطعمة المذمومة ومما تتكون قائلاً : «والقرامة نحاة القرون - والأظلاف والمناسم وبرادتها . والعلهز القردان ترخي وتعجن بالدم والقررة الدقيق المختلط بالشعر . كان الرجل منهم لا يحلق رأسه إلا على رأسه قبضة من دقيق ، ليكون صدفة على الضرائك ، وطهوراً : له بمن أخذ ذلك الدقيق للأكل فهو معيب»^(٣) .

والضرب الثاني من الطعام المذموم عندهم مثل **الخزيرة** التي تعاب بها مجاشع بن دارم السخينة التي تعاب بها قريش ، وقد ذكرهما الجاحظ في البخلاء بقوله : «وذكرنا أحد صنفَي الطعام المذموم والصنف الآخر كالخزيرة التي تعاب بها مجاشع بن دارم ، وكنحو السخينة التي تعاب بها قريش وكانت من طعام قريش»^(٤) وكانت تهجي الأنصار ، وعبد القيس وعذرة وكل من كان بقرب النخل ، بأكل التمر ، وتهجي أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم البشر ، هذا ما ذكر الجاحظ من الطعام المذموم عندهم ، ولكنه علل بعض هذه التهم التي ألصقت بقريش أو بغيرهم بقوله «فتهجو قريشاً بالسخينة ، وعبد القيس بالتمر . وذلك عام في الحين جميعاً : ، وهما من صالح الأغذية والأقوات . كما تهجو بأكل الكلاب والناس وإن كان ذلك إنما كان من رجل واحد ،

(١) البخلاء ص ٢١٦ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٤٤٣ .

(٣) البخلاء ص ٢١٧ .

(٤) البخلاء ص ٢٣٣ .

ولعلك إذا أردت التحصيل تجده معذوراً»^(١) .

وكان لبعض فئات المجتمع طعامهم الخاص بهم مثل الشعوبية والأرادمردية أكلوا الطيب وعرفوه من مثل الحواري وأفالوذق ، وكانوا يهجون العرب بأكل العلhez والغث والدعاع والهيبد والمغاير وأشباه ذلك ، وقد ورد ما يثبت هذا الكلام في النص الآتي قال الجاحظ : «والشعوبية تهجو العرب بأكل العلhez والغث والدعاع والهيبد والمغاير وأشباه ذلك»^(٢) .

وهجوا العرب بأنهم خضر النواجذ ، ويفسر الجاحظ هذا القول بأنهم ممن يأكل الكراث والبصل ، قال : «فإذا قيل أخضر النواجذ ، فإنما يريدون أنه من أهل القرى ممن يأكل الكراث والبصل»^(٣) . ويحدثنا الجاحظ عن ضروب من الأطعمة اعتادها الناس في ذلك العصر الحضاري ، ولهذه الأطعمة مناسبات منها العرس ، والسبوع والختان وطعام البناء الذي يدعو به بالوكيرة والعقيقة وغيرها من المناسبات التي لها أطعمة ذات أسماء خاصة بتلك المناسبة ، مثل طعام الخرس الذي يتخذ صبيحة الولادة والأعذار التي تتخذ عند الختان والوكيرة طعام البناء والعقيقة دعوة للحم الكباش الذي يعق للصبي وغير هذه الأنواع من طعام الأملاك **والاعراس والسبوع** والختان . وقد ذكر الجاحظ كل هذه الأنواع بقوله : الطعام ضروب والدعوة اسم جامع ، وكذلك الزلة . ثم منه العرس والخرس والإعذار والوكيرة والنقيعة . **والمأدبة** اسم لكل طعام دعيت إليه الجماعات «ثم يفصل الجاحظ نوعية هذه الأطعمة بالنسبة للمناسبات فقول : «والعرس معروف إلا أن المفضل الضبي زعم أن هذا الاسم مأخوذ من

(١) البغلاء ص ٢٣٤ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٤٤٢ شرح كل هذه الأصناف في حاشية الحيوان نفس الصفحة .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٤) البغلاء ص ٢١٣ .

قولهم «لا عطر بعد عروسي وكان الأصمعي يجعل العروس رجلاً بعينه ، كان بني علي أهله فلم يتعطر له ، فسمى بعد ذلك كل بان علي أهله بذلك الاسم»^(١) وذكر **الخرس** بقوله «وأما الخرس فالطعام الذي يتخذ صبيحة الولادة للرجال والنساء وزعموا أن أصل ذلك مأخوذ من الخرسة ، والخرسة طعام النفساء»^(٢) ، وعن طعام **الختان** قال «والأعذار طعام الختان يقال : صبي مغدور وصبي معذر جميعاً»^(٣) أما طعام البناء فقد ذكره باسم **الوكيرة** قال «ومن طعامهم الوكيرة وهو طعام البناء . كان الرجل يطعم من يبنى له ، وإذا فرغ من بنائه يترك بإطعام أصحابه ودُعائهم»^(٤) والطعام الذي يعق للصبي هو العقيقة ، ذكرها الجاحظ بقوله «والعقيقة دعوة على لحم الكبش الذي يعق عن الصبي . والعقيقة اسم للشعر نفسه والأشعار ، هي العقائق . وقولهم : عقوا عنه أي احلقوا عقيقته» فسمى الكبش لقرب الجوار وسبب الالتبس عقيقة ، ثم سموا ذلك الطعام باسم الكبش»^(٥) **والنون** وهو طعام السبوع ، وقد ذكرها الجاحظ في رسالته التربيع والتدوير بقوله : «وكيف صارت كبد الحوت أول طعام أهل الجنة ولم تسمى نوناً؟»^(٦) .

وأسلوب الدعاء عند تناول هذه الأطعمة ذكره الجاحظ بقوله « فأما الدعاء إلى هذه الأصناف فمنه المذموم ، ومنه الممدوح ، فالمذموم النقري ، والممدوح الجفلي»^(٧) وقد ذكر **النقري** بقوله «وإذا انتقر فقال : قم أنت فلان ، وقم أنت

(١) البخلاء ص ٢١٣ .

(٢) البخلاء ص ٢١٣ .

(٣) البخلاء ص ٢١٣ .

(٤) البخلاء ص ٢١٥ .

(٥) البخلاء ص ٢١٥ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٢٨ .

(٧) البخلاء ص ٢١٥ .

يا فلان فدعا بعضاً وترك بعضاً فقد انتقر»^(١) وذكر **الجَفَلَى** بقوله : «وذلك أن صاحب المأدبة وولي الدعوة إذا جاء رسوله ، والقوم في أحويتهم وأنديتهم فقال : أجيئوا إلى طعام فلان ، فجعلهم **جفلة** واحدة ، وهى الجفالة فذلك هو الممدوح»^(٢) .

صفات الأكلين غير الممدوحة :

لقد أطلقوا على سبئ المؤاكلة صفات عديدة ذكرها الجاحظ في تفسيره لكلام أبي الفاتك ، وقد وقف عند كلمات أبي الفاتك ليفسرها لفظاً لفظاً وهو يصف الطوائف السفلى الذين يتحلون بهذه الصفات السيئة ، فأول صفة سيئة تصادفنا في كلام أبي الفاتك **الجردييل** ، وقد فسرها الجاحظ بقوله «أنا والله أحتمل الضيف والضيفين ولا أحتمل اللغموط ولا الجردييل»^(٣) والجردييل من الألفاظ الفارسية المعربة بمعنى الذي يضع يده على الطعام لئلا يتناوله غيره ، أو الذي يأكل يمينه ويمنع شماله . وكلمة **مُرْسَال** فسرها الجاحظ بقوله : «والمرسال رجلان : أحدهما إذا وضع في فمه لقمة هريسة أو ثريدة أو حيسة أو أرزة أرسلها في جوف حلقه إرسالاً . والوجه الآخر : هو الذي إذا مشى في أشب من سيل أو شجر ، قبض على رأس السعفة أو على رأس الغصن لينحياها عن وجهه ، فإذا قضى وطره أرسلها من يده»^(٤) ، وصفة أخرى **الدفاع** يشرحها الجاحظ بقوله : «والدفاع الذي إذا وقع في القصعة عظم ، فصار مما يليه ، نحاه بلقمة من الخبز حتى يصير مكانه قطعة من لحم . وهو في ذلك

(١) البخلاء ص ٢١٥ .

(٢) البخلاء ص ٢١٥ .

(٣) البخلاء ص ٦٨ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

كانه يطلب لقمته تشريب المرق دون إراغة اللحم»^(١). ولفظ آخر **النفاض** يقول الجاحظ عنه : «وأما النفاض : فالذي فرغ من غسل يده في الطست نفص يديه من الماء فنضح على أصحابه»^(٢). **والنَّهَّاش** يذكره الجاحظ بقوله : «والنَّهَّاش هو معروف ، وهو الذي ينهش اللحم كما ينهش السبع»^(٣) وصفة أخرى للأكلين السيئى المؤكلة يذكرها الجاحظ قائلاً : «**والنَّشَّاف** : الذي أخذ حرف الجرذقة فيفتحه ، ثم يغمسه في رأس القدر ، ويشربه الدسم ، ويستأثر بذلك دون أصحابه»^(٤) ، وأيضاً **المداد** يقول عنه الجاحظ : «والمداد : الذي ربما عض على العصبه التي لم تنضج وهو يمدّها بفيه ، ويده توترها له . فربما قطعها ببترة فيكون لها انتضاح على ثوب المؤاكل . وهو الذي إذا أكل مع أصحابه الرطب أو التمر أو الهريسة أو الأرزة فأتى على ما بين يديه ، مد ما بين أيديهم إليه»^(٥) وصفة أخرى ذميمة لسيئى المؤكلة وهى **المصّاص** ، قال عنه الجاحظ : «والمصّاص الذي يمتص جوف قصبه العظم بعد أن استخرج مخه ، واستأثر به دون أصحابه»^(٦) . وصفة أخرى غير ممدوحة وهى **اللَّكَّام** وقد وصفه الجاحظ بقوله : «وأما اللَّكَّام : فالذي في فيه اللقمة ، ثم يلمكها بأخرى قبل إجادة مضغها أو ابتلاعها»^(٧) .

ويستحسن الجاحظ من النديم ألا يمشش العظام ، ولا يبادر إلى البيض الموضوع على البقل ولا يأخذ لنفسه أكباد الدجاج وصدورها أو المخ أو الكلي

(١) البخلاء ص ٧٧ .

(٢) البخلاء ص ٧٦ .

(٣) البخلاء ص ٧٧ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

(٥) البخلاء ص ٧٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٦ .

(٧) البخلاء ص ٧٦ .

أو العيون وهى لا تزال حتى اليوم أحب ما في الشاه إلى أهل البلقان أو صغار
 الفرائخ»^(١) **واللطاغ** وصفه الجاحظ قائلاً «فإن اللطاغ معروف وهو الذي يقطع
 أصبعه ، ثم يعيدها في مرق القوم أو لبنهم أو سويقهم وما أشبه ذلك»^(٢)
والملمغم وهذا يصفه بقوله : «الملمغم : الذي يأخذ حروف الرغيف أو يغمز
 ظهر الثمرة بإبهامه ليحملا له من الزبد والسمن ، ومن اللبأ واللبن ومن البيض
 الينمبرشت ، أكثر»^(٣) **والمقور** يقول عنه الجاحظ «المقور الذي يقور الجراذق
 ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف»^(٤) **والقطاع** ذكره الجاحظ بقوله :
 «والقطاع : الذي يعض على اللقمة ، فيقطع نصفها ، ثم يغمس النصف
 الآخر في الصباغ»^(٥) . **والمسوغ** يقول عنه «المسوغ : الذي يعظم اللقم فلا يزال
 قد غص ، ولا يزال يسيغه بالماء»^(٦) وشخص آخر سئى المؤكلة وهو **المحول** ،
 وقال عنه الجاحظ : «والمحول : هو الذي إذا رأى كثرة النوى بين يديه احتال
 له حتى يخلطه بنوى صاحبه»^(٧) . **والمحلقم** قال عنه الجاحظ : «والمحلقم :
 الذي يتلكم واللقمة قد بلغت حلقومه . تقول لهذا : قبيح دع الكلام إلى
 وقت إمكانه»^(٨) فهو يصف المحلقم وينهاه في نفس الوقت عن هذه الصفة
 الرديئة عند الأكل وصفة أخرى يذمها الجاحظ عند الإنسان ، وهو **المغربل**
 ويقول عنه : والمغربل يأخذ وعاء الملح ، فيديره إدارة الغربال ليجمع أبا زيره

(١) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٢٤٠ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) البخلاء ص ٧٧ .

(٤) البخلاء ص ٧٧ .

(٥) البخلاء ص ٧٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٧ .

(٧) البخلاء ص ٧٧ .

(٨) البخلاء ص ٧٧ .

يستأثره به دون أصحابه لا يبالي أن يدع ملحمهم بلا أبنار»^(١) ثم **النشال** وهو الذي يصفه الجاحظ بقوله «فالنشال عنده : الذي يتناول من القدر ويأكل قبل النضج وقبل أن تنزل القدر ويتنام القوم»^(٢) وكذلك يذم **الدلائك** وهو الذي يصفه : «بأنه لا يجيد تنقية يديه بالأشنان ويجيد دلكها بالمنديل»^(٣) وأكيل السوء عند الجاحظ إنسان لا يمكن أن يتحملة مهما كانت الظروف ومهما أجبرته الحاجة فهو يفضل الوحدة على أكيل السوء وبهذا يقول «ومن يشك أن الوحدة خير من جليس السوء ، وأن جليس السوء خير من أكيل السوء ؟ لأن كل أكيل جليس وليس كل جليس أكيل»^(٤) .

لقد وقف الجاحظ طويلاً عندما وصف الشخصيات التي تناولها أبو الفاتك في حديثه عن الأشخاص الذين أطلق عليهم صفة سيئ الموائمة ، وهناك بعض الكلمات جاءت عابرة في وصفه للشخصيات وهي تناول الأطعمة ، ومن هذه الكلمات التي تتكرر تقريباً مع كل أكلة وهي الصباغ والغموس والأصبار - والعراق والأدام - والكامخ وغيرها من الكلمات التي تكون جزءاً - لا يتجزأ من الأطعمة ونحتاج لاستعمالها مع اللحم والسمك والطيور ، أي اللحوم بأصنافها وغير اللحوم ما عدا الحلوى ، وقد فصل الجاحظ هذه الكلمات بوصفه للأكل أو للأكل ، فقد قال في **الصباغ** : فأهويت بلقمتي إلى الصباغ ، فأهوى إليه بعضهم فنحيت يدي فنحي يده ، ثم عدت فعلاً ثم نحيت فنحي»^(٥) وقال أيضاً عن الصباغ والقطاع الذي يعض على اللقمة فيقطع نصفها ثم يغمس

(١) البغلاء ص ٧٦ .

(٢) البغلاء ص ٧٦ .

(٣) البغلاء ص ٧٦ .

(٤) البغلاء ص ٦٨ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٤٧٠ .

النصف الآخر في الصباغ»^(١) وقال عن الغُمُوس الذي يحوى كل شئ ممكن أن يغمسه الإنسان بالخبز أو يأكله معه : «حلف بالغموس أنه ليس من دراهمه ولا من ماله ولا رآه قط ولا كان في ملكه»^(٢) وعن العراق قال «فأتوه يوماً بقصعة ضخمة فيها ثريدة كهيئة الصومعة فكلله بإكليل من عراق بأكثر ما يكون العراق»^(٣) وقال عن الإدام أو الإدام : «وكان يقول : الأدام أعداء للخبز ، وأعداها له المالح»^(٤) وقال أيضاً عن الإدام فيقول : «أبا فلان ما إدامك ؟ قال اللحم السمين والجداء الرضيع»^(٥) وعن الأَصْبَار قال «وقال لي مرة : يا أخي إن أناساً من الناس يغمسون اللقمة إلى أصبارها في المرى ، فأقول هؤلاء قوم يحبون الملوحة ولا يعجبون بالحامض»^(٦) وقال عن الكامخ وهو التوابل وما شابه من مرق مخلوط بها «وسكرجة كامخ شبت . قال فجعل يأكل»^(٧) . وهذا الكامخ هو ضرب من مشهيات الطعام فهو يحوي جميع أنواع التوابل وبعض الأباذير ، وهذه الكلمة الأخيرة وهى الأَبَاذِير ومفرداها أبزار تستعمل كثيراً جداً في إعداد الطبخات وفي الطبخ العباسي عامل أساسي في الأكل ولا يمكن الاستغناء عنها»^(٨) .

أما الأواني التي تستعمل لحفظ الطعام أو نقله أو لإعداده فقد ذكرها الجاحظ في كتاباته مثل :

-
- (١) البخلاء ص ٧٧ .
 - (٢) البخلاء ص ٨٥ .
 - (٣) البخلاء ص ١٩٩ .
 - (٤) البخلاء ص ٩٧ .
 - (٥) البخلاء ص ٢٠٣ .
 - (٦) البخلاء ص ٥٥ .
 - (٧) الحيوان ج ٣ ص ١٩ .
 - (٨) الحيوان ج ٣ ص ١٩ .

الآنية التي يحفظ فيها الطعام مثل البرادات التي قال فيها الجاحظ :
«وتعليق الطعام على الأوتاد والبرادات»^(١) والبرم ومفردتها البرمة ، وهذه
تستعمل لأنواع الطعام والشراب ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «كنا في الشتاء
نلقي له في البرمة شيئاً من دقيق نعمله له فكان ربما يزقه بشئ من سمن»^(٢)
وقال في مجال كلامه عن الطعام المذموم : عن منقع البرم «والطعام المذموم
عندهم ضربان من ذلك الغث والدعاع والهبيد والقرامة والقرة والعسوم ومنقع
البرم والقصيد والقذ والحيات»^(٣) والبرنية وهي من الفخار أو الزجاج تستعمل
لحفظ الشراب واللبن وأشياء أخرى منها يقول الجاحظ : «فإذا عنده برنية
زجاج ، فيها عشرون عقرباً وعشرون فارة»^(٤) والدبة وهي أيضاً تستعمل لحفظ
اللبن أو السمن ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «فأخذ دبة وجعل فيها حصي
واتكأ عليها فإذا رأى الأعرابي قد أقبل ، أراه كأنه يحول متكأه فإذا أقعصت
الدبة بالحصي نفر الفرس»^(٥) ومن الأدوات المساعدة للإنضاج أو لتحضير المواد
الأولية للطبخ (الأرحاء والهاون والطابق والملة) ، وقد جاء ذكر هذه الأدوات
عند الجاحظ في بخلائه قال «والله إن الأرحاء السورية ، لتكل ، وإن المنحاز
الغليظ ليتعبه الدق . ولقد استبطأت لك هذه العلة»^(٦) ويقول عن الهاون :
«ويدع دق الثوب والدق في الهاون والمنحاز في أرض الدار»^(٧) والطابق يذكره
بقوله : «فإن أصبنا من السمك شيئاً جعله كباباً على نار الخبز تحت الطابق حتى

(١) مناقب الترك ص ٨٥ .

(٢) البخلاء ص ٥١ .

(٣) البخلاء ص ٢١٦ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٢٤٨ .

(٥) البخلاء ص ١٥٣ .

(٦) البخلاء ص ١١٦ .

(٧) البخلاء ص ٨٤ .

لا يحتاج من الخطب إلى كثير»^(١) ، ثم **المَلَّة** وهذه الكلمة لها تفاسير كثيرة فهي إما الإناء الذي يوضع فيه الخبز كما ذكرها الأصمعي «لا يقولن أحدكم : أكلت ملة بل يقول أكلت خبزة وإنما الملة موضع الخبزة»^(٢) ، ويفسر هذه الكلمة العلماء عدة تفاسير فيقول الأزهرى في تهذيب اللغة إنها الرماد الذي يوضع عليه الخبز لإنضاجه (أي رماد الجمر) ، وذكرها الجاحظ في الحيوان بمعنى آخر يقول «والكوا الجراد وكان يطيب عندهم حاراً وبارداً ومشوياً ومطبوخاً ومنظوماً في خيط ومحمولاً في الملة»^(٣) .

ومن الأوعية والأواني التي تستعمل لنقل أو حفظ الأطعمة مثل الجلة وجمعها جلال والزقاق والزق والمخرف والقفة والمعصرة وجمعها معاصر ، وكل هذه الأصناف تستعمل لغرض واحد على الأكثر وهو حفظ ونقل أو وزن التمر أي أنها تختص بالتمر بصفة مستمرة ، وقد كانت ولا تزال هذه الأوعية تستعمل لنقل التمر وخاصة **الجلال** ومفردتها **جَلَّة** وهي أوعية تتخذ من الخوص ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «دخلت عليه يوماً : وإذا عنده جلة تمر» وقال : «أما التمر فكانوا يضعونه في الجلال وهي أوعية تتخذ من الخوص»^(٤) وذكر **الزَّقَاق** قائلاً «فأنته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس»^(٥) والزقاق من الممكن أن يستعمل للتمر ومشتقاته والمخرف ذكره «وقد كنا نعجب من حرب البسوس في جزع ناب ومن حرب بعث في مخرف تمر»^(٦) أما **القفة** فقد ذكرها في هذا المجال قائلاً «ثم قتل منه حبلاً ثم عمل منه كهيئة قفة ثم جعله مدلي بذلك الحبل»^(٧) .

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) البخلاء ص ٢١٥ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٥٦ .

(٤) البخلاء ص ١١٣ ص ١٢٠ .

(٥) البخلاء ص ٦٢ .

(٦) في الجدل والهزل ص ٢٤١ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٦ .

والمعاصر ومفردتها **معصرة** ذكرها قائلاً «وإنما تلك المعاصر بين ثمرة ورطبة ودبس وثجير ثم لا نكاد نرى في تلك الظلال والمعاصر في انتصاف النهار وفي وقت الذبان الكن ، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان»^(١) ويقول أيضاً عن المعصرة «وهو ذلك التمر وتلك المعصرة»^(٢) .

ومن الأوعية التي تستخدم لشراء حوائج الطبخ ، وقد وردت في كتابات الجاحظ . قال الجاحظ يصف أحد الحيوانات وهو يقوم بشراء ما يحتاجه صاحبه من مواد غذائية : وتعلق في رقبتة **الزنبلة والدوخلة** وتوضع فيها رقعة ، ثم يمضي إلى البقال ويجئ بالحوائج»^(٣) فالدوخلة والزنبلة هي من الأوعية التي تستعمل آنذاك لنقل الحوائج من أماكنها إلى البيوت ، وهناك مواد خاصة تستعمل في غسل وتنظيف اليدين مما علق بها من أوساخ من مخلفات الأطعمة وهي **الصابون والأشنان** وإن كان مجال هذه المواد الحياة العلمية لكنه لا يمنع أن أذكرها في مجال الأطعمة إذ كيف التخلص من الأوساخ والدهون والعرق العالق بالأيدي ، وقد ذكر الجاحظ هذه المواد بقوله «فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرمننا ثمن الأشنان والصابون»^(٤) ومن هذا نرى أنهم كانوا قد عرفوا في دورهم كيف يستخدمون الأشنان والصابون .

الاشربة :

كان للأشربة مكانة خاصة في مجالس اللهو والمجون في عصر الحاضرة العباسية وأصبح الولوع بشرب الخمر والإدمان عليه ظاهرة عامة على الرغم من نهى القرآن عنها وحثه على اجتنابها ، وقد أدى انتشار الخمر وإقبال الناس

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٥ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٧٩ .

(٤) البخل ص ٦٣ .

عليها إلى اجتهاد بعض الفقهاء لتحليل أنواع معينة من الأنبذة كنبذ التمر ، والزبيب المطبوخ طبخاً جيداً ونبذ العسل ، ويتساءل الجاحظ فيقول : في رسالته الشهيرة عن الشارب - والمشروب وسألت عمن شرب الأنبذة أو كرهها من الأوائل ، وما جرى بينهم فيها من الأجوبة والمسائل ، وما كانوا عليه فيها من الآراء وتثبتوا فيها من الأهواء ، ولدى سبب تضادت فيها الآثار واختلفت فيها الأخبار^(١) ، ويحدثنا الجاحظ في رسالته هذه عن تحليل النبيذ دون الخمر ، ويقول في الرد على من ينكر تحليل الأنبذة : وما ينكر ما خالفنا في تحليل الأنبذة من إقراره بأن الأشربة المسكرة لم تزل معروفة بأسمائها وأجناسها وبلدانها وأن الله تعالى قصد للخمر من بين جميعها فحرمها وترك سائر الأشربة طلقاً^(٢) .

١ - أنواع الانبذة والخمر :

ذكر الجاحظ طائفة من أسماء **الانبذة** كان يتعاطاها الناس في عصره ، وقد ضمنتها رسالته الشارب والمشروب فقال : وما يكره من نبذ الأوعية ، وسألت عن نبذ العسل والمقرطبات ، وعن رزين سوق الأهواز ، وعن نبذ أبي يوسف^(٣) والجمهور والمعلق والمسحوم ، والحلو وترشي شيرين ، ونبذ المشمش والتين ، ونبذ عسل مصر ، **والدوشاب** البستاني ، ويتخذ من الرطب الجنني بالحلب الرتيلي وأنبذة التمر ونبذ الجوز ونبذ الجزر ونبذ الزبيب الحمضي والعسل الماذي^(٤) .

(١) رسالة الشارب والمشروب هامش المرد ح ١ ص ٩٨

(٢) رسالة الشارب والمشروب ص ٢٨٢ ضعة السندوبي .

(٣) رسالة الشارب والمشروب ص ٢٨٢ قد يكون المقصود النبيذ الذي أباحه أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة والمعروف أن أبا حنيفة أحل شرب النبيذ .

(٤) الشارب والمشروب ص ٢٨١ طبعة السندوبي .

ومن أنواع الخمر التي عددها الجاحظ في رسالته الشارب والمشروب مثل الغربي والمروق والفضيخ ، ألد المشروبات في زمانها ، وأنفع المأخذوات في أباؤها^(١) . يصفه الجاحظ وهو نوع من أنواع الخمر المنتشرة في عصره يقول : هذا الدوشاب دسيس من الحرفة وكيد من الشيطان وخدعة من الحسود ، وهو الحلاوة التي تعقب المرارة^(٢) وأجود الخمر في ذلك العصر ما كان لونها ذهبياً وأن تكون في حمرتها أحسن من حمرة اللون ومن لون دم الغزال ، وفي مثل هذا المعنى يقول : قال : لو وجدت خمرأ زيتية ذهبية أصفى من عين الديك ، وعين الغراب ، ولعاب الجندب وماء المفاصل ، وأحسن حمرة من النار ، ومن نجيع غزال ، ومن قوة الصباغ^(٣) ووصف الجاحظ أنواع الخمر وصفاً دقيقاً ، فقد ذكر شراب **الغربي** بقوله : «أنا أول من شرب الغربي حاراً والبزير بارداً»^(٤) فالغربي والبزير الخمر المفضلة عندهم ثم **الدادي** وهو نوع من الخل يخلطونه بالسكر ، وقد ذكر هذا النبيذ في البخلاء قائلاً «يشربون الدادي والسكر ، ويحبسون الحمالين بالكراء»^(٥) . وقال أيضاً عن **الدادي** : «لأن خل الدادي يخضب اللحم ويغير الطعم»^(٦) وشراب الدادي ذكر في الحيوان بقوله : ولهم صبب الزردج ، واستخراج النشاستج ، وتعليق الخيش ، واتخاذ الجمازات ، وعمل الحراقات ، واستخراج الدادي وعمل الدبابات^(٧) ، وقد فسر الفيروز ابا دي هذه الكلمة بقوله إنه شراب للفساق . وهناك أنواع أخرى من الأشربة ورد ذكرها عند الجاحظ مثل **الجلاب** و**السكنجيين** و**البنفسج**

(١) الشارب والمشروب ص ٢٨٥

(٢) البخلاء ص ٦٤ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٤) البخلاء ص ٥٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٦ .

(٦) البخلاء ص ٦٣

(٧) الحيوان ج ١ ص ٨٢ .

قائلاً : «قال : وفي الماء أن أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجين والجلاب والبنفسج وغير ذلك مما يشرب من الأشربة»^(١) وعن نوع آخر هو ماء الحب، وقد قال عنه الجاحظ : أولاً والله إن هي إلا كسيرات يابسة وملح وماء الحب»^(٢).

٢ - المواد التي تقدم مع الأشربة :

هناك مواد كثيرة كانت توضع على موائد الشراب من أجل التبريد أو الأكل كالنقل والريحان فجميع الأشربة يصلحها **الثلج** وقد جاء ذكره عند الجاحظ حين قال «والثلج يؤكل ويشرب ويقضم قضمًا ، ويمزج بالأشربة ويدفن فيه الماء وكثير من الفواكه»^(٣) وقال : يذكر الثلج «وأقاموا وظائف الثلج والريحان ، واتخذوا القيان»^(٤) وكلمة أخرى استعملها للخلط بالأشربة وهو **اليخ** ، وهذه الكلمة هي بنفس معنى الثلج إلا أنه من الأصل الفارسي بلا تغيير ، فالـ **اليخ** هو الثلج وقد ذكره الجاحظ في الحيوان بقوله «لأن اليخ بخراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس بأحكم ما يقدرون عليه وأوثق»^(٥) وقال أيضاً «الذي يكبس فيه اليخ بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادع»^(٦) ومن مظاهر الترف في عصر الحضارة العباسية أنهم كانوا ينشرون الرياحين في قاعة الشراب ، وهذه توضع مع الأشربة . ولابد لتعاطي الخمر أو النبيذ من إحضارها مع الشراب وهي **النقل والريحان** .

(١) الحيوان ج ٥ ص ١٤٦ .

(٢) البخل ص ١٢١ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٦٨ .

(٤) البخل ص ٢٠٥ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٥٢٦ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٣ .

٤ - الاشرية ومناسباتها ومن يقدمها :

لقد كان لمشاربهم مجالس تغنى بها الشعراء وتفننوا في وصفها ، ويحدثنا الجاحظ عن أحوال أصحاب هذه المجالس العابثة ، وكان ينظر إلى شاربى الخمر بعين العيب والتساهل ، حتى إذا دعى لمجلس شراب لم يسكر بل يقف من الشرب موقف المراقب ، يقول : «فإن من الناس من تراه يتحدث وهو يشرب ، فلا تذكر منه شيئاً حتى يغلب عليه نوم السكر ضربة واحدة ، ومنهم من تراه والنبيذ يأخذ منه الأول فالأول ، وتراه كيف تثقل حركته ويغلظ حسه ويتمحق ، حتى يطيش عليه السكر بالعيب ، ومنهم من يعتريه البكاء ومنهم من يعتريه الضحك ومنهم من يعتريه الملق والنقدية ، والتسليم على المجالس والتقبل لرؤوس الناس»^(١) أما البخلاء فالسكر عندهم قد يقضي ببعضهم إلى الإقدام على أعمال غريبة ، قد لا يقدم عليها في حالة الصحو كشق القميص من الطرب أو إكساء صديق قميصاً^(٢) .

ويحدثنا الجاحظ عن يقوم بالخدمة ويبيع هذه الأشرية ، فقد كانوا يستحلون أن يكون بائعها على غير الإسلام من مجوس ويهود ونصارى ، وهناك مواصفات أخرى في بائع الخمر يعددها الجاحظ في الحيوان قائلا : «وأعجب من هذا أنى لا أنتفع بشربها حتى يكون بائعها على غير الإسلام ويكون شيخاً لا يفصح العربية ، ويكون قميصه متقطعاً بالقار ، وأعجب من هذا أن الذي لا بد منه أن يكون اسمه إن كان مجوسياً شهريار ، ومازيار ، وما أشبه ذلك مثل أدير وأردان ويازان فإن كان يهودياً فاسمه مانشا ، وأشلوما وأشباه ذلك . وإن كان نصرانياً فاسمه يوشع وشمعون وأشباه ذلك»^(٣) .

(١) الحيوان ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) البخلاء ص ٣٠ - ١٠٧ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٣٣٩

ومن عاداتهم في الشرب أنهم لا يشربون على الأكل إلا بعد أن يشبعوا خدّمهم ومن يقوم على خدمتهم في تقديم الأشربة خشية الحسد والنفس للذي في عيون الخدم من الشره ، وعلى هذا فقد وصفهم الجاحظ بقوله : «ولذلك كانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم وهم يأكلون مخافة النفس والعين . وكانوا يأمرّون بإشباعهم قبل أن يأكلوا»^(١) **والنقل** يكون حسب الحالة المالية للشارب فإذا كان النقل الهش - **والسفرجل** وإما يكون الأقط والمقل وتنوم ، وهذه تستعمل عند الفئات العامة أو الفئات الدنيا أما الأغنياء فيصف لنا الجاحظ نقلهم فيقول : وأخبرني رجل من ثقيف من أصحاب النيذ أنهم ربما فلقوا السفرجلة أيام السفرجل للنقل والأكل»^(٢) ويقول أيضاً «والنقل الهش والريحان القرض عند من لا يفيض ماله ولا تنقطع مادته»^(٣) ويقول في النقل للطبقات الميسورة قال فإذا صرت إلى تحويل النيذ فحول أيضاً ما يصلح للنيذ ، قال ليس يمنعني من ذلك ومن إحضار النقل والريحان إلا لأنني أحسب لك هذه الزورة بدعوة»^(٤) . أما الفئات الفقيرة فهي تستعمل الأنواع الرخيصة في النقل مثل الأقط والمقل والتنوم ، قال الجاحظ يصف هذا : «ثم دعا بنقل فإذا بأقط ومقل وتنوم»^(٥) . وكانت الأنبذة تحفظ في أوعية خاصة بها مثل **العسّ**، وهو وعاء من خشب يستعمل لحفظ النيذ والماء وغيرها من السوائل ولكن استعماله للنيذ شلى الأكثر . وقد ذكر الجاحظ هذا العسّ قائلاً : ثم دعى بالنيذ ، فإذا هو في عس خشب ، وإذا عس نيذ تمر»^(٦) ، وذكر العس لحفظ الماء قائلاً «وما تقوله في عس الماء : كيف اشتد صوته بلا باب» .

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) البخل ص ٦٣ .

(٤) البخل ص ٢١١ .

(٥) كتاب البغال ص ٣٦٥ .

(٦) كتاب البغال ص ٣٦٥ .

٥ - الاوعية والاواني المستعملة للشربة :

مع الخمور والأنبذة كانوا يستعملون الجرار والسقاء والمزفت والحتم والدباء أما الماء وكيف كانوا يعدونه في بيوتهم آنذاك فكانت لهم طرق خاصة ، لقد عرفوا في بيوتهم كيف يرشحون ماءهم في الجرار الراشحة وكيف يبردونها صيفاً في المزمّلات ويضعونه في الحب ، وكان لديهم الخدم الذين يعنون بتصفية الماء وتبريده وتزويله وعرفوا وظائف الثلج والريحان في دورهم ، وقد وردت في كتب الجاحظ مجموعة كبيرة من هذه الآنية والأدوات والجرار الراشحة والحب والحبة والمزمّلات والمزملة والشراية ، والكوز ، والقنفل ، والكبرة ، والقربة والعفاص ثم الأزج . وذكر **الجرار** بقوله «وإذا كثر العيال والزوار والضيغان احتيج من صب الماء واتخاذ الحبة القاطرة والجرار الراشحة إلى أضعاف ما كانوا عليه»^(١) . ذكر **الحب** وجمعها حب والحبة بقوله «فلما دخل فرأى حباً مقطوع الرأس ، وجرة مكسورة العروة»^(٢) ، وقال في الحب أيضاً «وإن أنا جعلته نبيذاً احتجت إلى كراء القدور وإلى شراء الحب وإلى شراء الماء»^(٣) ، و**الحب** والحبة ذكرها الجاحظ في البخلاء أيضاً بقوله «وعرفوا كيف يرشحون ماءهم في الجرار الراشحة وكيف يبردونها صيفاً في المزمّلات ويضعونه في الحب»^(٤) وعن الحبة ذكرتها في نص سابق في اتخاذ الحبة القاطرة»^(٥) أما **المزمّلات** ومفردتها **مزمّلة** ، والعمليّة نفسها التي يطلق عليها الجاحظ تزميل فقد قال عن المزملة «بلغني أن عندك مزملة ، ويومنا يوم حار

(١) البخلاء ص ٨٣ .

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٣) البخلاء ص ٦٣ .

(٤) البخلاء ص ١١٣ .

(٥) البخلاء ص ٨٣ .

فابعث إلى بشرية منها»^(١) ويذكر المزملاات في عبارات كثيرة عندما يتكلم عن **الجَزَار** أو الحبب فيقول : يرشحون ماءهم في الجرار الراشحة وكيف يبردونها صيفاً في المزملاات»^(٢) ، والعملية نفسها يصف من يقوم بها وهم الخدم فيقول «وكان لديهم الخدم في الدور يعنون بتصفية الماء وتبريده وتزميزه»^(٣) ثم أواني وأدوات أخرى للماء وغيره من مواد الشرب مثل الشرابة ، وقد فسرهما في مفاتيح العلوم بسارقة الماء ، وذكر الجاحظ بقوله : «ويدل على ذلك اجتذاب الهواء للماء وملا بسته له ، عند مصص الإنسان بفيه فم الشرابة ولذلك سرى الماء وجرى في جوف قصب الخيزران إذا وضعت طرفه في الماء»^(٤) ثم **الكُوز** وهذه كلمة متداولة ، وقد ذكرها الجاحظ في بخلائه قائلاً : «جاءت جارية أمة ومعها كوز فارغ ، فقالت : قالت أمك : بلغني أن عندك مزمنة ، ويومنا يوم حار فابعث إلى بشرية منها في هذا الكوز»^(٥) وآنية أخرى للشرب وهي **الكَبْرة** ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله «وأنا أول من شرب الغربي حاراً والبزِيل بارداً وأول من شرب بالعراق بالكَبْرة»^(٦) ومن الأدوات التي تتبع عملية الشرب والأشربة كلمة **الآزَج** وهو بيت يبنى طويلاً ويستعمل لحفظ الثلج ، ويقال له بالفارسية أوستان ، وقد شرح الجاحظ عملية صنع الثلج وحفظه بقوله : «لأن اليخ بخراسان يكبس في الأزاج ويحال بينه وبين الريح والهواء والشمس بأحكم ما يقدرون عليه وأوثقه»^(٧) وذكر الأزج أيضاً في الحيوان بقوله «وقد نجد الأزج

(١) البخلاء ص ١١٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٣ .

(٣) البخلاء ص ٣٦ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٩٠ .

(٥) البخلاء ص ١١٣ .

(٦) البخلاء ص ٥٠ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٥٢٦ .

الذي يكبس فيه اليخ بخراسان»^(١) ثم كلمة **العَفَاص** التي يغطي بها رأس القارورة وتكون من جلد أو خرقة ، وتستعمل أيضاً لحفظ زاد الراعي ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ثم الاحتيال للناس في الاحتيال لها بالعمامة والعفاس والمزدجر وتعليق الطعام على الأوتاد والبرادات»^(٢) .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٧١ .

(٢) مناقب الترك ص ٨٥ .

خامساً: الألفاظ الخاصة بالعادات

إن العادات الاجتماعية دعامة من دعائم المجتمع ، وهناك عادات وتقاليـد متبعة بين طوائف المجتمع ويؤمن أفراد كل طائفة بتقاليـد وعادات تتحكم في سلوكهم الاجتماعي . ومن هذه النافذة نطل على المجتمع العباسي في عصر ازدهار الحضارة العباسية . وقد نثر الجاحظ في كتاباته وقائع وحوادث تصور لنا بعض هذه التقاليد العباسية الوافدة منها والأصيلة المتوارثة بين أفراد المجتمع العباسي ، ومن هذه التقاليد والعادات التي كانت مرعية آنذاك .

١ - عادات ومناسبات احتفالية :

من المناسبات السعيدة التي كانت تحتل جانباً كبيراً من الحياة في العصر العباسي عصر الحضارة والرقي تقاليد الزواج والختان ، وقد حدثنا الجاحظ عن السنن المتبعة عندهم في زواجهم وختانهم لأولادهم وحفلات الولادة . ويذكر الجاحظ أن سنة الختان في العرب في النساء والرجال وأنهم كانوا يرون في ختان النساء صوناً لعفافهن^(١) . ومن مناسباتهم السعيدة التي يقام فيها الاحتفالات عيد النوروز ، وكان يقدم في هذا العيد ألوان معينة من الطعام والشراب ، وذكر لنا الجاحظ بعض ما يقدم في **النيرُوز** ، قال «وأهدت إليه في النيروز تكة وسكراً»^(٢) وقد سميت على اسم هذا العيد بعض أنواع الفاكهة ، مثل قول الجاحظ «رأيت رجلين بالبصرة على باب موسى بن عمران تنازعا في العنب **النيروزي** والرازقي»^(٣) وهناك احتفال آخر هو **المهرجان** ، وأيضاً هذا له عادات متبعة للاحتفال والتهادي في هذا اليوم مثل قول الجاحظ «وأهدت

(١) الحيوان ج ٧ ص ٢٧ .

(٢) كتاب القيان ص ١٧٣

(٣) الحيوان ح ٧ ص ٨ .

إليه في الثيروز تكة وسكراً ، وفي المهرجان خاتماً وتفاحة»^(١) .

ومن تقاليدهم في المآتم أن النساء يمسكن بالمآلى أثناء **المناحات** ، وفيها قال الجاحظ : «وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلى وهن قيام في المناحات» ، وهذه من التقاليد الجديدة على المجتمع الإسلامي . إذ أن المآلى خرقه تمسكها المرأة عند النوح ، وهذه لم تكن معروفة قديماً واستحدثت مع ما استحدثت من عادات دخيلة .

وهناك مناسبات أخرى تلتزم بها الجماعة اتجاه الفرد من مثل دفع الدية ، وهى التي يدعونها بالجمالة ، وهذه المناسبة تدعى سل السخيمة ، وذكروا أيضاً الإتاوة والأربان والخرج ، وهى كلها بمعنى واحد كما سيوضحها الجاحظ بنصوصه ، ومن يتحمل هذه الدية هم العاقلة ، وهناك مقابل العمل بالجعائل ومفردها جعالة ، وما يؤدي في الديات من الإبل وأعدادها هو الهجينة أو **الطيمة** ، كل هذه الألفاظ جاءت في نصوص للجاحظ ومبين فيها كيف كانت تؤدي هذه الأمور وعن عادات القبائل والتزامها بأفراد قبيلتها حتى بعد أن جرفت تيارات الحضارة العباسية ، فالعاقلة لا تزال تلتزم بواجباتها تجاه من ينتمون إليها ، وقد ذكر الجاحظ **العاقلة** بقوله «لأنهم عرب في المدعى والعاقلة»^(٢) ، ووضح انتماء الأفراد لها بقوله «والمولى عربي من جهة المدعى والعاقلة»^(٣) . وقد ذكر لنا الجاحظ الدية ومصطلحاتها الثلاثة **الإتاوة والأربان والخرج** قائلاً : «والإتاوة والأربان والخرج كله شئ واحد»^(٤) وكانت تدعى هذه المناسبة التي يؤدي بها هذا العمل بالجمالة ، وكانت لها خطبة خاصة بها ،

(١٤) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٢) مناقب الترك ص ١٢ .

(٣) مناقب الترك ص ٣١ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ١٤٨ - انظر فخر السودان على البيضان ص ١٨٧ .

وقد فصل الجاحظ ذلك بقوله «واستعمال المتشور في خطب الحمالة وفي مقامات الصلح وسل السخمة»^(١) أما ما يدفع في هذه المناسبة أحياناً يكون من العير وأحياناً من الماشية ، وقد خصصت كلمات معينة تدل على مقدار معين من الإبل **الهجمة** ، ذكرها الجاحظ بقوله : «سرور صاحب الهجمة ممن يقولون كلاً ينجع به كبد المصرم»^(٢) وهذه الهجمة تقدر ما بين السبعين والمائة من الإبل - أو أنها أربعون إلى ما زادت فهي هجمة من الإبل . وكلمة أخرى تدعي باللطيمة وهي العير المحملة بالمسك والعطر ، وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «وتسمى العير لطيمة ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العطر إلا واحد»^(٣) أما ما يجازى به المرء في عمله فهم يدعونه بالجعائل ومفردها **جعالة** ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله «وكيف تسخو أنفسهم بالجعالة الرفيعة»^(٤) وقال عن **الجعائل** «وأن تجعل في دمي الجعائل»^(٥) . وذكر كلمة **المثلاث** وهي العقوبة والتنكيل قال : «والعلم بالمراتب والعبر والمثلاث»^(٦) ، وكان بعض أكابر القوم والعظماء منهم وأهل الجاه والوجاهة إذا أرادوا أن يدعوا بعض من يجري مجراهم في سلطان أو أدب إلى مأدبة أو ندام أو خروج إلى منتزه أو بعض ما يشبه ذلك من الدعوات أن يجعلوا دعواتهم هذه مكتوبة لأن كتاباً في ذلك أحسن وقعا وألطف في النفوس ، وهذا من أصول اللياقة والضيافة الحديثة التي وردت بعض أصولها مع ما ورد من مظاهر حضارية في ذلك العصر ، إذ أن مسألة الضيافة وعادات وآداب المائدة من المسائل البارزة التي تظهر فيها طبيعة الحضارة الإسلامية ، وفي تصوير الجاحظ للبخل نستطيع أن نتبين خليطاً من العادات

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ .

(٢) البرصان ص ١٨٣ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٧٦ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢١٤ .

(٥) في الجدل والهزل ص ٢٦٧ .

(٦) البيان ج ٣ ص ١٤ .

والتقاليد العربية القديمة مع المبادئ الإسلامية والعادات الفارسية التي تأثر بها المجتمع أيضاً . ومن الكلمات الوافدة إلى المجتمع العباسي الزمزمة وهي الدعاء على المائدة والنفج والنفاج والبرعة واللظة والعيوق والنكس ، كل هذه الكلمات وردت عند الجاحظ في مجال آداب المؤاكلة ، فهو يتهم الإنسان بالنفج والبخل لأن الخبز الذي على مائدته بعدد الأكلين ، وقد كان محمد بن المؤمل وهو أحد الشخصيات الواردة في البخلاء والجاحظ يلومه على قلة خبزه ، فهو يقول له : «فالناس يبخلون من قل عدد خبزه ورأوا أرض خوانه»^(١) ومن الأسباب التي أصبحت دالة على الترف والسخاء أن يقدم المضيف ألواناً متعددة من الأطعمة إلى الضيوف ، لذلك فإن الذين حاولوا أن يحافظوا على الطريقة التقليدية في الضيافة لم يفلحوا ونعتوا بأنهم بخلاء .

وكان الجاحظ يصف البخيل الشديد البخل بالنفاج ، وقد تكررت هذه الكلمة عند الجاحظ في أماكن كثيرة ، فمرة يصف من يقصر على نفسه بلبسه نفاجاً ، وأيضاً من يقصر على أهله وقد عد **النفج** من الصفات الرذيلة المذمومة ، فنراه يصف أحد شخصياته في البخلاء قائلاً : كان أحمد بن الخاركي بخيلاً وكان نفاجاً وهذا أغيظ ما يكون وكان يتخذ لكل جبة أربعة أزرار ليرى الناس أن عليه جبتين ، ويشترى الأعذاق والعراجين والسعف والكلاء ، فإذا جاء به الحمال إلى بابه تركه ساعة يوهم الناس أن له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كله منه»^(٢) . فهنا نرى أن **النفاج** هو البخيل بذكاء . وقال يذم صفة النفج ويتساءل «بل أنتم الذين سميت السرف جوداً والنفج أريحية ، وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرمًا»^(٣) وقال يصف أحد بخلائه

(١) البخلاء ص ٨٢ .

(٢) البخلاء ص ١٢٥ - انظر في نفس التشبيه ص ٣٨٦ .

(٣) البخلاء ص ٩١ .

بأنه «كان مفرط البخل شديد النفج»^(١) . ومع ذمه للبخل إلا أنه كان يحذر من الإسراف في الأكل فنراه يقول : «احذر سرعة الكظة وسرف البطنة»^(٢) ، فكلمة **كَظَّة** التي هي الإسراف في الأكل تراها ترد كثيراً عند بخلائه ، ومرة أخرى يذم أحد شخصيات بخلائه ، وهو على الأسواري يلومه ويصفه بالصفات الذميمة لرعته يقول : والله إنني لو لم أشرك مؤاكلة الناس وإطعامهم إلا - لسوء رعة على الأسواري لتركته» وكانت إحدى العادات المذمومة في المؤاكلة **الزَمْزَمَة** ، ويصفها لنا الجاحظ بقوله : «ولزموا عند الطعام السكته وتركوا الحوض واختاروا الزمزمة»^(٣) ويتساءل في الترييع والتدوير عن تأويل الزمزمة قائلاً : «وخبرني ما تأويل الزمزمة وما فعل المال الذي من أخذ منه ندم»^(٤) ولكنه في البيان والتبيين يوضح لنا هذه الكلمة بصورة أدق فيقول : «أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوس إذا ترك الإفصاح عن معانيه»^(٥) ومما تقدم يتبين أن معنى الكلمة هو الصوت الذي لا يستعمل فيه اللسان ولا الشفة ، وقد جاء شرحها في اللسان مادة زمم صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه في حلقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله المجوس عند تناول الطعام أو حين الاغتسال»^(٦) .

ويصف الجاحظ عادات قومه ومفاهيمهم آنذاك سواء في التصرف الاجتماعي أو في سلوك المؤاكلة بصورة خاصة بلسان أبي الفاتك قاضي

(١) البخل ص ١٩٥ .

(٢) البخل ص ١٠٩ انظر ص ١٠٠ .

(٣) البخل ص ٧٩ .

(٤) البخل ص ٦٨ .

(٥) الترييع والتدوير ص ٧٨ .

(٦) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ وانظر البيان ج ٣ ص ١٣ .

(٧) اللسان ج ٢ ص ٤٨ .

الفتيان ، كما يسميه الجاحظ ، وأبو الفاتك هذا يوجه الفتیان توجيهات طريفة في أصول المؤاكلة والمائدة ، وقد أوردها الجاحظ على لسانه في البخلاء ومن ثم اخذ الجاحظ يفسر لنا ما أورده أبو الفاتك وفي باب الأطعمة وردت الصفات التي ذمها أبو الفاتك في سلوك المؤاكلة . أما الشرب فكان يفضل على الأكل إلا أنه لا يليق بالمضيف أن يطلبه لضيفه ، ومن شروط الشراب أن يكون على الريق وألا يعد من لم يشربه على الريق من الأدعياء على الشراب ، وقد أورد الجاحظ هذا النص في بخلائه قائلاً : «ومن لم يشرب على الريق فهو نكس في الفتوة ودعى في أصحاب النيذ»^(١) ، فكلمة **نكس** جاءت هنا لتوضح حالة تختلف باختلاف طبيعة الناس في تلك الفترة أما كلمة **العيوق** وهي أيضاً تتعلق بالشراب ذكرها الجاحظ قائلاً «وحسن شرابك وإن كان فوق العيوق»^(٢) ، هذه بعض العادات في آداب وتقاليد المؤاكلة والشراب ، وكانت مظاهر الحضارة العباسية واضحة في حياة الترف إذ أن الطعام لا يؤكل لأجل إرضاء حاجة طبيعية فقط بل قد يقدم أو يؤكل كمظهر من مظاهر الترف والتسلية وكمظهر من مظاهر المباهاة الاجتماعية .

٢ - عادات الضيافة :

الضيافة عند العرب لها ظروفها وقواعدها ، كما أن لها مؤهلاتها التي يجب أن تراعى من قبل المضيف ، كما تراعى من قبل الضيف نفسه ، فالإنسان الذي يدركه الليل وهو منقطع عن أهله ، يتوقع أن يلقي صدرأ رحباً في ضيافة من يعرفه أو حتى من لا يعرفه وأن يقدم المضيف له أحسن ما عنده ، والجاحظ يظهر نقيض ذلك تماماً في إحدى شخصيات بخلائه ، فهو يصف لنا قصة رجل اسمه جبل طرق باب أحد أصدقائه ، وكان الوقت ليلاً وخاف أن يدركه

(١) البخلاء ص ١٠٠ .

(٢) الترييع والتدوير ص ٧١ .

الطائف فطلب منه أن يدعه يغفى في دهليز داره ريثماً يطل الصباح ، ولكن ذاك بدل أن يدعه يدخل ويكرمه - يقول الجاحظ : فتساكر أبو مازن وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر ، فخلع جوارحه وخبل لسانه وقال : سكران والله أنا والله سكران^(١) . ومن هذا النص يتبين لنا أنهم كانوا يخافون الطائف الذي يتخيلون وجوده وكذلك **الغول** والعفريت و**المارد** والغيلان والهاتف والسعاية ، وقد جاءتنا نصوص في كتب الجاحظ تثبت ذلك مثل قوله : فالغول اسم لكل شئ من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكراً كان أو أنثى^(٢) ثم يذكر **الغيلان** بقوله «وتحرك الأوجاع وظهور الغيلان هذه كلها بالليل»^(٣) ثم ذكر بقية الأنواع بقوله «ولم وقع عليه إذا اسم شيطان ، ومارد ، وعفريت وأشباه ذلك»^(٤) ؟ وقال عن **الهاتف** : «وتزوجت السعلاة وجاوبت الهاتف»^(٥) ، و**السعلاة** هذه كانت تتكرر في كلام العرب دائماً كقول الجاحظ : «والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار»^(٦) . ثم هناك نوع من الشخصيات التي يعتقدون أنهم يرونها في أسفارهم وهى **الجن**^(٧) والشق ، وقد ورد ذكرها في الحيوان كثيراً قال الجاحظ : «واصطدت الشق وجاوبت النسناس وقال : «وبعض الناس يزعم أن الجن والجن صنفان مختلفان»^(٨) .

(١) (ينظر البخلاء ص ٨٩) البرصان ص ٢٦ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ١٥٨ .

(٣) فخر السودان على البيضاء ص ٢٠٦ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٢٧٢ .

(٥) البخلاء ص ٤٧ .

(٦) الحيوان ج ٦ ص ١٥٩ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٢٩١ .

(٨) البخلاء ص ٤٧ .

٣ - عادات ومعتقدات شعبية :

كانت المعتقدات الشعبية في عصر ازدهار الحضارة العباسية تشكل جانباً كبيراً من عاداتهم ، مثل تحريم بعض الأعمال لارتباطها في أذهان العامة بقوى مؤثرة في طبيعة الحوادث ، ولهذا نراهم يعتقدون بالسحر والتنجيم والرئي والعرافة ومخاريق العراف والزجر والتجمير والطرق والنجرات ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف من المعتقدات في مجالات كثيرة نذكر منها ما أورده في البخلاء عن **الرئي** وهو نوع من الجن الذي يصيب الإنسان كما كان يعتقد قال : «واصطدمت الشق وجاوبت النسناس وصحبني الرئي وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف»^(١) وقال أيضاً : «وتهاويل الحاوي ، ولا ما يتحلها صاحب الرئي»^(٢) وعلى ذكر العرافة والعراف فهو يذكر المخاريق قائلاً «هذا والله التدبير لا مخاريق العراف» ، ويذكر **الزجر** والعراف بقوله : «وعرفت التنجيم والزجر والطرق والفكر»^(٣) ويذكر الجاحظ **التجمير** بقوله : «ونحن نجتمع بين النزاهة والقناعة والصبر على الخدمة والتجمير عند بعد الشقة»^(٤) أما **النيرنجات** وهي نوع من السحر ، فيذكرها الجاحظ قائلاً «وكان يلتمس تعلم الحيل والنيرنجات»^(٥) ثم نراه يتساءل عن النيرنجات في رسالته التربيع والتدوير قائلاً : «وخبرني ما النيرنجات؟ وما البارباي وما الكرويات وما الخواتيم وما المنادل والسعي والأمر الذي كان في خاتم سليمان وما القتل؟ وما التوجيه»^(٦) ؟ .

(١) البخلاء ص ٤٧ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٥٧ .

(٣) البخلاء ص ٤٧ وانظر كتاب البغال ص ٣٧٠ .

(٤) مناقب الترك ص ١٩ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٧٨

وكان يتقي هذه الأنواع التي ذكرناها من أنواع السحر والمعتقدات بقوى مؤثرة في الطبيعة بانقياد العامة إلى أمور تقيهم من السحر والأذى وتحقق لهم رغباتهم ، وهذه الأمور التي التجأوا إليها هي (الحرز والطلسم واللفظ وأنواع التعاويذ والهامة والرقى والنشرة والبخور والدخنة والتدخين) هذه الأنواع ذكرها الجاحظ في أماكن متفرقة من كتاباته ، ونذكر منها ما ذكر عن الحرز والطلسم وهما بنفس المعنى قال عن **الْحَرَزِ** : «تقوى الله : فإنها جماع كل خير ، وسبب كل نجاة ولقاح كل رشد . هي أحرز حرز»^(١) وأوضح المعنى عندما ذكر كلمة **الطَّلَسْم** قال «لو كانت بالشامات أو بمصر لأدخلوها في باب الطلسم»^(٢) .

وكرر هذه الكلمة بنفس المعنى والقول في مكان آخر من الحيوان قال «فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لا دعوا الطلسم»^(٣) واتخذوا أموراً أخرى للوقاية من الضرر كالرقى والنشرة وأنواع التعاويذ الأخرى ، قال الجاحظ ذاكراً هذه الأشياء : «وهو قوله في التعويذ : ومن كل شيطان وهامة»^(٤) . وقال يذكر **الرَّقَى** : «ولهم الرقى النافذة في السموم وفي الأوجاع»^(٥) وقال متسائلاً : وخبرني ما السحر وما الطلسم وما الدنهش وما الخلطير وما الهيكل وما الطوائق ؟ وما قولهم في اللبان الذكر وفي مراعاة المشتري؟^(٦) وذكر الجاحظ ألفاظاً عديدة عن الجان والمعتقدات الخرافية ، قال في رسالته الترييع والتدوير : وما تقول في صرع الشيطان وفي تلون الغيلان وفي عريف الجان وفي ظهور

(١) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢٣٦ .

(٥) فخر السودان على البيضاء ص ٢٢٣ . وانظر كتاب القيان ص ١٥٣ .

(٦) الترييع والتدوير ص ٤٢ .

العمار وفي طاعتهم للعزائم ، وفي رثى المأمور الحارثي ؟ وما فصل ما بين العراف والكاهن والحازي والمتبوع ؟ وخبرني عن شنقناق وشيصبان ، وعن سملقة وزوبعة ، وعن المذهب والسعلاة ، وعن بركوير ودركاداب وأين كان مسحل ؟^(١) وذكر **الحازي** بقوله : وهو خط الحارثي والعراف والزاجر^(٢) وقال يصف أحدهم : كان زجالاً قبل أن يكون تماراً^(٣) وذكر **الحاوي** والحوائن بقوله : وتزاويق الكاهن ، وتهاويل الحاوي^(٤) . وقال عن الحوائن : وزعم لي داهية من دهاة العرب الحوائن^(٥) ومن المعتقدات الشعبية الرقي والنشرة والخرط والدجال واللفظ والتدخين والدمازكية ، وقد وردت هذه الألفاظ عند الجاحظ في مجال حديثه عن الرقي وقد ذكر **النشرة** بقوله «ثم رجعنا من فورنا، كان لنا في ذلك نشرة»^(٦) . وقد فسر صاحب اللسان النشرة سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء : أي يكشف ويزال^(٧) . وذكر الجاحظ التدخين **والدُّخْنُ** والبخور **والدمازكية** وكلها أمور تتعلق بالبخور للرقية قال : ولهم معرفة المناصفة ولهم السحر والتدخين والدمازكية^(٨) وحدد أنواعاً من **التدخين** **والبخور** فقال : وإذا دخنت الدار بالدخنة التي سموها بدخنة مريم أو اللبان لم يكن عليها العمّار الدار سبيل^(٩) وقال : أتوه بكل

(١) التريب والتدوير ص ٤٠ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٦١ .

(٣) الحيوان ح ٣ ص ٢٩٧ .

(٤) في الجدل والهزل ص ٢٥٧ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٩ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٣٨١ .

(٧) اللسان ج ٧ ص ٥٦ .

(٨) فخر السودان على البيضاء ص ٢٢٣ .

(٩) الحيوان ج ٢ ص ٢٠٧ .

بخور في الأرض لم يتبخر»^(١) وقال : واللفظ يرفع للشيخ والصبي»^(٢) .

وهناك أنواع أخرى من المعتقدات والعادات مثل طب القوابل ومفردتها **القابلة** ، قال : الجاحظ في مجال حديثه عن إحدى القوابل : وهم يروون عن قابلة البادية أنها قالت لجارية تسمى سحابة ، وقد ضربها المخاض وهي تطلق على يدها»^(٣) وذكر **القوابل** فقال : لا تتهاونوا بكثير ما ترون من علاج القوابل والعجائز»^(٤) وفي مجال حديث الجاحظ عن القوابل ذكر أموراً تتعلق بالوليد مثل البقير قال : وقد زعموا أن البقير من الناس والخيول يخرج متغير الجلد»^(٥) وقال يصف امرأة حاملاً : «إن في الدار امرأة بها حمل والوحمى ربما أسقطت من ريح الغد الطيبة»^(٦) وبعد الحمل والولادة تأتي على العروس وجلوتها ، كما ذكرها الجاحظ فقال : وأنها دخلت مع نساء متنقيات إلى بعض الأعراس لترى العرس **وجَلْوَة** العروس»^(٧) ولم ينس الجاحظ أمراً من أمور النساء إلا وذكره حتى المرأة العانس ، وهو الذي يدعوها بالمعنسة ، قال عنها : «إن المرأة المعنسة تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك»^(٨) .

٤ - عادات الخطابة وصفات الخطيب :

وكان من عاداتهم التي يلتزم بها الخطيب عند إلقائه الخطبة أن يلبس **العمة** والمخصرة في يده أو العكازة والعصا ذات الزج ، وقد ذكر الجاحظ المخصرة

(١) البخلاء ص ٦٠ .

(٢) فخر السودان على اليفضان ص ٢١٢ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٥٨١ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١٤٣ .

(٥) البرصان والعرجان ص ٤٥ .

(٦) البخلاء ص ٨١ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ١١٥ .

(٨) كتاب البغال ص ١٥٧ .

قائلاً : «وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء .
والذي لا بد منه العمة والمخصرة»^(١) . وذكر **المخصرة** أيضاً : وبمطاعنهم على
خطباء العرب : يأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام»^(٢) ، وهذه المخصرة هي التي
يمسكها الإنسان بيده من عصا أو مقرعة أو ما أشبه ذلك ، عند مناقلة الكلام
وعند مساجلة الخصوم ، وأيضاً عند مجاثاة الخصم ، فهذه المخصرة واجبة في
تلك المواقف ، وهذا ما ذكره الجاحظ بقوله : «يأخذ المخصرة عند مناقلة
الكلام ومساجلة الخصم بالموزون والمقفي والمنثور الذي لم يقف وبالأرجاز عند
المنح ، وعند مجاثاة الخصم ، وساعة الماثولة»^(٣) : وقال أيضاً يذكر **العصا** ،
والمخصرة وأنها من الصفات المميزة للعرب قال : وأيضاً إن حمل العصا
والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيوء للإطناب والإطالة ، وذلك شئ
خاص في خطباء العرب»^(٤) وعلى ذكر العصا فقد عدد الجاحظ أصنافها بقوله
«وكان أبو العتاهية أهدي إلى أمير المؤمنين المأمون **عصا نبع** ، وعصا شريان
وعصا ابنوس ، وعصا أخرى كريمة العيدان»^(٥) ووصف الجاحظ العصا بقوله
«والعكازة إذا لم يكن في أسفلها زج فهي عصا»^(٦) وهذا **الزج** الذي يرافق
العصا ذكره أيضاً بقوله «قال : رأيت أعرابياً مقطوع يد اليمنى ورجل اليسرى
وهو يمشي على عصا ذات زج» ، ومن عاداتهم في الخطابة التفعير أو
التققيب ، وهذه الصفات الخطابية جاء ذكرها عند الجاحظ بقوله : «إن صاحب
التشديق والتفعير والتققيب من الخطباء البلغاء مع سماحة التكلف»^(٧) .

(١) البيان ج ٣ ص ٩٢ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ .

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ١١٦ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٢١ .

(٦) البيان ج ٣ ص ٩٢ .

(٧) البيان ج ١ ص ١٣ .

سادساً : الألفاظ الخاصة باللهو والصيد :

إن استقرار مقاليد الحكم في عهد الخلافة العباسية صاحبه استقرار ورخاء اقتصادي ، وتحولت الحياة بعد عهد التأسيس وإقامة الخلافة العباسية من طور الكفاح والجد إلى طور آخر يناسب حياة فيها سعة من المال وطرف من النعيم ، وظهرت ألوان من اللهو واللعب صبغت الحياة الاجتماعية في عصر الحضارة العباسية الزاهرة بصيغة النعيم والسرور وأصبحنا أمام فئات من المجتمع ، قال فيهم الجاحظ في رسالته التي وضعها عن القيان : «أنهم من المستمتعين بالنعمة ، والمؤثرين للذة ، المتمتعين بالقيان وبالإخوان - المعدين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة والراغبين بأنفسهم عن قبول شئ من الناس أصحاب الستر والسترات ، والسرور»^(١) .

١ - اللهو :

الزَّفَانُون : كان لطائفة المغنين منزلة خاصة في المجتمع العباسي ، تحققت لهم بفضل قيامهم على مظاهر الطرب واللهو وما كان يعقد في دور السادة من مجالس اللهو ، ويظهر أنه كان عندهم من الراقصين والراقصات أصناف متنوعة أضفت على مجالسهم ألواناً من الترف والسرور ، ومن هذه الطوائف ، طائفة تعرف باسم الزفانون ، ذكرها الجاحظ في بيانه قال «وتكلم عمر بن ذر ، فصاح بعض الزفانين صيحة ، فلطمه رجل ، فقال عمر بن ذر : ما رأيت ظلماً قط أوفق لي من هذا»^(٢) فهؤلاء الزفانون أو الراقصون جاء ذكرهم في البرصان والعميان أيضاً قال الجاحظ : «وكان خفيفاً نحيفاً وضئيلاً ذميماً وكان يزفن بسرجه»^(٣) ، وفي أوصاف المغنين وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا

(١) كتاب القيان ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) العميان والبرصان ص ١٧٣ .

إليها أنفسهم يحدثنا الجاحظ عنهم برسالاته التي خصها للمغنين وأحوالهم وسماها بطبقات المغنين وهى غنية عن التوضيح إذ عنوانها يفى بالغرض ويوضح أمور تلك الفئة من فئات المجتمع ، ويعود الجاحظ إلى المغنين وآلاتهم وما كانوا يعرفونه من لحون في كتاب آخر له وفي مواضع متعددة من الحيوان نجده يفيض في الوصف ويبدع في التصوير لمجالس الغناء وما يتبعها من مجالس المنادمة والشراب .

آلات الغناء : من آلات الغناء ذكر لنا الجاحظ الكثير وهذه بعض منها مثل الصنج والسراني ، والبرابط ، فقد ذكر **الصَّنج** بقوله «وهى وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والصنج»^(١) وذكر السراني بقوله : «وأعلنت في ريارته الطبول والسراني»^(٢) وذكر البرابط ومفردها يربط قال : وهلا قدمتم أقليدس مع صنعة البرابط والمعازف»^(٣) وذكر **الْبَرْبُط** بقوله «وخبرني عن صنعة البربط أ لملك أم لرفائل ؟ أم لأقليدس»^(٤) أما أنواع الألحان وأصنافها فقد جاء ذكر بعضها في التربيع والتدوير مثل **الركبانية** والنصب والأهزان والسناد، وفي أماكن أخرى من كتبه ذكر الجاحظ الإيقاع والكتكلة وهى أمور تتعلق بالغناء وأنواعه ، فقال «وخبرني عن غناء الركبانية : أخذته منه الركبان أم للركبان ؟ وهل رجعه (بخسر) المصطلق ؟ وزعمت أن الأهزان لليمن وأن النصب للفتيان فلمن السناد؟»^(٥) وذكر **الإيقاع** الذي هو سيد الموقف في الغناء والرقص ، وهناك من يجيدونه من الأقوام كالزنج كقول الجاحظ : «وهى - أمة الزنج - أطبع الخلق على الرقص الموقع الموزون ، والضرب بالطبل على

(١) فخر السودان على اليضان ص ٢٢٣ .

(٢) كتاب القيان ص ١٧٩ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٨٢ .

(٤) التربيع والتدوير ص ٨٣ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٨٣ .

الإيقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم»^(١) وقال أيضاً بذكره للإيقاع : «قالت الشعوبية ومن يتعصب للعجمية : القضيبي للإيقاع والقناة للبقار»^(٢) والعرب فكان أعظم شئ عندهم الموسيقى والإيقاع مع الغناء إلى جانب ما امتازوا به من الأمثال والنوادر اللطيفة والعبارات البليغة^(٣) وذكر **الكنكلة** قائلاً : «ولهم - أي الزنج - غناء معجب ، ولهم الكنكلة وهي وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتار العود **والصنج**»^(٤) . وهناك أنواع أخرى من الغناء صورها الجاحظ في كتبه ، وكان يعذر الخلفاء ومن يتقلدون مقاليد الحكم أن يداؤوا أنفسهم التعب من شئون الملك والرعية بالسماع للغناء والإحاطة بالمغنين والملهين ، وقال في هذا الأمر بما يحتاج إليه الملوك : «فاحتاج حذاق الملوك وأصحاب العنايات التامة ، أن يداؤوا أنفسهم بالسماع الحسن - ويشدوا من متهم بالشراب ، الذي إذا وقع في الجوف حرك الدم ، وإذا حرك الدم حرك طباع السرور»^(٥) وكانت مجالس اللهو في دور الخلفاء تضم الشعراء والسمار والملهين ، وكانوا يلهون بألعاب متنوعة وكان أهل النادرة من بطانة بعض الخلفاء ، ولعلنا لا ندهش إذا رأينا من بين المصنفات والكتب في هذا العصر ألواناً من كتب الظرفاء والملحاء وكتب الملاهي والفكاهات وكتب أصحاب الخصومات^(٦) .

أنواع اللعب وأهمها :

من أكثر الأنواع مداولة بين الخلفاء والعظماء في ذلك العصر هو لعبة **الشطرنج** ، وهذه الكلمة تكررت عند الجاحظ بكل اشتقاقاتها كالشطرنجي

(١) فخر السودان على البيضان ص ١٩٥ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٢ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٤) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٣ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٢٨٧ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ٢٥ .

والشطرنجيين والأشترنج وعلى ذكر **الشطرنج** يقول الجاحظ في بيانه «ولعب قدام بعض الملوك بالشطرنج ، فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام قال له : لم لا توليني نهر بوق ؟ قال أوليك نصفه اكتبوا له عهده على بوق»^(١) وذكر الشطرنج ووصف اللاعب الحاذق بهذه اللعبة بالزرب قال «وأنت تعد في الشطرنج زرب وأنا في الشطرنج لا أحد»^(٢) وقال يصف أحدهم بأنه «أحمق القاصين ، وأحذقهم بلعب الشطرنج»^(٣) وذكر في مجال التغيير الدلالي لهذه الكلمة قال عن بعض من أحدث هذا التغيير : ويسمون الشطرنج الاشترنج»^(٤) **الشطرنجي** والجمع شطرنجيون ، قال الجاحظ «وحدثني بعض أصحابنا عن سكر الشطرنجي»^(٥) ثم ذكر **الشطرنجيين** بقوله : «قد قتلني فمع من تعيش أمع الشطرنجيين»^(٦) والجاحظ يقصد بالشطرنجي لاعب الشطرنج وليس صانعه . وعن لعبة الشطرنج يقول المسعودي : وكان الشطرنج نوعاً يلعب في قصر الخليفة المعتضد حوالي آخر القرن الثالث الهجري وذلك بآلة مستحدثة تسمى الجوارحية ، وتسمى أجزاؤها بأسماء حواس الإنسان . وقال ولم يكن جلوس اللاعبين بعضهم إلى بعض من عادات العرب ، وكان العربي القح يشعر بما في ذلك من غرابة عن طابعه وإنما وضع الشطرنج للعجم لا علم لهم^(٧) . وهناك لعب ولعبات أخرى كالقمار والنرد والخطرة واليرمع والأردور ولعبة الضب والشحمة والبقيري واللعبتين ثم لعبة الطبطابة واللعب **طَبْطَاب** والجمع **طَبْطَابَات** ، وقد جاء ذكر هذه اللعبات وغيرها مثل لعبة الدارة والحلق وعظيم وضاح في الحيوان وفي غيرها من كتب الجاحظ ، فقد ذكر **القمار** بقوله : «فسأل عنهم فإذا هم أصحاب قمار ونرد»^(٨) فالقمار والنرد متلازمان لمن

(١) البيان والتبيين ج ٤ ص ٦ . (٢) في الجدل والهزل ص ٢٦٦ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ١٤٧ وانظر الترييع والتدوير ص ٨٤ .

(٤) البيان ج ١ ص ١٩ . (٥) الحيوان ج ٤ ص ١٤٧ .

(٦) في الجدل والهزل ص ٢٥٨ . (٧) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٣٨١ .

يلعبهما، ويشرح لنا الجاحظ تحت **النرد** أحياناً يتكيف مع اللاعبين ويتغير من وضعه حسب المستويات فيقول : «فإذا تخت النرد قطعة لبد وإذا فصوص النرد من طين ، بعضه مسود وبعضه متروك ، وإذا الكعبان من عروة كور محكمة وإذا بعضهم يتكئ على دن خال وتحتهم بوار قد تنسرت»^(١) وهنا يصور لنا حالة اللاعبين المزرية ، فهم قد جعلوا قطعة اللبد بدلاً من اللوح الذي يكون عادة في هذه اللعبة ، فتحت اللوح الذي يوضع فوقه النرد أصبح لبداً ، وهكذا يستمر في تصوير حالة هؤلاء اللاعبين البائسين ، يقول ميتر : وكان النرد يلعب ابتغاء الكسب صراحة ، وكان لعبة تدور على الصدفة والاتفاق ، وشبه بعض الحكماء رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنها ، ومنازل الرقعة ، وهى أربعة وعشرون بساعات النهار والليل ، وبيادتها وهى ثلاثون بعدد أيام الشهر ، واختلاف ألوانها باختلاف بياض النهار وسواد الليل ومنازلها الأربع بالطبائع الأربع ، وهكذا^(٢) ونرى الجاحظ في وصفه لأنواع اللعبات قائلاً : أسماء لعب الأعراب **البُقَيْرِي** ، وعظيم وضاح ، والخطرة ، والدارة ، والشحمة ، والحلق ، ولعبة الضب فالبقيرى : أن يجمع يديه على التراب في الأرض إلى أسفله ، ثم يقول لصاحبه : اشته في نفسك فيصيب ويخطئ . وعظيم وضاح : أن يأخذ بالليل عظماً أبيض ، ثم يرمي به واحداً من الفريقين ، فإن وجده واحد من الفريقين ركب أصحابه للفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه إلى الموضع الذي رموا به . **والخطرة** : أن يعملوا مخراقاً ثم يرمي به واحد منهم من خلفه إلى الفريق الآخر ، فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم ، فإن أخذوه ركبوههم ، **والدارة** هى التي يقال لها الخراج . **والشحمة** أن يمضي واحد من أحد الفريقين بسلام فينتحون ناحية ثم يقبلون ، ويستقبلهم الآخرون ، فإن منعوا الغلام حتى يصيروا إلى الموضع الآخر فقد غلبوههم عليه ، ويدفع الغلام إليهم وإن هم لم يمنعوه ركبوههم^(٣) ، ويقول الجاحظ إن كل هذا يتم في ليالي

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتر ج ٢ ص ٣٥٨ .

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٨٢ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

الصيف «وهذا كله يكون في ليالي الصيف عن غب ربيع مخصب»^(١) . ثم يستمر فيصف لنا لعبة الضب قائلاً : «ولعبة الضب : أن يصوروا الضب في الأرض ، ثم يحول واحد من الفريقين وجهه ، ثم يضع بعضهم يده على شئ من الضب فيقول الذي يحول وجهه : أنف الضب أو عين الضب أو ذنب الضب أو كذا وكذا من الضب على الولاء حتى يفرغ ، فإن أخطأ ما وضع عليه يده ركب وركب أصحابه وإن أصاب حول وجهه الذي كان وضع يده على الضب ، ثم يصير هو السائل»^(٢) . أما لعبة **اليرمع** فقد ذكرها الجاحظ مع **لعبة الكعبتين** في بخلائه وفي أماكن أخرى من كتبه ، قال في البخلاء «وأول من لعب باليرمع في البدو» وقال عن لعبة الكعبتين : «وكانوا يلقون النوى في طست» ، فسمع صوت نواتين فقال : من هذا الذي يلعب بالكعبتين^(٣) وهناك لعب تلعب كتمرين واستعداد للحرب وهي غير لعب اللهو والتسلية ، قال الجاحظ في مناقب الترك : «ولنا مما جعلنا رياضة وإهاصاً للحرب ، وتثقيفاً ودربة للمجاولاة والمشاولة وللكر بعد الكر : مثل الدبوق والنزو على الخيل صغاراً - ومثل الطبطاب والصوالة الكبار ، ثم رمى المجثمة والبرجاس والطائر الخطاف»^(٤) . ففي هذا النص جاءت كلمات مثل الدبوق وهي لعبة يلعب بها الصبيان والطبطاب وهو مضرب للكرة وجمعها طبطابات واسم اللعبة **الطبطابة** أو الخشبة العريضة التي يلعب بها على الأرجح والجمع **طبطابات** ، كما هو وارد في النص الآتي : قال الجاحظ : «ولذلك اختاروا البراذين للصوالة والطبطابات والمشاولة»^(٥) ثم ذكر الطبطابة مفردة بقوله «ويرتع في عقله ويلهو بلبه ويضعه على طبطابة اللعب وفي أرجوحة العبث»^(٦) .

(١) الحيوان ج ٦ ص ١٤٦ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ١٤٦ .

(٣) البخلاء ص ١٣ .

(٤) مناقب الترك ص ٢١ .

(٥) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٦) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٤١ .

٢ - الصيد وأدواته وأنواعه :

كان الصيد يشكل مظهراً هاماً من مظاهر نزعة اللهو والمجون فى هذا العصر الذى ازدهرت فيه الحضارة فكان من أهم مظاهر الحضارة العباسية آنذاك وقد ذكر الجاحظ فى كتبه مادة وفيرة عن أدوات الصيد ورحلاته وكلابه وطرق صيد الحيوانات والطيور التى كانوا يسعون وراءها ، ويظهر أن بعض الخلفاء قد شغل باللهو الجارج من الحيوان والطيور مثل الباز والفهد والشاهين والصقور واليؤيؤ ولم يكن من آداب لهوهم بالباز أن تراهم يحملوان البازى أو الصقور أو الشواهين وغيرها من الجوارح ، وأوجدوا وظائف لفئة تهتم بأمر هذه الحيوانات مثل وظيفة **الفهادين والبيازرة والصقارين والسّواس** . وقد ذكر **البازيار** والجمع **بيازرة** بقوله : «**والفهادين والبيازرة والصقارين والكلابين لا قوى أحداً منهم صار إلى غنى ويسر**»^(١) أما **البازيار** وهو القائم بأمر البازى فقد ذكر الجاحظ وحدد فئته بقوله : «وليس ترى شريفاً يستحسن حمل البازى لأن ذلك من عمل **البازيار**»^(٢) ثم نراه يصف لنا عمل البازيار وطريقة حمله للبازى قائلاً : «ثم بلغ من رقة طبع البازى وعنقه أن ينقطع برد **البازيار** له إلى قطه من يده»^(٣) . أما **السّواس** فقد ذكرهم الجاحظ فى الحيوان بقوله : «**والسّواس** وأصحاب القنص بالكلاب والفهود»^(٤) . واتخذوا للفيلة والاعتناء بها الفيالين **والساسة** أوقفوهم على تربيته إذا كانت للفيلة مكانة خاصة عند الخلفاء العباسيين ، وكانوا يأمرّون بتزيينها فى الأعياد بأخضر أنواع القطعات والثياب الموشاة ومن حولها الحرس والشرط^(٥) . ومن الأمراء من كان يحب حياة الصيد والرحلات سليمان داود الهاشمى حتى اتخذ لنفسه كلباً من كلاب الصيد وأحسن تربيته وتدريبه منذ الصغر إلى أن أتم سبعة شهور من سنة عرفه حرفه حينئذ معنى رموز الصيد من إحياء وصغير وإشارة بالكف حتى اتقن أسلوب

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٤٧٨ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٢ .

(١) الحيوان ج ٤ ص ٤٣٠ .

(٣) فى الجذ والهزل ص ٢٧٧ .

(٥) الحيوان ج ٧ ص ٢٠١ .

تلبيتها فصار يصحبه في رحلات صيده الأرناب والشعالب والظباء وقد خصه أبو نواس بطردية من طردياته التي رواه الجاحظ في حيوانه^(١) . **والزبية** من الكلمات التي تستعمل في الصيد قال الجاحظ «ولو ذهب إنسان ليحفر زبية منعوه أشد المنع^(٢) وقال : ولا هي بأول زبية غطيتها وسترتها»^(٣) وكان لبعض القواد والوزراء ألوان خاصة من اللهو ، من ذلك ما يذكره الجاحظ عن يعقوب بن داود وزير المهدي وولعه بتربية الحمام^(٤) ، وكانت لهم في صيد العصافير حيلة يصيد بها الرجل نحو المئتين من العصافير في اليوم الواحد يقول الجاحظ : وتصاد بأهون حيلة ، وذلك أنهم يعملون لها مصيدة ، ويجعلون لها سلة في صورة المحبرة التي يقال لها اليهودية المنكوسة الأنبوبة ، ثم ينزل في جوفها عصفور واحد ، فتتنقض عليه العصافير ويدخلن عليه ، وما دخل فيها فإنه لا يجد سبيلاً إلى الخروج منها ، فيصيد الرجل منها في اليوم الواحد المئتين وهو وادع^(٥) وكانت عندهم أدوات خاصة لصيد الحمام وأنواع الطير منها : البابكير ، والقفاعة ، والملقف والتدبيق والدشاخ والجلاهق^(٦) ويصاد السمك بالشص والجمع الشصوص^(٧) . وكان الناس في عصر الجاحظ يتلهون بأجناس من الحيوان والطير أحكموا تدريبها على أداء بعض الألعاب ويحدثنا الجاحظ عن بعض أجناس الحيوان والطير مما كان يقبل على هذا اللون من التدريب مثل الفهود والبوازي ، والشواهين ، والصقور ، والزرف واليؤيؤ والعقاب وجميع الجوارح والوحشيات ، ويذكر أن الفهد أكثر تقبلاً للآداب ، قال «ثم يفضلها الفهد بخصلة غريبة وذلك أن كبارها ومسانها أقبل للآداب ، وإن تقادمت في الوحش من أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ، لأن الصغير إذا أدب فبلغ ، خرج خبا مواكلاً ، والمسن الوحشي يخلص لك كله ، حتى يصير أصيد وأنفع ، وصغار سباع الطير وكبارها على خلاف ذلك وإن كان الجميع يقبل الأدب»^(٨) . وبلغ من ترويض بعضهم للحيوان وتدريبه أن

(١) الحيوان ج ٢ ص ٣٠-٣٢ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٤٩ .

(٣) في الجلد والهزل ص ٢٤١ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٢٦ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٢٤٤ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٢١٨ وما بعدها .

(٧) الحيوان ج ٧ ص ١٤٦

(٨) الحيوان ج ٤ ص ٤٨ .

يعلقوا الزنبلة والدوخلة له ، وتوضع فيها رقعة ثم يمضي إلى البقال ويجئ بالحوائج^(١) وكان الأمراء والسراة الخاصة يربون الأسماك ، وقد ذكر هذا الجاحظ في حيوانه قال : «وزعموا أن أم جعفر بنت جعفر بن المنصور حضرت في حوض لها ضخمة أو بركة كبيرة عدداً كثيراً من الزجر والبنى وأنها لم تخلط بها غيرهما»^(٢) وكانت هذه الأسماك تصاد بالشصوص والدريجة ، وقد ورد ذكرها عند الجاحظ بقوله : «وقبل ذلك ما قد كلفهم أن ينصبوا له الشصوص للسماك ، ويسكروا والدريجة على صغار السمك حتى لا يدخلوا في السواقي»^(٣) . وهناك أنواع أخرى من الصيد كان يتخذها الناس كحرفة من الحرف التي يمارسونها في حياتهم اليومية وكمصدر عيش لهم ، وليس من أجل الإمتاع والتسلية ، ومجالها عندما نتحدث عن الحياة الاقتصادية في عصر الجاحظ ، وكان في مقابل هذه الضروب من التسلية واللهو ، ضروب أخرى تمثل في بعض جوانبها حالات غير صحية تتاب المجتمع والملاحظ أنها انتشرت على نطاق واسع بين فئات المجتمع من عامة الشعب مثل ما نراه في كتابات الجاحظ عن ضروب اللهو الغريبة فالجاحظ يحدثنا عن التقامر بالبيض والجوز ، واتخاذ الكباش للنطاح وللمهارشة وقد يلهون بالهراش بين الأجناس المتفقة من الحيوان والطير : كالبرذون والبرذون والحمار والحمار وكذلك جميع الأجناس^(٤) وقد يقع في بعض أنواع المهارشة القمار مثل هراش الكلب والكلب ، والكباش والكباش ، والديك والديك والسمانى والسمانى^(٥) ويدخل في هذه الضروب من التسلية لعبهم بالودع واللعب بالنرد والشطرنج . ومن وصية عثمان الخياط للشطار نراه يؤكد على بعض اللعب لأعوانه قائلاً : ولا تلعبوا في النرد إلا بالطويلتين . والودع رأس مال كبير ، وأول منافع الحذق باللقف^(٦) ثم نراهم قد عنوا في دورهم بتربية أنواع من الحيوان ، وخاصة نساؤهم قمن على تربية وتدليل السناير ، وقد يخضبنها بالحناء ويضعن لها الشنوف والأشرطة إمعاناً في تدليلها^(٧) .

(٢) الحيوان ج ١ ص ١٤٩ .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٣٩ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) البخلاء ص ١٢٩ وانظر البرصان ج ١٦٧ .

(٦) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٥) الحيوان ج ٢ ص ١٦٤ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٣٣٧ .

سابعاً: اللغة وفئات الاجتماعية :

كان لتقسيم المجتمع إلى طبقات تتفرع إلى طوائف وفئات وما تتسم به هذه الوحدات الاجتماعية من تباين أثر في حياة الأفراد اللغوية باعتبار أنها تمثل انعكاساً لفكر هؤلاء الأفراد ، ومن ثم فإن هذا التباين يظهر بوضوح في الفروق ما بين لغة الفكر والحضارة وبين ما يمكن أن نسميه «اللغات الخاصة» الشائعة بين طوائف وفئات المجتمع ونعني بهذه اللغات كل لغة لا تستعملها إلا جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصة^(١) ، إن أصحاب هذه اللغات الخاصة لهم مصطلحات بعينها للدلالة على معان محددة ، وهذا ما نراه واضحاً في المجتمع العباسي ، ويعد من أوضح مظاهر الحضارة العباسية ويعتبر من مظاهر التأثير بالامتزاج الحضاري في ذلك العصر عصر الجاحظ ، وقد وضع الجاحظ أن لكل طائفة سماتها اللغوية الخاصة بها ، وحرى بمن ينتمي إلى طائفة ما أن يدقق في فهم سمات لغتها من حيث ألفاظها ومعانيها .

ويصف لنا الجاحظ لغات الأقوام التي امتزجت وتعايشت مع طوائف وفئات المجتمع العباسي وكيف أثرت على لغة السكان الأصليين والعرب الفاتحين ، فقال في ذلك : وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخور^(٢) ويقول أيضاً : «ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين . واستعمال الجرامقة للعين»^(٣) قال الجاحظ في وجود الظواهر اللغوية العديدة مثل «اللكنة» عند الأعاجم وكيف تسربت إلى العامة والحُكْلة والحبسة والعجمة والشدة واللين والفأفاء» وظاهرة اللثغة وما بها من أمور والعقدة والرتة والعقلة

(١) اللغة فندريس ص ٣١٤ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٤ .

والأرت ، ثم ظاهرة خطيرة ومتفشية عند العامة والخاصة أيضاً وهي اللحن . وسوف نتناول كل ظاهرة من هذه الظواهر اللغوية بشئ من التفصيل والتوضيح . ويرجع الجاحظ اللكنات أساساً إلى ما كان يجده بعض الأعاجم من صعوبة في التكيف العضوي لمخارج الحروف العربية التي لا توجد في لغاتهم ، خاصة أن لكل لغة حروفاً تدور في أكثر كلامها مثل استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة وهم من السريانيين للعين^(١) ، وبعض اللغات تنفرد بحروف لا توجد في لغات أخرى ، وفي ذلك يقول الجاحظ : «قال الأصمعي: ليس للروم ضاد ولا للفرس تاء ولا للسرياني ذال»^(٢) وذكر **اللُكْنَةُ** بقوله «ويقال في لسانه لكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب»^(٣) ، ويرى الجاحظ أن اللغة ليست على منزلة واحدة في صحة النطق بالنسبة لأولئك الذي تلجأ لهم الحاجة إلى تعلمها والنطق بها ، ويؤكد أن من أقرب الأسباب التي تساعد على امتلاك ناصية اللغة فرط الحاجة إليها في المعاملات على وجه الخصوص ، يقول «واللغات إنما تشتد وتعسر على المتكلم بها ، على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها ، وعلى قدر كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها ، وخفتها وسلبها وثقلها وتعقدها في أنفسها ، كفرق ما بين الزنجي والخوري ، فإن الرجل يتنخس في بيع الزنج وابتياعهم شهراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ، ويباع الخور ، ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل»^(٤) ونبه الجاحظ إلى أنه من الممكن أن يستدل على جنس المتكلم الأعجمي من مخارج حروف كلماته حتى وإن كانت ألفاظه متخيرة منمقة ، ومن ثم ميزت الحروف بين لكنات الأعاجم فكشفت عن أخباسهم لأن لكل

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٤ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٥ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٠ وانظر الحيوان ج ٧ ص ٢٣٣ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩

جنس منهم لكنته النابعة من قدرته اللغوية . ويعلل عدم تعلم اللغة في السن الكبيرة المتقدمة لما تصحبه من صعوبة في النطق تسبب لكلمات بعض الأعاجم وهي الفئات الدخيلة على المجتمع العباسي في عصر ازدهار الحضارة العباسية فهو يقول : «ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً بأنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجسيم زائياً ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوزان خمسين عاماً، وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً ، فإذا أراد أن يقول زورق قال (سورق) ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول مشعل قال مشئل»^(١) . ويفرق الجاحظ بين كلمات القيان وكلمات لغة الصبيان قبل تنشئتهم ، أو في لغة العجائز أو في لغة من ينشأ من العرب مع العجم ، وقد عدد لنا هذه الأمراض اللغوية في أماكن عديدة من كتبه قال عن **الفأفاء** وليس في الأرض فوم إلا وأنت تصيب فهم الأرت - والفأفاء والعي ومن في لسانه حبسة»^(٢) وشرح معنى **الحبسة** بقوله في حيوانه : «قال : ويقال في لسانه حبسة : إذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان»^(٣) وقال الجاحظ عن الحبسة : «العقدة التي كانت في لسانه والحبسة التي كانت في بيانه»^(٤) وذكر الجاحظ آفة لغوية أخرى وهي **الحكلة** وهذه تأتي من قبل العجمة وهي أيضاً من الآفات اللغوية ، وهناك الحروف المعجمة وهي غير العجمة ، وقد ذكر لنا الجاحظ هذه الآفات بقوله «فإذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل العجمة قيل : في لسانه حكلة»^(٥) أما الحكلة فقد ورد ذكرها في أماكن متفرقة ، فترى الجاحظ يشرح لنا المعنى المعجمي للحكلة قال : «قيل في

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٠ .

(٢) فخر السودان على الفيضان ص ١٩٥ وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٢١ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٧ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٢١ .

لسانه حكمة . والحكل من الحيوان كله ما لم يكن له صوت يستبان مخرجه»^(١) وأوضح معنى الحكمة العلمي قائلاً «إذا قالوا في لسانه حكمة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال»^(٢) . وذكر الجاحظ **الرتة** وهي العجلة في الكلام وقلة أناة وذو اللفف والعجلة عندما ذكر الحكمة وكلها أمراض تصيب النطق قال «وذو الحبسة والحكمة والرتة وذو اللفف والعجلة»^(٣) أما الأرت فقد ذكره الجاحظ قائلاً «ليس في الأرض قوم إلا وأنت تصيب منهم **الأرت** - والفأفاء والعبي»^(٤) فالأرت هو الذي في لسانه عقدة وحبسة وهو يعجل في كلامه فلا يطاقعه لسانه . والحبسة تسبب كثيراً من الأمراض الكلامية ، وقال عنها الجاحظ «ويقال في لسانه حبسة إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام»^(٥) ومن أمراض اللسان **العقلة** ويشرح الجاحظ هذه الكلمة بقوله «ويقال في لسانه عقلة ، إذا تعقل عليه الكلام»^(٦) وقد تحدث اللكنات بسبب **اللغة** الداخلة في بعض الحروف وليست هذه اللغات مقصورة على اللغة العربية ذلك بأنها تدخل في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، ويضرب الجاحظ مثلاً بلغة الخوز فيقول : «وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم ، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخوز . وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم يشبه الصفير . فمن يستطيع أن يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسى إذا ترك

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢١ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٠ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٤) فخر السودان على البيضاء ص ١٩٥ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٩ .

(٦) البيان ج ١ ص ٣٩ .

الإفصاح عن معانيه ، وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام»^(١) .

ويعدد الجاحظ في بيانه الحروف التي تدخلها اللثغة وهي القاف والسين واللام والراء ويورد أمثلة على ذلك كقوله : «فالثغة التي تعرض للسين تكون تاء كقولهم لأبي يكسوم . أبي يكثوم ، وكما يقولون بثرة ، إذا أراد بسرة»^(٢) ومثال آخر يورده على اللثغة بالقاف يقول «واللثغة التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاء ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال طلت له ، وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال : طال لي»^(٣) ويستمر الجاحظ في حديثه عن اللثغات قائلاً «وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء ، فيقول بدل قوله : اعتلت اعتيت ، وبدل جمل جمى . وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعمر أخي هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا قال : مكعكه في هذا . وأما اللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف ، فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال : عمى فيجعل الراء ياء . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال : عمغ فيجعل الراء غيناً . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال : عمد ، فيجعل الراء ذالاً»^(٤) . واستمر الجاحظ في حديثه عن اللثغات في صفحات كثيرة من بيانه ، ثم ذكر اللكنات الداخلة في الحروف بسبب اللثغة ، وقد تحدث هذه اللثغات للفصحاء والبلغاء ، وأبرز مثال على ذلك ما يقوله واصل بن عطاء إذ كانت به لثغة في الراء ، وكان يتعد عن الكلمات التي تدخلها الراء ويأتي بمرادف لها من دون راء كقوله : وكان إذا أراد أن يذكر البر قال : القمح أو الحنطة . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤ .

هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة^(١) والكلام عن السلكنات وأسبابها يطول ويمتد عبر الأجناس البشرية التي كانت تترج بعضها البعض لتعطي نتاجاً من البشر فيه جميع الآفات اللغوية التي ذكرتها ، ويزيد عليها ما سأذكر عن ظاهرة لغوية أخرى وهي **اللحن** . وقد أفرد الجاحظ صفحات من بيانه للحديث عن اللحن قال «ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب **التعقير والتعقيب والتشديق والتمطيط** والجهورة والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة وبقر مجامع الأسواق»^(٢) . ومع استقبحه للحن إلا أنه يوصي قائلاً «إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام ، فإياك أن تستعمل فيها الإغراب أو تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها»^(٣) . وذكر اللحن في الحيوان منتقداً من يلحن قال : «كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب»^(٤) وقال أيضاً : «وكان ممن يجعل اللحن ولا يعرف مواضع الأسماء في لغته»^(٥) . ومع هجومه الشديد الذي يشنه على اللحن ومن يتعاطاه إلا أنه يستملح اللحن من لسان فئات معينة قائلاً «اللحن من الجواري الظراف ، ومن الكواعب النواهد ، ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر ، أيسر . وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد»^(٦) وقد

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٦ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٦ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٢٨٢ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٢٧٥ .

(٦) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٦ .

يفشو اللحن في السنة عامة الشعب في ذلك المجتمع العباسي ، وبين فئات الأعاجم وهذا الأمر ليس بغريب ، ولكن الغريب حقاً هو أن نجد بعض الخاصة من لا يسلم لسانه من اللحن ، ويذكر الجاحظ وقوع أبي حنيفة في خطأ اللحن ، وهناك بلغاء كثيرون وقعوا في اللحن لا يسع المجال لذكرهم ولكن البيان والتبيين ذكر فيه الجاحظ جميع اللحنين من البلغاء مع ذكر أول لحن في البادية وفي العراق قالوا : وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي وأول لحن سمع بالعراق حي على الفلاح^(١) .

٢ - المعجم اللغوي لأصحاب الحرف :

اتسمت لغة الحرفيين باستعمالات ومصطلحات معينة خاصة بحرفهم باعتبار أن لكل طائفة من هؤلاء الحرفيين لها معجمها اللغوي الخاص بها ، ونرى الجاحظ يتسقط في أحاديثهم الألفاظ الخاصة بهم والمصطلحات التي تشكل جانباً من المعجم اللغوي لهذه الفئة الاجتماعية ، وما ذكره في بيانه ألفاظ الملاحين وغيرهم من الحرفيين ، ففي أحاديث الملاحين نرى كلمة مردي كوثلة - وأواري وهذه كلها من ألفاظ الملاحين ، وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «وقلت لملاح لي ، وذلك بعد العصر في رمضان : انظركم بين عين الشمس وبين موضع غربها من الأرض ؟ قال أكثر من مردين ونصف^(٢)» وقال أيضاً يذكر **المُرْدِي** : وقال آخر : وقع علينا اللصوص ، فأول رجل داخل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المردي ، وكانت فخذة أغلظ من هذا السكان ، وأسود صاحب السفينة حتى صار أشد سواداً من هذا الغير^(٣) . وقال أيضاً في ذكره للفظ **الكُوَئِل** : «وأردت الصعود مرة في بعض القناطر وشيخ ملاح

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٦ .

جالس وكان يوم مطر وزلق ، فزلق حماري فكاد يلقيني لجنبي ، لكنه تماسك فأقعى على عجزه ، فقال الشيخ الملاح : لا إله إلا الله ، ما أحسن ما جلس على كوئله»^(١) وقال يذكر **الأواري** وهى مواضع العلف للحيوان : ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسين النخاس ، فلما نظر إلى الطين قال : أي أواري تجيئ من هذا الطين»^(٢) .

ونرى الجاحظ في رسالته في صناعة القواد استلهمها من ألفاظ اللغات الخاصة ببعض الحرفيين من فئات الشعب وطوائفه المختلفة كل حسب مهنته ، ويتخذ من ألفاظ هذه المجاميع البشرية التي يموج بهم المجتمع مادة لرسالته ، فنراه يروي لنا جملة من أحاديث وأشعار أناس ينتمون إلى طوائف اجتماعية مختلفة من مثل الأطباء ، والحكاة والزراع والخبازين وأصحاب الحمامات والكناسين وصانعي الأشربة والخمور والفراشين القوامين على فرش البيوت وتأنيثها . ويؤكد الجاحظ أنه صنف هذه الرسالة إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله ويعرض فيها على المعتصم ما قاله أصحاب المهن والصناعات المختلفة في مجال الغزل ، ويظهر لنا الجاحظ أن هؤلاء القوم من الحرفيين قد تأثروا في ما يدور على ألسنتهم من أحاديث بالألفاظ الخاصة بمهنتهم ، وقد علق الجاحظ على ما دار بينهم من ألفاظ تملئها عليهم صناعاتهم وهذه الألفاظ متنوعة فمنها ما كانت مولدة ومنها ما كانت دخيلة . وهؤلاء الحرفيون وأرباب الصناعات يصورون لنا موقفاً واحداً وكل منهم يعبر عن معان محدودة إلا أنهم اختلفوا في تصوير هذه المعاني وتشبيهها بما يدور حولهم وما يعيشون في غماره من مؤثرات بيئاتهم الخاصة ، وقد صاغوا هذه المعاني في قوالب لفظية متباينة تباين صناعاتهم وتخصصاتهم ، وهذا ما يؤكد كلام الجاحظ أن لكل طائفة من الناس معجمها

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٦ .

اللغوي الخاص بها وألفاظهم الأثيرة إلى نفوسهم . لقد رسم لنا الجاحظ صورة هذه الفئات التي تكون المجتمع العباسي بأسلوب ساخر ، إلا أنه حافظ فيه على أن يترك في نفس القارئ الإحساس الصادق بتباين طوائف المجتمع العباسي في تلك الفترة من الزمن عصر الحضارة العباسية ، فهم يتباينون فيما بينهم تبايناً لغوياً شأن تباينهم اجتماعياً أو ثقافياً أو فكرياً . فصاحب الخيل حين يتغزل في شعره فإنه يصوغ معاني الوجد واللوعة والشوق بألفاظ أثيرة لديه يستعملها هو وأقرانه من أبناء طائفته ، فإذا هذه المعاني ترتبط بصورة علف الدواب والسير الذي يكون عليه لجام الدابة وما تشد به قوائمها فنراه يتغزل بهذه الأبيات :

إن يهدم الصد من جسمي معالفه فإن قلبي بقت الوجد معمور
فيكيف ينسجم الغزل مع القت وهو علف الدواب ثم يسترسل في غزله
فيقول :

ليست برقع هجر بعد ذلك في اصطبل ود فروث الحب منشور^(١)
ثم تنتقل إلى فئة أخرى من الحرفيين وهم الأطباء فنرى بختيشوع الطبيب
يصور لنا أبياتاً غزلية بقوله :

شرب الوصل **دَسْتَج** الهجر فاستط لق بطن الوصال بالإسهال
ورماني حبي بقولنج بين مذهب عن ملامة العذال^(٢)

فهذه الأبيات الغزلية ترتبط بألفاظ صناعته فمعاني الوجد واللوعة مرتبطة بصورة الأمراض مثل **القُولنج** و**الإسهال** ثم الأنسية **الدستج** وغيرها من

(١) صناعات القواد ص ٣٨٢ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

الأمراض والأدوات الطيبة . أما ألفاظ الحب والوجد عند جعفر الخياط فهي ترتبط بصورة الملابس وحياتها وأشكالها ويصوغ قوالبه اللفظية بما يستخدمه من ألفاظ في صناعته : كالدروز ، الطيلسان والكستبان والحجزة وغيرها من الألفاظ التي تدل على مهنته ، وهذه هي بعض أبياته الغزلية التي ذكرها الجاحظ في رسالته قال :

فتقت بالهجر دروز الهوى	إد وخزتي إبرة الصد
حشمتني ياطيلسان النوى	فيك على شوركتي وجدي
يا كستبان القلب ياريقه	عذبتني التذكار بالوعد
يا حجرة النفس وياذيلها	مالي من وصلك من بد ^(١)

كيف يصف هذا العاشق الولهان حبيبه ووجده لها بهذه الأوصاف المفرقة في السوقية والواقعية إذ نراه يصف حبيبه بالحجزة وهي معقد السراويل . ثم يورد لنا الجاحظ صوره من غزل الزراع وأصحاب الأراضي ، فالفلاح يصور لنا هذه المعاني بألفاظه الخاصة بصناعته أو على الأصح بحرفته ، فالغزل مرتبط عنده بصورة الأرض والزرع والسماذ والآفات الزراعية والآلات وأبياته الشعرية في الغزل تدل على مهنته خير دلالة ، فهو يقول في غزله ذاكراً **السرجين** واليرقان وغيرها من المواد الزراعية ، وذكر الجاحظ بقوله : وسألت إسحاق بن إبراهيم عن مثل ذلك وكان زراعاً . فقال :

وسرجنته بالوصل لم آل جاهداً	ليحرزه السرجين من آفة الصد
فلما تعالى البنت واخضر يانعاً	جری يرقان البين في سنبل الود ^(٢)

ثم سأل الخباز فأجابه بأبيات شعرية تصور **التنور** والخبز **والجردق** والمحراك وغيرها من الألفاظ العالقة بمهنة هذا الخباز الذي يدعو الجاحظ باسم

(١) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٥

الرخجي . . وهو من أهل بابل فقال يصف لواعج الهوى في قلبه عندما سألته الجاحظ فقال :

قد عجن دقيق الهوى في جفنة من خشب الصد
وأقبل الهجر بمحراكه يفحص عن أرغفة الوجد
جرادق الموعد مسمومة مثرودة في قصعة الوجد^(١)

فالجرادق لفظ فارسي معرب ، ولكن الخباز استعمله كلفظ من الألفاظ المتداولة عنده والمرتبطة بمهنته . أما صاحب الحمام فإنه يصنع معاني العشق والوجد بصورة الحمام وما فيه من **أتون** ، ومازر ، وليف ، و**زنابيل** كقوله :

يا نورة الهجر حلفت الصفا لما بدت لي **ليفة** الصد
يا **منذر** الأسقام حتى متى تنقع في حوض من الجهد
أوقد أتون الوصل لي مرة منك بزنبيل من الود^(٢)

أما الكناس فيصور حبه وهيامه بأقذر وأقذع الكلمات السوقية المتبذلة قال يتغزل الحسن بن أبي قماشة وكان كناساً :

أصبح قلبي بربخاً للهوى تسليح فيه ففحة الهجر
خنافس الهجران أكلتني يوم تولي معرضاً صبري^(٣)

ثم نتقل إلى الساقى وهو يصور هذه المعاني الغزلية بصورة تجسد لنا بيت الشراب وما به من كؤوس وغيرها من أدوات الشرب ، فنراه يصور فراقه للمحجوب بهذه الأبيات التي يذكر فيها **الدين** - **والقربات** **والقنينة** وغيرها .

(١) صناعات القواد ص ٣٨٦ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٨ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

فمالت **دنان** البين يدفعها الصبا فكسرن **قرايات** حزني على صدري
وكان مزاج الكأس غلة لوعة ودورق هجران وقنينتي غدر^(١)

أما انطباخ فهو يصور هذه المعاني بما يراه في المطبخ من مغارف وأوانٍ ،
وقدور وما يطبخ فيها من أطعمة وأكثر هذه الأطعمة من الأسماء المولدة كقوله
الفالوذ ، واللوزينج والجوزينج **والسكباج والجوذاية** وغيرها من أسماء
الأطعمة ، أما أبياته الغزلية ففيها يقول :

يا شبيه الفالوذ في حمرة الخد **ولوزينج** النفوس الظماء
أنت **جوزينج** القلوب وفي الليلى ——— من كلين الخبيصة البيضاء
عدت مستهتراً بسكباج ود بعد جوذاية بجانب شواء^(٢)

كل تلك الكلمات جاءت على ألسنة أصحاب الحرف وكانت بعضاً من
معجمهم اللغوي الذي تكون كلماته علامة مميزة تدل على حرفة قائلها ، ومن
ثم نعود إلى نفس الشخصيات السابقة التي كانت تتغزل بأبيات شعر صورت فيها
حالات الوجد والهجران ، وقد كانت لكل فئة كلمات مميزة تجسد مهنة قائلها ،
ولو تتبعنا تلك الشخصيات وهي في موقف آخر غير الموقف الغزلي وليكن
تصويرها لمعركة وهذا ما أراده الجاحظ في تسجيله لأحداث الفئات المتنوعة
أصحاب الحرف المختلفة حتى يعطينا صورة حية عن واقعه الحضاري وعن تأثير
امتزاج العنصر العربي بتلك العناصر والأجناس الأجنبية التي كانت تشكل
دعامة المجتمع العباسي أيام عصر ازدهار الحضارة العباسية ، وعلى الأصح أيام
الجاحظ الذي جعلنا نقرب شيئاً فشيئاً من مجتمعه ، ونتعاش مع ذلك المجتمع
عبر القرون والأجيال الغابرة ، ولنرجع للوراء قليلاً لنرى الجاحظ وهو يتبع
الحرفيين في تصويرهم للمعركة وأولهم كان صاحب الخيل عندما سأله الجاحظ

(١) صناعات القواد ص ٣٩٠

(٢) صناعات القواد ص ٣٩١ .

عن الحرب وكيف كانت هناك ؟ فقال : لقيناهم في مقدار صحن الاصطبل ، فما كان بقدر ما يحس الرجل دابته حتى تركناهم في أضيق من عمرغة . وقتلناهم كأنهم أنابير سرجين^(١) فلاحظ الكلمات التي وردت في كلام هذا السائس من مثل اصطبل وحس وعمرغة وأنابير وسرجين هي دلالة واضحة على سيطرت مهنته عليه وتشكيل تفكيره بما يتلاءم والكلمات التي يستعملها بعمله ويتداولها مع أفراد حرفته . أما الطبيب فهو يتكلم عن المعركة وكأنه يجري عملية جراحية أو وكأنه يعالج مريضاً من مرض عضال وبسؤال الجاحظ لبختيشوع الطبيب عن المعركة رد عليه قائلاً : «لقيناهم في مقدار صحن **البيمارستان** ، فما كان بقدر ما يختلف الرجل مقعدين حتى تركناهم في أضيق من محقنة ، فقتلناهم فلو طرحت مبضعاً ما سقط إلا على أكحل رجل»^(٢) . فنرى صورة تلاحم الأعداء في قتالهم ترتبط عنده بصورة البيمارستان ، **والمحقنة** ، **والمبضع** ، وما في الجسم من أوعية دموية مثل الأكحل وهو من عروق اليد . ولكن هذه الصورة تتغير تماماً عندما يصورها لنا جعفر الخياط بصورة الملابس وسوقها ، وأشكالها ويصوغ قوالبه اللفظية بما يستخدمه من ألفاظ في صناعته مثل **الدرز** والجربان والإبرة **والأزرار** وعروتها ، فنراه يقول في وصفه : لقيناهم في مقدار سوق الخلقان ، فما كان بقدر ما يخيط الرجل درزاً حتى قتلناهم وتركناهم في أضيق من جربان ، فلو طرحت إبرة ما سقطت إلا على رأس رجل»^(٣) والمزارع يصف لنا هذه المعركة وكأنه يعاني من سقى أرضه على الرغم من وجود بعض المعاناة إلا أنه ينتصر في النهاية على من يتعرض لهذه الأرض ويعيقه عن عمله ، فالأرض هي التي تدور حولها كلماته في وصفه للمعركة بما في تلك الأرض من زرع ومساحة هذه الأرض هي ساحة

(١) صناعة القواد ص ٣٨١ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٨٤ .

المعركة وما هو الجاحظ يقول : وسألت إسحاق بن إبراهيم عن مثل ذلك ويقصد المعركة - وكان زراعاً فقال : «لقيناهم في مقدار جريين من الأرض ، فما كان بقدر ما يسقي الرجل مشارة حتى قتلناهم ، فتركناهم في أضيق من باب ، وكأنهم أنابيب سبل فلو طرح فدان ما سقط إلا على ظهر رجل»^(١) .

وصنف آخر من الحرفيين وهو الخباز يصور لنا المعركة وكأنها تدور في بيت التنور وآلاتها المحرك والجمر وغيرها من كلمات هذه الفشة من فئات المجتمع العباسي حتى أنه يستعمل ألفاظاً ملتصقة أشد الالتصاق بعملية إعداد الخبز وشوائه ، فعندما سأل الجاحظ الخباز فرج الرجحي وهو من أهل بسابل أجابه قائلاً : «لقيناهم في مقدار بيت التنور فما كان بقدر ما يخبز الرجل خمسة أرغفة حتى تركناهم في أضيق من حجر تنور ، فلو سقطت جمرة ما وقعت إلا على جفنة خباز»^(٢) ولكن هذا التصوير لو وصفه حرفي آخر مثل صاحب الحمام فيا ترى ماذا سيقول في وصفه للمعركة وهذا هو جوابه رداً على سؤال الجاحظ عن تصويره للمعركة فقال : «لقيناهم في بيت الأنبار ، فما كان إلا بقدر ما يغسل الرجل رأسه حتى تركناهم في أضيق من الأتون ، فلو طرح ليفة ما وقعت إلا على رأس رجل»^(٣) فالكلمات بيت الأنبار وهو المحل الذي تحفظ فيه الملابس وباب الأتون وهو الموقد والليفة ، كلها كلمات تدل على مهنة هذا الشخص الذي استطاع تصوير المعركة من خلال حمامه وما يحتويه من أوعية ومواقد . ويعد أن صورت المعركة في جو ملئ بالماء والنظافة تنتقل إلى جو ملئ بالأوساخ على اختلاف أنواعها ، وهذا ما يصوره لنا الكناس الحسن بن أبي قماشة عندما سأله الجاحظ عن المعركة فأجابه قائلاً : «لقيناهم في مقدار سطح الإيوان ، فما كان إلا بقدر ما يكنس الرجل زنبيلاً حتى

(١) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٦ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٨٨ .

تركناهم في أضيق من حجر المخرج ، ثم قتلناهم بقدر ما يشارط الرجل على كنس كنيف فلو رميت بانبه وردانة ما سقطت إلا على بالوعة»^(١) ثم حرفي آخر يصور لنا هذه المعركة بصورة ما يقع عليه بصره في بيت الشراب ، وما به من كؤوس تصفى فيها الخمر ، وهذا أحمد الشرابي يقول : «لقيناهم في مقدار صحن بيت الشراب ، فما كان بقدر ما يُصفي الرجل دنا حتى تركناهم في أضيق من **رُطْلِيَّة** فقتلناهم ، فلو رميت تفاحة ما وقعت إلا على أنف سكران»^(٢) فالكلمات صحن البيت والذن والرطلية هي كلمات تدل أوضح الدلالة على متعاطيها ومتداولها فهذا يصور المعركة بما تمليه عليه مهنة الساقى وما يدور حوله من أجواء الشراب . أما الطباخ فتصويره للمعركة وكأنه في مطبخه يعد إحدى الوجبات الغذائية الدسمة ، وحوله أدواته وبين يديه اللحوم ، التي يعدها والموقد مستعر أمامه ، ونراه يقول ذلك الطباخ : «لقيناهم في مقدار صحن المطبخ ، فما كان بقدر ما يشوي الرجل حملاً حتى تركناهم في أضيق من موقد نار ، فقتلناهم فلو سقطت مغرفة ما وقعت إلا في قدر»^(٣) والذي يلفت الانتباه أن كلمة صحن تتردد كثيراً في كلام الحرفيين من تلك الفئة الاجتماعية من فئات الشعب العامة .

إن الذي يتصفح رسالة الجاحظ في صناعات القواد يكاد يخرج بنتيجة حتمية ، وهى أن هذه الرسالة صاغها الجاحظ وألفها ونظم أشعارها بنفسه قاصداً فيما نحسب إلى أن يضمنها ما جاء على لسان طوائف الشعب من جميع المستويات المختلفة ، ومن الطريف أن نلاحظ أن الحرف والمهن كانت تؤثر في كلام أصحابها ، فتصبح الكلمات التي يستعملونها مأخوذة من الحرفة أو المهنة

(١) صناعات القواد ص ٣٩٩ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٩١ .

التي يزاولونها . حتى قيل إن لكل صناعة ألفاظاً قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكل بينها وبين تلك الصناعة»^(١) ، قال الأصفهاني : ويبدو أن لكل أصحاب صناعة لغة خاصة»^(٢) ويمكننا أن نتبين تأثير الحرفة في كلام أصحابها من الأمثلة التي أوردها الثعالبي قال : قال أبو أيوب الطيب في دعائه : اللهم أسقنا شربة من حبك تسهل ذنوبنا . وقدم إلي قطان جدياً سمينا فلما كشف عن جنبه قال : كأنما أخرج من دكان نداف . ونظر **نداف** إلى غيم منقطع في السماء فقال : كأنه قطن يندف في ديباج أرق . وقال خياط لابنه : يا بني لا تكن كالإبرة تكسو الناس وأنت عريان . وقال محمد **البرازي** للصاحب : لا زال سيدنا في سلامة مبطنة بالنعمة مطرزة بالسعادة مظهرة بالغبطة ، فقال : يا أبا أحمد أحسنت قد أخذتها من صناعتك^(٣) ورسالة الجاحظ التي سأل فيها عدداً من ذوي المهن والحرف عن حرب الروم وكيفية القتال الذي دار بينهم وبين العرب وعن الغزل تشكل جانباً من القاموس اللغوي لفئات وطوائف المجتمع العباسي في عصر الجاحظ ، وقد أسعف الجاحظ دقة ملاحظته وسرعة بديهته وقابليته الفذة في صياغته لرسالة صناعات القواد .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٦٨ .

(٢) الأغاني - الأصفهاني ج ٥ ص ٢٦٠ .

(٣) كتاب خاص الخاص للثعالبي ص ٨٠ - ٨٢ .

الفصل الثاني
الانفاظ الخاصة بالحياة السياسية

الفصل الثاني

الألفاظ الخاصة بالحياة السياسية

خصص الجاحظ عدداً كبيراً من كتبه ورسائله لمناقشة التيارات السياسية والدينية التي كانت سائدة في عصره وقد بين لنا تلك التيارات بألفاظ حددت رقعة الدولة الإسلامية وما تحتويه من أقاليم وألفاظ تبين الأجناس البشرية ، تلك الدولة المترامية الأطراف وما فيها من عناصر متنوعة ، أورد الجاحظ ألفاظاً تبين العناصر العربية والأجنبية بأنواعها . وكذلك أورد الجاحظ ألفاظاً تختص بوظائف الدولة وجيشها ورجال الأمن ومن يدير شئونها ، وذكر الجاحظ الفرق الملحدة العديدة التي انتشرت أبان الدولة العباسية وحدد نزعات هذه الفرق بألفاظ كثيرة ولم ينس ذكر رؤسائهم الروحانيين وكتبهم ومعابدهم . أما الفرق الإسلامية واتجاهاتها السياسية فقد أورد الجاحظ ألفاظاً أجادت وصف هذه الفرق وما يتعلق بها من أمور كأنواعها وتعاليمها ومباحثها . وأهل الذمة لم يغفلهم الجاحظ فجاء بألفاظ تبين أماكن عبادتهم وتعاليمهم وطقوسهم .

اولاً : الالفاظ الخاصة بإقليم الدولة الإسلامية

عندما ذكر الجاحظ التقسيمات الإدارية للدولة الإسلامية وردت عنده الالفاظ التي تدل على هذه التقسيمات بصورة مباشرة فقد ذكر : المملكة ، والدولة ، والحكومة ، والولاية والإمارة ، والإقليم ، قال في رسالته المعاش والمعاد بعض الكلمات مثل المملكة والدولة **والسياسة** : «وكل أمر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين ، وإنما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط ، والحكم ها هنا الحكم هناك ، ولولا ذلك ما قامت مملكة ، ولا ثبتت دولة ولا استقامت سياسة»^(١) وذكر **الحكومة** بقوله «هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة»^(٢) ، أما كلمة الولاية وهي بمعنى الإمارة على البلاد وحكمها وهذه جاءت بعد اتساع رقعة الدولة ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «ولو قال أسلم فلان كان حكمه المحبة والولاية»^(٣) وجاء جمع هذه الكلمة **ولايات** ، قال الجاحظ في بخلاته «ضخم البدن كثير العلم فاشي الغلة عظيم الولايات»^(٤) . وهناك تفسير آخر للولايات سأذكره فيما بعد ، والذي يعنينا هنا هو ورودها جمعاً لولاية وهي الجزء المعروف من الدولة الإسلامية المترامية الأطراف وخير من يشرح لنا معنى الولاية من الكتاب المحدثين هو جرجي زيدان إذ يحدد هذه الكلمة بقوله «يراد بالولاية الإمارة على البلاد» فيولي السلطان أو الملك من يقوم مقامه في حكومة الولايات وهي الأعمال في اصطلاحهم . وهذا النوع من الحكومة قديم . وكانت الشام لما فتحها المسلمون واحدة من ولايات الروم ولاية المشرف وتقسم إلى ١١ إقليماً

(١) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٣) العثمانية ص ٢٠ .

(٤) البخل ص ٥٦ .

تحت كل إقليم عدة بلاد ولكل إقليم قصبه^(١) ، ثم يستمر جرجي زيدان موضحاً معنى الإدارة بقوله «ثم تنوعت الولايات وصارت درجات متفاوتة على ما اقتضاه الزمان والمكان ولكنها ترجع إلى إمارتين : إمارة عامة وإمارة خاصة»^(٢) وقد وردت لفظة **إمارة** بمعنى آخر عند الجاحظ قال «حيث لا إمارة وهادي»^(٣) وهي هنا بمعنى علامة وذكر كلمة إقليم محدداً لها ببلد بابل قال : وإنما صارت ألوان سكان إقليم بابل السمرة أعدل الألوان»^(٤) .

الأقاليم العربية والإسلامية :

كان من نتائج الفتوحات العربية والإسلامية ، أن انتقل العرب من جزيرتهم إلى أقاليم جديدة في الشرق والعرب ، وجدوا فيها حضارات وثقافات قديمة ، كان عليهم أن يكييفوا أنفسهم لها ويكيفوها لتتفق وقيمهم الإسلامية الجديدة ، وقد ورثت الدولة العربية الإسلامية الكثير من المدن والولايات البيزنطية والساسانية ، وهذا ما حدده لنا ياقوت في معجمه»^(٥) وقبل أن نتجول في أرجاء الدولة العباسية في زمن ازدهار الحضارة واتساع رقعة المملكة ، نلقي نظرة بسيطة على العراق مقر الخلافة ومركز الدولة الشاسعة الأبعاد الكثيرة الأقاليم ، فقد وردت كلمة **العراق** عند الجاحظ كثيراً جداً ، ولنذكر بعضها على سبيل المثال ، قال في حيوانه يذكر بغداد والعراق ، وواسط ، وسر من رأى ، وعيسا باذ والموصل وكثيراً جداً غيرها من الأسماء لتلك الأقاليم ، وقد حدد الجاحظ معنى كلمة العراق قائلاً : إن العراق إنما سمي سواداً بلون

(١) تاريخ التمدن الإسلامي حرجي زيدان ١ / ١٥٠ .

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي ، حرجي زيدان ١ / ١٥٠ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٣٠ .

(٤) البرصان والعرجان ص ٤٨ .

(٥) معجم البلدان - ياقوت ج ٣ ص ٤١ .

السعف في النخل ومائه»^(١) وذكر العراق بقوله : «كنت يوماً عند ذي اليمينين طاهر بن الحسين ، فدخل عليه أبو عبد الله المروزي فقال طاهر : يا أبا عبد الله منذ كم دخلت العراق ؟ قال منذ عشرين سنة»^(٢) وقال «ومن خصاله أنه إذا أصاب المطر الباب الذي من شق العراق كان الخصب والمطر في تلك السنة في شق العراق»^(٣) ، أما بغداد فذكرها في أماكن لا تعد ولا تحصى وعلى سبيل المثال حدد لنا مكانة **بغداد** بقوله : «لما كادت الأجناد تحيط ببغداد من جوانبها»^(٤) ، ذكر **واسط** بقوله : وكانت واسط يومئذ الغابة»^(٥) وذكر سر من رأى قائلاً : «وزعم لي أن أحد هذه القبيلة التي رأيناها بسر من رأى»^(٦) وذكر عيسا باذ وهي محلة كانت بشرقي بغداد قائلاً : «قال أبو عثمان : خرجت يوم عيد فلما حرت بعيسا باد إذا تبل مجلل»^(٧) . وذكر الجاحظ أماكن أخرى بالعراق أو بالقرب منه مثل **كاظمة** والمدير وبابل والموصل قال : «الأخدرية هي الحمر التي تكون بكاظمة ونواحيها»^(٨) وذكر **المديير** وهو موضع قرب الرقة قائلاً : «وقد عاب أناس أهل المازح والمدير بأمور : منها أن خشكتانهم من دقيق شعير»^(٩) وذكر إقليم **بابل** قائلاً : «إنما صارت ألوان سكان إقليم بابل السمرة»^(١٠) وقال يذكر **الموصل** «وسمعت حديثاً من شيوخ فلاحي الموصل -

(١) الحيوان جـ ٣ ص ٢٤٦ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٨ .

(٣) الحيوان جـ ٣ ص ١٤٠ وانظر ص ١٤٤ - ص ٢٩٣ ، ٤٤٦ ، ٤٥٦ .

(٤) الحيوان جـ ٥ ص ٣٨١ .

(٥) الحيوان جـ ٣ ص ٢٩٤ .

(٦) الحيوان جـ ٧ ص ٢٣١ .

(٧) الحيوان جـ ٧ ص ٢١ .

(٨) كتاب البغال ص ٣١٢ .

(٩) البرصان والعميان ص ٢٣ .

(١٠) البرصان والعرجان ص ٤٨ .

وأنا هائب له - ورأيت الحديث يدور بينهم ، ويتقبله جميعهم»^(١) . وبعد أن نترك العراق نذهب إلى الشام وبلاد المغرب العربي مروراً بمصر وشاطئ النيل والنوبة والحبشة والسودان وقبل أن نبتعد عن الشام نتجول في هذا الإقليم القريب من العراق ، والذي ذكره الجاحظ بقوله : «وإذا أصاب الذي من شق الشام كان الخصب والمطر في تلك السنة في شق الشام»^(٢) ولنرى ما الذي ذكر الجاحظ من أقسام هذا الإقليم ، فقد ذكر المزة ودمشق والجولان والشامات وحمص وبيت المقدس والأردن . قال ذاكرة المزة : قال : لما صرفت اليمانية من أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه إلى الصحارى كتب إليهم أبو الهيثم : «ليمسنى الماء أو لتصبحنكم الخيل»^(٣) وذكر الجولان بقوله : «وربما كانت الحيات عظماً جداً ولا سموم لها ولا تعفر بالعصى كحيات الجولان»^(٤) وذكر الشامات قائلاً : وعندنا بالبصرة في الذبان أعجوبة ، لو كانت بالشامات أو بمصر لأدخلوها في باب الطلسم»^(٥) وذكر حمص وأهلها قائلاً «وتلك حيلة لأهل حمص»^(٦) وبيت المقدس ذكرها أيضاً قائلاً : «أن يأخذ من مائة فيطفيئ نار بيت المقدس حيث حرق»^(٧) وذكر بيت المقدس مبيناً مكانته الدينية منذ القدم قال «وروى لنا أن أهل مصر منعوا أولياء يوسف من حمله ، فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم ، أمره أن يحمل رتمته إلى تربة يعقوب بالشام ، وقبره علم بأرض بيت المقدس بقرية تسمى

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٢٦ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٤٠ وانظر البيان ج ١ ص ٣٠١ .

(٣) البيان ج ١ ص ٣٠١ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١٤٨ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٣٤١ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٥٣٨ .

حسامي»^(١) وجاء ذكر **الأردن** بقوله : «وزعم لي ناس من أهل الأردن ، أنهم وجدوا الحلفاء قد خرق جوف القار»^(٢) أما الجزيرة وأخبارها فقد جاءت بعض الكلمات تحدد أماكن معينة في إقليم جزيرة العرب وغيرها من الأقاليم التي تتبع الولايات الإسلامية ، طبعاً الصلة وثيقة بالجزيرة مهد الآباء والأجداد والأواصر وثيقة بين سكان العراق وسكان جزيرة العرب ، فنرى الجاحظ يذكر بعض الأماكن التي يمر عليها في طريق البصرة ومكة طريق التجارة والشعائر الدينية فنراه يذكر بلاد **نجد** اسم **الجلس** قائلاً : «البطم لا يعرفه أهل المجلس وبلاد نجد هي المجلس»^(٣) . وذكر **الدهناء** محدداً مكان نجد من هذه المنطقة فيقول : «ونجد وسط الدهناء وهي أوسع من الدو ومن الصمان»^(٤) ويذكر لنا أسماء أخرى من بلاد الجزيرة كالحزورة والدو والصمان والأخشبين وغيرها قال : «فإن فعلت فعلك مائة من الإبل تنحريتها في الحزورة»^(٥) وهذه **الحزورة** «من أسواق مكة ، وذكر الدو والصمان قال : «وهي أوسع من الدو ومن الصمان وعلى ظهر مسجد الجامع»^(٦) . وذكر الأخشبين : «وتنسجين لي ثوباً يقطع ما بين الأخشبين»^(٧) وهذان الأخشبان جبلان في مكة أيضاً .

أما **عمان** فقد ذكرها بقوله : «ولذلك البحر ريح تهب من عمان إلى جهة الزنج شهرين»^(٨) ولعل المقصود هنا بجهة الزنج الساحل الشرقي لأفريقية ، فالملاحة البحرية بين عمان وتلك المنطقة ازدهرت على مدى عدة قرون .

(١) الحنين إلى الأوطان ص ٤١٠ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٣١٥ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٢ .

(٥) كتاب الفيان ص ١٥٠ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٢ .

(٧) كتاب الفيان ص ١٥١ .

(٨) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٢ .

ويكمل لنا الجاحظ الجولة إلى بلاد أفريقيا فيذكر مصر والسودان والمغرب العربي في شمال أفريقيا ثم الحبشة ، فالجاحظ يتحدث عن مصر وشاطئ النيل والنوبة والسودان والحبشة والمغرب ، هذه البلدان يأتي ذكرها في كتبه في إشارات متفرقة ، فقد ذكر **مصر** بقوله : «والحرذون دويبة تشبه الحرباء تكون بناحية مصر وما والاها»^(١) وذكر مصر أيضاً في حيوانه قال : «وعندنا بالبصرة في الذبان أعجوبة لو كانت بالشامات أو بمصر لجعلوها في باب الطلسم»^(٢) . وذكر مصر قائلاً «فحيث وجد أهل مصر أثر تلك الأرجل عرفوا أن ماء النيل سينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان»^(٣) ، وبعد أن ذكر لنا مصر والنيل يأتي إلى ذكر **شاطئ النيل** وبما يمر به من بلدان فقال : «ويزعم من أقام ببلاد السودان أن الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة والنوبة أنهم يشربون الماء الكدر ، ويأكلون السمك النئ فيعتريهم طحال شديد»^(٤) . وذكر **النوبة** في مكان آخر ومعها الحبشة أيضاً ، والظاهر أن هاتين الكلمتين تأتيان متلازمتان قال : «إنه لا يقال للزنج والحبشة والنوبة بيض ولا حمر وليس لهم اسم إلا السود»^(٥) ويذكر **الحبشة** فيقول : وزعم صاحب المنطق أن بالحبشة حيات لها أجنحة»^(٦) . أما **المغرب** فيأتي ذكرها في الحيوان بقوله : «وربما رأينا الرجل من المغرب فلا نجد بينه وبين المسخ إلا القليل»^(٧) هذه بعض المقتطفات من كتبه التي ذكر فيها أسماء بلدان متنوعة لا يمكن أن يكون قد أخذها من الرواة فقط وسمع أخبارها وصنف أخبارها عن طريق الرواية ، لقد كان كلام الرواة عن هذه الأقطار

(١) الحيوان ج ٦ ص ٥٨ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٤ وانظر البخلاء ص ٦٢ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ١٣٨ .

(٥) فخر السودان على البيضان ص ٢١٠ .

(٦) الحيوان ج ٧ ص ٢٥ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٧٢ .

القريبة والبعيدة على حد سواء مما يزيد منه حب التشوق لرؤيتها ويغريه أن يضرب في الآفاق ليرى بنفسه ويستطلع ما يريد استطلاعاً ، وهناك نصوص تؤيد تجوال الجاحظ ورحلاته ، وهذا ما نراه منشوراً في تضاعيف كتبه من نصوص يصرح في ثناياها برحلاته هذه يقول «ورأيت عجباً آخر ، وهو أنني في طول ما دخلت البراري ، ودخلت البلدان ، في صحاري جزيرة العرب والروم والشام والجزيرة وغير ذلك»^(١) وهذا النص صريح في أنه كان للجاحظ جولات واسعة دخل فيها الصحاري والبلدان العامرة : ونص آخر يذكر الجاحظ عن بلاد الترك قائلاً : «وقد رأينا بلاد الترك فرأينا كل شئ فيها تركيا ومن رأى درابهم وإبلهم علم أنها تركية»^(٢) وهناك نصوص أخرى تبين مدى معرفته لتلك البلدان - وانطباعاته عنها وتجوّاله فيها ومعرفته لأهلها . ونعود مرة أخرى لنرى البلدان التي يصفها لنا الجاحظ في رحلاته ومن خلال احتكاكه بالأقوام التي تفد إلى بلده وهذا الجرح الذي يموج بالأقاصيص المختلفة والأعاجيب المثيرة عن بلاد المشرق ، فارس وما جاورها وبلاد ما وراء النهرين حتى يصل بنا المطاف إلى بلاد السند والهند والصين والتبت . فمن الأقاليم الفارسية يذكر لنا الجاحظ «عبادان والأهواز وبلخ وكسكر وشيراز، ومرو وشهر رور وسجستان وكرمان وخراسان» . وهذه الأقاليم الفارسية جاء ذكرها عند الجاحظ في أماكن عديدة من كتبه فقد ذكر **عَبَادَانَ** بقوله : «سمعه بعبادان يقول في قصصه : اللهم من علينا بالشهادة»^(٣) وفي مكان آخر ذكر عبادان بقوله على لسان أحد الأشخاص : «يكلمه في مرمّة داره التي تطوع ببنائها في رباط عبادان»^(٤) وذكر لفظة **الْأَهْوَاز** قائلاً : «لو كان منزلي سوق الأهواز أو نطا

(١) الحيوان ج ٧ ص ٤١ .

(٢) مناقب الترك ص ٦٣ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٢٤ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٩ .

خير أو وادي الحجفة لرجوت أن أستفضل كل سنة مائة دينار»^(١) ثم يذكرها بقوله : «أنه رأى أصحاب الجبن الرطب بالأهواز وقراها»^(٢) . ويذكر **كسكر** قال «وكنا عند داود بن أبي داود بواسطة أيام ولايته كسكر»^(٣) . وبلد آخر هو بلخ ذكرها الجاحظ قائلاً : «إن زرادشت «وهو صاحب المجوس جاء من بلخ وادعى أن الوحي ينزل عليه على جبال سيلان ، وأنه حين دعا سكان تلك الناحية الباردة، الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد»^(٤) ، ثم يذكر **شِيرَاز** فيقول : «ويزعمون أن شیراز من بين قرى فارس لها فغمة طيبة»^(٥) . ثم **شَهْرَزُور** يذكرها قائلاً «والعقارب القاتلة تكون في موضعين : بشهرزور وقرى والأهواز»^(٦) . ويذكر سجستان التي تشتهر بأفاعيها قائلاً : «إذ دخل عليه بعض من يجلب الأفاعي من سجستان»^(٧) وموضع آخر أيضاً يقول عن **سَجِسْتَان** : «وإنه لو أعطى أفاعي سجستان وثمانين مصر وحيات الأهواز لأخذها»^(٨) ومنطقة أخرى من بلاد فارس وهي كرمان ، قال الجاحظ عنها : «وقد رأيت عوداً يؤتي به من ناحية كرمان لا يحترق»^(٩) هذه النصوص قليلة وبسيطة جداً عما ذكره عن بلاد فارس وماله فيها من عجائب وأقاصيص ، وخاصة في كتابه البخلاء وكيف خص بالذكر البخيل المروزي وأهل خراسان بالذات فيقول في تعليقه على أهل **خُرَاسَان** : نبدأ بأهل خراسان لإكثار الناس

(١) البخلاء ص ١٠٤ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) البخلاء ص ٦٢ أنظر الحيوان ج ٣ ص ٢٩٥ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٦٧ .

(٥) الحيوان ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٨ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ١١٦ .

(٨) البخلاء ص ٦٢ .

(٩) الحيوان ج ٦ ص ٤٣٥ .

في أهل خراسان ، ونخص بذلك أهل مرو بقدر ما خصوا به^(١) بهذه الجملة يبدأ كتابه البخلاء ، وبأهل خراسان كانت أولى حلقاته مع البخلاء . وكان لقاءه مع أهل مرو سطره بأحاديث وقصص فيها البخل عند هؤلاء الناس في ذلك البلد الفارسي ، قال عن أهل **مَرُو** : ويقال إن هذا المثل الذي جرى على السنة العوام من قولهم : ينظر إليّ شذرا كاني أكلت اثنين وأطعمته واحداً . إنما هو لأهل مرو^(٢) ثم يتوغل بنا الجاحظ إلى الشرق لنرى بلاداً وصفها أو وصف بعض أهلها وأرضها وهذه البلدان (طبرستان وسندان والزابج وسرنديب وغانة وفرغانة ونهاوند ثم الهند) وبعض مناطقها أي أنه ذكر الهند وأجزاءها كمولتان ومقلاس والقمار والسديب ، واستمر في ذكره للبلدان حتى وصل السند وسيلان والصين والتبت ، وسأذكر هذه الأقاليم حسب ورودها عند الجاحظ ، وقد ذكر **طَبَرِستان** عندما تكلم عن أحد أجواد العرب ، قال : «وكان سهم الحنفي يلي طبرستان ، لمعن بن زائدة، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءة وقد في نفسه»^(٣) ثم يذكر **سندان** قائلاً «لم تشهدني وكردويه الأقطع أيام سندان»^(٤) . وذكر الزابج التي حددها ووصف أهلها بشكل دقيق ، وقد مر في طريقه من السند إلى **الزابج** ببلدان عديدة قال : «وجزائر البحر ما بين الصين والزنج مملوءة سوداناً كسرنديب وكله وأمل وزابج وجزائرها إلى الهند إلى الصين إلى كامل وتلك السواحل»^(٥) ثم يصف لنا **الهند** وبعض أجزائها قال : «وليس بعد أرض الهند أكثر ذباباً من واسط»^(٦) وقال : «ولو

(١) البخلاء ص ١٧ .

(٢) البخلاء ص ٢٧ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٣٧٩ .

(٤) البخلاء ص ٥٠ وانظر الحيوان ج ٧ ص ٢٣١ .

(٥) فخر السودان على البيضان ص ٢١٦ . وانظر مناقب الترك ص ١٩ الحيوان ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٢٥ .

سمعت أو رأيت بعض ما قد أعد الهند من هذه المخاريق في بيوت عباداتهم ،
 علمت أن الله تعالى قد من على جملة الناس بالمتكلمين ، الذين قد نشأوا
 فيهم^(١) نرى في هذا النص أن الجاحظ يصف دور العبادة الهندية ، وهذا مما
 يرجح زيارته لهذه البلدان ثم يصف لنا بعض أجزاء من الهند فيقول : «والهند
 والقمار والديلا والصين وماصين»^(٢) ثم يذكر أجزاء أخرى من الشرق البعيد
السند ، وقد جاء ذكرها كثيراً **وسيلان** ، وقد بين أهميتها قائلاً : «وإدعى أن
 الوحي نزل عليه على جبال سيلان»^(٣) ثم ذكر **غانة** بقوله : «وأهل غانة إنما
 صار لباسهم جلود غمور»^(٤) **وَقَرَّ غَانة** : «ولكن اشتد عجبني منك اليوم وأنا
 بفرغانة وأنت بالاندلس ، وأنا صاحب كلام وأنت صاحب نتاج»^(٥) . ووصل
 إلى **مولتان** فيقول : «ولا رأيتني أيام حرب مولتان»^(٦) ، ثم يتكلم عن الصين ،
 ومن كلامه نستنتج أنه لم يصل إلى تلك البلاد البعيدة ، ولكنه سمع عنها
 الكثير وكتب عنها أكثر ، فهو يقول عن **الصين** والتبت : «ألا ترى أن أهل
 الصين والتبت حذاق صناعات»^(٧) ثم يروي شيئاً غريباً عن **التبت** قائلاً : «ألا
 ترى أنهم يزعمون أن من دخل أرض التبت لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير
 عجب حتى يخرج منها»^(٨) ولو أردت أن أذكر البلاد التي كتب عنها الجاحظ لما
 أوفيت الكلام حقه ، فالجاحظ ذكر بلدان عديدة جداً في أثناء وصفه للأقوام
 أو في أثناء وصفه لطبيعة الأرض ، وجاءت **الاندلس** في نصوص كثيرة ولكنه

(١) الحيوان ج ٦ ص ٢٠١ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢١٦ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٦٧ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ١٣٤ .

(٥) في الجدل والهزل ص ٢٦٥ .

(٦) البخل ص ٥٠ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٣٦ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ١٣٥ .

ليس هناك ما يؤكد ذهاب الجاحظ لها ، وذكر **صقلية** أيضاً في معرض كتابه عن النمل قال : «وفي الجزيرة التي تسمى صقلية لا يكون بها صنف من النمل الذي يسمى أقرشان»^(١) وذكر **نهابوند** أيضاً قال : «ولا يكون بأرض نهابوند حمار لشدة برد الموضع»^(٢) . وقد كان من مناهل ثقافة الجاحظ رحلاته إلى البلدان الإسلامية ، وهذا ما يؤكد الخطيب البغدادي في حديثه عن رحلات الجاحظ قال على لسان الجاحظ : «قد رأيت المدن العظام المذكورة بالاتقان والإحكام ، بالشامات ، وبلاد الروم ، وفي غيرها من البلدان»^(٣) ومن المؤكد أن الجاحظ طاف بمعظم البلاد الإسلامية ، ونستطيع أن نقف على هذا مما نراه منشوراً في تضاعيف كتبه من نصوص يصرح في ثناياها برحلاته ، مثل قوله عن زيارته لدمشق قال : «وقد رأيت مسجد دمشق ، حين استجار هذا السبيل ملك من ملوكها ، ومن رآه فقد علم أن أحداً لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ، فلما قام عمر بن عبد العزيز ، جلّله بالجلال ، وغطاه بالكرامات»^(٤) ومن الكتاب المحدثين الذين عايشوا كتابات الجاحظ المستشرق شارل بيلات يقول عنه مؤكداً لرحلات صاحبه في كتابه المعنون باسم الجاحظ وهناك عامل هام في تكوين هذا العالم الإسلامي هو سفره في طلب العلم . وتلك عادة مألوفة عند أهل الحديث لم تكن تثير اهتمام الجاحظ ، ولم يكن هذا الرجل الطلعة - الذي تستهويه طرائف الأشياء ومناظر الطبيعة المنحولة - والذي وجد فضوله في تأمل ما يحيط به غذاء متجدداً ، ثم يستمر شارل بيلات في حديثه عن رحلات الجاحظ بأن جميع أسفار الجاحظ حدثت في الدور البغدادي^(٥) . ومما يؤكد لنا رحلات الجاحظ وصفه المتقن للسفر ومكابدته

(١) الحيوان ج ٤ ص ١٠٦ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ١٠٦ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣ ص ٧٧ طبعة دار السعادة .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٥٧

(٥) الجاحظ شارل بيلات ص ١١٧ .

للمتاعب واستمتاعه بالرحيل ، وكيف لا يستمتع وهو ابن البيئة البصرية ، ومن المعروف عن البصريين الرحلات والضرب في الأرض ، وهذه عادة جبلوا عليها ، ففي كلام الجاحظ نص يبين لنا شعور المسافرين ويصف في رسالته «مناقب الترك» تعب المسافر وتسامره مع رفاقه وهو بهذا الوصف صادق الحس ومجرب لأهوال السفر والترحال قال : «وإذا طالت الدلجة واشتد السير وبعد النزل ، وانتصف النهار ، واشتد التعب ، وشغل الناس الكلال وصمت المتسايرون فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه عن التشاغل بالحديث ، وتفسخ كل شئ من شدة الحر وحمد كل شئ من شدة البرد ، وتمنى كل جليد على طول السرى أن تطوي له الأرض ، وكلما رأى خيلاً أو أبصر علماً سربه واستبشر ، وظن أنه قد بلغ المنزل»^(١) . ومن هذا النص يتبين لنا وصف رجل مجرب صادق الحس . وهناك بلدان ذكرها الجاحظ مرات ومرات كبلاد فارس ومدنها وأسواقها والسند والهند وعمان واليمن وأيضاً البحرين وبقية مدن الجزيرة العربية ، ولا ننس الشام وما يحيط بها ومدن أفريقيا .

(١) مناقب الترك ص ٤٩ - ٥٠ .

ثانياً: الألفاظ الخاصة بشعوب الدولة الإسلامية :

إن المملكة الإسلامية في عصر الحضارة العباسية أصبحت تتكون من أمم مختلفة ، وكان لكل أمة من هذه الأمم مزايا وصفات ، وقد عدد الجاحظ مزايا كل أمة في عصره فقال :

واليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل ، وميزتهم الحكم والآداب وميزة سكان الصين الصناعة فهم أصحاب السبك والصياغة والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير . وميزة آل **ساسان** في الملك والسياسة ، **والأتراك** في الحروب ، واشتهر أهل الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والصناعات الكثيرة العجيبة^(١) . أما العرب فقد وصفهم الجاحظ بقوله : لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحه فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزية ولا طلبوا المعاش من السنة المكاييل ورؤوس الموازين ولا عرفوا الدوانيق والقراريط ، فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم إلى قول الشعر وبلاغة المنطق وتشقيق اللغة وتصاريف الكلام وقياة البشر بعد قياة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم^(٢) . وقد بحث الجاحظ قضية الأجناس المختلفة ومكانتها الاجتماعية والسياسية في رسالته فخر السودان على البيضان ، أما في رسالته مناقب الترك فقد عالج مسألة مهمة أثارت اهتمامه ، وهي محاولة التوفيق بين العناصر المتباينة التي جمعتها الخلافة العباسية في عصر ازدهار الحضارة إلى أعلى مراتبها .

ومن العناصر التي نرها الجاحظ في كتبه على سبيل المثال وليس الحصر مثل **الفراعنة** والفرعوني والحبشي والزنج والزط والخوز والصقالبة والأشبانين والفرنجية والأبر والحمير حتى إنه وصل في وصفه للأقوام إلى يأجوج

(١) مناقب الترك ص ٦٩ .

(٢) مناقب الترك ص ٧٠ .

ومأجوج ، هؤلاء السقوم الذين ذكرهم في كتبه ممن كانت لهم صلات بالدولة العباسية ، أو ممن جلبوا للعمل أو الخدمة أو غيرها من مطالب الحياة السياسية والاجتماعية ، ومن هؤلاء الأقوام الفراعنة ، قال الجاحظ : «وخبرني عن الفراعنة : أهم من نسل العمالقة»^(١) وذكر **الحبش والزنج** قال : «ومن مفاخر السودان والزنج والحبش ما ذكرنا من قصيدة الحيفان»^(٢) وقال : «لم أنتفع بأكل التمر إلا مع الزنج وأهل أصبهان»^(٣) ، وذكر **الخوز** ومفردهم خوزي قائلاً : «ويبايع الخوز ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بطائل»^(٤) ، وذكر الخوزي وهو نسبة إلى خوزستان من البلاد الفارسية قائلاً : «فصاد رخمة وشواها يبعر ، وقربها إلى خوزي فقال له الخوزي : أخطأت في كل شيء أمرك به الملك : ليس الرخمة شر الطير ، وليس البعرة شر الخطب ، وليس الخوزي شر الناس»^(٥) . **والزط** ذكرهم كثيراً وهم سكان جبل في الهند جلبوا إلى الدولة العباسية ، جاء ذكرهم بقوله : «قيل له : فإن الزط في الآجام يداومون بين السمك واللبن وهم مغتمسون في جميع أصناف الرطوبات»^(٦) وقال : «سل عني صعاليك الجبل وزواقيل الشام وزط الآجام»^(٧) ومن هذا النص نتبين مكانة الزط الاجتماعية وكيف أنهم من الفئات الدنيا في المجتمع العباسي .

ويذكر الجاحظ **الصقالبة** والروم ومن يشابههم قال : وقد رأينا الصقالبة أنجل من الروم والروم أبعد روية وأشد عقولاً»^(٨) ثم يبين لنا أثر البيئة في

(١) التريخ والتدوير ص ٢٩ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ١٩٠ .

(٣) البخلاء ص ١٩٦ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٥٢٠ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٤٩ .

(٧) البخلاء ص ٤٩ .

(٨) فخر السودان على البيضان ص ١٩٦ وانظر الحيوان ج ٤ ص ٧١ .

الأشبانيين قال : إن في العرب قبائل سوداً كبنى سليم بن منصور ، وكل من نزل الحرة من غير بنى سليم كلهم سود ، وإنهم ليتخذون الممالك للرعى والسقاء والمهنة والخدمة من الأشبانيين ومن الروم نسائهم ، فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تنقلهم الحرة إلى ألوان بنى سليم ، ولقد بلغ من أمر تلك الحرة أن ظباءها ونعامها وهوامها وذبابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود ، والسواد والبياض إنما هما من مثل خلقة البلدة^(١) نرى الجاحظ في هذا النص ينادي بالمساواة بين البيض والسودان ، إذ أنه يجعل الوجه الطبيعي سبباً في النتائج الاجتماعية التي ترتبت على التفرقة العنصرية بين **السودان والبيضان**. ولترك هذه القضية ونعود إلى بقية الأقسام الذين ذكرهم الجاحظ مثل الأبر **والفرنجة** قال : «لأن أكثر ما يعد البيضان فارسي والجبال وخرسان والروم والصقالبة والفرنجة والأبر وشيثاً بعد ذلك غير كثير»^(٢) وهو هنا يعدد الأقسام البيض ويذكر منهم **الحمير** أيضاً وهم الروس على الأرجح قال : «ولا أشبه فما ووجها بالإنسان من القرد وربما رأينا وجه بعض الحمير إذا كان ذا خطم ، فلا تجد بينه وبين القرد إلا اليسير»^(٣) ، ويستمر في عرضه للأقسام حتى يصل إلى يأجوج ومأجوج ، وهؤلاء يقال : إنهم من الجنس الآسيوي بنى من أجلهم سور الصين الذي بناه الاسكندر ، وقد بين المسعودي في مروجيه بأن طباعهم في عداد البهائم ، وقد ذكرهم الجاحظ قائلاً : «ولا ننكر أن يفسد الهواء في ناحية من النواحي فيفسد ماؤهم وتفسد تربتهم ، فيعمل ذلك في طباعهم على الأيام كما عمل ذلك في طباع الزنج وطباع الصقالبة وطباع بلاد يأجوج ومأجوج»^(٤).

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢١٩ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢١٥ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٩٨ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٧١ .

من النصوص السابقة نرى أن الجاحظ عدد لنا الأقسام حسب ألوانهم البيضان والسودان والحمير وما شابه ذلك ، وسوف نتكلم عن فعالية هؤلاء الناس واتصالهم بفئات المجتمع العباسي ومدى تأثيرهم وتأثيرهم في المجتمع وأجناسه بعد أن استعرضنا البلدان التي تكون رقعة الدولة العباسية ، والبلدان التي عرفها العباسيون وتعاملوا معها واتصلوا بها واستفادوا منها .

ثالثاً: الالتفات الخاصة بالوظائف والجيش في الدولة الإسلامية :

الوظائف في الدولة العباسية تشعبت على مقتضيات الأحوال في ذلك العصر ، فاستحدث العباسيون مناصب وظيفية لكي تتلاءم مع عصر الحضارة العباسية ، فنرى أن عوامل الاختلاط في ذلك العصر أثرت على الحياة السياسية ، إذ أصبح الخلفاء أكثر ترفاً من العصور السابقة لعصرهم ، فالرخاء جعلهم يستنيبوا من يقوم مقامهم ، ويقضي أعمالهم ، ويباشرها ، وبهذا خرج إلى النور نظام الوزارة والحبسة ، ثم تفرعت المناصب وتشعبت على مقتضيات الأحوال للبلدان الشاسعة التي تضمها .

١ - مناصب الحكم في الدولة العباسية :

وهذه المناصب هي الوزارة والولاية أو الولاية والقضاة والقادة ثم القهرمان والقيم وصاحب المسلحة والمعدلون والشرطة والجمع أشراف وشرط ، وقبل أن ندخل في السلم الوظيفي ومتاهات هذه الوظائف ، ومنها الكبيرة المرموقة ومنها الصغيرة بصلاحياتها الكبيرة بمهمتها . وقبل الخوض في تعريف هذه الوظائف ننظر إلى الجاحظ وهو يصف لنا كلمة **رياسة** التي تتعلق بها الآمال السياسية للدولة وكيف تكون هذه الرياسة ولما تكون فيقول : «فلسنا نشك أن الإمام الأكبر والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة والأخلاق الرفيعة والتمام في الحلم والعلم ، والكمال في الحزم والعزم مع التمكين والقدرة ، والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التي معه مع التوفيق والعصمة»^(١) ويذكر لنا كلمة **سياسة** و**سياسة** و**سياسة** وحاشية **وجمهور** ودهماء ، وقد ذكر الجاحظ فصلاً طويلاً في كتابه العثمانية يناقش فيه قضية اختيار الناس إمامهم وخليفته، ونلاحظ أنه يمزج بين صفة الإمامة والخلافة ، ومن رأيه أن معنى

(١) مناقب الترك ص ٣٩ .

الإمامة وتأويل الخلافة أمر تدركه الخاصة ولا تعرفه العامة ، ذلك بأن العامة مع كل ربح يهب ، وناشئة تنجم^(١) وقال عن الرياسة : «وينسب إلى العلية ، ويطلب الرياسة ويخطب السيادة»^(٢) وذكر **السياسة** بقوله : «اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط» ، والحكم ها هنا الحكم هناك ولولا ذلك ما قامت مملكة ولا تثبت دولة ولا استقامت سياسة»^(٣) أما كلمة **ساس** فقد ذكرها في كتابه الحجاب قال : والواجب على من ساسهم التوقي على نفسه من سوء ظنونهم»^(٤) وبعد **السياسة** نزل من القمة إلى طبقة **الجمهور** من الدهماء ، وقد وردت هاتان الكلمتان في كتابات الجاحظ ، قال في البيان والتبيين : هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة»^(٥) ثم يصف **الدهماء** بقوله : «فما ظنك بالسوقة والحشوة وبالداهماء والعامة»^(٦) ويورد الجاحظ كلمة دهماء قائلاً : «ولسنا نخبر إلا عن دهماء الناس وجمهورهم كيف كانوا من ملوك وسوقة»^(٧) ، وكلمة **حاشية** التي جاءت بنفس المعنى ذكرها بقوله : «وفرض لسوى هؤلاء النفر من العجم من الحاشية والعوام»^(٨) ، وبعد الخليفة يأتي دور الولاة والقضاة والقادة ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأقسام وعلى رأسها **الوزير** الذي يكون في أعلى الرتب بعد الخليفة وله النيابة عنه في الحل والربط ، وفي زمن العباسيين اقتبسها المسلمون عن الفرس وقد عظم شأن الوزير وصارت إليه المكاتبات لصون أسرار الخليفة والنظر في ديوان الحساب ، وقد ذكر الوزير

(١) العثمانية ص ٢٥٠ .

(٢) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٠ .

(٣) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٤) كتاب الحجب ص ٣٥ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٦) كتاب البغال ص ٢٢٥ .

(٧) الحيوان ج ٦ ص ٧١ .

(٨) العثمانية ص ٢١٣ .

بقوله «ونحن بعد تربية الخلفاء وجيران الوزراء ولدنا في أفنية ملوكنا»^(١) ، وقد ذكر الوزير من قبل الكلام عن الولاية والقضاة والقادة لأنه منصب استحدث في عصر الخلافة العباسية ، ولم تحدد سلطات الوزارة بصورة ثابتة في أول عهدها ، وقد صنف الجاحظ كتاباً في «أخلاق الوزراء» ولم يصل إلينا شيء عنه سوى إشارة عابرة في صدر رسالته (فصل ما بين العداوة والحسد) تنص على أن هذه الرسالة مسبقة بكتاب (فضل الوعد) وهو من الكتب التي أشار إليها الجاحظ في مقدمة حيوانه «كتاب أخلاق الوزراء الذي تقدم كتاب فضل الوعد»^(٢) وقال في **الوزراء** : «والمكارم الباقية الماثورة مع ما تضمنته من سير الملوك والخلفاء ووزرائهم وأتباعهم وما جرت عليه أحوالهم»^(٣) وذكر الجاحظ **الولاية** وهم الذين يقومون مقام الخليفة في حكومة الولايات وهي الأعمال التابعة للدولة العباسية وكذلك القضاة قال الجاحظ : «وجعله متصفحاً على القضاة وعتاداً على الولاية»^(٤) . وجاء ذكر **القادة** في كتاب العثمانية أكثر من غيره من الكتب الأخرى ، فذكره الجاحظ بقوله «فأما الحشوة والطعام فإنما هم أداة للقادة وجوارح للسادة»^(٥) . وينتقل الجاحظ إلى من يتولى تنفيذ أحكام الولاية وهم **الحجاب** والكتاب ، وقد ذكرهم في كتابه فقال : «اعرف حاجبك وجليسك وكاتبك فإن الغائب يخبره عنك كاتبك والمتوسم يعرفك بحاجبك» . وقال الفضل بن يحيى أحد وزراء العباسيين : «إن حاجب الرجل عامله على عرضه وإنه لا عوض لحر من نفسه»^(٦) .

(١) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ١٢٠ ، ص ٣٣٨ .

(٣) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٨ .

(٤) الفتيا ص ١١٥ ط .

(٥) العثمانية ص ١٨ .

(٦) كتاب الحجاب ص ٤٠ .

وهناك نوع آخر ممن يقيمون الأحكام وهم **المعدلون** ، قال عنهم الجاحظ : «ولا يرتع فيه المعدلون في زمان السوء»^(١) . وذكر **القهرمان** في رسالته الحنين إلى الأوطان ، قال : «فقال الوليد لقهرمانه أسيلم بن الأحنف»^(٢) وهناك **القيم** وهو من الذين يعتمد عليهم في تصريف أمور الدولة وأحياناً يطلق على مديري البيوت الكبيرة ، وفي مجال كلامنا على وظائف الدولة ، فالقيم ذكره الجاحظ بهذا المعنى فقال : «ولم يزل بمكانه في ديوانه قيماً لابن أبي خالدة الأحول»^(٣) .

٢ - الشرطة وحفظة الأمن :

ويحدثنا الجاحظ عن صاحب المسلحة الذي كان يقوم في الفصل ما بين الباعة والمشتريين ، ويروي لنا هذه الحكاية عن سلطة **صاحب المسلحة** ، فيقول : «وإذا امرأة قد تعلقت برجل وهى تقول : بيني وبينك صاحب المسلحة»^(٤) أما **الشرطة** وأخبارهم فقد استرسل الجاحظ في الحديث عنهم قال : «وكان على شرطته عبد الرحمن بن طارق فقال لرجل من الشرط : «إن أقدمت على جدي الأمير ، أسقطت عنك نوبة سنة»^(٥) فقد ذكر في هذا النص الشرط والشرطة ، وهى بنفس المعنى وذكر الشرطة في مجال حديثه عن **صاحب الشرطة** فقال : «فكان صاحب الشرطة يخرج وهو يجمع»^(٦) وقال عن **الأشراف** : «قال وشهدته مرة وأشرافه قيام على رأسه في السماطين»^(٧) ويساعد الشرطة أو الأشراف في المحافظة على الأمن داخل البلدان والأمصار

(١) في الجدل والهزل ص ٢٥٤ .

(٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٧ .

(٣) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٣ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٥) البخل ص ١٤٩ .

(٦) البرصان والعوران ص ٢١٠ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٤٢٥ وانظر كتاب البغال ص ٢٢٩ .

صاحب الحرس - وحراسه الذي يدعون بحراس الأسواق ، وهؤلاء كان من ضمن تعيينهم في هذه الوظيفة معرفتهم باللغة الفارسية وهى شرط أساسى للالتحاق بالحراسة ، وقد وصفهم الجاحظ في بيانه قائلاً : «ومن تمام آلة صاحب الحرس يكون زميتاً قطوباً أبيض اللحية ، أقنى ، أجنبي ، ويتكلم بالفارسية»^(١) . ثم يشرح لنا الجاحظ وظيفة هؤلاء **الحرس** فيقول : «وعلى أنا لو حلنا بين حرس الأسواق ، وما تشتمل من حرائب الناس وبين اتخاذ الكلاب لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا تمتنع كل محروس من إعطائهم تلك الأجرة ، ولو وجد اللصوص ذلك من أعظم الغنم وأجود الفرص»^(٢) وفي معرض كلامنا عن الشرطة والحرس وتنفيذ الأحكام أو فرض العقوبات التي كان يقوم بها صاحب الشرطة مع مساعديه الأشراف حسب ما يدعوهم الجاحظ - ولم ينس الجاحظ أن يذكر لنا السجون وأنواعها والمساجين ممن ينفذ فيهم صاحب الشرطة أحكامه بعد تلقيها من القضاة والحكام ، ويذكر لنا كذلك أهل السجن وهم القوامون بأمر السجن . قال عن أنواع السجون **الديماس والمطابق** والسجن وهى تعطي نفس المعنى فيقول : «فكم من ديماس قد نقبته ، وكم من مطابق قد أفضيته ، وكم من سجن قد كابدته»^(٣) . ويذكر الجاحظ عمل أهل السجن فيقول : «وأهل السجن يعملون منها سموماً أنفذ من سم البيش ومن ريق الأفاعي ، وذلك أنهم يدخلون الوزغ قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمرها ، ويضعونها في الشمس أربعين يوماً حتى تختلط بالزيت وتصير شيئاً واحداً . فإن مسح السجين منه على الرغيف مسحة يسيرة فأكل منه عشرة أنفس ماتوا»^(٤) من هذا النص يتبين لنا حرفة أهل السجن وما يقومون به من وسائل الإبادة والتعذيب للسجناء .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٥ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٣٠٣ .

(٣) الخلاء ص ٥٠ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢٩١ .

ولكن مع كل هذه القسوة عن أهل السجن وبشاعة ما يقترفونه بحق السجناء كانت هناك الشفاعات والمقامات التي لا يمسه أحد ، قال الجاحظ عن أهل الشفاعات في بخلائه : « فكثروا عليه وأتوه بالرقاع والشفاعات »^(١) ومن الأمور التي تتبع هذه الحلقة عن الشرطة والقائمين على السجن ، هناك من يقوم بالتجسس ، ويشير لنا عن هذا الأمر بقوله : « وقد شكوا بعض الملوك تنقيب العوام عن أسرار الملوك »^(٢) ويورد لنا الجاحظ كلمة **تجسس** صريحة فيقول « ولم نر حب الطعن على الملوك والتجسس على أخبارهم »^(٣) .

٣ - الجيش وفرقه العسكرية :

كانت كل قاعدة عسكرية تسمى جنداً ، وسلطانها يشمل زمناً واسعاً يعادل زمام الولاية الرومانية أو البيزنطية التي تقع فيها القاعدة العسكرية ، ومن هنا نرى أنه قد أطلق على هذه الولايات التي يحكمها قائد القاعدة العسكرية : **الجند** فيقال **جندي سابرور** وغيرها من القواعد الإسلامية ، فالجند على هذا الاعتبار هي الولاية العسكرية ، وكانت أكثر ما تكون على الحدود . وفي دولة بني العباس نرى جند الخلافة من جماعات مختلفة عربية وأعجمية ، وهذا حدث عظيم في تاريخ الدولة العباسية ، وقبل أن نتطرق إلى فرق الجند العباسي نستعرض الأماكن التي ترابط فيها الجيوش في ذلك العصر ، منها جند يسابور وثغور ومضايق ورباط ، وقد جاءت هذه الكلمات عند الجاحظ في أماكن متفرقة من كتبه قال ذاكراً **جند يسابور** : « وكان الرجل تلسعه الحرارة بعكس مكرم أو بجند يسابور فتقتله »^(٤) . وقال الجاحظ مبيناً ساكني هذه

(١) البغلاء ص ١٩٩ .

(٢) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٨ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٩ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢١٩ .

القاعدة العسكرية «ولفظي لفظ عربي وكان ينبغي أن تكون لغتي لغة أهل جندي سابور»^(١) ومن هذا النص نتبين أن الخلفاء العباسيين أدخلوا العنصر الأعجمي في صفوف الجيش لتأييدهم ومؤازرتهم . ويذكر **الثغور** بقوله : «وأجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور»^(٢) . فالثغور هي الحدود البحرية على الإطلاق ، ويذكر لنا **المضايق** وهي من الأماكن التي تحرسها الجيوش ، قال في مناقب الترك : «ونحن حماة المستحلم وأبناء المضايق»^(٣) ، ويذكر **الرباط** وهو أيضاً يكون عند الثغور لمراقبة الجيش هناك ، قال يذكر نوعاً من هذه الأربطة التي تنتشر على جميع الحدود الإسلامية البحرية : «داره التي تطوع بينائها في رباط عبادان»^(٤) وكانت تسميات الفرق العسكرية حسب الأجناس فكانوا يعبرون بالجند عن الأتراك وغيرهم من الأعاجم ، وبالحرية عن جند العرب وكلهم مشاة ثم المتطوعة ، وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء أنفسهم . ويذكر لنا الجاحظ أقسام الجيش فيقول : «إن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام : خراساني ، وتركي ، ومولي ، وعربي ، وبنوي»^(٥) والجند المستأجرون كانوا يدعونهم بالشاكرية وهذه التسمية وردت عند الجاحظ في مناقب الترك فقال : «ألا ترى أن اسم **الشاكرية** وإن خالف في الصورة والهجاء اسم الجند فإن المعنى فيهما ليس يبعد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعمل واحد . والذي إليه يرجعون طاعة الخلفاء وتأييد السلطان»^(٦) ومن فرق الجند عند الخلفاء **النشابون** و**النفاطون** و**النافضة** و**الدراجة**^(٧) وكذلك

(١) البخلاء ص ١٠٢ .

(٢) في النابتة ص ١٥ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٦ .

(٤) البخلاء ص ٢٠٩ .

(٥) مناقب الترك ص ٩ .

(٦) مناقب الترك ص ٣٠ وانظر الحيوان ج ٢ ص ١٣٠ .

(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٧ .

فرقة **المرابطة** ، وقد ذكرهم الجاحظ بقوله : «وكان مسلم بن قتيبة يركب بغلة واحدة ومعه أربعة آلاف مرابطة»^(١) .

٤ - رتب الجيش :

كانت رتب الجند أيام الدولة العباسية **طلائع** - والمفرد **طليعة** و**قائد** ، و**نقيب** وأمير وصاحب لواء ، وقد جاء ذكر بعض الرتب عند الجاحظ فقال عن النقباء والنقابة نحن النقباء ، وأبناء النقباء ، ونحن النجباء وأبناء النجباء ، ومنا الدعاة ، قبل أن تظهر نقابة أو تعرف نجابة»^(٢) وذكر الجاحظ **أمير الجيش** فقال : «وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش . نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة»^(٣) وذكر **الطليعة** بقوله : ولا القلب ولا الجناح ولا الساق ولا الطليعة»^(٤) . وقال يذكر **صاحب اللواء** : «أو ما علمت أن صاحب اللواء وإن كان لا يبارز ولا يمشي بالسيف أنه يحتاج من المعرفة بالحرب وعورتها»^(٥) ومن الأشياء التي تستعمل في الحرب كشعار للجيش أو لفرقة معينة وهي الرايات والبنود والوتر والتجافيف ، قال الجاحظ في معرض كلامه عن الجيش : «ومنهم من يحمل البنود والرايات»^(٦) وقال : «وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس»^(٧) وقال يصف حالة الفرس المقاتلين وهم يعيرون العرب فيقولون : «ولا تعرفون الأقيية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود

(١) البخلاء ص ٢٠٤ .

(٢) مناقب الترك ص ١٤ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ .

(٥) العثمانية ص ٥٧ .

(٦) مناقب الترك ص ٥٣ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٢ .

والتجافيف»^(١) وذكر الطبول والسراني وهو البوق»^(٢) .

٥ - آلات الحرب ومعداته وفنونه :

وقد ذكر الجاحظ كلمة آلات والمفرد آلة ، وعرادة والجمع عرادات ،
ورتيلة والجمع رتيلات ودبابة والجمع دبابات ، وطبرزين والجمع طبرزيينات .

أما لفظة آلة وجمعها آلات فقد وردت عند الجاحظ بقوله : «ولا تعرفون
من آلة الحرب»^(٣) وقال **آلات** ، وهو يقصد بها المعنى المادي والمعنى اللغوي ،
فقال موضعاً ما يريد : «واعلم أن الآداب إنما هي آلات تصلح أن تستعمل في
الدين وتستعمل في الدنيا»^(٤) ثم أخذ يسرد علينا آلات الحرب قائلاً : «من آلة
الحرب الرتيلة»^(٥) وجاء بالجمع **رتيلات** فقال : وآلات الحرب كالمجانيق
والعرادات والرتيلات»^(٦) ثم استمر بذكره لآلات الحرب ، فقال **الدبابات** وآلة
النفاط وغير ذلك مما يطول ذكره»^(٧) ، وذكر المفرد **عرادة** فقال : «ولا تعرفون
من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة»^(٨) . وآلة أخرى من آلات الحرب وهي
الطبرزين والجمع **طبرزيينات** ، قال الجاحظ يصف أحد الفوارس في المعركة :
«شد عليه بطبرزين كان في يده ف ضرب به جبهته»^(٩) ويصف الجاحظ لنا كيفية
استعمال **الطبرزيينات** قائلاً : «الطبرزيينات في الأكف والخناجر في الأوساط»^(١٠)

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٧ .

(٢) كتاب القيان ص ١٧٩ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٧ .

(٤) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٧ .

(٦-٧) مناقب الترك ص ٦٩ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٣ .

(٨) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٧ .

(٩) الحيوان ج ٧ ص ١٧٩ وانظر الرسائل ج ٢ ص ١٢٦ . والحيوان ج ٣ ص ١٨٧ .

(١٠) مناقب الترك ص ٢٠ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٣ .

ومن معدات الحرب وأدواته الكافركوبات والرماح بأنواعها مثل **النيزك** والمربوع والخموس والخطل والرديني ، ثم يعدد لنا السيوف وأنواعها المختلفة بين طيات كتبه المتنوعة كالسيوف القلعية واليمانية ، والسيوف الذي يدعي جفيري والفرعوني ، ومن آلات الحرب أيضاً **المشاقص** و**المشامل** ، وأنواع المطارق مثل **الغطيسات**، وسوف نورد هذه الأنواع كلاً في موضعه، فقد ذكر الجاحظ **الكافركوبات** وهي المقرعة فقال : «والخيول الشهيرة والكافركوبات»^(١) ويعدد لنا أنواع الرماح قائلاً : «وللرماح طبقات فمنها النيزك ومنها المربوع ومنها الخموس ومنها التام ومنها الخطل»^(٢) ونوع آخر من الرماح وهو **الرديني** فقال : «وكأنه غصن بان وكأنه رمح رديني»^(٣) ومن السيوف يذكر لنا الجاحظ : «وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعوني» وذكر الجفيري بقوله : «فتنكبت قوسي وتقلدت جفيري»^(٤) وذكر **الغطيسات** وهي المطارق العظيمة قائلاً : «أصبر على دق عظام المطارق والغطيسات»^(٥) و**المشامل** وهي نوع من النصال ، ذكرها الجاحظ في حديثه عن السيوف والرماح قال : «من ذلك نصب السكاكين والسيوف و**المشامل**»^(٦) ويحدثنا الجاحظ عن السفن ومعداتا الحربية ، ومن هذه السفن **الحراقات** التي كانوا يحملون فيها المنجنقات والنفط ليرمي بها على الأعداء ، وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «واتخاذ الجمازات وعمل الحراقات»^(٧) ومن معدات السفن الحربية الزرد والخوذات والدرق والتروس والكلاليب و**المشاقص** و**البنجكان** . وقد ذكر

(١) مناقب الترك ص ٢٠ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٣ .

(٣) الترييع والتدوير ص ٢١ .

(٤) البخلاء ص ٢٢١ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٣١١ .

(٦) البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٣ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٨٢ .

الجاحظ هذه الأنواع عندما تحدث عن الجيوش في مناقب الترك وغيرها وعندما تحدث عن آلات الحرب في كتاب البيان ، فقد ذكر هذه الأنواع بقوله : « . . . ولا الخوذ ولا السواعد ولا الأجراس ولا الوهق ولا الرمي بالبنجكان والزرق بالنفط والنيران »^(١) . وذكر **المشاقص** بقوله : « ويعج بطنه بالحراب ، وفري أوداجه بالمشاقص »^(٢) ، وجاء بلفظة **الحسك** قائلاً : « ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق ولا الدبابات ولا الخنادق ولا الحسك »^(٣) وهذه اللفظة الحسك من أدوات الحرب التي تلقى حول المعسكر لعرقلة سير العدو .

فنون الحرب :

نرى أن الجاحظ خص هذه الفنون بأماكن كثيرة من كتبه ، فهو يتحدث عن فنون الحرب في مناقب الترك وفي البيان والتبيين وغيرها من الكتب فكان إما مدافعاً عن العرب وإما واصفاً لفنون المعارك عند منافسيهم ، وقد وصف الجاحظ الحرب بكلمة عوان ، فقال : « عارت فجنت حرباً عواناً »^(٤) ثم يصف لنا المعارك وكيف تدور وطريقة المقاتلين في الحرب ، ومن الكلمات التي ذكرها بهذا الخصوص : « السلسلة ، والمواجهة والمجاوله ، والمشاوله والمخارجات والمشكول » ، وقد جاءت هذه الألفاظ عند الجاحظ وأكثرها وروداً في البيان والتبيين ومناقب الترك ، قال عن لفظة **السَّيْلَة** ووصفها بقوله : « وقتالكم إما سلة وإما مزاحفة ، والمزاحفة على مواعد متقدمة والسلة مسارقة وفي طريق الاستلاب والخلصة »^(٥) وذكر **المواجهة** بقوله : « ولنا معانقة الأبطال عند تحطيم

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ .

(٢) في النابتة ص ١٣٩ ظ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ .

(٤) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٧٠ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ وانظر مناقب الترك ص ٢١ .

القنا وانقطاع الصفاح ولنا المواجهة بالسكاكين»^(١) وذكر المجاورة **والمُشاوِلة** فقال: «وتثقيفًا ودربة للمجاورة والمشاوِلة»^(٢) أما **المُخَارِجات** وهى المبارزات فقد ذكرها بقوله : «لم يصعد نهر سليمان ولا قاتل في المخرجات أحد قط يشبهه»^(٣) وقال يصف المقاتل : «فيلجم ذنب فرسه ويركبه مشكولاً»^(٤) .

(١) مناقب الترك ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) مناقب الترك ص ٢٠ وانظر البيان ج ٣ ص ٦ وكتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٣) فخر السودان على اليضان ص ١٩٤ .

(٤) البرصان والعرجان ص ٧ .

رابعاً: الفئات الاجتماعية والتيارات السياسية والدينية:

١ - العناصر المولدة والعربية في الدولة العباسية:

أصبح التعصب بين العناصر العربية وغير العربية أوضح وأقوى مما كان عليه في العصر الأموي ، وأصبح المولدون في عصر الحضارة العباسية من أظهر العناصر^(١) ، وظهرت في هذا الإطار عدة ألفاظ : سمو ابن العربي من الأمة هجيناً ، وقد ذكر الجاحظ **الهجين** والجمع **هَجَنَاء** ثم التهجين والمعلهج والعسيف ، وكلها صفات للعناصر المولدة والنابة قال : «إنك قرأت كتابي في محاجة الصرحاء للهجناء»^(٢) وقال : «وكانوا مثل ذلك لا يزوجون الهجناء»^(٣) وذكر هجان وجاء هنا صفة : «فعلام ذلك وهي تقول : فلان هجان وأزهر وأبيض»^(٤) ، وقال في الهجين «وذلك المنع تهجيناً لطاعتك»^(٥) ، **والمُجَنَّة** بمعنى العيب ذكرها في بيانه : «البلادة في الرجل هجنة»^(٦) أما **المعلهج** وهو أيضاً بنفس معنى الهجين ، ذكره الجاحظ قائلاً «وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ولا معلهج»^(٧) . ومن المولدين أيضاً العسيف **والنابة** قال الجاحظ : «شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنابة»^(٨) وقد نجمت من الموالي ناجمة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولاية ، قد صار عربياً»^(٩) . وهذه النابتة أفرد لها رسالة خاصة في رسائله لأهميتها وذكر **العسيف** بقوله :

(١) فخر السودان على البيضاء ص ٧٨ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٣ .

(٣) فخر السودان على البيضاء ص ٢٠٧ .

(٤) البخلاء ص ٤٧ وانظر القيان ص ١٤٥ .

(٥) البيان والتبيين ج ٤ ص ٩٥ .

(٦) مناقب الترك ص ١٠ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ١٣٠ .

(٨) في النابتة ص ٢١ .

«ليس كالحليف ولا المولي والنزيل والتابع والعسيف»^(١) ، وعلى ذكر المولدين نذكر العلات وأولادهن ، قال في ذكر **الِعَلَّات** ، وهى الأمهات لرجل واحد ولهن أولاد كشار فأولاد العلة : هم أبناء الرجل للأمهات شتى ، قال الجاحظ يبين التنافر بينهم : «وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض كأن بينها من التنافر ما بين أولاد العلات»^(٢) وقد كانت الأوساط السياسية وأوساط أشرف القبائل وأوساط البدو تحتقر الموالي حتى أن الجاحظ أورد لنا في كتبه ألفاظاً تدل على أعالي القوم وحلبتهم وجاءت ألفاظه هذه لفئة معينة من العرب المتعصبين قال : «وأن كل واحد منهما يقطع نظام المعاني ويخلط بين الأسافل والأعالي»^(٣) ، وقد ذكر الجاحظ الأعالي ومفردها عليّة والجلّة والغلصمة وجمعها غلاصم واللباب والمصاص ، وهى من صفات العرب الخالص الذين يعتزون بأصلهم ويدعون السيادة والعلو على غيرهم من الأجناس ، قال يذكر **الِعَلِيّة** : «رجلاً واحداً ممن يستحل الخاصة وينسب إلى العلية ويطلب الرياسة ويخطب السيادة»^(٤) وقال أيضاً عن هذه الطبقة من العرب : «وليست للخاصة قوة بالعامّة ، ولا للعليّة قوة على الأراذل»^(٥) . وذكر **الجلّة** وهى بنفس المعنى قال : «وهذا سبيل كل سر يستودعه الجلّة والعظماء»^(٦) أما **المُصَاص** وهم من أخلص العرب نسباً قال عنهم : «على أن ولاء الأتراك للباب قريش ولمصاص عبد مناف»^(٧) ففي هذا النص ذكر المصاص واللباب وهما صفات عليا القوم من أشرف العرب ، وهناك أيضاً لفظة تدل

(١) العثمانية ص ٢٣ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٢٢٧ .

(٤) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٠ .

(٥) في نقي التشبيه ص ١٠٦ ط .

(٦) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥١ وانظر مناقب الترك ص ٨ .

(٧) مناقب الترك ص ١٣ .

على السادة والأشراف وهي **الغَلَصَمَة والغَلَاصِم** جمعها ، قال «فكذلك يصفون الغلصمة والغلاصم»^(١) وهذه اللفظة لها معنى آخر نوردته في الحياة العلمية .

٢ - النزعات السياسية والدينية للفرق الملتحدة:

نزعة تبناها الفرس وهي الشعوبية ومما ساعد على انتشارها أنها تساند الوطنية والعصبية الدينية مع العلم بأنها نزعة سياسية أكثر منها عقيدة دينية . وقد شاركت العناصر الأجنبية في الدولة العباسية في نزعة الشعوبية ، وأذكت جذوة هذه النزعة بكل ما أتيح لها من مؤثرات سياسية واقتصادية واجتماعية وعقلية .

أما موقف الجاحظ من نزعة الشعوبية فلم يصطبغ بصبغة طبقية ، فهو يستعمل الشعوبية ويقصد بهم العجم الذين يدعون إلى المساواة بين العرب والعجم عامة . فقال عن **الشعوبية** : «ونبدأ على اسم الله تعالى بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية ويمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المخرصة عند مناقلة الكلام»^(٢) .

يعرض الجاحظ حجج الطرفين لا سيما حجج الشعوبية على العرب ثم يقوم بالرد عليها حجة فحجة ، ونفهم مما يعرضه الجاحظ في رده على الشعوبية أن النقد كان موجهاً بصورة خاصة ضد مظاهر الحضارة العربية القديمة ، لا سيما البدوية بشكلها التقليدي المعروف سواء الفكرية منها أو المادية والتي لا نكاد نجد أثرها في الحضارة الإسلامية في عصر ازدهار الحضارة العباسية . والجاحظ حين يرد الحجة بالحجة على الشعوبيين والعرب لا يتعرض إلى طبقة

(١) البرصان والعميان ص ٣٠١ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢ - ١٤ .

دون أخرى وإنما همه منصب على مظاهر الحضارة عند كلا الجانبين دون التعرض إلى أفراد بعينهم .

وقد جاءت لفظة الشعوبية في أماكن لا تحصى من كتب الجاحظ المتنوعة ففي الحيوان جاءت بقول الجاحظ : «والشعوبية تهجو العرب بأكل العلhez ، والغث ، والدعاع ، والهبيد ، والمفاير ، وأشباه ذلك»^(١) وفي البيان والتبيين قال : «ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعهم على خطباء العرب»^(٢) . وذكر الشعوبية في النابتة قال : والحمية التي لا تبقى دينا إلا أفسدته ولا دنيا إلا أهلكتها «وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية»^(٣) وذكرها في البرصان قال : «وكنية أبو المنذر وكان رئيس الشعوبية»^(٤) وذكر **الشعوبي** في بخلائه قال : «فجمع الثقافي كل شعوبي بالبصرة حتى طلبوا إليه أخذ المال»^(٥) . هذه النصوص ليست إلا أمثلة قليلة على ما كتبه الجاحظ في الشعوبية ، إذ أنها وردت في كل كتبه بلا استثناء ، أحيانا تكون الشعوبية كنزعة سياسية وقليلًا ما توصف بأنها مذهب ديني ، ونرى الأعاجم يدخلون في الإسلام عقائد إلحادية ، وهذا ما نراه في نصوص كثيرة تأتي الشعوبية بجانب **الثنوية** فالذي ينحرف مع تيار الشعوبية نراه يتهم دائما بالثنوية ، قال الجاحظ «وكان إبراهيم شعوبياً وكان يتهم بالثنوية»^(٦) . وقال أيضاً يبين اتجاه الشعوبية : «والشعوبية والآرامردية المبغضون لآل النبي

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٤٢ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦ .

(٣) في النابتة ص ٢٠ .

(٤) البرصان والعميان ص ١٩٨ .

(٥) البخلاء ص ١٤٢ .

(٦) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٤ .

عليه السلام وأصحابه»^(١) . والزندقة هي في الدين لا في السياسة ، وقد انتشرت كلمة **الزندقة** على الألسنة في عصر ازدهار الحضارة العباسية ولم يكن معنى الكلمة واحداً عند الناس على السواء ، فمعناها في أذهان الخاصة والعلماء غير معناها في أذهان العامة ، وقد بلغ في عرف العوام أنهم كانوا يطلقون صفة الزندقة على كل من كان في داره ديك أبيض أفرق لم يدخله شيطان ، ويحدثنا الجاحظ بقوله : «لأن العوام تقضي على من كان في داره ديك أبيض أفرق بالزندقة»^(٢) وكانوا يطلقون على المستهتر الماجن زنديقاً ، أما الخاصة وأشباههم فمعنى الزندقة عندهم اعتناق الإسلام ظاهراً والتدين بدين الفرس القديم باطناً وخاصة مذهب مانى أو مزدك ويؤمنون بالنور والظلمة ، وبعبارة أوضح يدينون بدين المجوس عموماً ثم يتظاهرون بالإسلام تقية أو توسلاً إلى إضلال الناس ، وأحياناً تطلق كلمة الزندقة على أتباع ديانة الفرس من غير أن ينتحلوا الإسلام . وكان لفظ زنديق يعني قبيح المذهب والمعتقد عند الفرس قديماً ، والقاتل ببقاء الدهر^(٣) . وقد أفرد الجاحظ صفحات عديدة من كتاباته يصف فيها الزندقة والتزندق والزنادقة وما يتعلق بها من أمور كالثنوية والمناوية والمانية أو المانية . يقول آدم ميتز نقلاً عن المقدسي : أما من حيث العقيدة والمذهب فإن الشيعة هم ورثة المعتزلة ، ولا بد أن تكون قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار الماثورة لاءم أغراض الشيعة^(٤) ، وذكر الجاحظ **المجوس** وفرقهم الدينية المتنوعة كالديسانية والمزدكية والديناورية وغيرها من الفرق الملحدة . قال الجاحظ في الزندقة ومشتقاتها : «إن محض العمى التقليد في الزندقة ، لأنها إذا رسخت

(١) البخلاء ص ٢٢٨ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٥١ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ١ ص ١٢٤ .

في قلب امرئ تقليداً أطالت جزاته ، واستغلق على أهل الجدل أفهامه»^(١) أما لفظة تزندق فقد جاءت عند الجاحظ في قوله : «ونحن لم نر أحداً قط ألد ولا تزندق من قبل الغلط في كلام الإمامة والاختلاف فيها»^(٢) أما طائفة الزنادقة فقد جاءت كثيراً عند الجاحظ لكثرتهم في عصره قال يتساءل عن الزنادقة : «ولم كان لجميع أهل الأديان مملكة وملوك إلا الزنادقة؟»^(٣) . ويصف لنا الزنادقة وكتبهم فيقول : «إن إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البيع ، ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكم وكتب فلسفة - لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان ، والرغبة في التبيين ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة وعلى طريق تعظيم الملة ، فإنما إنفاقهم في ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاق النصارى على صلبان الذهب ، أو كإنفاق الهند على سدنة البدة»^(٤) . وذكر الجاحظ الفرق الملحدة الأخرى بقوله عن الثنوي : «واستكتب الرشيد ازدانقادر على ديوان الخراج ، وكان ثنويًا»^(٥) ، وذكر المانية ورئيسهم **مانى** قال : فكان مانى صاحب الزنادقة أكتع اليد»^(٦) ، وجاءت لفظة مانية ومانوية ومانانية بنفس المعنى مع اختلاف الحروف قال الجاحظ : «وهذا باب لا يخطئ فيه إلا المانية وأصحاب الجهات فقط»^(٧) و**مانوية** ذكره الجاحظ قائلاً : «وطبعت على بيان مانوية وأعنت على موت المعتصم»^(٨) وذكر **المانية** بقوله : «إن المانية تزعم أن العالم بما فيه من عشرة

(١) في ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٤ .

(٢) العثمانية ص ٢٧٠ .

(٣) التبريع والتدوير ص ٧٧ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٥٦ .

(٥) في ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٣ .

(٦) البرصان والعميان ص ٢٥٥ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٨١ .

(٨) في الجدل والهزل ص ٢٣٥ .

أجناس : خمسة فيها خير ونور ، وخمسة فيها شر وظلمة ، وكلها حاسة وحارة وأن الإنسان مركب من جميعها على قدر ما يكون في كل إنسان من رجحان أجناس الخير على أجناس الشر ، ورجحان أجناس الشر على أجناس الخير^(١) .

- رؤساء الفرق الملحدة :

المجوس : من الفرق الدينية غير الإسلامية وفرقهم المتنوعة ورئيسهم الديني زرادشت وغيره من رؤساء الإلحاد ، جاء ذكرهم في كتب الجاحظ ، فقال عن المجوس : «فهؤلاء المجوس يرتعون في البصرة وبغداد وفارس»^(٢) وذكر أكبر رؤسائهم **زرادشت** قائلاً : «ورغم زرادشت أن العظايا ليست من ذوات السموم وأن سام أبرص من ذوات السموم ، وأن أهرمن لما قعد ليقسم السموم كان الحظ الأوفر لكل شئ سبق إلى طلبه كالأفاعي والثعابين» ، ويقول في نفس المعنى : «ويزعم زرادشت وهو مذهب المجوس أن الفارة من خلق الله ، وأن السنور من خلق الشيطان»^(٣) . وقال الجاحظ يصف أحد الملوك اعتنق المجوسية : «وتهود ذو نواس وتمجست ملوك سبأ»^(٤) .

وشئ آخر يتعلق بالمجوس وطقوسهم وهم **الهرابذة والموابذة** وهم قومة بيوت النار وقضاة المجوس ومشرعوهم قال الجاحظ عنهم : «وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس . وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأحسهم دلاً وأشدهم فيه تحكماً ، أهل مرو وأفصحهم بالفارسية الدرية ، وباللغة الفهلوية ، أهل قسبة الأهواز . فأما نغمة الهرابذة ، ولغة

(١) الحيوان ج ٤ ص ٤٤١ .

(٢) البخلاء ص ١٠٤ وانظر الحيوان ج ٣ ص ٣٥١ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٨ .

(٤) التزييع والتدوير ص ٧٦ .

الموايدة فلصاحب تفسير الزمزمة^(١) هذه بعض الأمور التي تتعلق بالمجوس ومنهم أيضاً المزدكية وصاحبهم **مَزْدَك** والديصانية والديناورية ، قال الجاحظ : «ولابن المقفع أدبه وصير كتاب مزدك معدن علمه»^(٢) وقال الجاحظ يتساءل عن **المزدكية** ومن شابهها : «ولم كان لجميع أهل الأديان مملكة وملوك إلا الزنادقة ؟ ولم قتلهم جميع الأمم السالفة ؟ ولم قضيت بهذا وقد رأينا المزدكية والديناورية والتفزغزية ؟»^(٣) . وقال عن **الدَّيْصَانِيَّة** وهم أيضاً فرقة مجوسية : «رعمت الديصانية أن أصل العالم إنما هو من ضياء وظلام ، وأن الحر والبرد ، واللون والطعم والصوت والرائحة ، إنما هي نتائج على قدر امتزاجها»^(٤) **والمقنع** وبابك من سار في مسارهما من رؤساء الإلحاد الذين ظهوروا في العصر العباسي وأصبح لهم مريدون قال الجاحظ عنهم : وكان المقنع الذي خرج بخراسان وادعى الربوبية ، لا يدع القناع في حال من الحالات وجهل بادعاء الربوبية من طريق المناسخة ، فادعاهما من الوجه الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود والمؤمن والكافر ، أن باطله مكشوف كالنهار ولا يعرف في شيء من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا في هذه الفرقة من الغالية . وهذا المقنع كان قصاراً من أهل مرو وكان أعور أكن . فما أدري أيهما أعجب أدعواه بأنه رب ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ؟»^(٥) . وذكر الجاحظ ألفاظ الربوبية والتناسخ في كتبه ، وفي نص له في كتاب البرصان والعميان يدين كل من ادعى الربوبية بقوله : «واعلم أن في كل من ادعى الربوبية من جميع هذا الخلق في جميع الأزمنة ، فإنما ذهبوا منه إلى التناسخ الذي يتهاونون به وفساده

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٣

(٢) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٣) التريب والتدوير ص ٧٧ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٤٦ .

(٥) البيان ج ٣ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

كثير»^(١) ، ولكن كلمة **المناسخة** جاءت عند الجاحظ بمعنى آخر يبين فيها بعض أحكام المواريث فقال : «فقد رأيت صنيعهم في مال المفقود - والمناسخة والوارث الضعيف»^(٢) وهنا يقصد المناسخة في الميراث وهو موت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم ، وهذا الأمر بعيد عن موضوعنا الرئيسي وهو الادعاء بالربوبية والمناسخة . وذكر الجاحظ **الملحدين** ومفردها ملحد بقوله : ولولا الكلام لم يقم لله دين ، ولم نبين من الملحدين ، وقال عن **الملحد** : «والملحد بدلاً من الكافر»^(٣) .

٢ - الفرق الإسلامية الدينية ونزعاتها السياسية :

نبدأ بلفظة **نَحْلَة** والجمع نحل والشيعة ويتشيعون ، قال الجاحظ : «وإنه إذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل»^(٤) ثم كلمة **شَيْع** وهي بنفس المعنى قال : «إن قالت الشيعة : إن الأمور ليس كما حكيتكم»^(٥) وذكر يتشيعون بقوله : «إلا رواة من لا يخضل ولا يتثبت ولا يتوقف وهؤلاء كلهم يتشيعون»^(٦) وقد كان الخلاف بين الشيعة والفرق الأخرى آنذاك خلافاً دينياً سياسياً . وكان حزب الشيعة ككل حزب ينضم إليه المخلص لمبادئه ، ومن يرى المنفعة فيه ، فتشيع قوم إيماناً بأحقية علي في الخلافة وولده ، وتشيع قوم كرهوا الحكم الأموي ثم العباسي لأنهم ظلموا منه ، وتشيع كثير من الموالي لأنهم رأوا الحكم الأموي حكماً مصبوغاً بالارستقراطية العربية ، وتشيع قوم من الفرس خاصة لأنهم مرنوا أيام الحكم

(١) البرصان والعرجان ص ٢٥٦ .

(٢) في الجدل والهزل ص ٢٥٤ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤ وانظر في الجدل والهزل ص ٢٤٠ والحيوان ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٥) العثمانية ص ١٣ .

(٦) كتاب البغال ص ٢٢٦ .

الفارسي على تعظيم البيت المالك وتقديسه ، وهناك قوم تشيعوا لهدف الانتقام من الإسلام ، فتظاهروا بالغلو فيه خديعة ومكراً ومن ضروب الغلو ، الغلو في التشيع وقد أسبغ هؤلاء المغالون على الأئمة نوعاً من التقديس ، والشيعية وفرقها وردت عند الجاحظ في أماكن كثيرة من كتبه وخاصة كتاب العثمانية ورسائله في الإمامة ، وقد ذكر **الشيعية** والشيعي والروافض فقال : وهذا خبر نقله أصحاب الأخبار مرجئهم وشيعيهم إلا الروافض^(١) وقال : «المبانية لعلي وشيعته عندهم»^(٢) وقال أيضاً يبين موقف الشيعة من الفرق الأخرى : «أنت تطالبني ببغض المعتزلة للشيعة . وبما بين أهل الكوفة والبصرة»^(٣) ، وأكثر الفرق الشيعية تطرفاً هي الغالية ، وهؤلاء في طقوسهم الدينية أقرب للفرس في ديانتهم منهم للمسلمين ، وخير من يوضح لنا طبيعة هذه الفرقة هو الشهرستاني في كتابه الملل والنحل قال : هؤلاء هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . وهم على طرفي الغلو والتقصير وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية»^(٤) ، ويذكر لنا الجاحظ فرق الشيعة ويبدأهم بالغالية والمنصورية والمغيرية والشيعة الإمامية والشميطية . قال عن **الغالية** وأنواعها : «فإن خشنام بن هند كان شيخاً من الغالية وكان ممن إذا أراد أن يسمى أبا بكر وعمر قال : الجبت والطاغوت ، ومنكر ونكير وأف وتنف . وكسير وعوير ، وكان لا يزال يدخل داره حمار كساح ويضربه مائة عصا على أن أبا بكر وعمر في جوفه»^(٥) من هذا النص نتبين عقيدة غلوهم وتطرفهم ، ومنهم أيضاً **المغيرية** والمنصورية ، قال الجاحظ

(١) العثمانية ص ٨٢ وانظر ص ١٢٤ ص ١٣٨ .

(٢) العثمانية ص ٢٢٣ .

(٣) البخلاء ص ٩٠ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٣ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٠ وانظر البرصان ص ٧٥ .

عنهم : «وقال : لولا أن الفيلية سجية من سجايا الغالية ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية»^(١) ومن الشيعة الإمامية **الشميطية** ، قال الجاحظ «وقال زرارة بن أعين ، مولي بني أسعد بن همام وهو رئيس الشميطية»^(٢) ، ويتساءل عن شيعة الإمام وهو يقصد الشيعة **الإمامية** ، فيقول : «ومتى تظل بجناحها شيعة الإمام»^(٣) ويعقد الجاحظ فصلاً طويلاً في كتابه العثمانية يناقش فيه قضية اختيار الناس إمامهم وخليفتهم ، ونلاحظ أنه في هذا الفصل يمزج صفة الإمامة بصفة الخلافة ، ومن رأيه أن معنى الإمامة وتأويل الخلافة أمر تدركه الخاصة ، ولا تعرفه العامة ، ذلك أن العامة مع كل ريح تهب ، وناشئة تنجم»^(٤) . وقال عن الإمام : «وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك»^(٥) وجاءت لفظة **الإمام** بمعنى آخر عند الجاحظ قال : فاجعل هذه الأخلاق إماماً لك ومثلاً بين عينيك» ، وفي رسالته التريب والتدوير يورد لنا الجاحظ أفكاراً عن الإمامة بشكل أسئلة يوجهها لأحمد بن عبد الوهاب صاحب تلك الصورة الكاريكاتورية التي رسمها له الجاحظ رسماً بارعاً في صدر رسالته ، ثم يبدأ بتوجيه الأسئلة له وهو يغرق في العبث به والسخرية بمذهبه فقال : «وحتى لو كنت إمام الرافضة لقتلت في طرفه ، ولو قتلت في طرفه لهلكت الأمة لأنك رجل لا عقب لك ، والإمامة اليوم لا تصلح في الأخوة ، ولو صلحت في الأخوة كانت تصلح في ابن العم ثم إنها دنت من الأرحام بعد ذلك فصارت لا تصلح إلا في الولد ، وفي هذا القياس أنها بعد أعوام لا تصلح إلا ببقاء الإمام نفسه إلى آخر الأبد ، وهذا هو علة أصحاب المناسخة ، وأنت رافضي ، ولم

(١) البيان ج ١ ص ١٧ .

(٢) الحيوان ج ٧ ص ١٢٢ وأنظر البرصان والعرجان ص ٢٣٠ .

(٣) التريب والتدوير .

(٤) العثمانية ص ٢٥٠ .

(٥) مناقب الترك ص ٦ .

(٦) المعاش والمعاد ص ١٢٥ .

يكن هذا عندك فاهد إلى الآن من خالص التوتيا كما أهديت إليك باب التناسخ»^(١) . وقد وردت كلمة **الرافضة** ومشتقاتها عند الجاحظ في رسالته في حجج النبوة وفي الكتب التي أثارت مسألة الإمامة من وجهة نظر الشيعة . ويقررها الحاجري بقوله : «وهي كتاب الإمامة على مذهب الشيعة وكتاب حكاية قول أصناف الزيدية ، وكتاب الرافضة»^(٢) ، جاءت الروافض والمفرد **رافضي** والفرقة الرافضة في أماكن متعددة من كتابات الجاحظ وعلى سبيل المثال وليس الحصر جاءت كلمة **روافض** بقوله «وذلك إن كان كفراً كله فلم يبلغ كفر نابذة عصرنا وروافض دهرنا»^(٣) . وجاءت في العثمانية في مواضع كثيرة جداً منها «ولو لم تعرف الروافض ومن ذهب مذهبها في هذا الباطل هذه الدعوى»^(٤) ، وذكرهم في رسائله قائلاً : «هذا حفظك الله حديث مصنوع ومن توليد الروافض»^(٥) ، والمفرد ذكره بقوله : «وكان السيد رافضياً غالياً ، وليس في ذكره شرف ولكنه أجمع للفن»^(٦) . وقال عن الرافضة تلك الفرقة الشيعية المتطرفة : «وكانت طائفة منهم تقول إن الله لا يرى ، لا تزيد على ذلك فإن خافت أن يظن بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تعرياً من التجسيم والتصوير ، حتى نبئت هذه النابذة ، وتكلمت هذه الرافضة ، فثبتت له جسداً : وجعلت له صورة وحداً»^(٧) ففي كلامه عن الرافضة ذكر التشبيه وهي فرقة تشبه الخالق بالمخلوق .

(١) الترييع والتدوير ص ٧٣ - ٧٤ .

(٢) الجاحظ طه الحاجري ص ٢٠٥ .

(٣) في النابذة ص ١٨ .

(٤) العثمانية ص ٩ .

(٥) كتاب البغال ص ٢٢٣ .

(٦) الحيوان ج ٢ ص ٢٠٨ .

(٧) رسالة في النابذة ص ١٩ وانظر الحيوان ج ٦ ص ٦٢ .

ومن تعاليم الشيعة **التقية** ، تواصلوا بها وعدوها مبدأ أساسياً في حياتهم وركنا من دينهم ، وهى عند الشيعة النظام السري في شئونهم ، وفسروا أعمال كثير من الأئمة على أنها تقية ، وقد جاء ذكر التقية مع الشيعة الروافض ومع الغلاة وغيرهم من الفرق الشيعية المتطرفة ، وقد ذكر الجاحظ التقية ووصفها بأنها كفر وحرام ، وفي رسالته التبريع والتدوير وفي مواضع متفرقة أخرى من كتبه فقال : « وحتى ترى أن التقية حرام وأن التقصير كفر »^(١) وقال أيضاً يصف متعاطي هذه الصفة الدينية : « أظهر القوم عندك حجة وأرفعهم صوتاً وأخلقهم للتوبة أصلبهم وجهاً وأحسنهم تقية أقلهم تحرجاً »^(٢) . وقال في العثمانية « وهذا حديث ما سمعت له براد إلا أهل الغلو من الروافض ، وقد قال قوم منهم : إنما كان هذا من علي على التقية للعوام »^(٣) . وقال أيضاً في الحيوان يذكر هذه التقية « قد نجد التقية تسبخ الكفر ، والكفر باللسان أعظم من القتل والقذف بالجراحة ، فإذا أجازت التقية في الأعظم كانت في الأصغر أجوز »^(٤) ، وحياة الشيعة والخوارج السياسية مظهر من مظاهر قولهم في التقية . وذكر الجاحظ **الخوارج** والمفرد خارجي ومن فرق الخوارج ، ذكر لنا الصغرى والأزرقى والجمع الأزارقة والأباضي وفرقتهم الإباضية ، وهذه ليست أسماء كل الفرق لأن عدد الخوارج يقدر على أقل تقدير بنحو ثلاث عشرة فرقة ، كما صرح بهم الشهرستاني وغيره من المؤرخين ، جاءت الدولة العباسية والخوارج في أخريات أيامهم والجاحظ يشير إلى الخوارج في مقدمة كتابه الحيوان ويتكلم عن مذهبهم فيقول : « فهلا عبتني بحكاية مقالة من أبي وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع عن طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس سدى بلا قيم أرد

(١) التبريع والتدوير ص ٧٣ .

(٢) التبريع والتدوير ص ٧٤ وانظر ص ٦٧ .

(٣) العثمانية ص ٨٤ وانظر فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥٢ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٤١٣ وانظر مناقب الترك ص ١٤ .

عليهم ، وهملأ بلا راع أربح لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل وأن تركهم نشرأ لا نظام لهم ، أبعد من المفاسد وأجمع لهم على المرأشد»^(١) ، وقال الجاحظ يبين مذهب الخوارج ومن انضم إليهم من الأجناس المختلفة مثل النجدي والأباضي - والصفرى وغيرهم : «على أنا قد علمنا أن العلة التي عمت الخوارج بالنجدة استواء حالتهم في الديانة ، واعتقادهم أن القتال دين ، لأننا حين وجدنا السجستاني والخراساني والجزري واليمامي والمغربي والعماني والأزرقى منهم والنجدي والأباضي والصفرى والمولى والعربي والعجمي والأعرابي والعبيد والنساء والحاك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الأنساب وتباين البلدان - علمنا أن الديانة هي التي سوت بينهم ، ووفقت بينهم في ذلك»^(٢) . وجاء ذكر **الخارجي** عند الجاحظ مبينأ عقيدته فقال : «إن الخارجي موصوف عند الناس بأنه إن طلب أدرك وإن طلب فان»^(٣) وقال أيضاً عن الخارجي وصفاته الدينية : «والخصال التي يصول بها الخارجي على سائر الناس صدق الشدة عن أول وهلة ، وهي الدفعة التي يبلغون بها ما أرادوا وينالون الذي أملوا»^(٤) وقال عن الخوارج موضعأ بعض تعاليمهم الدينية : «والآي التي ذكرنا في صدق هذا الجواب كلها حجج على الخوارج في إنكارهم المنزلة بين المنزلتين»^(٥) . أما باقي فرق الخوارج فقد ذكرهم في مقدمة الحيوان عندما عدد فرق الخوارج بقوله : «وقد حكينا في كتابنا قول الأباضية والصفرية ، كما حكينا قول الأزارقة والزيدية وعلى هذه الأركان الأربعة بنيت الخارجية وكل اسم سواها فلانما هو فرع ونتيجة

(١) الحيوان ج ١ ص ١٢ .

(٢) مناقب الترك ص ٥١ .

(٣) مناقب الترك ص ٤٢ .

(٤) مناقب الترك ص ٤١ وانظر البرصان والعرجان ص ٢٠٩ والحيوان ج ٣ ص ٤٠٢ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٢٧٨ .

واشتقاق منها ومحمول عليها^(١) . **المعتزلة** ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلوية ، وهذه الأوصاف أطلقها عليهم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ، ومن قبله كان الجاحظ قد وصفهم وبين منزلتهم بين المذاهب الدينية المختلفة قائلاً : «إنه لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل»^(٢) بهذه الصفات وصفهم وبين مكانتهم ، وكيف لا يصفهم بهذه الصفات وقد أصبح الاعتزال مذهب الدولة العباسية الرسمي ، وكان هذا في زمن المأمون بعد أن شجع الخليفة المأمون الإقبال على العلم والفلسفة وعلى الاتجاه العقلي في العقيدة وأصبح الاعتزال مذهباً رسمياً لأول مرة في تاريخ الخلافة يحميه الخليفة ويمثل اتجاهه . وكانت البصرة مهد الاعتزال وبلد المعتزلة «فالمعتزلة هم رأس المتكلمين وكانت لهم مناظرات حامية مع الرافضة والزيدية حتى أن الجاحظ صنف في ذلك كتاباً في مقالة الزيدية والرافضة ، وكان بين المعتزلة والدهريين جدال عقلي يثر لنا الجاحظ طرفاً منه في كتبه ، فكتاب النابتة مظهر من مظاهر النشاط العقلي والديني ، وقد وردت في هذا الكتاب عبارة يحمده الله الجاحظ فيها على أن أتاح للمعتزلة هذه المكانة الجديدة في الدولة : «وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقين وقوى ضعفهم وكثر قلتهم حتى صار ولاية أمورنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصاراً في التشبيه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا وأكشف للقناع من رؤسائنا»^(٣) وقد جاءت لفظة المعتزلة عند الجاحظ في أماكن كثيرة جداً ، مثل كتابه خلق القرآن وفي الرد على المشبهة ، ومن كتب الجاحظ التي قدمها ، إلى الفتح بن خاقان وظفر بعفو الدولة والخروج من المحن التي نزلت بالمعتزلة كتابه مناقب الترك ، وهذا

(١) الحيوان ج ١ ص ١٢ ج ٦ ص ٦٢ وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ٣٣ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٣) في النابتة ص ٢٩٩ وما بعدها .

ما يؤكدّه أحمد أمين في ظهر الإسلام حيث يقول : «وما أظن الجاحظ المعتزلي نجا من النكبة إلا لأنه مرن ، وقد دفع عنه الشر بمرونته وبما قدم من رسالته في إعلاء شأن الأتراك واتصاله بالفتح بن خاقان»^(١) ففي الحيوان قال : «ورعمت أني قد خرجت بذلك من حد المعتزلة إلى حد الزيدية ومن حد الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه إلى حد السرف والإفراط فيه»^(٢) وجاءت لفظة المفرد **معتزلي** في الحيوان قال : «وزعم إبراهيم الأنصاري المعتزلي»^(٣) وذكر **الدهرية** قائلاً : «فأما الدهرية منهم في ذلك صنفان : فمنهم من جحد المسخ وأقر بالخسف والرياح والطوفان ونجعل الخسف كالزلزال»^(٤) . وقال يصف الدهرية : «وكيف لم تر أمة قط دهرية وقد علمنا أنه لا يجوز أن يتنبأ **دهري** ؟ وكيف لم يتدهر ملك ؟ ، وكيف لم نجد قول الدهرية إلا في الخاص والشاذ والرجل النادر ؟»^(٥) . وذكر **القدرية** التي كانت البؤرة الأولى لمنشأ الاعتزال ، فقال في البخلاء يستهزئ بهم : لعن الله القدرية من كان يستطيع أن يصرفني عن أكل هذا الطعام ، وقد كان في اللوح المحفوظ أني سأكله»^(٦) ، والمعتزلة جعلوا من خصومتهم مع الدهريين خصومة عقلية في جملتها ، وقد صور لنا الجاحظ هذه المسألة في كتابه الحيوان فقال «ثم طعن في ملك سليمان وملكة سبأ ناس من الدهرية وقالوا : زعمتم أن سليمان سأل ربه فقال : ربي هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»^(٧) . وهناك فرق أخرى ناهضت تلك المذاهب وشككت في معتقداتها وعارضت أدلتها . ومن الفرق الدينية التي برزت في عصر

(١) ظهر الإسلام ج ١ ص ٢٩ وانظر شارل بيلات (الجاحظ) ص ١٢٢ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٧ وانظر ج ٤ ص ٢٠٦ وانظر البخلاء ص ٩٠ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٩٣ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٧٠ .

(٥) الترييع والتدوير ص ٧٦ وانظر الحيوان ج ٦ ص ٨٠ .

(٦) البخلاء ص ١٤٧ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٨٥ .

الحاضرة العباسية وكانت لها صولات مع الفرق الأخرى وهى **المشبهة** والجبرية ومن فروعها الجهمية والمرجئة وهذه تدعى بالفرقة المهادنة المسالمة ومن فرقها الشمرية . المشبهة وقد كان الخصام عنيفاً بين هذه الفرقة والمعتزلة . وللجاحظ تعليل دقيق للعاطفة الدينية الظاهرة عند المشبهة في رسالته في نفي التشبيه وفي النابتة وفي التبريع والتدوير . قال الجاحظ : «ثم يصول أحدهم على من شتمه ، ويسالم من شتم ربه ، ويغضب على من شبه أباه بعبد ولا يغضب على من شبه الله بخلقه ، ويزعم أن في أحاديث المشبهة تأويلاً ومجازاً»^(١) وقال في التشبيه «حتى صار ولادة أمرنا في هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد ، أشد استبصاراً في التشبيه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا ، وصادفوا الناس وقد انتظموا معاني الفساد أجمع»^(٢) وقال يمجّد الاعتزال ويحط من قدر غيره من المذاهب قال : فالزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي وابتدئ بنفي التشبيه والقول بالبذاء واستبدل بالرفض الاعتزال»^(٣) . ثم تنتقل إلى فرقة أخرى وهى **المرجئة** وهى أميل إلى المسالمة مع الخلفاء على اختلاف أنواعهم ومع المذاهب الأخرى ، وهى الطائفة التي ترجئ العمل عن الإيمان أي تؤخره وترى أن الإيمان لا يضر مع معصية وخير ما يصف كلامهم عون بن عتبة بن مسعود ، ذكره الجاحظ في بيانه فقال : «ولما رجع عن قول المرجئة إلى قول الشيعة قال :

وأول ما نفارق غير شك نفارق ما يقول المرجئونا

وقال في العثمانية يبين لنا عدم اختلاف المرجئة مع غيرهم : «وهذا خبر نقله أصحاب الأخبار مرجئهم وشيعتهم أولاً الروافض فإنهم لا يطاقون»^(٥)

(١) في نفي التشبيه ص ٢٨٦ وانظر البلاء ص ٥٠

(٢) في النابتة ص ٢٠ .

(٣) التبريع والتدوير ص ٩٧ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٨ وانظر البرصان والعرجان ص ٧٥ .

(٥) العثمانية ص ٨٢ .

وذكر الشمرية وهي إحدى فرق المرجئة الثوبانية فقال : «وحيث بلغني أنه يخلط في الكلام ويعين الشمرية على المعتزلة . فلو أراد أبو همام وجد من ثمامة مريداً جميع مساحة الأرض»^(١) . ومن الفرق الإسلامية الأخرى الجبرية وقد ذكر الجاحظ **الجبرية** والجبر والجهمية إحدى فرق الجبرية والحشوية وغيرها من الفرق التي لا مجال لذكرها لكثرتها . قال الجاحظ يذكر الجبرية : «ذكرتني الطعن وكنت ناسياً قد كنت عزمت على هدمها حين بلغني أن الجبرية قد نزلتها» قال : سبحان الله تهدم مكرمة وداراً قد وقفتها للسيط ؟ قال : «فتعجب من ذا ؟ قد أردت أن أهدم المسجد الذي كنت قد بنيت له ليزيد بن هشام حين ترك أن يبنيه في الشارع وبناءه في الرائع وحيث بلغني أنه يخلط في الكلام ويعين الشمرية على المعتزلة»^(٢) ويحدد لنا الجاحظ في نص آخر من رسالته ذم أخلاق الكتاب عن تاريخ ظهور هذه الفرقة قال : «ثم كتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه زياد بن أبيه فانعكس شر ناشئ في الإسلام ، نقصت بدعوته السنة ، وظهرت في أيام ولايته بالعراق الجبرية»^(٣) أما **الجبر** فقد ذكره الجاحظ موضعاً أثره قال : «فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو التشبيه والجبر»^(٤) ثم ذكر **الحشوية** قائلاً : «يعجبني - جعلت فداك - منك بغض الشهرة ودبيك في غمار الحشوية ، واستغناء بنفسك وصوناً لقدرك ومعرفة بما أعطيت وثقة بالذي أوتيت»^(٥) . وقال يحدد بعض تعاليم الحشوية : «وهذا الحديث وما قبله ييطان ما روت الحشوية من أن النظر الأول حرام والثاني حرام»^(٦) ويذكر

(١) البخلاء ص ٢١٠ .

(٢) البخلاء ص ٢١٠ .

(٣) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٨٩ وانظر مناقب الترك ٦٧ .

(٤) في النابتة ص ٢٠ وانظر الحيوان ج ١ ص ١٧٤ .

(٥) الترييع والتدوير ص ٣٥ .

(٦) كبا القيان ص ١٥٤ وانظر الحيوان ج ٦ ص ٦٢ .

الْجَهْمِيَّة وهى من الفرق الجبرية قائلًا : «فذهبت الجهمية ومن أنكر إيجاد الطبائع مذهباً وذهب ابن حائط ومن لف لفه من أصحاب الجهالات مذهباً»^(١) وهناك فرق أخرى لا أستطيع التفصيل في ذكرها منها العثمانية والعباسية والعلوية والفضلية وغيرها ، وكيف يتسنى لي أن أذكر كل الفرق الدينية وهى تقارب على المائة أو أقل قليلاً إذ أن المعتزلة انقسموا إلى ثلاث عشرة فرقة والخوارج إلى نحو عشرين فرقة والشيعة إلى ثلاثين والمرجئة نحو السبع .

٤ - المباحث الكلامية :

ومن الأمور التي تتعلق بالمذاهب والفرق الدينية المباحث الكلامية والمقالات والمسائل التي تبحث في الدين ومن يتحل بعض النحل ، وينضم إلى هذا الباب أيضاً الأمور الدينية التي تتعلق بالفتوى والتفتيت كما يذكرها الجاحظ ، قال عن التفتيت - ومشتقاته من أحكام دينية كالقياس والإدحاض والإجماع والاستنباط . فقد ذكر التفتيت بقوله : «إن التفتيت فالرشاقة والملح وإن تنسكت بالرهبانية والإخلاص»^(٢) وقد ذكر **القياس** : «وما لم يكن في أخلاقهم فلا نظر فيه ولا قياس عليه»^(٣) . وقال : «وقد وقفنا لكم على إدحاض حجبتكم في ذلك بالقياس الصحيح»^(٤) وقال يذكر حكماً آخر من الأحكام الدينية وهو **الإجماع** : «وكان حكمه في صعوبة فسحه وتعذر دفعه حكم الإجماع إذا لاقى محكم التنزيل»^(٥) وحكم آخر وهو **الاستنباط** ، قال الجاحظ يصفه : «ومع كل خفي من الحق حجة ظاهرة ، تستنبط لها غوامض

(١) الحيوان ج ٤ ص ٢٨٨ وانظر الحيوان ص ٩٣

(٢) التربيعة والتدوير ص ٦٤

(٣) كنز السر وحفظ اللسان ص ١٥٨

(٤) فخر السودان على النيصان ص ١٩٧ .

(٥) دم الحلاق الكتاب ص ١٨٨ وانظر العنمانة ص ٢٧٦

البرهان وتستبين بها دقائق الصواب»^(١) وقال : «ووصلوا بين المتجاور والمتوازي واستنبطوا الغامض الباطن بالظاهر البين»^(٢) هذه بعض الأحكام التي كانت سائدة في عصر الحضارة العباسية وإن كانت معروفة للناس من قبل ، ولكنها ازدهرت وأخذت مكانتها في الحياة الدينية ثم هناك أمور أخرى ليست أحكاماً ولكنها لها مفعول قوي وتأثير بين بالنسبة للطوائف والملل ، فهي إما تعاليم أو صفات دينية محببة أو مكروهة ومنها : التعديل والتجوير والتعطيل ، والتورية والتأويل والمسكة ، وقد ذكر الجاحظ تلك الكلمات في كتبه إما لتوضيح مذهب ديني وإما لدم صفة غير مستحبة دينياً . . وهكذا وقد ذكر **التعديل** بقوله : «والكلام في التسوية كلام يدخل في باب التعديل والتجوير»^(٣) أما **التجوير** فقد ذكره الجاحظ : «وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير»^(٤) ثم يوضح الأمر أكثر قائلاً : «كان تجوير النابت لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأفظع»^(٥) وذكر **التعطيل** بقوله : «ونسك المتكلم : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي وأن يرمي الناس بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أموراً»^(٦) . وذكر **التورية** قائلاً : «فطنة عند الرشق والتورية فإن فضل الفطنة ربما دل على فرط الاكتراث»^(٧) . وقال عن **التأويل** : «أبواب الفقه والفتيا والتأويل ، مع كثرة الرواية المسندة»^(٨) . وأمر آخر هو المسكة وهذه ملازمة دائمة إلى التقية وهي من تعاليم الشيعة ، قال الجاحظ في حديثه عن

(١) المعاش والمعاد ص ٩٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٨ .

(٣) العثمانية ص ٢٠٦ .

(٤) في النابتة ص ١٤ - ١٥ .

(٥) في النابتة ص ١٤ - ١٥ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ١٧٤ .

(٧) في الجدل والهزل ص ٢٣٧ .

(٨) العثمانية ص ٧٤ .

المسكة : «والحاسد العارف الذي فيه تقية ومعه مسكة وبه طعم أو حياة»^(١) .
 وذكر المسكة أيضاً فقال : «وليس في الأرض أمة بها طرق أولها مسكة ، ولا جبل لهم قبض وبسط إلا ولهم خط»^(٢) وذكر الجاحظ المباحث والمقالات الكلامية في أثناء كلامه عن المذاهب الكلامية التي كانت تسيطر على الحياة الدينية في مناظرات المتكلمين ، فقال في حديثه الذي يتعرض له في وصفه للمتكلمين في شتى المجالات ، قال ذاكراً **الطفرة** والمداخلة والتولد والمكامنات وكلها تتعلق ببيئة المتكلمين . أما قوله عن الطفرة ففي كتاب الفتيا قال ذاكراً هذه المسألة الكلامية التي تنسب إلى العلاف : «وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة ، ولا من باب الجوهر والعرض بل كلها في الكتاب والسنة وجميع الأمة إليها أعظم حاجة»^(٣) وقال عن الطفرة أيضاً : «وأبو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة ، وإبراهيم بن سيار النظام في المكامنات والمجانسات»^(٤) وهذه **المكامنات** هي مذهب كلامي يزعم أصحابه أن النار كامنة في الحجر وفي دهن السراج كما يكمن الدم في الإنسان . ثم يذكر **التولد** وهو مبحث كلامي وكذلك **المداخلة** وهي أيضاً مقالة كلامية ، قال : «كتب العرض والجوهر والطفرة والتولد والمداخلة»^(٥) ومن النصوص التي تقدمت نرى أن **العرض والجوهر** تتكرر كثيراً في كلام الجاحظ وهذا من خصائص كلام المتكلمين .

(١) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥٢ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٧١ .

(٣) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(٤) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٢٠٨ .

٥ - الفرق الدينية الأخرى (أهل الذمة)

أهل الذمة هم النصارى واليهود والسامرون والصابئة أو المجوس ، فثمة اختلاف بين المؤرخين في اعتبارهم من أهل الذمة^(١) وقد تحدث الجاحظ طويلاً عن أحوال أهل الذمة في المجتمع العباسي ، وبين أيدينا مختارات من كتاب له في الرد على النصارى^(٢) ومن كتابات الجاحظ عن النصارى نتبين ما كانوا يتمتعون به من حرية لا تشوبها شائبة ، وكيف توثقت صلتهم بكل طبقات المجتمع ، فكان منهم كتاب السلاطين وفراشو الملوك وأطباء الأشراف والعطارون والصيارفة ، ولا تجد اليهودي إلا صباغاً أو دباغاً أو حجاماً أو قصاباً أو شعاباً^(٣) ، ويبين لنا الجاحظ مدى اختلاطهم بالمسلمين إذ أنهم تسموا بأسماء المسلمين فكان منهم من تسمى بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلي^(٤) . ثم يحدثنا الجاحظ عن أمورهم الدينية فرئيسهم يدعي الجاثليق ، وله مواصفات معينة وفي هذا المجال ذكر الجثlique ، والجاثليق والمطران والأسقف وهو الذي يليه في المنزلة الدينية ورئيس رؤساء الأساقفة وهو البطريق والجمع بطارقة . وقد ذكر الجاحظ الجثlique بقوله : «وكان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علماً وأدباً وكان حريصاً على الجثlique»^(٥) . أما الجاثليق فقد ذكره بقوله : «والعجب أن كل جاثليق لا ينكح ولا يطلب الولد وكذلك كل مطران ، وكل أسقف»^(٦) ويذكر الجاحظ اسم أحد رؤساء الجاثليق واسمه طيمانو فقال : «وكان طيمانو رئيس الجاثليق قدهم بتحريم كلام عون العبادي

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٨٤ للشهرستاني وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٧٦ .

(٢) ثلاث رسائل لفنكل ص ١٧ .

(٣) ثلاث رسائل لفنكل ص ١٧ .

(٤) هامش الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٠ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٤ .

(٦) الرد على النصارى ص ٢٠ وانظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٤ .

عندما بلغه من اتخاذ السراري» وقد ذكر أن الجاثليق يتسامح في الأمور الدينية مع العظماء والأكابر من بني قومه فقال «على أن الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرجل العظيم القدر ، الذي له من السلطان ناحية»^(١) أما **البطارقة** وهم جمع بطريق وهو رئيس رؤساء الأساقفة ، قال الجاحظ عنه . «ومن العسر كردويه الأقطع رئيس بطارقة سندان»^(٢) .

والنصارى أصناف متنوعة فمنهم اليعقوبية والملكانية والمفرد ملكاني والنسطورية والمفرد نسطوري ، قال الجاحظ في ذكر **اليعقوبية** والملكانية : «وهؤلاء النصارى وأشباههم الملكانية واليعقوبية»^(٣) ثم ذكر **الملكاني** مفرد **الملكانية** وهم منسوبون إلى ملكا ومعناها الملك بالسريرية قال : «مقام الملكاني في الصوامع»^(٤) وحدد مكان **النسطوري** وهو من النصارى التابعين لنسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف بالإنجيل بحكم رأيه قال عنه «ومقام النسطوري في المطامير»^(٥) والكنائس ، وحدد الجاحظ بعض الأماكن الدينية التي يمارسون فيها طقوسهم مثل البيع والمفرد بيعة والكنيسة والكنائس والدير والجمع ديورات والمطامير وهذه كلها أماكن عبادة النصارى وكذلك الصومعة والصوامع . وأهم أماكن العبادة للنصارى هي **البيع** والمفرد بيعة ، ذكرها الجاحظ بقوله : «لا تجد الكنائس والبيع أبداً إلا وفيها المصابيح تزدهر ليلاً ونهاراً»^(٦) أما بيعة فقد جاءت بقوله : «فعدلت معه فأدخلني في منزل يتصل

(١) الحيوان ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٣٣٣ .

(٣) الرد على النصارى ص ١٤ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٤٥٨ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٤٥٨ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ١٢٠ وانظر الحيوان ج ١ ص ٥٦ .

بيعة»^(١) ثم ذكر **كنيسة** والجمع **كنائس** قال : «وقد تعرف ما في عجائز النصارى وأعمارهم من الافتتان بمصاييح كنيسة قمامة»^(٢) وهذه الكنيسة هي المعروفة بالقيامة وقد رجح ياقوت في معجم البلدان تسميتها كنيسة القمامة بالضم في الأصل القمة .

ومكان آخر للتعبد وهو الدير والجمع **ديورات** ، هكذا جمعه الجاحظ فقال : «وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين في الديورات والبيوت من النسطورية»^(٣) . وذكر **الدير** بقوله : «فخطبها زياد وكان في دير لها»^(٤) . وذكر الجاحظ **المطامير** وهي أماكن تهيأ تحت الأرض وخص بها النصارى النسطورية ، فقال : «ومقام النسطوري في المطامير»^(٥) ثم **الصوامع** ومفردا صومعة قال : «ومقام الملكاني في الصوامع»^(٦) وذكر **الصومعة** بقوله : «وليكن مخرجهن من كوفي أعلى الصومعة»^(٧) .

ومن الأمور التي استعملها النصارى في عاداتهم اتخاذهم الجوقات والبراذين الشهرية والخليل العتاق وضربوا بالصواجلة وتحذقوا المديني ولبسوا اللحم والمطابقة واتخذوا الشاكرية^(٨) وضربوا بالنواقيس في كنائسهم^(٩) وكانت مقابرهم تدعى بالنواويس ، كقول الجاحظ في ترديده لهذه الكلمة في معظم

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٢٠٢ .

(٣) الرد على النصارى ص ٢٠ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٧٢ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٤٥٩ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٤٥٩ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٣٦٩ .

(٨) الرد على النصارى ص ١٨ .

(٩) البيان والتبيين ج ٣ ص ٨ .

كتبه : «ولذلك صرنا نرى النواويس بالشامات إلى القسطنطينية»^(١) وهي مقابر النصارى الذين يعتدون بتشيدتها ، كما ذكر الجاحظ في تخليد العرب لماثرها قال : «وبنى أرد شير بيضاء اصطخر وبيضاء المدائن ، والحضر والمدن والحصون والقناطر والجسور والنواويس . قال ثم إن العرب أحبت أن تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر»^(٢) .

ومن أعياد النصارى عيد الفصح ، وقد ذكر الجاحظ معيياً لهم كثرة الذبائح في هذا العيد قال : «إنكم تكثرون من الذبائح في أيام الفصح»^(٣) .

اليهود:

وصنف آخر من أهل الكتاب وهم اليهود وقد عدهم الجاحظ من بين صغار الناس والأنذال مع النصارى والمجوس»^(٤) . وتدلنا كتابات الجاحظ على أن اليهود كانوا يقومون على المهن الوضيعة في المجتمع حتى أنه لم يجد اليهودي إلا صباغاً أو دباغاً أو قصاباً أو شعاباً»^(٥) ، ووصف لنا الجاحظ أحوال اليهود فقال «اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر ، والكلام في الدين بدعة ، وأنه مجلبة لكل شبهة ، وأنه لا علم إلا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء ، وأن الإيمان بالطب وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة ، والخروج على الدهرية والخلاف على الإسلام وأهل القدوة»^(٦) .

(١) كتاب البغال ص ٢٩٢ وانظر الحيوان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٧٢ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٤٣٢ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ١٥٧ .

(٥) هامش الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٦٩ .

(٦) الرد على النصارى ص ١٦ .

ويحدثنا الجاحظ عن اليهود وأحوالهم بأن العامة كانت تستخف بأمرهم وتحقر من شأنهم ، ويعلل هذا بأن دين اليهود كانت تعتبره العامة كصناعاتهم الحقيرة وأن كفرهم أقدر الكفر إذ كانوا هم أقدر الأمم^(١) وهذا الرأي يعلله الجاحظ بأن الإسرائيلي لا يزوج إلا الإسرائيلي وكل مساحتهم مردودة فيهم ومقصورة عليهم^(٢) ومن شدة سخف العامة باليهود أنهم كانوا يزعمون أن الفارة يهودية سحارة والأرضة يهودية أيضاً ، ولذلك يلطخون الأجذاع بشحم الجذور^(٣) وهذه الجذور من الحيوانات المحرمة على اليهود .

وهناك أمور تخص اليهود مثل رئيسهم الديني والبوق الذي ينفخون فيه لمراسيمهم الدينية ، ويقال لرئيسهم الديني **رأس الجالوت** ، وكان له شئ من السلطان عليهم وقد ذكره الجاحظ بقوله : «والمثل السائر : كأنه جاء برأس خاقان ، وبرأس جالوت ورأس فاعوس»^(٤) وإذا أراد أن يحرم كلام رجل منهم أمر بأن ينفخوا عليه بالشبور ، وهو شئ مثل البوق يستعمله اليهود في مراسيمهم الدينية فقال «**وشَبَّور** اليهود من قرن»^(٥) . وقال الجاحظ يوضح مدى سلطة رأس الجالوت **والجاثليق** : «وليس تحريم الكلام من الحدود القائمة في كتبهم ولكن الجاثليق ورأس الجالوت ، لا يمكنهما في دار الإسلام حبس ولا ضرب ، فليس عندهما إلا أن يغرما المال . ويحرما الكلام»^(٦) وذكر الجاحظ كتاب اليهود الديني وهو **التوراة** فقال : «ولا أنتم راضون بحكم الله أيام التوراة»^(٧) هذا بعض ما يخص اليهود ، ولكن هناك أموراً دينية تتعلق

(١) الرد على النصارى ص ١٧ .

(٢) الرد على النصارى ص ١٧ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٤٧٧ .

(٤) كتاب البغال ص ٢٨٢ .

(٥) الحيوان ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٢٧ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٤٣٢ .

بأهل الذمة على اختلاف أنواعهم وقد وردت ألفاظ ذكرها الجاحظ في كتبه تخص هؤلاء القوم مثل رسائلها ، وذيماً وأسماء ملائكة كابرسارس وأبرمارس وأبردس وكارس و**حريرة أمنة** وتوفيل وقنويل والأشقيقل وغيرهم من الملائكة ثم ذكر كلمة سدنة وكلمة حلوان ، وهذه أمور تتعلق بالكهان ، وذكر أنواعاً من الكتب الدينية مثل المهارق ، ودرسب وشلنه . وسأذكر الأماكن التي جاءت بها هذه الألفاظ .

قال الجاحظ في الرسائل يذكر كلمة رسائلها «وكان رسائلها فقط» ولا أدري هل يقصد بأنه صاحب رسالة أم أنه كان كاتباً للرسائل . وذكر ذيماً فقال : «ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذيماً» وجاءت في كتب الجاحظ أسماء لملائكة عند الذميين مثل : «ويزعم أن الأرض أحد الأركان التي بنيت العوالم الخمسة عليها بزعمهم : «أبرسارس وأبرمارس وأبردس وكارس وحريرة أمنة» وذكر أسماء ملائكة بقوله : «لئن فعل ليسلمن كما ترك الأشقيقل وميخايل وتوفيل سمل عين منويل» .

ثم يذكر الجاحظ **الحلا** والحلوان ، ويقول : إنها رشوة الكاهن ويذكر الشعبذة بقوله : «وما فصل ما بين الكهانة والشعبذة»^(٥) وقال عن الحلا والحلوان : «والحلا والحلوان جميعاً رشوة الكاهن . وقد نهى عن زبد المشركين وحلوان الكاهن»^(٦) وقد فسر الجاحظ كلمة **الحلوان** وهو الجدي الصغير الذي لا يصلح للنسك .

(١) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٤ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٩٤ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢٧ .

(٥) الترييع والتدوير ص ٧٧ .

(٦) الحيوان ج ٦ ص ١٤٢ .

وهناك كتب دينية وردت عند الجاحظ منها المعروف ومنها الذي لم أستطع معرفته ، قال يذكر كتاب **الزبور** والتوراة : «نسألکم عن دين موسى وحكم التوراة وحكم صاحب الزبور»^(١) . وجاءت كلمة **مهارق** وهي تعني الكتب الدينية كما فسرهما الجاحظ ، فقال «والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان»^(٢) وذكر كتباً مجهولة مثل **دَرْسَبٍ وَشَلْنَةِ** وأي شيء عندك في آصف وفي سفر آدم وفي جراب موسى وفي درسب وفي شلنة ؟»^(٣) .

(١) الحيوان ج ١ ص ٧٠ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٧٠ .

(٣) الترييع والتدوير ص ٨٠ .

الفصل الثالث
الانفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

الفصل الثالث

الألفاظ الخاصة بالحياة الاقتصادية

الحياة الاقتصادية في العصر العباسي كانت متعددة الفعاليات ، وقد صور لنا الجاحظ في كتاباته مجالات متنوعة للحياة الاقتصادية ، فأورد في كتبه ألفاظاً خاصة بالزراعة والتطور الزراعي في عصره وألفاظاً عن الأرض وأنواعها ومن يقوم على زراعتها ويحصل محاصيلها وطرق ربيها .

وعن ألفاظ الصناعة حدثنا الجاحظ طويلاً عن الألفاظ التي تتعلق بأنواع الصناع وصناعاتهم وأخلاقهم والألفاظ الخاصة بتعاملهم ، ذكرها ضمن معجمهم اللغوي ، وذكر أيضاً ألفاظ المتاجر وما يعرض بها من صناعات .

والتجارة والتجار ذكر الجاحظ ألفاظاً تتعلق بأنواع التجارات وطبقات التجار ، وذكر الألفاظ الخاصة بالأمور المالية والعقارات ، والألفاظ التي تتعلق بملاك الدور والمستأجرين ، وأيضاً ذكر ألفاظ الصيرفة والصيرفة . وعن الوحدات والمكايل ذكر ألفاظاً تتعلق بأمورها ، وأيضاً ألفاظ العملات النقدية المتداولة في عصره ذكرها في مجال التجارة .

أما الملاحاة فقد تحدث الجاحظ عن ألفاظ الملاحين ولغتهم ، وذكر ألفاظاً تتعلق بالسفن وأنواعها والمرافئ التي ترسو بها . وفي مجال الملاحاة ذكر الجاحظ ألفاظاً عن طرق المواصلات البرية وألفاظاً عن الخدمات التي تؤدي عبر هذه الطرق وألفاظاً عن البريد ومن يقوم على خدمته .

إن الحياة الاقتصادية في العصر العباسي كانت تشتمل على نواح متعددة ، منها القطاع الزراعي والصناعي والتجاري ، وما يواكب التطور الاقتصادي عن نظام مالي ومعاملات مصرفية . ففي العصر العباسي أيام ازدهار الحضارة

ورقيها ، نرى أن الملكيات الزراعية قد ازدادت ، إذ أن التطور الزراعي وما رافقه من نشوء الملكيات الزراعية الواسعة وظهور طبقة ثرية مترفة من أصحاب الأراضي ، ساعدت على تزويد الصناعة برؤوس الأموال ، وبالتالي توفير الحاصلات الزراعية المتنوعة التي اعتمدت عليها تلك الصناعات .

أما نهضة التجارة وما صاحبها من ارتقاء النظام المصرفي الإسلامي وكثرة العملة الذهبية والفضية ، كانت عاملاً مباشراً على تكديس رؤوس الأموال وظهور فئات ثرية احتاجت إلى المنتجات الصناعية والوسائل الترفيهية التي تعتبر من مظاهر الغنى والترف ، وهذا كله أدى إلى نهضة صناعية ، وتوسع الطبقة العاملة وتكتلها . ثم نشوء الأسواق وتنوعها ، وجعل لها نظام وشروط ، وكان الاهتمام كبيراً وواضحاً بالأسواق في عصر الحضارة العباسية ، وهو أمر طبيعي بالنسبة للحياة الاقتصادية وانتعاشها في ذلك الحين .

وبعد أن ألقينا نظرة شاملة على الحياة الاقتصادية في العصر العباسي نرى من الواجب أن نتبع المعامل التي أدت إلى رقي الحياة الاقتصادية وازدهارها بين الأمم والبلدان .

أولاً: الألفاظ الخاصة بالزراعة

تعد الزراعة وما يتبعها من أمور الري والغلال والمحاصيل الزراعية من أهم الأمور التي ساعدت على رقي الحياة الاقتصادية في العصر العباسي .

١ - الألفاظ الخاصة بالأراضي الزراعية :

ألفاظ المجال الزراعي وما رافقه من الملكيات للأراضي الزراعية الشاسعة وظهور نظام الإقطاع وأنواع الأراضي التي تصلح للزراعة أو الأراضي البور التي لا يستفاد منها ، كل هذه الأمور ذكرها الجاحظ في كتبه ، وذكر الجاحظ الأنواع المختلفة للأراضي فقال يصف أحد الملاك : «ولا يشتري إلا كل غرة وكل أرض مشهورة بكريم التربة ، وشرف الموضع ، والغلة الكثيرة»^(١) .

ويورد الجاحظ ألفاظاً تتعلق بالأراضي الزراعية مثل الريف والضيعة والمروج والرباع ويحدد الأراضي بالمشارة والردغة والأراضي السهلة مثل الصحاح والدحل والدالية (الدهاس) . ويذكر الأراضي التي تصلح للزراعة وهي السباخ والسباريت والجدس وغيرها من أنواع الأراضي ، كأرض الخراج وأرض العشر .

وقد قامت سياسة الدولة العربية الإسلامية ومن بعدها الدولة العباسية على مبدأ اعتبار الأراضي المفتوحة ملكاً عاماً للدولة ، على أن تبقى الأراضي بأيدي أصحابها يزرعونها ويدفعون الخراج عنها ، وسميت بأرض الخراج ، وهناك نوع آخر من الأراضي وهي أرض العشر التي أسلم عليها أهلها ، أو الأرض التي يقسمها الإمام بين الذين غنموها ، وهذه يدفع عنها أصحابها العشر ، وقد أورد الجاحظ نصاً يبين أصحاب مثل هذه الأراضي فيقول : «وأنت كاتب وأنا أمي ،

(١) البخلاء ص ١٠٣ .

وأنت خراجي وأنا عشري»^(١) . ويذكر الجاحظ نصاً يبين ملاك الأراضي ، أصحاب **الرِّبَاع** والحدائق فيقول : «وفي بيع ما ظهر من رباعه وحدائقه وسائر أمواله»^(٢) ثم ينتقل الجاحظ إلى أنواع أخرى من الأراضي الزراعية فيقول : «فإن ابن آوى لا يتزل القفار ، وإنما يكون حيث يكون الريف»^(٣) . فكلمة **الريف** وأريف ترد عند الجاحظ كثيراً وها نحن نراه يصف بلداً من البلدان بكلمة أريف قائلاً : «فإذا وقع ببلاد أريف من بلاده ، وجناب أخصب من جنابه ، واستفاد غنى حنّ إلى وطنه ومستقره»^(٤) وأورد كلمة **ضبيعة** وهي نوع آخر من الأرض التي تطرح المحاصيل الزراعية الوفيرة فقال : «فبيعت الأنثى بعشرة دنائير أو أكثر ، ويبعت البيضة بخمسة دنائير ، فيقوم الزوج منها في الغلة مقام ضبيعة ، وحتى ينهض بمؤنة العيال ، ويقضي الدين ، وتبني من غلاته وأثمان رقباه الدور الجياد»^(٥) وكلمة أخرى وهي **المروج** قال : «ورواض الدواب في المروج»^(٦) وقال في الضبيعة : «وأتى ضبيعة له يستزح إليها ومعه خمسة رجال من خاصته»^(٧) . ويحدثنا الجاحظ عن أنواع أخرى من الأراضي المزروعة مثل **المَشَارَة** والدالية . فيقول ذاكراً «المشارة» : «فجلس على مشارة بقل ، فأقبل ينتزع الفجلة فيطوي جزرتها بعرقها»^(٨) . ويذكر المشارة أيضاً فيقول : «فما كان بقدر ما يسقي الرجل مشارة حتى قتلناهم»^(٩) ، ففي هذا

(١) في الجدل والهزل ص ٢٦٥ .

(٢) في النابتة ص ٩ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٢٥٩ .

(٤) الحنين إلى الأوطان ص ٣٨٨ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢١٢ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٢٢ .

(٧) البغلاء ص ١٥٢ .

(٨) البغلاء ص ١٥٢ .

(٩) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

النص يحدد لنا المقدار المعين لمساحة تلك الأرض المزروعة . ويذكر **الدالية** بقوله : «كان رجل ممرور يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم ، ولا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجذع ذاهباً وجائياً في شدة الحر والبرد»^(١) .

وهناك أنواع من الأراضي تصلح للزراعة لصفات معينة متوفرة فيها ، مثل الصحاح والأماليس والدحل والدهاس وكلها أرض سهلة منبسطة ، وقد ذكر الجاحظ **الصحاح** والأماليس بقوله : «لأن كل من كان بالصحاح الأماليس حيث لا أمانة ولا هادي»^(٢) وهذا النوع من الأراضي منبسطة لا شجر ولا نبات فيها . وذكر الجاحظ أرضاً سهلة أخرى وهى **الدهاس** قائلاً : «يتقلع من طين علك أو دهاس»^(٣) . وذكر **الدحل** وهى الأرض التي تكون في أسافل الأودية قائلاً : «ولم ينجني ملك معقل وعل ، ولا مفارة سبع ، ولا قعر بحر ، ولا رأس طود ، ولا دغل ولا دحل»^(٤) .

ومن أنواع الأراضي التي لاتصلح للزراعة ذكر لنا الجاحظ **السَّباح** قائلاً : «إنها من ورائها سباح ومناقع مياه غليظة»^(٥) ، وذكر أيضاً **السَّباريت** وهى الأرض القفر فقال : «والأرض السباريت : المفارة ، والنهيش : السليم»^(٦) ومن الأرض البور التي لم تعمر بزرع أو غرس هى **الجَدَس** . ذكرها الجاحظ بقوله : «والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا جدس نزع السحاب لوثر ما تجافي عن رغيف»^(٧) .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٣٠ .

(٣) البرصان والعرجان ١٤١ .

(٤) في الجلد والهزل ص ٢٥٠ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ١٤٢ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٧٧ وانظر البخلاء ص ٢١٦ .

(٧) البخلاء ص ٧٢ .

لقد شهد العصر العباسي - أيام ازدهار الحضارة العباسية - الانتقال من الزراعة الضيقة إلى الزراعة الواسعة ، وظهور طبقة من كبار الملاك لهذه الأراضي الزراعية الشاسعة ، وقد استعانوا بأعداد كبيرة من الأيدي العاملة لكي تزرع هذه الأراضي ويعتني بها ، وقد كانوا من النبط والزنج وغيرهم من العمال والأجراء . وكانت الأراضي الزراعية تدر ثروات هائلة ، وقد عاش كبار الملاك في المدن الرئيسية وتركوا أراضيهم بيد الوكلاء يديرون لهم أمور أراضيهم ويبعثون إليهم بالواردات . وذكر الجاحظ **الوكلاء** بقوله : «وقد رأيتك حفظك الله تعالى خونت جميع الوكلاء وفجرتهم»^(١) .

أسماء مختلفة يذكرها الجاحظ في كتبه مثل الفلاحون والفاشكار والدهاقين والمفرد دهقان . ونلمس بين المزارعين نوعاً من التخصص وشيئاً من التنظيم فقد وجد بينهم من يسمون بالحرثين وهم الأجراء ، وقد ذكرهم الجاحظ بالأكرة والمفرد أكار ، وهم الذين يحرثون الأرض لمالكها مقابل أجر نقدي ، وقد اعتبرهم الجاحظ من فئة العمال الفقراء ، ثم الناطور الذي يحرس الزرع ، كما نجد بين الفلاحين ريثاً منها الرئيس أو الشيخ . وأتاب ملاك الأراضي من يتدبر محاصيل أراضيهم ويرسل لهم ب وارداتها وهم الوكلاء . كل هذه الأصناف ممن ينتمي للقطاع الزراعي في العصر العباسي ، ذكرهم الجاحظ في كتبه وأورد عنهم حكايات نبدأها بأحد ملاك الأراضي في البصرة وهو زبيدة بن حميد الصيرفي ، وهو رجل ثري كان يمتلك مائة ألف دينار كما ذكرها الجاحظ في **بخلائه**^(٢) .

(١) في الوكلاء ص ٧١ .

(٢) البخلاء ص ٣٥ .

أما **الفلاحون** فيذكرهم بتسمياتهم المتنوعة فيقول : «والفلاحون يجدون فيه أكثر المنافع»^(١) ولكن هذه اللفظة تتغير إلى لفظة **الفاشكار** وهي بمعنى المزارع قال : وسألت مباركاً الزنجي الفاشكار»^(٢) . حدد لنا في النص نوعية هؤلاء الفلاحين من الزنج . ثم يذكر رئيسهم أو شيخ الفلاحين بقوله : «وهذا علم غامض إذا عرفه الشيخ الفلاح المجرب والفاشكار الرئيس»^(٣) . ونوع آخر من الألفاظ يستعملها الجاحظ للفلاحين ، وخاصة نوع معين منهم وهم فلاحو العجم ، فيقول : وما عندي لك إلا قال الدهقان لأسد بن عبد الله وهو على خراسان»^(٤) . فكلمة **الدهقان** والجمع دهاقين ترد كثيراً في نصوص الجاحظ . فالدهقان وهو زعيم فلاحي العجم ، فقال الجاحظ يحدد نوعية هؤلاء الدهاقين» وفرض لأشراف الأعاجم : لدهقان مهز الملك وهو فيروز بن يزدجرد ، ولابن البحرخان ، ولخالد وجميل ابني بصيهر دهبان القلوجة»^(٥) . وذكر **الدهاقين** بقوله : «والله إني لأفضل الدهاقين حين عابوا الحسو»^(٦) . ويساعد المزارعين في عملهم الزراعي فئة من الأجراء الذين يحرثون الأرض ، وقد ذكرهم الجاحظ بلفظة **آكار** والجمع آكرة فقال : «وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى أثارة ولا إلى سقي ولا إلى أسحال بإيفار ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أكار»^(٧) وذكر نصاً يحدد فيه بعض عمل الأكار قال : «إذا صرنا إلى

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٣ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٠ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٣٦ .

(٤) في الجد والهزل ص ٢٤٤ .

(٥) العثمانية ص ٢١٣ .

(٦) البخل ص ٦٨ وانظر الحيوان ج ١ ص ١١٥ ، ج ٢ ص ١٢٥ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ١٠٠ وانظر فخر السودان على البيضان ص ٢١٢ .

أرض كلف أكاره أن يجشّه في محشة له»^(١) . وذكر الجاحظ **الأكرة** قائلاً :
« قيل لما سرجويه : ما بال الأكرة وسكان البساتين »^(٢) .

ويحدثنا الجاحظ عن الذي يحافظ على الزرع وهو **الناطور** فقال : « قد يزعمون أن بمصر دويبة يقال لها النمس يتخذها الناطور إذا اشتد خوفه من الثعابين »^(٣) ويذكر الناطور في نص آخر بقوله : « فمررنا بناطور على نهر الأبلّة ، ونحن تعبون فجلسنا إليه . فلم يلبث أن جاءنا بطبق عليه رطب سكر وجيران أسود »^(٤) . هذا الناطور لفظة لها قصة حضارية ستذكر عندما نتكلم عن الاستخدام اللغوي عند الجاحظ . وعمل الناطور هو حراسة الزرع والمحاصيل ، وهناك من يقوم على حراسة إيراد الأرض ككل ويتكفل بجميع أمورها المالية وهو **الوكيل** ، وقد ذكره الجاحظ بقوله : « وقال صديق لنا : بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه مالاً له عليه »^(٥) . وعمل الوكيل متنوع وليس يتعلق بالأراضي فقط بل هو يقوم بجميع المعاملات المالية وأحياناً ينزل إلى مستوى العامل الذي يدبر الشؤون البيتية لسيدّه ، فيقول الجاحظ بهذا الخصوص : « وقد يقول الرجل لوكيله : اشتر لي بهذا الدينار لحماً »^(٦) .

(١) البخل ص ١٢٩ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣١٣ وانظر البخل ص ١٣٣ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ١٢٠ .

(٤) البخل ص ١٩٧ .

(٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٧٥ وانظر ج ٥ ص ٢٩ .

٢ - الغلال والمحاصيل الزراعية :

لقد ازدهرت الزراعة وتنوعت المحاصيل الزراعية في العصر العباسي ، فكانت كل مدينة كبيرة محاطة برساتيق وقرى وبساتين مثل مدينة بغداد وما يحيط بها من أراضٍ زراعية شاسعة يتحدث عنها المؤلفون . وعن البصرة يقول آدم ميتز يصف البصرة ونخيلها : وكان في البصرة نخيل متصل نيفاً وخمسين فرسخاً ، لا يكون الإنسان بمكان إلا وهو في نهر ونخيل أو بحيث يراها حتى البحر ، وكانت هناك المجالس الحسنة والمناسظر الأنيقة والقصور والبساتين على جوانب الأنهار ، فإذا جاء مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل بساتينهم وجناتهم وإذا جزر الماء عنها خلت منه البساتين والنخيل وبقيت أكثر الأنهار فارغة^(١) .

ويقول شارل بيلات عن البصرة بلد الجاحظ : البصرة وما أكثر كلام الجغرافيين عنها وما بها من بساتين **النخيل** ومن مزارعات ، وصفها شارل بيلات بقوله : «أقوال الجغرافيين عن مزارعات هذه الجزيرة حيث كان يلجأ إليها الارستقراطيون العاطلون زمن الجاحظ للاستمتاع بالملذات في دور تحجبها الخضرة»^(٢) وهناك وصف لمنطقة البصرة للسيدة الفرنسية ديولافوى في كتابها عن فارس تقول فيه : «ترى المساكن غاصة فجأة في القناة وتارة على العكس محاطة بضفة ضيقة ، وترى القوارب الرشيقة التي تفوق في خفتها الجندولات مشدودة أمام مساكن تعد من أجمل البيوت»^(٣) . وقد كانت **التمور** تشكل ثروة منطقة البصرة الرئيسية ، وذكر الجاحظ أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة فإذا هي ثلاثمائة وستون ضرباً .

(١) مسكويه تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٥ وانظر الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٢) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٠ .

(٣) الجاحظ شارل بيلات ص ٣٩ .

أما أنواع الغلال في العصر العباسي فهي كثيرة جداً . وقد ذكر الجاحظ الغلة وتقسيماتها كالقراضة وغيرها وأنواعها كالقمح والعدس والماش ، ثم ذكر مكان حفظ الغلال وهي الأنبار والجمع أنابير ، وكيف تتكديس هذه الغلال على شكل بيدر والجمع بيادر كل هذه الألفاظ ذكرها فقال : «ولا يشتري إلا كل غرة وكل أرض مشهورة بكريم التربة ، وشرف الموضع والغلة الكثيرة»^(١) وذكر **الغلة** وتقسيماتها في النص التالي قائلاً : «ثم إن كانت الغلة صحاحاً دفع أكثرها مقطعة وإن كانت أنصافاً وأرباعاً دفعها قراضة مفتتة . ثم لا يدع مزيقاً ولا مكحلاً ولا زائفاً»^(٢) . ومن أشهر الغلال القمح وهو المادة الرئيسية في الغذاء اليومي ، وقال عنه الجاحظ : «وكان إذا أراد أن يذكر **البر** قال : القمح أو **الحنطة** . والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية . هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة»^(٣) . ومن الغلال التي يتكلم عنها الجاحظ في كتبه الحبوب الباردة وهي **العدس والماش** وغيرها قال : «الحبوب الباردة كالعدس والماش والشعير المنخول **والقرطم**»^(٤) وهذه الغلال تكديس في الأنابير والمفرد أنبار على شكل بيدر والجمع بيادر ، قال الجاحظ يصف **البيادر** والبيدر : «وذلك أن التمر يكون مصبوباً في بيادر التمر في شق البساتين»^(٥) . وذكر **البيدر** بقوله : «ولو أن رجلاً جلس على بيدر تمر فائق وعلى كدس كمثرى منعوت ، وعلى مائة قنو موز موصوف لم يكن أكله على قدر استطرافه»^(٦) .

(١) البخلاء ص ١٠٣ .

(٢) البخلاء ص ٨٥ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٧ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٦) البخلاء ص ٩٥ .

وذكر **الأنبار** فقال : والباقلاء إذا عتق شيئاً في الأنبار استحال كله ذبابة^(١) وقال ذاكراً لجمع **الأتاير** «وَقَتَلْنَاهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَنَابِيرَ سَرَجِينَ»^(٢) . وهناك محاصيل زراعية أخرى كالأقطان واللبن والحناء وغيرها من المنتجات الزراعية .

٣ - الأدوات الزراعية :

من الأدوات الزراعية التي كانت شائعة في العصر العباسي والتي ذكرها الجاحظ في كتبه المسحاة والجمع مساحي والمرور والمنحاز والمناجل والمعاول والأوكية والمعاصر والبرنبد والتبليا . فقال عن المسحاة «وكذلك أهل الكوفة ، فإنهم يسمون المسحاة بال رويال بالفارسية»^(٣) وقال عن **المسحاة** وعملها : «فنظر إلى حديدة مسحاة مطروحة في الدار فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ، ثم قام بجرف جميع ذلك التراب والروث وجرد الأرض بها جرداً حتى ظهر بياضها وطابت ريحها»^(٤) وذكر الجاحظ جمعها وهو **المساحي** بقوله : «ثم من العصا نصب المساحي والمرور والقدم والفؤوس والمعاول والمناجل»^(٥) كل هذه الأدوات الزراعية التي ذكرها في النص كانت مستعملة في عصره ، وكذلك **المنحاز** ذكره بقوله : «وإن المنحاز الغليظ ليتعبه الدق»^(٦) . وذكر **الأوكية** وهي التي تستعمل للسقي فقال «وتعرض الجرب وأوكية الأسقية»^(٧) . ويذكر **المعاصر** وهي التي تستعمل لعصر التمر واستخراج الدبس منه قال : «وإنما تلك المعاصر بين ثمرة

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٥ .

(٢) صناعة القواد ص ٣٨١ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٧ ، وأنظر البخلاء ص ١٠٤ ، والحيوان ج ٥ ص ٩٧ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٣ .

(٦) البخلاء ص ١١٦ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٢٩٨ .

ورطوبة ودبس وثجير»^(١) . ومن الألفاظ الشائعة بين سكان جنوب العراق مثل **التبليا والبُرْبند** وهما من الأدوات الزراعية المستعملة للنخيل ، وقد ذكرهما الجاحظ وهو يصف أحد متسلقي النخلة قائلاً : «ولا يرتقي عليها إلا بالتبليا والبرنبد فكيف أرومها أنا بلا سبب»^(٢) ومن أعمال الزراعة التي يقوم بها المزارع باستمرار للعناية بالأرض وردت ألفاظ عن الجاحظ مثل إثارة ، وسقى ، وأسحال ، وشرط . قال الجاحظ ذاكراً هذه الألفاظ : «وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج إلى إثارة ، ولا إلى سقي ، ولا إلى أسحال بإيفار ، ولا إلى شرط»^(٣) .

٤ - الري والمد والجزر :

لقد اهتم الحكام والولاة في العصر العباسي بإنشاء المشاريع الزراعية الخاصة بالري مثل حفر الأنهار وشق القنوات . ويورد لنا الجاحظ في البيان والتبيين قائمة طويلة بأسماء الأنهار مصحوبة بنوادر ذات مغزى^(٤) . وفي البخلاء يورد الجاحظ بعض العبارات يذكر فيها **الري** قائلاً : «ماء المصافنة ، والمصافنة مقاسمة هذا الماء بعينه . وذلك أن الماء إذا نقص عن الري اقتسموه بالسواء»^(٥) وهناك ألفاظ أخرى يوردها الجاحظ في هذا المجال مثل الصهريج والجمع صهاريج ، والمصنعة والمنجنون وآبار الزد والراعوفة والدالية والمد والمدود والجزر . والمسنيات والقناطر

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٢) البخلاء ص ٢١٢ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ١٠٠ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٤ ، ج ٤ ص ٧ ، ج ٣ ص ٨٣ .

(٥) البخلاء ص ٢١٨ .

لقد ظلت قضية الماء العذب قضية ملحة في العصر العباسي وخاصة في زمن المنصور ، ويورد لنا البلاذري قصة المنصور وكيف تصرف مع أهل البصرة عندما أراد أن يستخرج ضيعة بالبطيحة قال : «وما زال أهل البصرة يشفقون على مائهم أن يجتاح أو يتقص ، فإذا أراد المنصور أن يتخذ ضيعة بالبطيحة فزعوا وثاروا وهددوا بخلع طاعته» ومن هذا نفهم ما جاء في البخلاء من إشارات إلى المبالغة في تقدير الماء العذب ، والشح به والتدبير له^(١) ويشرح شارل بيلات مشكلة الماء في البصرة فيقول : «والغالب على ماء البصرة الملوحة ، وإذا صلح هذا الماء لسقي المزروعات فإنه غير صالح للاستهلاك إلى حد أن تزويد المدينة بالماء العذب قد خلق مشكلة نجد صداها في الكتب التي ورد فيها ذكر البصرة وبخاصة كتاب البخلاء للجاحظ»^(٢) . وكما ذكر شارل بيلات عن الجاحظ ومشكلة الماء العذب يقول الحاجري بهذا الخصوص : إن قصة ابن أبي كريمة هذه ، وقصة شيوخ المسجدين الذي كان يحتال الحيل في تدبير الماء العذب وغيرها في كتب البخلاء ، تشير إلى أن البصرة كانت تعاني حالة خاصة من أجل ماء الشرب^(٣) . أما الجاحظ فيورد لنا هذه المشكلة التي يعانيها سكان البصرة قاطبة على لسان أحد بخلائه وهو يتندر به قائلاً : «فقال شيخ منهم : ماء بثرنا - كما قد علمتم - مالح أجاج ، لا يقربه الحمار ولا تسيغه الإبل وتموت عليه النخل ، والنهر منا بعيد وقد تكلف العذب علينا مؤونة . فكنا نمزج منه للحمار فاعتل منه وانتفض علينا من أجله ، فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً . وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعتري جوف الحمار . فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً . ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح ، فعمدت إلى ذلك

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٦٣ .

(٢) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٣ .

(٣) البخلاء الحاجري ص ٢٨٣ .

المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة وصهرجتها وملستها حتى صارت كأنها صخرة منقورة ، وصوبت إليها المسيل فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً لم يخالطه شيء»^(١) .

ومن النص السابق نرى ما يعانيه هذا البخيل من مشكلة الماء . والصهاريج هي الحفر التي يبنها الناس ليجتمع فيها ماء المطر ، وقد ذكر الجاحظ **الصهريج** بقوله : «قال أمرت بصهريج لي في بستان عليه نخل مطل أن يملاً»^(٢) . وجمع الصهريج **صهاريج** أوردها الجاحظ في حديثه عن أم الحسام فقال : «فذهبت بأم الحسام العربية وابتنها - وهي زوجتي - فلما نظرت أم الحسام إلى الصهريج قعدت عليه وأرسلت رجليها في الماء ، فقلت لها : ألا تطوفين معنا على هذا النخل لنجني ما طاب من ثمره ؟ فقالت : ها هنا أعجب إلى قدرنا ساعة وتركناها، ثم انصرفنا وهي تخضخض رجليها في الماء وتحرك شفيتها، فقلت : يا أم الحسام لا أحسبك إلا وقد قلت شعراً : قالت أجل ثم أنشدتني :

أحب إلينا من صهاريج ملئت للعب فلم تلمح لدي ملاعبه^(٣)

وهناك نوع آخر من خزانات المياه وهو **المَصْنَعَة**، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : «وكان في الحصن مصنعة عليها قبة من طلق»^(٤) . ومن الأدوات التي تستعمل في السقي والري **الْمُنْجَنُونَ** وهو آلة تشبه الناعورة ذكرها الجاحظ فقال : «فكانه منجنون غرف من البحر وصب في جدول يفيض إلى ذلك النهر»^(٥) وكان لكثير من البصريين آبار يرشح إليها الماء المالح ملحه ، كما ذكر

(١) البخل ص ٢٩ .

(٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٣) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٤) فخر السودان على اليفضان ص ٢٠٠ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٣٩ .

الجاحظ في بخلائه عن الآبار ودورها في توفير المياه مثل **آبار الزدو** والدالية فقال : «وكسرت كل حورة حفر فيها آبار الزدو»^(١) . وذكر الدالية بقوله : «كان رجل ممرور يقوم كل يوم فيأتي دالية لقوم ، ولا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجذع ذاهباً وجائياً في شدة الحر والبرد»^(٢) . والدالية هي الخشبة التي تثبت برأس الدلو على رأس البئر الذي يستقي بها . وهناك **الراغوفة** التي تتعلق بالسقي ، فقال الجاحظ : «ووضع تحت راعوفة البئر أم لا ؟»^(٣) وهناك فئة من الشيعة تدعي بأصحاب الركايا وهم الذين يعملون على الآبار ثم المسنّيات التي تعمل على الأنهر للتحكم بتوزيع المياه وتنظم عملية الري ، وهي سدة تعرض في الوادي لمنع الماء من الجريان لحين الحاجة إليه . وقد ذكر الجاحظ هذه المسنّيات بقوله : «وقلنا لكم : دعونا نصنع هذه الجسور صنعة لا تنتقض أبداً فأيتتم . وقلنا لكم : ما ترجون من هذه المسنّيات التي تهدمها المدود وتخربها المرادي ؟»^(٤) . وقال مورداً **المسنّيات** : والكلب الخشبة التي تمنع الحائط من السقوط وتشخص في القناطر والمسنّيات»^(٥) . وبعد أن ذكرنا المسنّيات نأتي إلى مشكلة **المد** والجمع **مدود** و**الجزر** ، وهذه مشكلة تعاني منها مدينة البصرة ونجد صداها في كتب الجاحظ وخاصة كتابه **البخلاء** فقال : «ويكون الزائر من أهل البصرة عند الأبله مقيماً مطمئناً ، فإذا جاء المد قالوا : «ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه ، وما أطيب السير في المد ، والسير في المد إلى البصرة أطيب من السير في الجزر إلى الأبله»^(٦) . ومشكلة المد والجزر مهمة

(١) البخلاء ص ٨٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٠ .

(٣) التربيعة والتلويز ص ٧٨ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٥) الحيوان ج ٢ ص ١٨٦ .

(٦) البخلاء ص ١٢٥ .

بالنسبة للملاحة ، وسنذكر هذا في حينه ، وهذه المسألة شغلت الجاحظ حتى أنه أوردتها في أحاجيه التي جاءت في التربيع والتدوير فقال : «فإن احتجوا عليك بالمد والجزر احتججت عليهم بالعلم والحلم»^(١) .

(١) التربع والتدوير ص ٦٤ .

ثانياً: الألفاظ الخاصة بالصناعة :

كان لنهضة التجارة في العصر العباسي أثر كبير في تجهيز الصناعة برؤوس الأموال اللازمة للإنتاج ، بالإضافة إلى وجود طبقة ثرية في المجتمع العباسي ساعدت على ازدياد الطبقة العاملة والنهضة الصناعية ، فصناعة الجواهر مثلاً لا تنهض إلا إذا توفرت فئة اجتماعية ذات قدرات مالية على شراء مثل هذه المصنوعات الثمينة . والزراعة أيضاً أدت دوراً مهماً في نمو الصناعة إذ أنها قدمت للمشاريع الصناعية رأس المال ، فأصحاب الأملاك الذين يعيشون عيشةترف تتطلب جميع المنتجات الصناعية ، كما أن المواد الخام للصناعات اعتمدت بالدرجة الأولى على الحاصلات الزراعية .

١ - الصناعة والصناع :

جذبت المدن العباسية الكثير من الأيدي العاملة ، فانتقل حذاق أهل الصناعات من مختلف الأقاليم إلى بغداد والبصرة والأبلة وغيرها من المدن العراقية في ذلك العصر العباسي ، فقد كان الصناع في الأبلة يشتغلون بصناعة ثياب الكتان الرفيعة وصناعة القصب الميساني والحزير ، وفي ميسان يصنعون الأنماط والوسائد وفي الأهواز الديباج والحز ويصنع في تلك المدن العباسية الزنجفر والساج والبلور وعقيق اليمن^(١) .

وكما يروي المؤرخون أن المنصور عندما أراد بناء مدينته المدورة جمع الصناع من أقاليم مختلفة^(٢) وهذا مما كان له أبعد الأثر في ازدهار الصناعة نتيجة الاحتكاك وتبادل المعرفة . إن تعدد الصنائع وتنوعها في المجتمع العباسي يعني التخصص في الصناعة والاهتمام بجودتها . وقد أورد الجاحظ كلمة صناعة

(١) الحيوان ج ٤ ص ١٣٨ وانظر مروج الذهب للمسعودي ج ٤ ص ٥٥ .

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٩٢ .

والجمع **صناعات** فقال : «والخرط والنجر والتساوير والصناعات الكثيرة العجيبة»^(١) . وذكر كلمة صناعات في الحيوان أيضاً ، فقال : «أهل الصين والتبت حذاق الصناعات»^(٢) وذكر لفظة الصناعة بقوله : «ليست هناك علة إلا الصناعة»^(٣) .

إن كتب الجاحظ قدمت لنا حقائق طريفة وقيمة عن الصناع وصناعاتهم وعاداتهم ورسومهم وحالتهم الاجتماعية وأرياءهم وألفاظهم الخاصة بهم دون غيرهم ، فالكلمات التي يستعملونها مأخوذة من الحرفة أو المهنة التي يزاولونها. والجاحظ يصدر حكمه على المهن المختلفة وعلى التخصص بأنواعه بعقلية متأثرة بعوامل المجتمع الذي يرى رأياً معنياً في مختلف الصناعات التي ترتبط بالأسواق التجارية كالصاغة وأصحاب الحملانات ، وقد ذكرهم الجاحظ بقوله : «ولو أن إنساناً مزج بين الفضة والذهب وسبكهما سبيكة واحدة ، ثم أراد أن يعزل أحدهما عن صاحبه لم يمكنه ذلك بالقرض والدق . وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند **الصاغة** وأرباب الحملانات»^(٤) . ومن الشخصيات البارزة في صناعة الكيمياء والتي تتصل بأذهان العامة في المجتمع العباسي شخصية قارون التي يصفونها بالثراء الفاحش ، وذلك عن طريق صناعة الكيمياء . وقد جاء ذكره على لسان خالويه المكدي مدعياً بأنه استطاع أن يحصل على نفس علمه ومعرفته في الصنعة»^(٥) .

(١) فخر السودان على اليضان ص ٢١٢ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٣٦ .

(٣) البلدان ص ٤٧٤ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٥٣ وانظر الحيوان ج ٥ ص ١١٦ .

(٥) البغلاء ص ٤٨ .

٢ - أخلاق الصنّاع والفاظهم :

ويحدثنا الجاحظ عن الصنّاع وما لهم من طباع وأخلاق وألفاظ خاصة بكل صنف من الحرفيين والصنّاع ، والصنف في اللغة هو الطائفة من كل شيء ، ولكل حزب من الأشياء صنف^(١) . وقد استخدم الجاحظ كلمة صنف للتعبير عن أهل الحرف فيذكر أصناف الأساكفة ، والصفارين ، والدباغين ، والحاكّة والغزالين وغيرهم من أصحاب الصناعات المختلفة ، ويذكر أن أهل كل صنف يجتمعون أحياناً عند عريفهم للمسامرة^(٢) ولكل صنف شيخ مثل شيخ الملاحين^(٣) . ويرى الجاحظ أن أصحاب كل صناعة اتسموا بأخلاق معينة أولهم كآخرهم وكهولهم كشبابهم ، وكانوا في كل دهر وفي كل بلد على مثال واحد وعلى جهة واحدة^(٤) . ووصف الحاكّة ومعلمي الصبيان والغزالين بالحمق ويقول أيضاً : «وكما أن أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكّة في كل بلد من كل جنس شرار خلق الله في المبايعة والمعاملة»^(٥) . ويوضح لنا الجاحظ الكلمات التي تستعمل عند كل صنف من الحرفيين عندما سأل عدداً من ذوي المهن والحرف عن الحرب مع الروم ، وكيف كان القتال فأجابه الطبيب : «لقيناهم في مقدار **صحن البيمارستان**» ويقول الفلاح : «لقيناهم في مقدار **جريبين** من الأرض» أما سائس الخيول فيقول : «لقيناهم في مقدار **صحن الأصطبل**» والخياط يلقيهم في مقدار سوق الخلقان» وصاحب الحمام يقول : «لقيناهم في مثل **بيت الاتبار**» . ومعلم الصبيان يصف المعركة بقوله : «لقيناهم في مقدار **صحن الكتاب**» أما الكناس فيجيب قائلاً : «لقيناهم في

(١) اللسان ج ٢ ص ٤٨٠ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٣ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٢٦ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ١٠٥ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٦٩ وانظر مناقب الترك ص ٥٢ .

مقدار **سطح الايوان** ، فما كان إلا بقدر ما يكنس الرجل زنبيلاً حتى تركناهم في أضيق من حجر المخرج»^(١) . ويؤكد الجاحظ تعصب أهل كل صناعة ضد غيرهم وتعاطف أهلها على نظرائهم^(٢) . ومن المصطلحات التي تستخدم في ذلك العصر للدلالة على الصناعات كلمة الحرفة وكلمة **الكار** ، وهذه الكلمة الأخيرة هي كلمة فارسية وتعني الشغل أو العمل أو الحرفة ، واشتق من كلمة كار ألفاظ المكارى والكراء وكري ، وهذه وردت عند الجاحظ في أماكن متفرقة من كتبه ، قال في الحيوان : «بكم تكري ثورك هذا ؟»^(٣) . وفي البغلاء ذكر **الكراء** قائلاً : «نزوج له الكراء ونقضي له الحوائج»^(٤) . و**المُكاري** سأل في رسائله قائلاً : «فلما طال ذلك على سألت الجمال أو المكارى فقلت ويلك»^(٥) .

٣ - طبقات الصناع وتخصصاتهم:

يصور لنا الجاحظ أصحاب المهن التي تجلب الثراء والمال مثل **الصاغة** و**الصيارفة** يصنفهم في قمة السلم الاجتماعي ، ويذكر الجاحظ هؤلاء الصناع فيقول : ألا ترون أن الأموال كثيراً ما تكون عند الكتاب وعند أصحاب الجواهر وعند أصحاب الوشى والأنماط وعند الصيارفة والحناطين وعند البحرين والبصريين والجلاب أبدأ و**البيازرة** أيسر من يبتاع منهم»^(٦) . ولكن هناك صناع وأصحاب حرف في الدرك الأسفل من المجتمع وهؤلاء هم الحمالون والمفرد

(١) صناعات القواد ص ٣٨١-٣٨٥ .

(٢) ثلاث رسائل لفنكل ص ٣٦ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٤) البغلاء ص ٨٢ .

(٥) كتاب البغال ص ٣١٧ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .

جمال ، ذكرهم الجاحظ بقوله : «ولولا أن الحماليين قد جعلوا أفواههم بدل اليد الثالثة ، لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا بيد إنسان»^(١) وذكر الحماليين بقوله : «فلما قربنا من الفرضة صحت : يا جمال»^(٢) ومنهم **الكساحون** ومفردهم **كساح** ، وقد ذكرهم الجاحظ فقال : «ونظر يوماً إلى الكساحين وهو معنا جالس في رجال قريش وهم يخرجون ما في بالوعته»^(٣) وذكر كساحاً بقوله : «وكان لا يزال يدخل داره حمار كساح ويضربه مائة عصا»^(٤) . وذكر **الطوافين** فقال : وما رأيت أصح أبداناً من الحماليين والطوافين»^(٥) . و**النفاطون** ذكرهم الجاحظ وهم من الدرك الأسفل لأصناف المهن في العصر العباسي فقال عنهم يصف عملهم : «لأن الطلق لو أوقد عليه ألف عام لم يسخن . وبه يتطلى النفاطون إذا أرادوا الدخول في النار»^(٦) .

ونجد في الحرفة الواحدة تخصصات فرعية متنوعة ورتباً مختلفة ، فيصف لنا الجاحظ طبقات الصنائع الذين يشتغلون في صناعة السيف وصقله ، وهم الذين يدعون بالصياقلة ومفردهم صيقل . وقبل أن أذكر أصنافهم أورد النصوص التي ذكرتهم ، قال الجاحظ عن **الصياقلة** : «فسألت بعض الصياقلة فقال : نعم هذا بين معروف إذا أخرجنا الحديد من الكير في يوم شمال»^(٧) . فنرى الجاحظ قد ذكر الصياقلة والكير ويذكر لفظة **صيقل** قائلاً : «ويزعمون أن الصاعقة تسقط في حانوت الصيقل فتذيب السيوف»^(٨) . أما تخصصات من

(١) الحيوان ج ٤ ص ١٥٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٣) البغلاء ص ١١٤ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٠ .

(٥) البغلاء ص ١٣٨ .

(٦) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٠ وانظر الحيوان ج ٦ ص ٤٣٥ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٨) الحيوان ج ٤ ص ٣١٦ .

يشتغلون بصناعة السيوف فقد ذكرها مفصلاً وعمل كل منهم فقال : إن السيف الذي يتقلده أو يضرب به ضارب قد مر على أيد كثيرة ، وعلى طبقات من الصانع ، كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ، ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يتكلفه ، لأن الذي يذيب حديد السيف ويميعه ويصنعه ويهله غير الذي يمدّه ويمطّله ، والذي يمدّه ويمطّله غير الذي يطبعه ، ويسوي متنه ويقيم خشبته ، والذي يطبعه ويسوي متنه غير الذي يسقيه ويرهفه غير الذي يركب قبيعته ويستوثق من سيلانه ، والذي يعمل مسامير السيلان وشاربي القبيعة ونصل السيف غير الذي ينحت غمده ، والذي ينحت خشب غمده غير الذي يدبغ جلده ، والذي يدبغ جلده غير الذي يحليه ، ويركب نعله غير الذي يخرر حمائله^(١) .

ونكاد نجد الاختصاصات المتنوعة في كل حرفة ومهنة ، فالخياطون كانوا ذوي اختصاصات متنوعة فهم ، **الرفاؤون** ، والقصارون ، **والدقاقون** ، وصناع القلانس ، **والمطرّز** أو الرقام . **والنجارون** أصناف فهناك نجار الأقفال ونجار الرزات ومن يحسن عمله ويحذقه ، يقول عنه الجاحظ : «ولا يحسنه من مائة نجار نجار واحد»^(٢) . وقد يذكر بالحدق في نجارة السقوف والقباب ، وهو لا يكمل لتعليق باب على تمام الأحكام ويستمر الجاحظ في حديثه وحواره مع النجار المتخصص بتعليق الأبواب فقط فيطلب منه أن يثقب له موضعاً لحلقة تعلق بوجه الباب من أجل الطرق : قلت له : أكره أن أحبسك إلى أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع ولكن ائقب لي موضعها . وبعد أن ينتهي النجار من ثقبه للباب يخاطب الجاحظ قائلاً : «قد جردت الثقب ولكن أنظر أي نجار يدق فيه الرزة ، فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شق الباب فعلمت أنه يفهم

(١) مناقب الترك ص ٧١ - ٧٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٦ .

صناعته فهماً تاماً^(١) .

أما أرياء الصناع والحرفيين فيذكرها الجاحظ في وصف لأحدهم : «ثم عاد فإذا في يده سكين وساطور وعليه قميص العمل»^(٢) ، ووصف لنا ابن الجوزي أحد سقائي بغداد بقوله : «رجل متزى بمنديل ديبقى ، بيده كيزان خزف»^(٣) . ويصف المسعودي ملابس الصناع وأصحاب الحرف بأنه كان لكل ذي حرفة ملابس خاصة بهم فقد كان للطباخين ثياب خاصة بهم»^(٤) .

٤ - متاجر الصناع :

ويحدثنا الجاحظ عن البياعات ومن يعرضها في الأسواق ويسمهم الباعة ، ومحلات البيع وهي الحوانيت والكرابج تعرض مختلف المنتجات المحلية والبضائع المختلفة التي يدعوها الجاحظ بالمتاجر فيقول واصفاً هذه الكلمة : «ويزعم البحريون أن طائرین يكونان ببلاد السفالة ، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يمكن البحر من نفسه ، لخروجهم إلى متاجرهم»^(٥) . وذكر البياعات فقال : «وفي تمييز الصناع وفي تخير البياعات»^(٦) وذكر الباعة فقال : «وهو من أحاديث الباعة والعجائز»^(٧) . ثم يذكر لنا أماكن البيع وهي **الحوانيت** والكرابج قائلاً : وتبتاع الحوانيت المغلة هذا^(٨) والمفرد **حانوت** ذكره.

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٦ .

(٢) حيوان ج - ص ٤٩٢ .

(٣) مناقب بغداد ابن الجوزي ص ٣١ .

(٤) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٥١٥ .

(٦) في الجلد والهزل ص ٢٤٨ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ١٥٥ .

(٨) الحيوان ج ٣ ص ٢١٢ .

بقوله : «كان للغزال قطعة أرض قدام حانوتي»^(١) . وذكر الكرابج فقال :
«فحين صار المال في أيديهما قصد البعض الكرابج فابتاعوا من الطعام ما
اشتبهوا»^(٢) .

والأسواق والخوانيت في العصر العباسي تعطينا صورة وإن كانت تقريبية
عن أعداد الطبقة العاملة في تلك الأسواق والخوانيت التي كان يعمل فيها
الصناع والحرفيون .

ويصف أبو حيان التوحيدي أهل المتاجر وكيف يتعاملون مع المشترين
فيقول : إن أحدهم لا يهتم بالصدق ، يغش بسهولة ويسر حتى ولو كان ذلك
على حساب دينه ، يمدح الأشياء التي يبيعها مدحاً مسرفاً من أجل الربح ويذم
نفس الشيء إذا اشتراه من أحد ، قوي الإيمان على الكذب يحاول أن يغش
بالوزن ما استطاع وقد نسى أهل السوق المعروف ، وجعلوا من المنكر عرفاً
ساروا عليه ، وقد عدوا أعمالهم هذه حذقاً في المهنة وخبرة في الكسب وعلماً
بالتجارة وتقدماً في الصناعة .

هذا وقد لعبت الأسواق في العصر العباسي دوراً كبيراً في حياة الدولة
العباسية ، اقتصادياً واجتماعياً بل وسياسياً في بعض الأحيان ، وذلك بفضل
التقدم الحضاري الذي أصاب المجتمع العباسي فأثر على ازدهار الحياة
الاقتصادية ومن ثم ازدهار الحضارة العباسية^(٣) .

(١) البخلاء ص ١٢٠ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢١٢ .

(٣) الامتاع والمؤانسة التوحيدي ج ٣ ص ٦١ - ٦٢ .

ثالثاً: الألفاظ الخاصة بالتجارة :

التجارة والمعاملات النقدية :

كان نمو التجارة في العصر العباسي يرجع إلى عدة عوامل منها : التقدم الحضاري الذي أصاب المجتمع العباسي ، ومظاهر البذخ والترف التي كانت فيه واتساع نطاق الدولة واستقرارها وتقدم طرق المواصلات البرية والبحرية فيها ، ونرى آدم مبرز يفسر ظاهرة انتعاش التجارة في العصر العباسي إلى التحول الذي أصاب المجتمع الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري بحيث صارت التجارة من أهم أركان الحياة الاقتصادية ، واحتلت المكان الأول في التجارة بين البلدان العالمية^(١) . إن تكدس الأموال في الدولة الإسلامية في العصر العباسي كان له أثر عظيم على نشاط الحركة التجارية ، وقد تم تكديس النقود بفضل سيطرة المسلمين على البلاد التي تجمع فيها الذهب وكثرة الواردات السنوية ، حتى أصبح بنو العباس خزنة ثروات لولايات كثيرة ، وتعتبر قوائم الجباية للدولة العباسية مثلاً واضحاً على مقدار ما تدفق من أموال إلى أيدي العباسيين^(٢) .

١ - التجارة والتجار :

ولقد توفرت لطبقة التجار وظيفة اجتماعية مرموقة وضرورية في عصر الحضارة العباسية ، بعد أن أصاب الترف حياة بعض الطوائف ، وقد هيا هذا الترف لنشوء طائفة **التجار** الذي كانوا يقومون على مطالب هذا الترف وأدواته ، وكل المطالب الأساسية للحياة المترفة ، ويظهر أن هذه الوظيفة في وقت من الأوقات كانت مستهجنة من بعض فئات المجتمع العباسي من مثل الكتاب والعاملين في خدمة الخلفاء والولاة والوزراء ، ويدلنا على ذلك صيغ

(١) الحضارة الإسلامية - آدم مبرز ج ٣ ص ٣٦٥ .

(٢) الوزراء والكتاب الجهشيارى ص ٢٨١-٢٨٢ تحقيق مصطفى السقا .

الجاحظ في رسالته مدح التجار وذم عمل السلطان^(١) . نرى الجاحظ في هذه الرسالة يدافع عن وظيفة التجار وما تضيفه على أصحابها من مركز اجتماعي ، وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ كثيرة تخص التجارة وما يتبعها من نظام مالي فعلي ، ذكر التجارة قال : الرفاجة : التجارة : والتشهير^(٢) وكذلك اقتصاد واحتكار ثم ضريبة ومكس وغلاء وجائحة . قال عن **الاقتصاد** على لسان الكندي أحد بخلائه : «وزعمتم أنما سميناً البخل إصلاحاً والشح اقتصاداً»^(٣) وذكر **الاحتكار** بقوله : «ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم»^(٤) . ويذكر **الضريبة والمكس** مبيناً الوجوه التي تستوجب لكل منهما فقال : «فإن ملوك العرب تأخذ من التجار في البر والبحر ، وفي أسواقهم المكس ، وهو ضريبة كانت تؤخذ منهم وكانوا يظلمونهم في ذلك»^(٥) وقال موضحاً الضريبة : «وعلى أنه إن أتاه الله بالأرباح في تجارته ، والنفاق في صناعته ، لم ير أن يزيد قيراطاً في ضريبته ، ولا أن يعجل فلساً قبل وقته»^(٦) .

وقال في **الجائحة** : «إن اجتاحتها جائحة أو نابتة نابتة بقيت حيران»^(٧) وقال ذاكراً **الغلاء** : «لا يهتم بغلاء الدقيق ولا عوز السوق»^(٨) .

وعن الثروة والمال وما لعبا من دور في حياة الأفراد في المجتمع العباسي

(١) رسائل الجاحظ للساسي ص ١٥٥ .

(٢) البرصان والمرجان ص ١٨ .

(٣) البخلاء ص ٩١ .

(٤) مناقب الترك ص ٧٠ .

(٥) الحيوان ج ٦ ص ١٤٨ .

(٦) البخلاء ص ٨٥ .

(٧) المعاش والمعاد ص ١٣٢ .

(٨) كتاب القيان ص ١٧٨ .

تقول صاحبة كتاب الجاحظ والحاضرة العباسية : «إن الثروة في الحاضرة الإسلامية كانت تشكل العمود الفقري للحياة الاقتصادية فلا التجارة ولا غيرها من الفعاليات الاقتصادية كان بالإمكان أن تسير بدون رأس المال»^(١) .

٢ - الصيرفة والمعاملات المالية :

كان من آثار الحركة التجارية أن نشأ أسلوب جديد في المعاملات المالية ليواجه هذه الحركة الكبيرة لتدفق الأموال من جميع أنحاء الدولة العباسية . هذا مما دفع الناس إلى إيجاد أماكن آمنة لحفظ أموالهم فأودعوها لدى أشخاص بارزين أو تجار صيارفة محترفين ، فظهر عدد من الصيارفة استطاعوا أن يوسعوا عمليات الصيرفة حتى أن الدولة نفسها تعاملت مع الصيارفة لتصريف أمورها في وقت الحاجة ، ولم يقتصر عمل الصيارفة على قبول الودائع بل تعداها إلى تحويل النقود وتحرير الصكوك وغيرها من المعاملات المالية الأخرى . وقد أورد لنا الجاحظ قصصاً في البخلاء عن **الصيارفة** وأصحاب العينة **والبنادرة** والمعينين فقال : «وتقصر بعضهم أن يكون صيرفياً»^(٢) ومن الصيارفة الذين ذكرهم الجاحظ وسلط نقده اللاذع عليه زبيدة بن حميد الصيرفي وهو رجل ثري من ملاك الأراضي في البصرة يمتلك مائة ألف دينار ومع هذا تراه يستلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً»^(٣) . ويحدثنا الجاحظ عن صيارفة البصرة فيقول : «لا ترى بالبصرة صيرفياً إلا وصاحب كيسه سندي»^(٤) . وهذا الشعور بالنسبة للسند يشرحه الجاحظ في رسائله فيقول : «ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند ، لأنهم وجدوهم

(١) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ١٥٥ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ١٤١ .

(٣) البخلاء ص ٣٥ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٤٣٤ .

أنفذ في أمور الصرف ، وأحفظ وآمن»^(١) . ثم يستمر الجاحظ في وصفه للسند وما يمتازون به من نفوس أمينة فيقول : «وقد بلغ من تبرك التجار بهم أن صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات لما رأوا ما كسب فرج أبو روح السندي لمولاه من المال والأرضين اشترى كل امرئ منهم غلاماً سندياً ، طمعاً فيما كسب أبو روح لمولاه»^(٢) . ويقول شارل بيلات في حديثه عن تجار البصرة : «إن الطبقة البورجوارية التي تكونت في البصرة مدينة أحياناً بثروتها إلى استغلال أراضيها الزراعية أو أراضي رعاياها ، كما أنها مدينة في أغلب الأحيان إلى مهارتها التجارية وتعاطيتها الربا . والشاهد الذي يثبت هذا القول أي وجود الربا في البصرة مع تحريم القرآن له هو مقاطع من كتاب البخلاء ذكر فيها العينة وهي الربا»^(٣) . ويورد الجاحظ في كتاب البخلاء خاصة وفي غيره من كتبه حكايات عن هذه المهنة **العينة** وعن أصحابها الذين يسميهم أصحاب العينة قال : «وكانت له حلقة يعقد بها أصحاب العينة والبخلاء الذين يتذكرون الإصلاح»^(٤) . ويصف الجاحظ أبا سعيد المدائني بأنه كان من كبار المعينين ومياسيرهم^(٥) وتدل النواذر التي ساقها الجاحظ عن أبي سعد المدائني على انتشار هذا النوع من الربا عند الموالي في البصرة . وذكر العين فقال «نظروا في العين والدين قبل أن يروا الاختلاف في طلاق السنة»^(٦) وقال أيضاً «الفالح مكيال العينة»^(٧) . وقال : «ومن كان ذا مال ولا جاء

(١) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٤ .

(٢) فخر السودان على البيضان ص ٢٢٥ .

(٣) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٩ .

(٤) البخلاء ص ١٣٧ .

(٥) البخلاء ص ١٣٧ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٣ .

(٧) البرصان والعرجان ص ٢٨٣ .

له استقرض منه بلا عينة»^(١) .

وقد ورد عند الجاحظ ألفاظ تدل على العقارات وما يتبعها من معاملات وحوالات نقدية وصكك والمفرد صك وإقطاع وسجلات وألفاظ لأمر ماليه أخرى كالضيبي ، والخطيطة ، والكور ، والأواء ، والممعز ، والمخرفج ، وكل هذه الألفاظ صفات تبين حالة الأشخاص المالية من غنى وفقر ، وذكر الجاحظ ملاك الدور وأمورهم من المستأجرين . وذكر الجاحظ **الصكك** بقوله : «وعلى الجلود يعقد في حساب الدواوين ؛ وفي الصكك والعهود وفي الشروط وصور العقارات»^(٢) . وذكر **الصك** بقوله : «ثم نهض بالصك وعليه طيته»^(٣) . وذكر **الإقطاع** فقال : «لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكك وكل إقطاع»^(٤) . ومن الشخصيات التي ذكرها الجاحظ في حديثه عن ملاك الدور وأحوال المستأجرين شخصية الكندي أحد البخلاء الذين سخروا منطقهم وبلاغتهم للدفاع عن البخل وحفظ المال ، ومن خلال شخصية الكندي استطاع الجاحظ أن يسخر من أحوال السكن في المدن العباسية متقدماً أصحاب الدور الذين يستغلون المستأجرين ، قال الكندي : إنما المال لمن حفظه . ولحفظ المال بنيت الحيطان وعلقت الأبواب ، واتخذت الصناديق ، وعملت الأقفال ، ونقشت الرسوم والخواتيم وتعلم الحساب والكتاب»^(٥) ويقول الجاحظ على لسان الكندي مخاطباً المستأجرين : ومع بغض الساكن للمسكن ، وحب المسكن للساكن لأن المسكن يحب صحة بدن السكان .

(١) كتاب البيان ص ١٧٩ .

(٢) في الجند والهزل ص ٢٥٣ .

(٣) البخلاء ص ١٤٢ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٦٩ ، وانظر الحيوان ج ٢٩٨ .

(٥) البخلاء ص ٩١ .

ونفاق سوقه إن كان تاجراً ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المسكن كيف شاء»^(١) .

وفي مجال المعاملات المالية يذكر الجاحظ **الضيبي** فيقول : «أسمعتهم بالقسمة الضيبي ؟ هي والله ما تريدون شيخكم عليه . اشترى مني على أن يكون الخسران على والربح له»^(٢) . وقال : «وسأله حسن النظر والخطيطة . والخطيطة هي ما يحط من جملة الحساب فينقص منه»^(٣) وقال يذكر **الكور** : «أعوذ بالله من الخذلان بعد العصمة والخور بعد الكور»^(٤) . والكور هو النقص بعد الزيادة . ثم يحدثنا الجاحظ عن الأواء فيقول : «وكل كاتب محكوم عليه بالوفاء ، ومطلوب منه الصبر على الأواء»^(٥) . ولفظة **المُعَز** تفيد معنى الفقر والحاجة ، قال الجاحظ يصف أحدهم «وإذا نزل الغيث وعم ودر كان حزن المعز المصرم»^(٦) ويذكر لفظ **المُخْرِج** فيقول : «إن حذيفة رجل مخرفج محرق الخيل»^(٧) .

ومن النصوص السابقة نتبين المعاملات المالية التي كانت سائدة في العصر العباسي في زمن ازدهار الحضارة وتقدمها ، وبالتالي ازدهار الحياة الاقتصادية آنذاك ، وهذا ما أكدته د. وديعة النجم قائلة : هناك ظاهرة تبرز في العصر العباسي في حياة الحضارة لا يمكننا تجاهلها ، وأعني بهذه الظاهرة ما أسميه تجوزاً بالوعي المالي . وهي إحساس الفرد بقيمته بسبب ما يمتلك من مال وأنه لولا هذا المال لأهين وفقد احترام الجميع»^(٨) .

(١) البخل ص ٨٥ .

(٢) البخل ص ١٤٤ .

(٣) البخل ص ١٤٤ .

(٤) البخل ص ٦٤ .

(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ١٦١ ،

(٦) ٧ ، البرصان والعرجان ص ١٨٣ .

(٨) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ١٥٥ .

٣ - الوحدات القياسية :

هناك وحدات قياسية للمساحة مثل الفراسخ والجريب والمشاركة . أما الأوزان والمكايل فكانوا يستعملون لقياسها في العصر العباسي الأوقية والإستار والرطل والمثقال والقفيز والجمع قفزان والمز والمكوك والجمع مكايك والأكرار وهي أكبر المكايل . وكانوا يعرفون حساب الأيام والشهور والفصول ، ولهم خبرة بعلم الفلك وحساب الهسرج وغيرها ، من العلوم التي ليس مجالها هنا بل ستذكر في الحياة العلمية في العصر العباسي وقد أفرد الجاحظ صفحات كثيرة جداً من كتبه لوصف الحياة العلمية في عصره ، ولكن في مجال حديثنا عن الوحدات القياسية التي يستوجب ذكرها مع ما سبق من النصوص عن الأرض وهي عماد الثروة في الحضارة العباسية وعن غلاتها المتنوعة الغنية ، فيجب أن نذكر وحدات المساحة لقياس الأراضي الزراعية خاصة . قال الجاحظ يذكر **المشاركة** وهي البقعة المزروعة من الأرض ولها حدود معينة ضيقة نوعاً قال : «فما كان بقدر ما يسقى الرجل مشاركة حتى قتلناهم»^(١) . ثم يذكر **الجريب** والمثنى جريبان قائلاً : «لقيناهم في مقدار جريبين من الأرض»^(٢) . وقال : «كان يملك خمسمائة جريب»^(٣) ثم يذكر **الفراسخ** : بقوله : «فلا يزال يقطع الفرساخ الكثيرة بعد ذلك»^(٤) .

أما وحدات المكايل والأوزان فقد ذكرها الجاحظ في مجال الحياة الاقتصادية وما بها من أسواق تجارية لا بتياع الحاجيات اليومية ، قال في مجال الأوزان يذكر **الإستار** وهو أقل من الأوقية أي أنه وحدة وزن صغيرة : «فلا

(١) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٥ .

(٣) البخل ص ١٠٢ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٦ .

يصب إستاراً واحداً فعله» وذكر **الأوقية** بنفس المكان قائلاً : «فما ضيع أوقية واحدة»^(١) . ثم يذكر لنا وزناً صغيراً جداً وهو **المثقال** ، فيقول : «استفت مثقالاً من الأثمد»^(٢) . وهناك وزن آخر يستعمل كثيراً في العصر العباسي . ويحدثنا الجاحظ عنه بأشتاقات متنوعة وهو **الرطل** فنرى الجاحظ يقول رطلية ورطلت ورطل ، وغيرها من الألفاظ التي تدل على الوزن بمكيال الرطل قال : «حتى تركناهم في أضيق من رطلية»^(٣) . وقال : «كلا والله إني ما رطلت بيدي قط أحداً أرزن منه»^(٤) . ثم يذكر لنا المن وهو يسع رطلين فقال : «ربما كان في نابيه أكثر من ثلاثمائة من»^(٥) . ومن الأوزان التي يكال بها **المكوك** والجمع مكاكيك ، وقد شرحه الحاجري في البخلاء فقال : المكوك معيار يكال به وهو كما يقول صاحب القاموس - مكيال يسع صاعاً ونصفاً أو نصف رطل إلى ثمان أواق ، أو نصف الويبة ، الخ ، التقديرات التي ترجع في اختلافها إلى اختلاف الزمان والمكان . والأصل في كلمة المكوك أنها طاش يشرب به»^(٦) وقد ذكره الجاحظ فقال : «قالت : أعلم أنني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة ، وكنا كما قد علمت - نخبز في كل يوم مرة ، فإذا اجتمع من ذلك مكوك ببعته»^(٧) وذكر المشني : المكوكين قائلاً : «عندي مرجل أطبخ فيه ثمرأ نبيذياً وهو يسع مكوكين»^(٨) وذكر الجمع مكاكيك

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) الحيوان ج ٧ ص ٨٩ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

(٤) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٠ وانظر البخلاء ص ٥٤ .

(٥) الحيوان ج ٧ ص ١٠٤ .

(٦) البخلاء - الحاجري ص ٢٩٦ .

(٧) البخلاء ص ٣٠ .

(٨) البيان ج ٢ ص ٣٤٨ .

فقال : «وتحلب خمسة مكاكيك وأكثر»^(١) . ثم يذكر لنا الجاحظ في كتبه مكيال آخر يسع ثمانية مكاكيك ، وهو القفيز والجمع **قفزان** ، وقد ذكر الجمع بقوله : «قال أنا لا أعرف الأكرار وحساب القفزان»^(٢) وكلمة **الأكرار** وهي جمع كر ، وهو مكيال يزن ستين قفيزاً ويستعمل في العراق أكثر من غيره في البلدان الأخرى .

٤ - العملات النقدية :

وردت عند الجاحظ أنواع من العملات التي كانت تستعمل في عصر الحضارة العباسية ، وألفاظ العملات **الدرهم** والجمع دراهم والدينار والجمع دنانير والدانق والجمع دوانق والفلس والجمع فلوس والباور والجمع باورات و**القراريط** . وقد ذكر الجاحظ الدراهم الفارسية المسماة بالبغلي ، كما تدل على ذلك الأمثلة التي وردت في البخلاء قال : فأدخل يده في الكيس ليخرج فلساً - وفلوس البصرة كبار - ففلس بدرهم بغلي»^(٣) . وقال في البخلاء أيضاً : أي بني إن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير»^(٤) وذكر **الدانق** بقوله : فأعطيتك على بصرك ودلالتك دانقاً»^(٥) . وذكر **الدينار** فقال : من رفع يده قبل القوم غرمناه ديناراً»^(٦) . وذكر **الباورات** بقوله : ولعدموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات»^(٧) .

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٧٧ .

(٢) البخلاء ص ٢٤٨ وانظر البيان ج ٤ ص ٣٤٨ .

(٣) البخلاء ص ٤٦ .

(٤) البخلاء ص ١٠٦ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٦) البخلاء ص ٥٥ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٤٦ .

رابعاً: اللفاظ الخاصة بالملاحة :

كانت الملاحة النهرية الداخلية بين البصرة والأبلة ، والبصرة وعبدان ، التي تبعد عن البصرة بمقدار فرسخين ، ثم الطرق النهرية الهامة ، وهي طريق البصرة الأهواز وجميع هذه الطرق داخلية لنقل الحاجيات التموينية أو المسافرين أو لنقل الماء إلى مدينة البصرة .

١ - الاتهام وحركة الملاحة :

وقد حدثنا الجاحظ عن الملاحة وطرقها وأوقاتها ، والسفن وأنواعها وأجزائها وعن المواني والمرافئ ومن يقوم بالعمل في هذه السفن وعن أمور أخرى تتعلق بالملاحة النهرية التي كانت المستفذ الرئيسي للبصرة . فقد كانت بين البصرة والأبلة شبكة من الأنهر والأقنية وكان **نهر الأبلة** هو الذي يصل البصرة بالأبلة ، وكانت لهذا النهر مواسم معينة تكون الملاحة فيها سهلة ويسيرة ، ويورد لنا الجاحظ هذه الحادثة يبين فيها أصلح الأوقات للسير في نهر الأبلة قائلاً : «ويكون الزائر من أهل البصرة عند الأبلي مقيماً مطمئناً فإذا جاء المد قالوا : ما رأينا مداً قط ارتفع ارتفاعه ، وما أطيب السير في المد ، والسير في المد إلى البصرة أطيب من السير في الجزر إلى الأبلة»^(١) وهناك أنهار أخرى حدثنا الجاحظ عنها كنهر **دجلة والفرات** والرافدين وكذلك الهور ، قال الجاحظ في دجلة والفرات : «إن ماء دجلة أمر من الفرات وإن ماء مهران أمر من ماء نهر بلخ»^(٢) وقال عن **الرافدين** : «قال الأصمعي : فهما الرائدان وهما الرافدان»^(٣) . أما الهور وهو الماء القليل العمق الذي يستعمل للنقل الداخلي

(١) البخلاء ص ١٢٥ ، ص ١٩٧ .

(٢) البخلاء ص ٩٨ وأنظر الحيوان ج ٣ ص ٢٦١ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ١٩٦ .

المحدود بواسطة مراكب صغيرة جداً ، والهور يقع في جنوب العراق في البصرة وضواحيها فقط ، وحدد الجاحظ مكان **الهور** فقال : «في أجمة البصرة، فأردنا النفوذ فمنعنا صاحب المسلحة فأردنا التأخر إلى الهور الذي خرجنا منه»^(١)

وهناك كلمات تتعلق بالملاحة النهرية مثل الوشل والمكلأ ، والكلاء والشرية والجمع شرائع والمشرع والجمع مشاريع والعبر وصاحب المعبر والملاح والجمع ملاحون أو ملاحي ثم المدادين . ويحدثنا الجاحظ عن الوشل ، وهو الماء القليل الذي لا تصلح فيه الملاحة ، وهذا يكون في موسم القيظ في البصرة خاصة فقال في حيوانه : «في الصيف كله في القيظ جميعاً منع ماء ولا غدير ولا شريعة ولا وشل»^(٢) وقال عن **الكلاء** وهي مرفأ السفن : «وانت رجل لك في البستان ، ورجل في أصحاب الفيل ورجل في السوق ورجل في الكلاء»^(٣) وذكر المكلأ فقال : «ولا يعرفون الخب والمكلأ ، صارت الأيام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل»^(٤) . **الشرية** كلمة تطلق على المرفأ النهرية الصغير أو الجدول النهرية الصغير ، وهو ما يدعو الجاحظ بالأتعبان . أي الجدول الصغير ، وقد ذكر **الأتعبان** في التريع والتدوير متسائلاً : «وما الفرق بين الأتعبان والأمدان»^(٥) وهذا ليس مجاله هنا وإنما لمجرد العرض ، أما الشريعة فقد ذكرها الجاحظ في أماكن كثيرة من كتبه ، وهذا طبيعي وهو البصري المتردد على الشريعة فقال : «بحيث لا ماء وحل ولا عين ولا

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٢٨٢ .

(٣) البخلأ ص ١٤٥ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٥) التريع والتدوير ص ٦٠ .

شريعة^(١) ، وذكر **المشارع** فقال : «يخبرنا جميع من يبيت في السفن وفي
المشارع^(٢) . وذكر العبر وهو يطلق على عبر النهر أو عبر البحر أي شاطئه
وجانبه فقال : «والعبر يقذفه البحر إلى عبريه^(٣) .

قال آدم ميتز : في العراق كانت أحوال الأنهار ملائمة للملاحة على نحو
لا نظير له . وذلك لأن مستوى نهر الفرات أعلى قليلاً من مستوى نهر دجلة ،
وهذا يجعل سير السفن في الأنهار المتفرعة من الفرات إلى الشرق سهلاً يسيراً
ولا يصعب عليها أن تعود إلى الغرب . وقال أيضاً : وكانت أكبر شبكة من
النهيرات توجد شرقي البصرة حيث تفتersh مياه الأنهار ، وقد أحصيت في
بعض العصور فزادت على مائة وعشرين ألف نهر تجري فيها الزوارق وكان
بتلك حركة الملاحة كبيرة جداً ، وخاصة على نهر دجلة والناس ببغداد يذهبون
ويجيئون ويعبرون في السفن وترى لهم جلبة وضوضاء^(٤) .

٢ - الملاحون وأنواع السفن :

يحدثنا الجاحظ في كتبه عن الملاحين أحاديث متنوعة ، ويخصهم بروايات
شيقة ويحشرهم في كل مجال ، وكأنه لا يريد أن ينسى بيئته الأولى التي نشأ
وتربى فيها ، فالبصرة بأنهارها وملاحيها كان لها أثر كبير في الجاحظ وما يرويه
من كلمات عن تلك البيئة البصرية فيقول : «لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا
المرادي^(٥) فهو يذكر لنا **الملاح** والجمع ملاحين وملاحي وصاحب المعبر
والمدادين ، وهم معاونون لملاح السفينة . ويحدثنا عن الملاح وعن إحدى

(١) الحيوان ج ١ ص ١٥٦ وانظر ج ٦ ص ٢٨٢ .

(٢) الحيوان ج ٧ ص ١٤٧ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٣٦٢ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) البيان ج ١ ص ٢٩ .

قصصه فيقول : «وقلت لملاح لي ، وذلك بعد العصر في رمضان انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مريدين ونصف»^(١) وكان الجاحظ يختلط مع مختلف أجناس الملاحين ، وها هو يحدثنا فيقول : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاحي الموصل»^(٢) . أما **المدادون** وهم معاونون للملاح يذكرهم الجاحظ بقوله : «يعشون الأول من المدادين ليحله»^(٣) . **وصاحب المعبر** يقول عنه الجاحظ : «وكان يقول لابنه : تعطي صاحب الحمام وصاحب المعبر لكل واحد منهما طسوجاً ، وهو إذا لم يرمعك إلا ثلاثة أفلس لم يردك»^(٤) وكان صياح الملاحين إلى جانب صوت آلات رفع الماء مما تمتاز به بلاد العراق^(٥) . أما السفن فأنواعها كثيرة يوردها الجاحظ في أحاديثه ويذكر منها الجعفرية والجمع جعفريات والسنبوقة والجمارات . فقال عن **الجعفرية** : «كنت مع شيخ أهوازي في جعفرية وكنت في الذنب وكان في الصدر»^(٦) وذكر **الجعفريات** قائلاً : «وربما رأينا الملاح النبطي في بعض الجعفريات على وجهه شبه القرد»^(٧) . ثم يذكر **السنبوقة** وهي نوع صغير من السفن ، كما ذكر في القاموس ، ولكن الجاحظ ذكرها وفيها ألف رجل فكيف تم هذا الأمر ، وهل هناك مبالغة في الكلام لا أدري ، وإنما سأوضحه في تناولي للموضوع بصورة أخرى ، قال الجاحظ ، «إن ملك الزنج إن غضب على هل مملكة ولم يتقوه بالخراج بعث ألف سنبوقة في كل سنبوقة ألف رجل»^(٨) ، ونوع آخر من السفن وهي **الجمازات** وهي نوع سريع من السفن .

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ١٢٦ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٢٦ .

(٤) البخل ص ١١٣ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٣٩٤ .

(٦) البخل ص ١٤٧ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٧٢ .

(٨) فخر السودان على اليبضان ص ٢١٧ .

وقد ذكر الجاحظ هذه الجمارات وأول من استعملها فقال : «وقد علمتم أن أول شأن الجمارات أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا في سير النجبية التي كانت عليها»^(١) .

والسفينة تتكون من أجزاء ولقياداتها يتخذ بعض الأدوات والإبحار بها يكون الشراع ، ومن أدواتها أطلال السفن والكلاليب . والمزاليج والقلس ثم المرادي جمع مردي ، وقد ذكر الجاحظ الشَّراع بقوله : «وكان الشراع لا يحط وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس»^(٢) ثم يذكر الكلاليب وغيرها من الأدوات في هذا النص فيقول : «فمن ذلك الأضلاع والمفاتيح والمزاليج وأطلال السفن والعقود»^(٣) ثم يذكر القلّس وهو من الحبال التي تربط بها السفينة عدن المرفأ وغيره من الأمور ، قال الجاحظ : «ورعموا أن الأسد ربما جاء إلى قلّس السفينة فيتشبث به ليلاً»^(٤) وكان ببغداد كثير من القوارب الخاصة ، فقد كان لكل من ذوي اليسار من أهل بغداد دابة في اصطبله وطيّار في النهر ، وكان الكبراء وأصحاب الجاه يتقلون في الغالب على الماء . وفي أواخر القرن الثاني الهجري أمر الخليفة الأمين بعمل خمس حراقات في دجلة ، أحدها على خلقة الأسد ، والباقيات على خلقة الفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق على عملها مالا عظيماً وابتني سفينة عظيمة على خلقة الدلفين ، وهذه كلها للترمة والأبهة^(٥) . وذكر الجاحظ المرادي ومفردها مرادي وهي الخشبة التي يدفع بها الملاح السفينة وتكون طويلة وهي تعوج من شدة الدفع ، فقال ذاكر المرادي : «قاول رجل دخل علينا السفينة كان في طول هذا

(١) الحيوان ج ١ ص ٨٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) البرصان والمرجان ص ١٦٧ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٢٦ .

(٥) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٣٩٨ .

المردى وكان فخذة أغلظ من هذا السكان»^(١) نجد في هذا النص كلمة المردى وكلمة **السَّكَّان** وهى بمعنى الدفة التي تقود السفينة ، وهذه كلمة مستعملة في العراق . وذكر الجاحظ الجمع المرادى قائلًا «المُسْنِيَّات التي تهدمها المدود وتخربها المرادى»^(٢) .

٣ - الملاحة الخارجية والمراكز التجارية وبضائعها :

ويظهر أن البصرة كانت تحتكر جزءاً كبيراً من عمليات البيع والشراء بين العراق وفارس وجزيرة العرب ، وكانت الملاحة الخارجية التي تربط البصرة بخطوط بحرية وعن طريق عبادان ومنها إلى البلدان الخارجية يتم نقل البضائع ، وهذا ما يؤكد شارل بيلات في كلامه عن البصرة وحركة البيع والشراء فيها يقول : إن حركة المسافنة أي نقل البضائع من سفينة إلى أخرى كانت تجرى بين المريد والمرقا النهري القلاع الذي كان سوقاً أيضاً ، ومن هنا كانت البضائع تصدر بواسطة النقل المائي^(٣) . ويحدثنا المقدسي عن الملاحة الخارجية للدولة العباسية فيقول إن البصرة كانت بينها وبين عمان خط ملاحى ويمر بالبحرين ، وخط آخر يربط البصرة بالصين ماراً بعدة بلدان «وكانت الضائع تنقل من البصرة إلى عبادان التي تبعد فرسخين عن البصرة»^(٤) . ومما سبق نرى أن شارل بيلات يؤكد أن الجاحظ لم يعر البحر أدنى اهتمام ، لأن البصرة كانت يئتها نهرية ويقول : ومع ذلك فقد أعطانا الجاحظ في كتابه التبصر بالتجارة قائمة بأصناف الترف . - والترف وحده - التي عرفها سواء في البصرة أم بغداد . إن هذه الأصناف بمجملها مستوردة سواء عن طريق البحر أم

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٨٥ ، وانظر البرصان والعرجان ص ٢٣١ ، والبيان ج ١ ص ٢٩ .

(٣) الجاحظ شارل بيلات ص ٤٩ .

(٤) أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٢ .

طريق البر»^(١) . ولكننا نرى الجاحظ في مكان آخر من كتبه يذكر البحر والملاحة البحرية بين البصرة والبلدان الخارجية بشكل تفصيلي فيقول : «وهم يزعمون أن الذي بين البصرة والزنج ، أبعد مما بين الصين وبيسها ، وإنما غلط ناس فزعموا أن الصين أبعد ، لأن بحر الزنج حفرة واحدة عميقة واسعة ، وأمواجهها عظام ولذلك البحر ريح تهب من عمان إلى جهة الزنج شهرين ، وريح تهب من بلاد الزنج تريد جهة عمان شهرين ، على مقدار واحد فيما بين الشدة واللين ، إلا أنها إلى الشدة أقرب ، فلما كان البحر عميقاً والريح قوية ، والأمواج عظيمة ، وكان الشراع لا يحط ، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس ، ولا يعرفون الخب والمكلا وصارت الأيام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل»^(٢) . إن هذا النص هو خير شاهد على أن الجاحظ كانت عنده معلومات قيمة عن الملاحة وعن المراكز التجارية . وهو يصف لنا الملاحة الخارجية للدولة العباسية في زمن ازدهار الحضارة أدق وصف ، خاصة عندما يذكر لنا البضائع التي تستوردها العراق في ذلك الحين ، ورسالته التبـ ر بالتجارة التي يجمع معلوماته فيها من أفواه التجار وخبراء مواد ومنتجات الترف الذين صادفهم في البصرة وبغداد وسامراء ، فهو يورد لنا البضائع التي استوردت ومن أي البلدان جاءت ويؤكد أن كثرة أنواع هذه البضائع خير دليل على نشاط حركة التجارة البحرية ، وقد أظهر دور البصرة الاقتصادي وازدهارها التجاري إذ كان بها ثلاث أسواق تجارية **سوق الكلاع** ، وسوق الكبير **وباب الجامع** ، ونجد في جملة المنتجات المحلية التي كان يتاجر بها في هذه الأسواق التمور وهي تشكل الثروة الرئيسية بالبصرة ثم الأسماك والأقطان **واللبان والحناء والخز والبنفسج وماء الورد**^(٣) . وهناك مركز تجاري مهم هو

(١) الجاحظ - شارل بيلات ص ٥٠ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ٢٦٢ .

(٣) التبصر بالتجارة ص ١٦ .

الأبله ، وفيها ثياب الكتان الرفيعة والقصب الميساني والحرير ، ويصف الجاحظ
تجار الأبله بأنهم حكرة . فالأبله من المراكز التجارية التي برزت فيها الفروق
الاجتماعية واضحة بسبب الفعاليات الاقتصادية التي يمارسونها وكان التجار
بالطبع يتمتعون بمنزلة عالية في المجتمع ، فالتقدير الاجتماعي الذي يعتمد على
الثروة قد أوضحه لنا الجاحظ بهذه الحكاية : «وقع بين رجلين أبلين كلام فسمع
أحدهما صاحبه كلاماً غليظاً فرد عليه مثل كلامه . فرأيتهم قد أنكروا
ذلك إنكاراً شديداً ، ولم أر لذلك سبباً فقلت : لم أنكرتم أن يقول له مثل ما
قال ؟ . قالوا : لأنه أكثر منه مالاً ، وإذا جوزنا لفقرائنا أن يكافئوا أغنياءنا
ففي هذا الفساد كله»^(١) .

وفي المجتمع العباسي في عصر الحضارة العباسية نرى أن درجات أصحاب
الثروة بين التجار متفاوتة ، وذلك تبعاً لطبيعة التجارات التي يمارسونها ، وقد
كانت هذه التجارات متنوعة حقاً تتفاوت بين المتاجرة بالقطط والحمام إلى
المتاجرة بالمجوهرات وغيرها . وكل شيء كان له ثمنه في سوق التجارة حتى
الفضلات والنفايات كانت لها قيمتها . ويعرض لنا الجاحظ في بخلائه صورة
لسبل الإفادة من كساحة البيوت ، فقال يصف أبا سعيد المدائني : «وكان أبو
سعيد ينهي خادمتة أن تخرج الكساحة من الدار . وأمرها أن تجمعها في دور
السكان ، وتلقيها على كساحتهم»^(٢) .

ويعرض لنا الجاحظ في صدر رسالته التبصر بالتجارة مسألة العرض
والطلب وبيان أثرها على قيمة السلع التجارية ، ونرى الجاحظ في رسالته هذه
قد رصد قائمة بما كان يتبع في الأسواق ، وما كان يجلب إليها من البلدان
البعيدة النائية والقريبة ، فقد كان يجلب التجار إلى الدولة العباسية من أطراف

(١) البخلاء ص ١١٣ .

(٢) البخلاء ص ١٤٢ .

الدنيا **غرائب السلع والأمتعة** منها : الجوارى والأحجار والأدوية والعقاقير والجواهر والخدم والصناع والبنائين وكل ما يحتاج إليه المجتمع في حياته اليومية وفي بناء حضارته الزاهرة ، وفي ذلك يورد لنا الجاحظ قائمة البضائع محدداً بلدانها التي تجلب منها ، فيقول : «يجلب من الهند الببور والنمور والفيلة ، وجلود النمور ، والياقوت الأحمر ، والسندس الأبيض ، والأبنوس وجوز الهند ، ويجلب من الصين ، الفرند ، والحرير ، والغضائر ، والكاغد ، والمداد ، والطواويس ، والبراذين ، واللبود والدراسين ، ويجلب من الروم أواني الفضة والذهب والدنانير ، والعقاقير والبزبون والجوارى ، ومهندسو الماء ، وعلماء الحراثة ، والآكار ، وبناء الرخام . ومن أرض العرب الخيل ، والنجائب ، والقافة ، والأدم ، ومن البربر ونواحي المغرب : النمور ، واللبودر والبزاة السود ، ومن اليمن ، البرود ، والأدم ، والزرافات ، والجواميس ، والعقيق ، والكندر ، ومن مصر الحمر الهماليج والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسام ، ومن الخرز العبيد والإماء والدروع ، ومن أرض خوارزم المسك ، والسنباج ، وقصب الطيب . ومن سمرقند : الكاغد ، ومن بلخ ونواحيها العنب الطيب ، ومن مرو : الطنافس ، والثياب المروية . ومن أمد : الثياب الموشية والمناديل ، والمقارم . ومن الرى : الزئبق ، والأسلحة ، والأمشاط والقلانس الملكية ، ومن أصفهان : الكمثرى ، والتفاح ، والزعفران ، والأشنان ، والأسفينداج ، والكحل . ومن نصيبين الرصاص . ومن فارس : دهن النيلوفر ، ودهن الياسمين ، ومن الأهوار ونواحيها : السكر والديباج . ومن السوس : الأترج ، ودهن البنفسج ، والشاهسبرم ، ومن الموصل : السنور والدراج ، ومن حلوان الرمان^(١) والتين^(١) . وكانت هذه البضائع تحدد قيمتها في الأسواق حسب جودتها .

(١) التبصر بالتجارة ص ٢٥ - ٣٤ .

٤ - الطرق البرية :

أما الطرق البرية التي كانت تستعمل لنقل البضائع وتوزيعها فقد جاءت في إشارات عابرة عندما تحدث الجاحظ عن رحلاته ، عندما رأى المدن العظام بالشامات وبلاد الروم وغيرها من البلدان ، وقد كان الاهتمام بالطرق البرية في ذلك العصر يقتصر على حراسة الطرق وتأمينها وإنشاء أماكن يستريح فيها المسافرون . وقد ذكر الجاحظ الخانات ومفردها **خان** والمستراح ، وهذه كلها تؤمن الراحة للمسافرين قال الجاحظ «فلما صرت في الخان وأنا جالس فيه ومتاعي بين يدي وأنا أقول : إن أنا خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه فش الباب وسرق»^(١) . وذكر **الخانات** فقال : «ثم إنا نزلنا بعض الخانات ، وإذا البيوت ملاء روئًا وترابًا»^(٢)

وفي مجال حديثنا عن الطرق البرية نذكر **البريد** وسكك البريد التي كانت منتشرة أيام الدولة العباسية . ويؤكد هذا القول آدم ميتز في كلامه عن محطات البريد في الدولة الإسلامية وكانت تسمى بالسكك^(٣) . وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ مثل البريد والبرد وسكة البريد ، والشاكرية والفرانق والفيج وكلها تتعلق بأمور توزيع البريد ونقله ، ولكن هذا البريد كان مخصصاً لأعمال الحكومة فقط ولم يكن يحمل الناس إلا في حالة الضرورة القصوى نظراً لما في ذلك من متاعب^(٤) . وقد ذكر الجاحظ لفظة البريد بقوله : «قالوا : ولما بلغ المأمون اختلاط من حال البريد ، وجه ثمامة بن أشرس ليتعرف له ذلك»^(٥) . وذكر

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٧ .

(٣) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٤١١ .

(٤) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٤١٩ .

(٥) كتاب البغال ص ٢٩٦ .

سكة البريد فقال : «كان في طريق الموصل سكة بريد وبقرب السكة مسجد ومستراح للمسافر»^(١) . ومن المصطلحات البريدية التي كانت تستعمل في عصر الجاحظ لفظة **الفرانق** ، وهم السعاة ، وقد ذكرها وهو يصف شأن البريد وأصحابه قال : «ومما قالوا في شأن البريد ، قول ابن أبي أمية : «ترى فرانقها في الركن مندفعاً»^(٢) . وذكر الجمع السالم **فرانقيين** فقال : «وأما الصبر على الجنب فإن الثغرين والفرانقيين»^(٣) . ووردت كلمة **فيج** عند الجاحظ ومعناها ساعي البريد الذي يمشي على قدميه قال عن الفيح : «ولخبط الشجر ، وللفيج وللمكاري ، فإنهما يتخذان للمخاصر»^(٤) . والشاكرية والشاكريون وردتا عند الجاحظ في أماكن متعددة من كتاباته ، **والشاكرية** من يحمل البريد من الجند فهي في الأصل فرقة من الجيش وأحياناً يسند إليهم حمل البريد ، وقال الجاحظ : ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف في الصورة والهجاء اسم الجند»^(٥) وذكر **الشاكرين** فقال : «وشاكرين لم أحبس عن الباب»^(٦) ولفظة الشاكرين تعني الأجراء المستخدمين والصيادين والجنود ولهم أعمال متنوعة . أما لفظة برد فقد ذكرها الجاحظ موضحاً عملها قال : «وذلك مشهور في الحمام الهدى ، إذا جعلت برداً»^(٧) وكان البريد يستعمل لحمل أشياء خاصة تبعث للسلطان مما يحتاج إلى سرعة الإيصال ، فمن ذلك أن البريد كان يحمل إلى المأمون ثماراً غضة من كابل أثناء ولايته على خراسان^(٨) .

(١) كتاب البغال ص ٢٣٧ .

(٢) كتاب البغال ص ٢٦٧ .

(٣) مناقب الترك ص ٤٨ .

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٨ .

(٥) مناقب الترك ص ٣٠ .

(٦) كتاب البغال ص ٢٥١ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٦٩ وانظر في الجدد والهزل ص ٢٥٤ .

(٨) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ٢ ص ٤١٩ .

ومن النصوص السابقة التي وردت عند الجاحظ في مجال الحياة الاقتصادية نرى المدى العظيم الذي بلغتة الفعاليات الاقتصادية في شتى نواحيها ، وقد صور لنا الجاحظ كل تلك الفعاليات بصورة واضحة المعالم . ونجده يقدر أهمية المدن الإسلامية بمقياس المال ومدى توفره فيها بالنسبة لتوفر الحاجيات والبضائع أيضاً^(١) .

(١) الجاحظ والحاضرة العباسية د. وديعة النجم ص ٩٦ .

الفصل الرابع
الانفاظ الخاصة بالحياة العلمية

الفصل الرابع الألفاظ الخاصة بالحياة العلمية

كتابات الجاحظ تمثل صوراً متنوعة للحياة العلمية في العصر العباسي ، فقد صور الجاحظ بالألفاظ كثيرة مراكز العلم والكتب والمؤلفات السائدة في عصره . وتحدث عن الأمراض بالألفاظ تبين طرق علاجها والعقاقير الطبية التي تكافحها ، وأورد ألفاظاً تخص أماكن العلاج . وعالم الحيوان ذكره الجاحظ بالألفاظ لا يمكن حصرها ، وخير مثال على هذا كتابه الحيوان وغيره من كتبه الأخرى التي تضمنت ألفاظاً عن أنواع الحيوانات وطرق العناية بها وطعامها وفضلاتها . وكذلك أفرد الجاحظ للنبات حيزاً كبيراً من كتاباته ، وقد جاءت الألفاظ التي تختص بالنبات في مجالات كثيرة مثل الغذاء والعقاقير والصناعات والتطبيب ، والمعادن والتعدين لم يغفل الجاحظ ذكرها فأورد ألفاظاً تعني بأنواع المعادن وطرق تعدينها وتصنيعها . أما الظواهر الطبيعية فكانت ألفاظها منتشرة في كتب الجاحظ وخاصة التربيع والتدوير ، وغيرها من الكتب التي أوردت ألفاظاً تتعلق بمسائل الكون والفلك والأجرام وتقلبات الجو وظواهره الجغرافية .

اولا : الالفاظ الخاصة بالعلم ومراكزه ومصنفاته العلمية :

جاء العصر العباسي ومعه العلوم تفيض فيضاً في المملكة الإسلامية ، فنرى الثقافة اليونانية قد ترجمت بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ، ونجوم ورياضة وترجمت الرياضة الهندية والتنجيم الهندي . وترجم تاريخ الأمم من فرس ويونان ورومان وغيرهم . والعلوم الدينية نرى أصحاب الديانات يتجادلون في أمور أديانهم والعلماء يجتهدون في شرح كل ما يعرض لهم من أمور الدين بعقلية منطقية وعبارات علمية ، وفي الطب والرياضة وغيرها من العلوم التي تعتمد على التجارب والبراهين نرى بروز طائفة من العلماء التي اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال المنطق ، وهذه ظاهرة جديدة في العصر العباسي وإن كانت نتيجة طبيعية لحياة الناس ونضوجهم العقلي .

١ - مراكز العلم :

وكان الناس في العصر العباسي يتلقون العلم في مراكز عملية أعدت للدرس والتحصيل وقبل أن يرتادها الصبيان والشباب يكون في البدء قد تجاوزوا مرحلة الدرس في **الكتاتيب** التي يدعوها الجاحظ بكتاتيب القرى^(١) ، وقد تعرض لهذا الموضوع عند كلامه عن المعلمين وأنواعهم ، ومنهم معلمو كتاتيب القرى^(٢) وتمثل البيئات العلمية مثل المربد في البصرة والمساجد والمكتبات التي أصبحت في عصر ازدهار الحضارة العباسية ساحات للعلم والمعرفة . وقد ساعدت هذه البيئات العلمية المتنوعة على بروز طائفة من العلماء والأدباء امتازوا بتنوع معارفهم وسعة اطلاعهم وخير مثال على هذا القول الجاحظ وغيره من علماء عصره .

(١) الجاحظ شارل بيلات ص ١٠٨ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٥١ .

وساعد استخدام الورق على اتساع الحركة العلمية ، وبهذا ظهرت المصنفات الكثيرة التي تحصل كنور الثقافات الأجنبية والعربية ، ويقدم لنا الجاحظ قائمة بأنواع الكتب وأسماء المؤلفات الشائعة في عصره ، ويصفها بأنها تحتوي على كل أنواع المعرفة فيقول : «وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ، والهندسة ومعرفة اللحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وأبواب الأصباغ ، والعطور ، والأطعمة ، والآلات ، وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في الحمامات وفي الاصطرلابات ، والقرسطونات ، والآلات ، ومعرفة الساعات ، وصفة الزجاج ، والفسيفساء ، والأسرنج والزنجفور ، واللازورد ، والأشربة ، والأنبجيات ، والأرياجات ، ولكم الدنيا والنشادر والشبه ، وتعليق الحيطان والأساطين ، ورد ما مال منها إلى التقويم»^(١) .

٢ - المجالس العلمية :

وكانت تعقد للعلماء في عصر الجاحظ مجالس علمية للمناظرات والمناقشات التي تتناول كل جوانب المعرفة ، وكأنما كانت **المناظرات** لغة العصر الفكرية ، وتمثل لنا كتب الجاحظ صوراً عديدة من تلك المناظرات حتى صاحب الضأن نراه يناظر صاحب المعز^(٢) . وفي كتاب الحيوان نرى مناظرات متنوعة كمناظرة معبد والنظام في الكلب والديك وأيهما أفضل؟^(٣) . وفي زمن الجاحظ شغل العلماء أنفسهم بالعديد من المسائل العلمية ونستطيع أن نلمس جانباً منها في تضاعيف كتب الجاحظ مثل الحيوان ورسالة التربيعة والتدوير وغيرها من الكتب الأخرى التي تطرق فيها الجاحظ إلى الكلام في شتى

(١) الحيوان ج ١ ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٥٢٣ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٣٧٤ وغيرها من الصفحات .

المواضيع التي تمثل ألوان الفكر السائد في العصر العباسي . ويعد كتاب الحيوان مظهراً من مظاهر الفكر في عصر ازدهار الحضارة العباسية ، وذلك بما يمثله من امتزاج الثقافات الفارسية واليونانية والهندية بالثقافة العربية . وقد لعبت الترجمة دوراً كبيراً في هذا المضمون . ويعد كتاب الحيوان المرجع الرئيسي في دراسة الحياة العلمية في العصر العباسي لما يحتويه من معلومات تمثل صورة متنوعة من الحياة العلمية . ويجب أن ننظر لكتب الجاحظ الأخرى نظرة فيها الحرص والاهتمام ، لأن كتابات الجاحظ هي السجل الذي يزخر بشتى أنواع المعرفة وسطرت بين صفحاتها حياة العصر العباسي العلمية والثقافية فجاءت صورة ناطقة عن ذلك العصر الزاهر .

٣ - الكتابة والكتاب :

ذكر الجاحظ في كتبه ألفاظاً عن الكتاب والكتابة ، وهي المهنة التي كان يحترفها فئة معينة من الأفراد ، وكانت لهم مكانة اجتماعية مرموقة وإن كان الجاحظ يتهم عليهم في كتاباته وخاصة في رسالة ذم الكتاب . في حين أن للجاحظ إشارات في كتابه البيان والتبيين يظهر فيها إعجابه الشديد بمسلك **الكتاب** وطرائقهم في الكتابة^(١) ، أما أدوات الكتابة فقد وردت ألفاظ عديدة في كتابات الجاحظ تشير إلى ما كان يستعمل في ذلك العصر مثل القراطيس والألواح والصحف والدفاتر ، وقد ذكر الجاحظ **القراطيس** فقال : «وما كان من القراطيس فللطرار»^(٢) . وذكر **الألواح** بقوله : «وحدثني أبو نواس قال : بكرت إلى المربد ومعني ألواحي أطلب أعرابياً فصيحاً»^(٣) وقال ذاكر **الصحف** :

(١) الجاحظ والحاضرة العباسية د. ودبة النجم ص ٨٨ .

(٢) البخل ص ١٤٣ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٢٣٩ .

«وما كان من الصِّحف فلرؤوس الجرار»^(١) وقال عن **الدفاتر** : «إني لأعجب من ترك دفاتر علمه متفرقة مبثوثة»^(٢) .

ومن الألفاظ التي تتعلق بالكتابة كلمة الوراقين وكلمة مبوباً وترجمان . وقد وردت كلمة **وراقين** عند الجاحظ في كلامه عن المدائني قال : ثم صورته في كتاب وألقاه في الوراقين»^(٣) . وذكر كلمة **مبّوب** في قوله : يحضرنا فيها ما نجعل لذكرها باباً مبوباً . ولكننا سنذكرها في مواضع ذكرها»^(٤) . وقال يصف **الترجمان** : «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة»^(٥) .

(١) البغلاء ص ١٤٣ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٢٩٨ .

(٣) كتاب البغال ص ٢٢٦ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٣٨ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٧٦ .

ثانياً: الفاظ الطب والرعاية الصحية:

١ - الأمراض:

الأمراض التي ذكرها الجاحظ في كتبه كثيرة وقد وصف أعراضها وطرق علاجها وكيفية الوقاية منها ، وقد عدد الأمراض مثل الجلدية والأمراض المعدية والأمراض التي تصيب الإنسان نتيجة للشيخوخة ، وقد سماها بالزمانة فقال : «وقد منع من ذلك ما حدث من الهم الشاغل ، وعرض من الزمانه ، ومن تخاذل الأعضاء»^(١) . ووصف الشيخ الكبير بأنه **مُقَرَّمٌ وشَخْتٌ** فقال : «ويكون الأعرابي شَخْتًا مهزولاً ومقرمًا ضئيلاً»^(٢) وذكر **المُعِيل** والمعلول فقال : «ويحك أنا فقير معيل»^(٣) ، وقال عن المعلول : «وأصفق العلل ما التمس بعد المعلول»^(٤) والمعلول لها معانٍ كثيرة سأتطرق إليها في موضعها ، وهي ليست تقصد علل المرض بل هي من أساليب أصحاب علم الكلام .

ومن الأمراض الجلدية التي تحدث عنها الجاحظ البهق ، والبرص ، والبرص ، والجذام ، والجرب ، ومن أعراضها التبطط والتفليس .

فقد ذكر **البَهَقُ** بقوله : «ومن البهق الأبيض ما يكاد يلحق بالبرص»^(٥) وذكر **الْبَرَصُ** فقال : «والإنسان يعتريه البرص عن شرب اللبن وأكل التمر»^(٦) وقال عن **الْبَرَصِ** : «وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن»^(٧) وقال عن

(١) كتاب البغال ص ١٩٧ ظ .

(٢) البرصان والعرجان ص ١٥ .

(٣) البخلاء ص ١٩٥ .

(٤) في ذم أخلاق الكتاب ص ١٩ ظ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ١٢٠ وأنظر البرصان ص ٥١ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٥٠ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ١٢٠ .

الجَذَام وخوف الناس منه : قالوا : كان بلال بن أبي بردة قد خاف الجذام وهو والي البصرة^(١) ووصف **الجَرَب** بقوله : «وحكة الجرب مثل لسع الدبر ووخز الأشافي»^(٢) . أي كأنها المثقب الذي يخرز به ، ومن أعراض الأمراض الجلدية التبطط فقال : «لأن ثنياه ربما نصلت ، وجلد وجهه ربما تبطط» . **والتفليس** مظهر آخر من مظاهر الأمراض الجلدية ، قال الجاحظ عنه : «فإنما يعني التبقيع والتفليس الذي كان على جلودهم من البياض»^(٣) .

وهناك أمراض كان الجاحظ يذكرها دائماً مثل الفالج والنقرس ، والسبب معروف لذكرها لأنه قد أصيب بالفالج ، ويقال إنه أصيب بالنقرس أيضاً ، وها نحن نراه في هذا النص يصف أوجاع **النقرس** بقوله : «لم تعرف النقرس ولا وجع المفاصل ولا الأورام»^(٤) وذكر **الفالج** فقال «ولم تزل تشكو من الفالج طرفاً»^(٥) ويقول الجاحظ عن نفسه مؤكداً إصابته بالفالج والنقرس يقول في شكاية مرضه : «أنا من جانبي الأيسر مفلوج ، فلو قرض بالمقارض ما علمت به ، ومن جانبي الأيمن منقرس ، فلو مر به الذباب لتألمت»^(٦) .

ومن الأمراض التي تردد ذكرها عند الجاحظ الذبحة وقد وصف لها الدواء ومرض السرطان والسل وداء الفيل ، والربو ، والبرسام والمبرسم ، والحمية ، والأسر والحصر والبواسير ، وغيرها من الأمراض التي حدثنا عنها في كتبه ، قال عن **الذبحة** : «إن من أجود أدوية الذبحة والخانوق أن ينفخ في حلق من

(١) البخلاء ص ١٥٠ وانظر البرصان ص ٣٦ .

(٢) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٤ .

(٣) البرصان والعرجان ص ٥٥ .

(٤) البخلاء ص ١١٠ وانظر البرصان والعرجان ص ٢٠٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٣ وانظر الحيوان ج ٥ ص ٣٦٣ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ٢٥ .

كان ذلك به»^(١) . **والسرطان** قال عنه إنه لا يبرأ ومن ذلك العهد البعيد كان الجاحظ ملماً بحقائق علمية لا يزال العلم إلى عصرنا هذا يدرسها ولم يهتد إلى علاجها بصورة قطعية مثل مرض السرطان الذي شغل العلماء منذ عصر الجاحظ إلى الآن ولا يزال الطريق أمام الطب في معالجة هذا المرض ، ومن قبلهم قال الجاحظ نقلاً عن سبقوه من علماء الطب : «البرص العتيق والسرطان ، قال جالينوس : السرطان لا يبرأ»^(٢) حقيقة علمية وجدت منذ القدم ولا تزال تبحث عن حل . وذكر **المسلوس** بقوله : «وكذلك إذا قالوا معتوه ومسلوس وأشباه ذلك»^(٣) . و**داء الفيل** وصفه الجاحظ قائلاً : «وقد يعرض بقدم الإنسان ورم جاس حتى تعظم له قدمه وساقه وصاحبه لا يبرأ منه ويسمى ذلك الورم داء الفيل»^(٤) . وقال عن الربو وجمعه **الآرباء** : «فطار قلبه فرقاً وأخذته الآرباء»^(٥) . وذكر الحمى - وحمل بقوله : «قال الخليل حم الثوري وحمل عياله وخادمه فلم يقدرُوا مع شدة الحمى على أكل الخبز»^(٦) . وقال عن **المبرسم** وهو المصاب بالتهاب الصدر ، والبرسام المرض الذي يقال له ذات الجنب فقال يصفه : «على أن العقل إذا تخلص من سكر الغضب أصابه ما يصيب المخمور إذا خرج من سكر شرابه ، والمنهزم إذا عاد إلى أهله والمبرسم إذا أفاق من براسمه»^(٧) .

(١) الحيوان ج ٢ ص ٢٠٥ وانظر الحيوان ج ٧ ص ٨٩ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٣٦ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٥٠ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ٨٢ .

(٥) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٤٨ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) في الجلد والهزل ص ٢٦٣ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٨ .

وقال عن الحصر **والأسر** وفسر مفهوم المرض : «وزعمت الأطباء : أن خرق الفار يسقاه صاحب الأسر فيطلق عن بوله : والأسر هو حصر البول ولكن لا يسمى بذلك ، وهو الأسر بالآلف دون الياء»^(١) أما مرض الأسر فقد تناوله في شرحه لمرض الحصى عندما تكون في الكلية أو في المثانة ، وقد جاءت هذه الألفاظ عنده وهو يصف تكوين الحصى فقال : «وقلت إذا سخن بدنه سخن بوله ، وإذا سخن بوله جرح مثانته وأحرق كليته ، وطبخ فضول غذائه ، وجفف ما فضل عن استمرائه فأحاله حصى قاتلاً وصخرأ جامداً . فإذا حصاه يورثه الأسر وفي ذلك الزسر تلف النفس أو غاية التعذيب»^(٢) ووصف التبن لمرض **البواسير** فقال : وإن صاحب البواسير يأكله ينزلق عنه الثقل ويسهل عليه مخرج الزبل»^(٣) .

وهناك أمراض أخرى حدثنا عنها الجاحظ ، فذكر منها (الرعاف والعلز والالتهاب والتزف والخمار والثؤلول ، والدرن ، والعرض) وغيرها من الأمراض التي جاء ذكرها في الحيوان ، وفي كتب الجاحظ الأخرى ، فالرعاف قال عنه «وكان آخر من مات بالرعاف من سادة قريش هشام بن المغيرة»^(٤) . وقال عن العلز - وهو مرض المحتضر - «لعل النزع ، والعلز والحشرجة ، أن يكون أشد من لدغ الحية»^(٥) وذكر **الالتهاب** بقوله : «من ألم السهر الالتهاب والقلق وشدة الكلب»^(٦) والنزف عاجله بالكلي ، فقال : «وذهب إلى قدر زيت تغلى فأدخل رجله فيها لتكويها ويقطع عنها النزف»^(٧) . والخمار قال يحذر

(١) الحيوان ج ٥ ص ٢٩ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٥٤ وانظر الحيوان ج ٤ ص ٢٧٥ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ٢٠٨ وانظر كتاب البغال ص ٢٦٤ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ١٥٠ وانظر الترييع والتدوير ص ٣٠ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٠٤ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٣٦٤ .

(٧) البرصان ص ٢٣٩ .

منه : «إياكم والأكل على الخمار ، فإن دواء الخمار الشراب»^(١) . والذي يصيبه **الثَّلَوَل** قال عنه : «حتى يرى صاحب القراد كأنه صاحب ثُلُول»^(٢) وهي بثور صغيرة صلبة على صور شتى تصيب الإنسان في أي موضع من جسمه . أما العرض فهو يصيب العقل ، قال عنه الجاحظ : «من إفراط سروره أني ظننت أنه عرض»^(٣) .

وقد كانوا يعالجون بعض الأمراض بالدهق ، وذكره الجاحظ بقوله : «تحرق النار وآلم كآلم الدهق»^(٤) . ومن الأمراض التي تسببها البطنة أو يسببها الجوع ، قال الجاحظ يذكرها في مواقع عديدة من كتبه ، وقلة الأكل هي **الآزَم** وكثرته البشم ، فقال : «فلله در الحارث بن كلدة حين زعم أن الدواء هو الأزَم»^(٥) وعكسه هو **البَشَم** وهو الشبع والتخمة ، وأيضاً سماها بالكظة وهي بمعنى التخمة ، فقال : «واعلم أن الشبع داعية البشم ، وأن البشم داعية البسقم»^(٦) ، وقال : «سألت بعض الأكلة ممن كان يقدم على ميسرة التراس كيف تصنع إذا أجهدتك الكظة ؟ والعرب تقول إذا كنت بطيناً فعدل نفسك زمناً»^(٧) .

أما العاهات فسوف أذكر بعض ما أورده الجاحظ عن ذوي العاهات ، وقد خص كتابه البرصان والعرجان بحصيلة كبيرة في حديثه عن العاهات ، وليس هنا المجال إلا لذكر بعضها . وكتاب البرصان والعرجان جاء في أسلوب ليس

(١) البخلاء ص ١١٨ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٢٩ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٠٢ وانظر في الجذ والهزل ص ٢٤٤ .

(٥) البخلاء ص ١١٠ .

(٦) البخلاء ص ١٠٩ ص ٩٨ .

(٧) الحيوان ج ٧ ص ٨٨ .

هو أسلوب الجاحظ الذي عايشته في كتبه ، ومع هذا فسأورد بعض العاهات التي ذكرها الجاحظ في هذا الكتاب ، وعاهات ذكرها في كتبه الأخرى التي فضلت الاعتماد عليها في هذا المجال . قال في كتاب البرصان والعرجان عن ذوي العاهات **الأنطاط** والثط ، والوقص ، والأهدل . وسوف أذكر مثلاً على كل منها ومثلاً على البرصان ثم العرجان والعميان والحولان حتى يتمشى مع عنوان الكتاب فقط مثال على كل من العاهات السابقة ، فقال الجاحظ عن **الثط** وهو من خف شعر رأسه ولحيته وحاجبيه : «وما قالوا في الثط»^(١) . «ويقال أن بني الهجيم أنطاط»^(٢) . وذكر الجاحظ الأهدل وهو من استرخت شفته السفلى فقال : «وربما كان الحبش منهم ضخم أهدل أدلم»^(٣) . **والوقص** ذكرهم الجاحظ فقال : «ومن الوقص السلمي جد خولة بنت حكيم بن الأوقص»^(٤) أما البرصان والعرجان ، فقد ذكرهم الجاحظ في كتابه الذي يحمل نفس العنوان ، وعلى ذكره لهذه العاهات وكيف جاءت حسب هذا التسلسل فقال : «وسألتني أن أبدأ بذكر البرصان ، وأثنى بذكر العرجان ثم أذكر ما قالوا في الأيمن والأعسر ، وفي الأنخبط وفي كل أعسر يسر ، واختلاف طبائع الحيوان في ذلك مع اختلاف حالات البشر في الصغر والكبر»^(٥) . وفيما تقدم ذكرت البرص وغيره من الأمراض الجلدية التي لا يبرأ منها . ويقول الجاحظ في العرجان : «ونحن نجد جميع أعضاء الجسم إذا دخله الأعوجاج فسد ، كما يقال للرجل أعرج وأفحج ، والفح ، وأمدع ، وأفقد ، وأحنف ، وأصدف ، ومثل خافع وظالع ، وفي الظهر مثل : أحذب وأزور ، وأبرز وأقعس ،

(١) البرصان والعرجان ص ٩ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٣٢٨ .

(٣) البرصان والعرجان ص ٤٠ .

(٤) البرصان والعرجان ص ٢٦٢ .

(٥) البرصان والعرجان ص ٩ .

ومثل : أحسف وأعرج وأعصل وأصدف وأعقف وأخبي ، وفي الفم مغلم وأضجم وأقغم وأشفن ، وفي العين أشر وأحول وأقبل ، وفي الأذن أخذى وأذقى ، وأقد ، وفي الضرع والثدي والحشون ، والشطور ، وفي اليد : المكتع والمقفع^(١) . هذا بعض ما جاء في كتاب البرصان والعرجان، وسأكتفي بهذا القدر من العاهات .

وذكر الجاحظ في الحيوان بعض العاهات منها **الهديد** فقال : «أنه يقال لمن لا يبصر بالليل هدب^(٢)» ، وذكر الصنان فيقول : «وكل ذي ذفر وصنان كرية المشمة^(٣)» . ومن البرصان الألطع ذكره بقوله «ومن البرصان عبد العزى بن كعب أنه سمى همان ، لأنه كان أطلع فكان يحمم شفتيه ، والتحميم : التسويد في هذا الموضع^(٤)» .

٢ - مواد طبية وعقاقير :

حدثنا الجاحظ في كتبه عن الوصفات الطبية ومن يقوم بإعدادها وبيعها ، فالصيدلاني كان يقوم على بيع العقاقير والأدوية ويساعده في عمله بعض الأجراء وأغلبهم يكون من غلمان السند ، وقال الجاحظ في هذا المعنى : «فقل صيدلاني عندنا إلا وله غلام سندي^(٥)» . وقد يصنع هذا **الصيدلاني** بعض الأدوية من سم الأفاعي وهو ما يدعي بالترياق والجمع **تُرَيَاقَات** ، ويؤكد الجاحظ بقوله : «يجلب الأفاعي من سجستان ويعمل الترياقات» ويقول أيضاً : «أن يكون صياداً للأفاعي والحيات ، يتبعها ويطلبها في كل واد وموضع وجبل

(١) البرصان والعرجان ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ١٠٦ .

(٤) البرصان ص ٥٥ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٤٣٥ .

للترياقات»^(١) ، وذكر **الترياق** في معرض كلامه عن عمل الصيدلاني ، فقال : «باعني حواء ثلاثين أفعى بدينارين وأهدي إلى خمساً اصطادها من قبالة القلب ، في تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأردتها للترياق . فقال لي حين جاءني بها : قل لي : من يعالجها ؟ فقلت له : فلان الصيدلاني»^(٢) . وهذه الأفاعي كانت تكافح السذاب والشيخ ، وهذه العقاقير تستعمل من أجل الوقاية من الأفاعي لأنها كما قال الجاحظ : «والأفاعي تكره ريح السذاب والشيخ وتستريح إلى نبات الحرمل»^(٣) ومن العقاقير والأدوية التي ذكرها الجاحظ (الغمر ، وماء الهندبا ، المرة السوداء والمغرة ، والتوتياء ، والأيارجات ، والمعجونات والأبنجات ، والبربهارات والمفرد بربهار ، والتانبول ، والدمازكية ودواء المشي والزنجفور والقرمز ، والعلك ، ودم الأخوين ، والقللى ، ومن المواد الطبية النوشادر ، والمنيا ، والشبة ، والصابون ، والأشنان مواد لا بد منها من الناحية الطبية ثم الإثمد ، وله استعمالات عديدة . وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف من المواد الطبية فقال عن الغمر «الذي يدلك يده بالأشنان من الغمر»^(٤) . وذكر **ماء الهندبا** علاجاً للكباد فقال : «فمما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر والطبرزد وماء الهندبا»^(٥) . وذكر **المرة السوداء** فقال : «ومعه من التهمل بقدر قسطه من أناة المرة السوداء»^(٦) وعدد أصناف **التوتيا** ومن أين تأتي ، فقال : «وللتوتياء أصل قائم ، فيدبرون

(١) الحيوان ج ١ ص ١٤١ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ١١٤ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٣٩٩ ، وانظر ج ٣ ص ٤٥٩ ، ج ٤ ص ١١٠ ، ج ١ ص ٤٥٩ ، وانظر كتاب البغال ص ٣٦٥ .

(٤) البخل ص ٧٧ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٦) في الجد والهزل ص ٢٣٤ .

إقليمياً النحاس فتستحيل توتياء»^(١) . **والمغرة** قال الجاحظ عنها : «والطلق لا يصير جمرأ أبداً . قال : وكذلك المغرة»^(٢)

وحدثنا عن بعض المواد الطبية مثل الأيارجات وهي معجون مسهل والأنبجات وهو نوع من المربيات **والمعجونات** ، فقال : «إن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل وكذلك الأنبجات»^(٣) وقال عن **الأيارجات** : «والأشربة ، والأنبجات ، والأيارجات»^(٤) وذكر **البريهار** وهي التوابل وتستعمل كعقاقير ، فقال : «فبلغوا أيضاً في البريهار والمعرفة بالعقاقير»^(٥) والجمع **بريهارات** ، وكان لها تجار من الأغنياء الذين يسكنون البصرة لتسهيل تجارتهم ، وقال الجاحظ عنهم «صيافة البصرة وينادى البريهارات»^(٦) . وقال عن **التانبول** : «وانك الذي علمتهم مضغ التانبول وديغ تحمير الأسنان وتطيبب النكهة»^(٧) . وقال عن الدمازكية وهو نوع من اللعوق الطبي برع فيه الهنود : «ولهم السحر والتدخين والدمازكية»^(٨) . ودواء المشي وصفه للرضيع فقال : «وتشرب دواء المشي فيعتري الرضيع الخلفة»^(٩) وهو نوع من المسهلات ، وقال عن **الزنجفور** وهو نوع من الأصباغ يتخذ من الزئبق والكبريت وأحياناً يستعمل كعقار طبي : **والأسرنج** والـزنجفور واللازورد^(١٠) ونوع آخر من الأصباغ وهو **القرمز** ، وصفه

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٠ وانظر التريبع والتدوير ص ٢٢ ومناقب الترك ص ٣٤ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٤٣٥ وانظر مناقب الترك ص ٣٤ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٢٩ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٨١ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٤٣٥ .

(٦) فخر السودان على اليفضان ص ٢٢٥ .

(٧) التريبع والتدوير ص ٨٥ .

(٨) فخر السودان على اليفضان ص ٢٢٣ .

(٩) الحيوان ج ٥ ص ٣٦٦ .

(١٠) الحيوان ج ١ ص ٨١ .

الجاحظ بقوله : «وإذا وصفوا حمرة القرمز وحمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار»^(١) ثم العلك والقلی ، قال عن **العلك** وهو ضرب من اللبان : «حتى إذا مددته استطال واستدق وامتد كما يمتد العلك»^(٢) . **والقلی** قال عنه الجاحظ «وقد يدبرون الرماد والقلی فيستحيل حجارة سوداء»^(٣) . ومن المواد المستعملة في الطب والتنظيف : الصابون والأشنان ودم الأخوين ، قال يصف عمل **الصابون** ودم الأخوين : «فإذا تورم واختنق الدم مسحه بشئ من الصابون ودم الأخوين»^(٤) ويقول عن الصابون أيضاً : «فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبها وغرنا ثمن **الأشنان** والصابون»^(٥) ويصف الصابون بقوله : «والصابون نورة والنورة تأكل الثوب وتبلى الخز»^(٦) .

ومن المواد الطبية **النوشادر** ، ويصفه الجاحظ بقوله : «وقد علمنا أن النوشادر في العالم أصلاً موجود وقد يصعدون الشعر ويدبرونه حتى يستحيل كحجر النوشادر ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن»^(٧) . وقال : «ولكم المنيا والنوشادر والشبة»^(٨) .

أما **الأئمد** فهو من العقاقير التي ذكرها الجاحظ لاستعمالات عديدة ، منها أنه يستعمل لمنع الحمل فقال يصف عملية تعاطيه : «والمرأة من نساأنا اليوم إذا استحيضت استفت مثقالاً من الأئمد لأن عندهن إذا فعلت ذلك لم تلد»^(٩) .

(١) الحيوان ج ٥ ص ٩٤ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٣٧٠ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٠ .

(٤) البخلء ص ٥٢ .

(٥) البخلء ص ٦٣ .

(٦) البخلء ص ١٤٠ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٩ .

(٨) الحيوان ج ١ ص ٨١ وانظر مناقب الترك ص ٣٤ .

(٩) الحيوان ج ٧ ص ٨٩ .

وقبل أن أترك الطب وعقاقيره سوف أذكر أسماء الأطباء مثل بختيشوع بن جبريل وسنمويه وابن ماسويه وماسرجويه وابن سيرين وشمثون وصليبا ، وجالينوس . وجاء لفظ الأطباء «وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدق خبره»^(١) .

٣ - رعاية صحية وإسعافات ووصفات طبية :

وفي مجال الرعاية الصحية نذكر بعض الألفاظ مثل : **البيمارستان** والجمع بيمارستانات والعمليات الجراحية التي تتطلب الخياطة والأضمة والمبضع وذكر الحقنة وغيرها من الأدوات المستعملة للعمليات أو الإسعافات الأولية كالأنبوبة والدهان والمرهم .

. قال الجاحظ على لسان الطبيب : «لقيناهم في مقدار صحن **البيمارستان**»^(٢) . قال عن **البيمارستانات** وهي جمع البيمارستان : «وزعموا أنهم لم يروا رجلاً لم يختلف إلى البيمارستانات»^(٣) . وقال عن **المبضع** : «فلو طرحت مبضعاً ما سقط إلا على أكحل رجل»^(٤) **والأنبوبة** ذكرها الجاحظ فقال : «فلو كان الهواء المحصور في تلك الأنبوبة إنما هو مجاور لوجه الماء»^(٥) . **والحقنة** يحدثنا الجاحظ عنها في معظم كتبه ويعدد منافعها واستعمالاتها ، فيقول «وتزعم الأطباء أنهم استفادوا معرفة الحقنة من قبل الطائر الذي إذا أصابه الحصر أتى البحر فأخذ بمنقاره من الماء المالح»^(٦) وقال عن الحقنة أيضاً :

(١) الحيوان ج ٣ ص ٥١٦ انظر تراجمهم في الفهرست لابن النديم .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٣ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ١١٦ .

(٦) الحيوان ج ٧ ص ٣٢ .

«قالوا : واحتقن عمرو بن يزيد الأسدى بحقنة فيها أدهان»^(١) . وقال في مجال التضميد ذاكراً **الأضمة** : «ويصلح في مواضع من الدواء ، وفي الأضمة»^(٢) . **والمرهم** من المواد التي تستعمل في العلاج جاء ذكره في الحيوان : «لا يحتاج إلى طيب ولا إلى مرهم ولا إلى علاج»^(٣) .

وينصحنا الجاحظ بعلاج عضه الحية فيقول : «وناب الأفعى يحتال له بأن يدخل في فيها حماض أترج ويطبق لحيها الأعلى على الأسفل فلا تقتل بعضها أياماً صالحة»^(٤) وفي نص للجاحظ يذكر فيه أن الأوبئة تسبب الأمراض وتنشرها بين الناس ، وفي هذا المعنى قال : «وكان طيباً فأكسد مرة ، فقال له قائل «السنة **وبئة** والأمراض فاشية ، وأنت عالم ولك خبر وخدمة ، ولك بيان ومعرفة ، فمن أين تؤتي في هذا الكساد؟»^(٥) . ومن هذا النص يتبين لنا صفات الطبيب المعالج والشروط التي يجب توفرها في الطبيب .

ويعلق آدم مitzer على بناء المستشفيات وتواجدها في ذلك العصر فيقول : بناء المستشفيات كان مسألة دنيوية بحتة ، ولم يكن الصالحون يحبون معالجات الأطباء . واسم دور المرضى بيمارستانات ، وهو فارسي معرب ، لا أصل له في لغة القرآن . وأول من بنى داراً للمرضى في الإسلام الوليد بن عبد الملك وهو أقل الخلفاء تديناً . ثم جاء البرامكة وكانوا بعيدين عن الإيمان كل البعد فأسسوا بيمارستاناً أسندوا رياسته لطبيب هندي^(٦) .

(١) البخلاء ص ١٥١ وانظر في الجدل والهزل ص ٢٥٩ وصناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٢٠٨ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١١٢ .

(٥) البخلاء ص ١٠٢ .

(٦) الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٠٤ .

ثالث : الالفاظ الخاصة بدراسة الحيوان :

حدثنا الجاحظ عن علم الحيوان وفروعه المتشعبة ، وذلك في كتابه الحيوان الذي يعد موسوعة علمية ناطقة بثقافة العصر العباسي ، وقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان معلومات واسعة وتفصيلية للحيوان جميعاً ولكل مملكة من ممالكه ، ولكل جنس من أجناسه وهو فضل للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممن كتب في الحيوان^(١) . وقد تعرض الجاحظ للحيوانات في كتبه الأخرى ولكن بشكل لا يتعدى الروايات والطرائف ، فهو لم يسترسل في كلامه عن عالم الحيوان وغرائبه إلا في كتابه المسمى على هذه الكائنات التي تعايش الإنسان وتقاسمه الحياة ، وقد وصفها الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان بقوله : «والحيوان على أربعة أقسام ، شئ يمشي ، وشئ يطير ، وشئ يسبح ، وشئ ينبح إلا أن كل طائر يمشي ، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً»^(٢) وقد أخذت الطيور حيزاً كبيراً من كتاب الحيوان وخص الحمام بالكثير من هذا الكتاب أو من هذا الجزء من الكتاب .

وقال الجاحظ في باب ذكر الحمام : ما أودعها الله عز وجل من ضروب المعرفة ، ومن الخصال الحمودة ، لتعرف بذلك حكمة الصانع ، وإتقان صنع المدير^(٣) وظاهرة الاهتمام بالحمام كانت منتشرة في المجتمع العباسي ، ويحدثنا الجاحظ عن ولع الناس في عصره بتربية الحمام ، فاتخذوا للحمام في دورهم أجنحة تخرج من الحوائط وكان يقال لهذه الأجنحة التي جعلوا فيها أرفقاً ، بالكُتَّة^(٤) ولعل هذه العناية بتربية الحمام جعلت الناس يعرفون أنواعه وأساليب انتخابه وأدواءه وعلاجه وتعليمه وتدريبه واستئناسه واستيحائه وطريقة استكثاره .

(١) الحيوان ج ١ ص ١٨ المقدمة .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٢٧ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٥ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ٣٣٥ .

١ - الحمام وأنواعه :

من أنواع الحمام التي ورت في كتابات الجاحظ الطوراني والدبّاسي والقماري والشفنين والراعي والورداني والهدى ، وفي ذكر الجاحظ لأجناس الحمام قال : «الحمام وحشي ، وأهلي ، وبيوتي و طوراني ، وكل طائر يعرف بالزواج وبحسن الصوت والهديل ، والدعاء ، والترجيع فهو حمام وإن خالف بعضه بعضاً في بعض الصوت واللون ، وفي بعض القد ولحن الهديل»^(١) ، وكلمة **طوراني** منسوبة إلى صنف من الحمام يأتي من طور سيناء ، ويذكر نوعاً آخر من الحمام وهو **الدبّاسي** والقماري ، فيقول في وصفه لهذا النوع من الحمام «وليس الصوت الحسن إلا لأصناف الحمام من القماري والدبّاسي»^(٢) وذكر **القماري** في مكان آخر فقال : «ويقال في الحمام الوحش من القماري والفواخت والدبّاسي وما أشبه ذلك : قد هدل يهدل هديلاً»^(٣) والشفانين أو **الشفنين** ذكرها الجاحظ فقال : «والشفنين حمام وكذلك اليمام واليعقوب»^(٤) .

وحدد جنس حمام **الراعي** بقوله : «والراعي المتولد فيما بين الحمام والورشان»^(٥) . وذكر الراعي في رسالته التربيع والتدوير فقال : «ونجد الوراشين تتسافد وتتلاقح ويحيى منها الراعي»^(٦) . ذكر في النص كلمة **الورشان** وهو من الحمام وإن كان يصفه الجاحظ بأنه دون الحمام هداية^(٧) .

ويصف الجاحظ الحمام فيقول : والحمام من الطير الميامين^(٨) . ويصف لنا بيوته وأماكن سكناه وهي **الكفة** ، والشريحة ، والديماس ، والتماريد ،

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٤٤ . (٢) الحيوان ج ١ ص ٢٨٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٤٣ وانظر ج ٣ ص ٢٠٢ و ج ١ ص ٢٨٨ ، ج ٣ ص ١٤٦ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ١٤٦ وانظر ج ١ ص ٢٨٨ ج ٣ ص ٥١٦ ص ٢٠٢ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ١٦٢ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٣١ وانظر كتاب البغال ص ٣٦٩ ص ٢٩٧ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ١٣٨ . (٨) الحيوان ج ٣ ص ١٤٧ .

والكوة ، والقراميص والمفرد قرموص ، ففي وصف بيوت الحمام قال الجاحظ : «وكما أن الحمام إذا كثرت في الكنة والشريحة احتاجت إلى شمس وإلى ماء تغتسل فيه في بعض الأحيان»^(١) . وذكر الكوة بقوله : «وليكن مخرجهن من كوة في أعلى الصومعة»^(٢) ، وقال عن **الديماس** وهو بمعنى الكن : «فيقص جناحه ويلقيه في ديماس فينبت جناحه»^(٣) . ويذكر **التماريد** وهو بيت صغير في بيت الحمام فيقول : «وهو إلى جنب بيته وتماريد فكأنه لا يعرفها بعد معرفتها الدهر الطويل»^(٤) . وقال عن **القراميص** ومفردها قرموص : «ونظافة القراميص والبروج»^(٥) وقال عن القرموص : «ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرموص»^(٦) .

ادواؤها وعلاجها:

. قال الجاحظ : «فاعلموا أن الحمام من الطير الرقيق الذي تسرع إليه الآفة وتعروه الأدوية ، وطبيعة الحرارة واليبس ، وأكثر أدوائه الخنان والكباد ، والعطاش والسل والقمل»^(٧) ثم يصف لنا علاج كل مرض فيقول : فما يعالج به **الكباد** الزعفران والسكر الطبرزد وماء الهندبا ، يجعل في سكرجة ثم يوجر ذلك أو يمج في حلقه مجاً وهو على الريق . وما يعالج به **الخنان** أن يلين لسانه يوماً أو يومين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح ، يدلك بها حتى تنسلخ الجلد العليا التي غشيت لسانه . ثم يصلي بعسل ودهن ورد حتى يبرأ . وما يعالج به السل أن يطعم الماش المقشور ، ويمج في حلقه من اللبن الحليب ويقطع من وظيفيه عرقان ظاهران في أسفل ذلك ، وما يعالج به القمل أن

(١) الحيوان ج ٢ ص ٣٣٥ وانظر التريبع والتدوير ص ٥٦ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٩ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٢٩ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٤ وانظر ص ٢٦٩ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٩ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ١٥٠ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

يطلق أصول ريشه بالزيبق المحلل بدهن البنفسج يفعل به ذلك مرات حتى يسقط قمله»^(١) .

فعاليات الحمام:

من فعاليات الحمام **التحصب** ، والهدى والذهاب للغاية والمعلقة ، ويقول الجاحظ في هذه الألفاظ «فالتحصب هو خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وذكر الجاحظ هذا العمل فقال : «بتعريفه الطريق وتعريفه الورود والتحصب»^(٢) وقال عن **الهدى** وهو الحمام المدرب الذي يسمى حمام **الزجل** : «فكتبت كتاباً وصلته بجناح طائر من الهدى كان معها»^(٣) وحدد الأنواع التي يستعملها الزجال وذكر لفظة الغاية فقال : «البغداديون يختارون للزجال من الغاية الإناث والبصريون يختارون الذكور»^(٤) . وذكر **المعلقة** فقال : «فإن الحمام إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلقة لم يصل إلى معلاته إلا بجمع النفس والجناحين»^(٥) .

ويحدثنا الجاحظ عن بيع الحمام وكيف أنه وصل إلى مبالغ باهظة في ثمنه ، ويحدثنا عن صيد الحمام ومناقب الحمام وغيرها من الأمور التي ذكرها عن الحمام وطريقة استكثاره وتدريبه ، وهذا الكلام سيطول لو أنني ذكرت ما أورده الجاحظ عن هذا الحيوان الذي استحوذ اهتمامه ، وهذا يرجع إلى ما كان يدور في عصره من حب الناس للحمام واقتنائهم له .

٢ - الطيور:

ويحدثنا الجاحظ عن عالم الطيور ويقول : «والطير كل سبع وبهيمة وهمج . والسباع من الطير على ضربين فمنها **العناق والاحرار والجوارح** ،

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ . (٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٢٢ .
(٣) كتاب القيان . (٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٦ وانظر ص ٢٢٣ .
(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٣ .

ومنها البغاث وهو كل ما عظم من الطير : سبعا كان أو بهيمة^(١) . وأنواع الطيور التي حدثنا عنها الجاحظ كثيرة جداً ، وسوف أذكر بعضها على سبيل المثال وليس الحصر ، فمن عجائب الطير (السندل أو السمندل ، والأشترمرغ أو الأشترمرك والشاهمركات ، والأوزة ، والشعران والسيمرك ، والسلاءة ، وأغيتولس ثم ذكر البازي والجمع بزاة) وعدد لنا أنواعاً أخرى من الطيور المفردة ، ومن الطيور التي تلد كالوطواط والخفاش ، وأخيراً ذكر الدجاج وأنواعه ، وأورد بعض فعاليات الطيور مثل : يتطوس وملحد والجدف والتحسير وغيرها . وسأذكر بعض النصوص التي جاءت بها ألفاظ هذه الطيور ومسمياتها ، ففي الحيوان جاء ذكر معظمها ، فقد ذكر الجاحظ السندل أو **السَّمْنَدَل** حسب النصوص فقال : «فهذا الطائر يسمى السندل ، وهو هندي يدخل في أتون النار ويخرج ولا يحترق له ريشة»^(٢) وقال عن هذا الطائر محرفاً الاسم إلى السمندل وقد ورد هكذا عند الجاحظ «وفي السمندل آية غريبة»^(٣) وقال عن **الأشترمرك** : «ويقولون : أشترمرك» للنعامة على التشبيه بالبعير والطائر يريدون تشابه الخلق لا على الولادة»^(٤) وقال عن النعامة **الأشترموغ** : وسماها أهل فارس **أشترموغ** كأنهم قالوا : هو طائر وبعير^(٥) وكتب عن همج الطير وعدد أصنافه ومنها الشاهمركات وفمردها الشاهمرك فقال : «فمج الطير وحشرات السباع . فأما الطير والسودانيات والحصانيات **والشاهمركات** وغير ذلك من أصناف الطير»^(٦) . وقال عن الأوزة : والسباحة المنعوتة إنما هي **للأوزة** والبقرة والكلب»^(٧) وقال عن الشقراق وهو طائر صغير يسمى الأخیل فأما الحمام والفواغت والأطرغلات والحمام البرى فإنها تبيض مرتين في السنة

(١) الحيوان ج ١ ص ٢٨ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٤٣٤ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١١١ (طائر السندل أو السمندل ورد عند الجاحظ باللفظين لا أدري هل هما طائران أم هو طائر واحد .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ٢٤٣ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٣٢١ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٣٦ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ١١٩ .

«والشقراق قتال»^(١) وقال عن طائر **السيمرك** : «واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كانه قال هو وحده ثلاثون طائر لأن قولهم بالفارسية سى هو ثلاثون بالعربية ، ومرغ بالفارسية هو الطائر بالعربية»^(٢) وعن السلاء وهى طائر طويل الرجلين قال : «وأنت اليوم إذا أردت أن تمتع عينك بنظرة واحدة منها ومن بيض **السلاء** لم تقدم على ذلك»^(٣) والطائر الذى يسمى باليونانية **اغتيولس** وصفه الجاحظ بقوله : «ان الطير الكبير الذي يسمى باليونانية **اغتيولس** يحكم عشه ويتقنه»^(٤) وذكر الكركى والجمع كراكى بقوله : «ولا كويزدرد قانصة الكركى ولا ينتزع شاكلة الحمل»^(٥) وقال عن الكراكى : «ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناكير **كالكراكى** وما أشبهها»^(٦) وطير البازى ذكره الجاحظ وجمعة بزاة فقال : «ما يرى **البازى** فى الهواء أى **البزاة** هو»^(٧) وذكر البواشق فقال : «ومثل أصناف **البزاة كالبواشق**»^(٨) وكذلك طير السنان من **البزاة** والجوارح»^(٩) ومن الطيور المغردة حدثنا الجاحظ عن الحيوانات التى تتصف بالأصوات الملحنة والمخارج الشجية والأغاني المطربة»^(١٠) ومنها **البلابل** والزرزور .

قال الجاحظ عن أصوات **البلابل** : «فأما الذى رأيته أنا فى البلابل ، فقد رأيت رجلاً يدعي لها فيطارحها من شكل أصواتها»^(١١) **والزرزور** وهو طائر له صوت ملحن ، قال عنه «ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرزور»^(١٢) والسودانيات هى مثل الزرزور ، قال عنها الجاحظ «فأما الطير والسودانيات»^(١٣) ، والعندليب

- | | |
|--|--------------------------|
| (١) الحيوان ج ٢ ص ٥٦ . | (٢) الحيوان ج ٧ ص ١٢١ . |
| (٣) البخلاء ص ٩٧ . | (٤) الحيوان ج ٣ ص ٥١٥ . |
| (٥) البخلاء ص ٦٨ وانظر الحيوان ج ١ ص ١٨٧ . | (٦) الحيوان ج ١ ص ٢٩ . |
| (٧) الحيوان ج ٣ ص ١٨٧ ص ١٨٠ وانظر البخلاء ص ٦٩ . | (٨) الحيوان ج ٣ ص ١٨٠ . |
| (٩) الحيوان ج ٣ ص ١٨١ . | (١٠) الحيوان ج ١ ص ٣٥ . |
| (١١) الحيوان ج ٣ ص ٣٣٩ . | (١٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٣ . |
| (١٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٦ . | |

ذكره الجاحظ بلفظة **العندليب** ولفظة **هزردستان** فقال : «وقد تهيأ للهزردستان وهو العندليب ألوان آخر»^(١) وقال : «ويقولون عندليب وعندييل وكل صواب»^(٢) وعن البغواء قال الجاحظ يصف صوته ومقاطعه : «كما سمت العرب ضرباً من الطير القطا ، لأن القطا كذلك تصيح ، وتطيع أصواتها قطا ، وكما سموا البغواء بتقطيع الصوت الذي ظهر منه»^(٣) وأنواع أخرى من الطير ذكرها الجاحظ منها السمارو والبوم والهدهد وأبو الشيص وعشرات غيرها لا يسع المجال لذكرها . والخفافيش تكلم عنها في مجالات عدة ، وقال من الخفاش والجمع خفافيش ، وذكر الخفاش بقوله : «والخفاش من الطير» والخفافيش قال عنها : «ربما أتامت الخفافيش فتحمل معها الولدين جميعاً فإن عظما عاقبت بينهما»^(٤) ، **والوطواط** قال عنه : «ولو كان الوطواط في وضع أخلاطه وأعضائه وامتزاجاته كسائر الطير لما طار بلا ريش»^(٥) .

وعدد لنا أنواع الدجاج فذكر الخلاس والفروج والجمع فراريج والصباصي والشاهمرك والجمع شاهمركات ، فقال عن الدجاج **الخلاسي** : «والدجاج الخلاسي ، من بين النبطي والهندي»^(٦) وذكر الفراريج والمفرد فروج ، فقال : «ولد بيض الدجاج فإنه فروج»^(٧) وقال عن عموم أنواع الدجاج : «وكذلك تختلف أجناس الدجاج على مثل ذلك ، ولا يخرجها من أن تكون دجاجاً : كالديك الرومي والخلاس والنبطي ، وكالدجاج السندي والزنجي وغير ذلك»^(٨) والدجاج قبل أن يبيض يسمى الشاهمرك ، ذكره الجاحظ بقوله : «ولذلك تأكلها الأدغال والخنازير والقنافذ والعقبان والشاهمرك والسنانير»^(٩) .

- | | |
|---|-------------------------|
| (١) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩ . | (٢) الحيوان ج ٧ ص ٧٨ . |
| (٣) الحيوان ج ٣ ص ٥١٦ . | (٤) الحيوان ج ٣ ص ٥٣٠ . |
| (٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٣ . | (٦) كتاب البغال ص ٢٩٨ . |
| (٧) الحيوان ج ٦ ص ٣٣ وانظر الجذ والهزل ص ٢٦٨ والحيوان ج ٣ ص ٣٣٦ . | (٨) الحيوان ج ٣ ص ١٤٥ . |
| (٩) الحيوان ج ١ ص ٢٨ . | |

٣ - الأسماك :

أغفل الجاحظ أن يعقد لها باباً قائماً عليها وإن كان قد عرض لهذا استطراداً، وقد قال في ذلك : «ولم نجعل لما يسكن الملح والعذوبة والأنهار والأدوية والمناقع والمياه الجارية من السمك ومما يخالف السمك ، مما يعيش مع السمك باباً مجرداً لأنني لم أجد في أكثره شعراً يجمع الشاهد ويوثق منه بحسن الوصف ، وينشط بما فيه من غير ذلك للقراءة ، ولم يكن الشاهد عليه إلا أخبار البحريين ، وهم قوم لا يعدون القول في باب الفعل»^(١) . ومع هذا الذي جاء في النص عن قلة كلامه عن الأسماك لقلة الشواهد فإننا نرى الجاحظ تكلم عن السمك في مناسبات كثيرة حتى وإن كان الموضوع لا يتعلق بالأسماك فهو يضرب بها الأمثال أو يعلل بعض الأمور التي تتعلق بحيوانات أخرى مقارنة بالأسماك ، فهو يتكلم عن السمك ويقارنه بالحمام فيقول : «ونسيم الهواء الذي يعيش به الطير لو دام على السمك ساعة من نهار لقتله»^(٢) ويقول في معرض كلامه عن تقسيم الطير فيتطرق للسمك : «وليس أيضاً كل عائم سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه ألا ترى أن في الماء كلب الماء ، وعنز الماء ، وخنزير الماء وفيه الرق والسلحفاة ، وفيه الضفدع وفيه السرطان ، والبيئيب والتمساح والدخس والدلفين ، واللحم والبنك ، وغير ذلك من الأصناف»^(٣) وتحدث عن السمك وأطال فعدد أصنافه وأجودها الشبوط»^(٤) وتحدث عن قواطع السمك والأوابد منه ، وتكلم عن سمك كسكر والسمك البحري والسمك النهري ذكر أصنافه وسباحته في البحر وغيرها من الأمور التي عايشها الجاحظ في بيئته النهرية المليئة بالأسماك ، ولأهمية الأسماك بالنسبة للجاحظ لأنها غذاء أساسي للناس في عصره وفي مدينته البصرة خاصة ، وقد أورد أصنافاً كثيرة من الأسماك سأكتفي بذكر بعضها مثل :

(١) الحيوان ج ٦ ص ١٦ . (٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ٣٠ . (٤) الحيوان ج ١ ص ٢٣٣ .

الشبوط والمفرد شبوطة ، وهذا النوع عده الجاحظ من أجود الأصناف وذكر
البناني والمفرد بنى ، والجري ، والكوسج ، وهذه الأصناف يذكرها كثيراً وذكر
الجواف والبرستوج والكسمير والبال ، والمرامهي ، واللحم وغيرها من أنواع
السماك قال عن الشبوط : «أطيب ما في الأنهار من السمك وأحسنها قدوداً
وخرطاً ، وأسبسطها شبوطاً ، وأرفعها ثمناً وأكثرها تصرفاً في المالح والطري
وفي القريس والنشوط الشبوط»^(١) . وذكر الشبوطة مفرد الشبوط فقال :
«واشترى مرة شبوطة وهو ببغداد»^(٢) . والبناني قال عنها : «قال الأعمشي
لجليس له : أما تشتهي بناني»^(٣) وقال عن البني : «يزعم أن الشبوطة إنما
خلقت من بين الزجر والبنني»^(٤) . وذكر الجري والكوسج فقال «فإن سمكاً
يقال له الكوسج غليظ الجلد ، أجرد يشبه الجري وليس بالجري»^(٥) وقال
يصف الكوسج : الرق والكوسج فهو من أعجب طعام البحرين»^(٦) .

وأصناف أخرى من الأسماك ذكرها الجاحظ ، ولكنها ليست بالأهمية التي
ذكر بها الأصناف السابقة ومنها الكسمير ، وقال عن هذا الصنف الأب أنستاس
الكرملي في تحقيق هذه الكلمة : صوابها القنصير أو القنسير ولفظه اللاتيني
وهو ضرب من السراطين ، وذكره الجاحظ بقوله : «رأى فيه ما يرى صاحب
الكسمير في كسميره»^(٧) وقال عن الجواف والبرستوج «وأعجب من جميع
قواطع الطير قواطع السمك كالأسبور والجواف والبرستوج ، فإن هذه الأنواع
تأتي دجلة البصرة من أقصى البحار»^(٨) وذكر البال متعجباً من طول السمكة
فقال : «والبال : سمكة طولها أكثر من خمسين ذراعاً»^(٩) وقال عن المارماهي

- (١) الحيوان ج ١ ص ٢٣٣ .
(٢) البخلاء ص ١٠٠ وانظر كتاب البغال ص ٣٧٠ .
(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٨ .
(٤) كتاب البغال ص ٣٧٠ .
(٥) الحيوان ج ٦ ص ٤٤٢ وانظر ج ٦ ص ٧٧ ، ج ١ ص ٢٣٤ ، ج ٤ ص ٩٦ ، ج ٤ ص ٤٥ ،
ج ١ ص ٣١ .
(٦) الحيوان ج ٤ ص ٤٥ .
(٧) الحيوان ج ٤ ص ٤٥ .
(٨) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٩ .
(٩) الحيوان ج ٥ ص ٣٦٢ .

وهو شبيه بالحيات ، ولفظه فارسي : «ما أشبه الحيات كالمارماهي»^(١) ،
واللخم قال عنه الجاحظ : «وكما تحكي الفلاسفة والمجربون عن الكوسج
واللخم»^(٢) .

٤ - الكلب وفضائله :

حدثنا الجاحظ عن خصال الكلب ومثالبه المختلفة ، ووفائه لأصحابه ،
وقد خصص نحو جزئين من كتابه الحيوان يتحدث فيهما عن المفاضلة بين
الكلب والديك ومناظرة معبد والنظام في الكلب والديك وأيها أفضل ، خير
شاهد على كلامنا . فالجاحظ يعد الكلب من أوفى الحيوانات لأصحابها ،
وتحدث عن أصناف الكلاب الخلاسية^(٣) والزينية^(٤) والصينية ، والقلطية^(٥) ،
والخارجية^(٦) والهندية^(٧) ، وكلب الرفقة وكلب أصحاب الكهف أطيّس ،
وكلاب الشعراء . وذكر أعلام الكلاب فقال : «فمن الكلاب ذوات الأسماء
المعروفة والألقاب المشهورة ، ولكرامها وجوارحها وكوسبها وأحرارها وعتاقها
أنساب قائمة ودواوين مخلدة وأعراق محفوظة ، ومواليد محصاة ، مثل كلب
جذعان وهو السلهب بن البراق بن يحيى بن وثاب بن مظفر بن محارش»^(٨) .

ومن أعلام الكلاب : الأحدل ، أكدر ، براقش ، جدلاء ، خطاف ،
درواس ، ركاح ، زارع ، زنبور ، سائل ، سخام ، سرحان ، سرحة ،

(١) الحيوان ج ٤ ص ١٢٩ .

(٢) كتاب البغال ص ٢٩٧ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ٣١١ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ١٥٧ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ١٥٧ .

(٦) الحيوان ج ٢ ص ٨٠ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ١٨٤ .

(٨) الحيوان ج ٢ ص ١٧ .

ضبار، عمرو، غلاب، قدام، قرحان، القنيص، كساب، المتناول، المتعاطس، المختلس، فعلاء، القنيص، وثاب^(١).

ومما تقدم ذكرت بعض الحيوانات التي ركز الجاحظ في أحاديثه عليها، وذكرها في مواضع عديدة من كتبه بحيث لا يمكن أن نتجاهل هذا العدد الهائل من الحيوانات وأحاديثها وقصصها المتنوعة.

٥ - الحيوان والأساطير:

حدثنا الجاحظ عن أساطير الحيوانات المعينة التي تعيش في بيئة الجاحظ في ذلك العصر الذي اختلط فيه العلم بالأسطورة، فقد نسبت الأساطير لحيوانات كثيرة، وتناولت المسخ وغيره من الأساطير، وسوف أذكر بعض النماذج من هذه الأساطير التي تروي عن الحية، والهدد، والزرافة، والسنانير، والأرضة، والأريان، والضب، والنعام، والرخمة والوزغة، والنملة وهناك كثير جداً من الحيوانات وأساطيرها التي لا يمكن حصرها. قال الجاحظ عن أسطورة الحية «بعض أهل التفسير يزعم أن الله عز وجل عاقب الحية حين أدخلت إبليس في جوفها حتى كلم آدم على لسانها بعشر خصال منها شق اللسان»^(٢) أما الهدد فحكايته غريبة ويرويها الجاحظ فيقول: «وأما القول في الهدد، فإن العرب الأعراب كانوا يزعمون أن القنزعة التي على رأسه ثواب من الله تعالى على ما كان من بره لأمه: لأن أمه لما ماتت جعل قبرها على رأسه، فهذه القنزعة عوض من تلك الوهدة»^(٣) وقال عن الزرافة: «رعموا أن الزرافة خلق مركب ما بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذئب وهو ذكر الضباع، وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها بالفارسية اشتركا ويلبك، وتأويل

(١) الحيوان ج ٧ ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٧٤.

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٥١٢.

بلبك ضبع والفرس تسمى الأشياء بالاشتقاقات كما تقول للنعامه **اشترمرغ**^(١) ويقول الجاحظ عن **السنانير** وخلقها : «وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد وأن الخنزير من سلحة الفيل ، لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة نوح لما تأذوا بكثرة الفار وشكوا إلى نوح ذلك سأل ربه الفرج ، فأمره أن يأمر الأسد فيعطس فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير ذكر وأنثى»^(٢) . وذكر الأرضة فقال : «والعامه تزعم أن القارة كانت يهودية سحارة والأرضة يهودية أيضاً عندهم»^(٣) وقال عن **الأريكان** وما زعموه عنه : «وناس يزعمون أن الحية مسخ ، والضب مسخ والكلب مسخ ، والأريكان مسخ ولم أر أهل الكتاب يقرون بأن الله مسخ إنساناً قط خنزيراً ولا قرداً إلا أنهم قد أجمعوا أن الله تبارك وتعالى قد مسخ امرأة لوط حجراً»^(٤) والضب قال عنه : «وما يضيفون إلى هذه الضباب من الكلام ما رواه الأصمعي في تفسير المثل وهو قولهم : هذا أجل من الحرش ، فإن الضب قال لابنه : إذا سمعت صوت الحرش فلا تخرجن ، قال : والحرش : تحريك اليد عند حجر الضب ، ليخرج ويرى أنه حية ، قال فسمع الحمل صوت الحفر فقال الضب : يا أبت هذا الحرش ؟ قال يا بني ، هذا أجل من الحرش فأرسلها مثلاً»^(٥) وعن حكاية **النعامه** قال الجاحظ «وتزعم الأعراب أن النعامه ذهبت تطلب قرنين ، فرجعت مقطوعة الأذنين فلذلك يسمونه الظليم ويصفونه بذلك»^(٦) وأسطورة أخرى عن **الوَزَغَة** : «وقالوا في الوزغ : أن أباهما لما صنع في نار إبراهيم وبیت المقدس

(١) الحيوان ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٧ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٤٧٧ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٧٩ .

(٥) الحيوان ج ٦ ص ١٣٢ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٣٢٣ .

ما صنع اسمه الله ، وأبرصه ، قيل «سام البرص» ، فهذا الذي نرى هو من ولده حتى صار في قتله الأجر العظيم»^(١) وعن الرُّخْمَةِ وهي التي يعدها الجاحظ من لثام السباع يروي هذه الأسطورة : «ويقال : إنه قيل للرخمة : ما أحمقك ! قالت وما حمقى ، أنا أقطع في أوب القواطع ، وأرجع في أول الرواجع ، ولا أطير في التحشير ولا أغتر بالشكير ولا أسقط على الجفير»^(٢) :

حكاية خرافية :

وهناك حيوانات خيالية تحدث عنها الجاحظ في كتبه مثل الشق ، والغول ، والسعلاة ، والهاتف ، والجن ، والحن ، ليس لها وجود في الواقع بل هي حيوانات من نسج الخيال ، رويت عنها الحكايات الخرافية في العصر العباسي عصر التقدم والرقى والحياة العلمية الواسعة ومعها سارت الخرافة وبلغت الحكايات عن الحيوانات الخرافية مبلغاً وخاصة عند عامة الناس والجهلاء منهم فقالوا عن النسناس «زعموا أن النسناس تركيب ما بين الشق والإنسان ، ويزعمون أن خلقاً وراء السد تركيب من النسناس والناس ، والشق ، ويأجوج ومأجوج ، وذكروا عن الواف والدولباي أنهم نتاج ما بين بعض النبات والحيوان»^(٣) . . ويقولون عن الشَّقِّ وماله من فعاليات ويصورونه بصور شتى ، وهذا ما حدثنا الجاحظ عنه فقال : «إني قدبت بالقفر مع الغول ، وتزوجت السَّعْلَةَ وجاوبت الهاتف ، ورغت عن الجن إلى الحن واصطدت الشق ، وجاوبت النسناس وصحبني الرئ وعرفت جذع الكاهن»^(٤) ويصف الشق فيقول : «ويقولون : الجن جنس صورة الواحد منهم على نصف صورة

(١) الحيوان ج ٤ ص ٦٨ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٥٢ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ١٨٩ .

(٤) البخلاء ص ٤٧ .

الإنسان ، واسمه شق وإنه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر إذا كان وحده بما أهلكه فزعاً ، وربما أهلكه ضرباً وقتلاً»^(١) وقال عن الغول في حكاية من الحكايات الخرافية : «الغول اسم لكل شئ من الجن ويعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب»^(٢) . والسعالى روى عنها الجاحظ فقال : «النار الأخرى التي يحكونها من نيران السعالى والجن وهى غير نار الغيلان»^(٣) والغطاءة قال عنها : «وتزعم المجوس أن أهيرمن وهو إبليس لم يجلس ، في مجلسه في أول الدهر ليقسم الشر والسموم فيكون ذلك عدة على مناهضة صاحب الخير إذا انقضى الأجل بينهما ، ولأن من طباعه أيضاً فعل الشر على كل حال كانت الغطاءة آخر من حضر»^(٤) وحكايات خرافية متنوعة يوردها الجاحظ في كتبه ويسترسل في وصف تلك الحيوانات الخرافية ، التي تسير إلى جانب الواقع العلمي المتطور في ذلك العصر .

٦ - حيوانات مختلفة الاجناس :

حدثنا الجاحظ عن حيوانات سمع بها أو جلبت للعراق في زمن الدولة العباسية من قبل البحرينيين الذين يجوبون شواطئ المدن بحثاً عن البضائع المتنوعة والغريبة ، فالبحريون ممن اصطنعوا السفن للتردد على الشواطئ والجزر امتداداً من جزر البحار الشرقية وشواطئ الهند وحتى جزر أفريقية ، كل هذه المناطق التي يترددون عليها كانت مليئة بحيوانات كثيرة مختلفة الأشكال تثير الدهشة والإعجاب والخوف أحياناً ، ونرى الجاحظ يتتبع أخبار هذه الحيوانات المدهشة والغريبة على بيئته والتي دخلت إلى العراق في عصر الازدهار والترف العباسي

(١) الحيوان ج ٦ ص ٢٠٦ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ١٥٩ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٤٨١ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٤٥١ .

مثل التنين والتمساح والفيل واليعاسب والسنبتي ودود القز والكركدن والحمار الهندي والشبديز والزنديل والفالج والكاومشي وغيرها . وقد ذكر الجاحظ كلاً من هذه الحيوانات في مواضع عديدة من كتبه فقال عن **التنين** : «واكثرها في تعظيم شأن التنين»^(١) وقال عن التمساح : «ويزعمون أن جوف التمساح إن هو إلا معاليق فيه ، وأنه في صورة الجراب مفتوح الفم ، مسدود الدبر ولم أحق ذلك ، وما أكثر من لا يعرف الحال فيه»^(٢) . وذكر الفيل فقال : «والفيل عجيب ظريف ، ولكنه قبيح مسيخ ، وهو في ذلك بهي نبيل والعين لا تكرهه»^(٣) وقال عن **اليعاسب** : «اليعاسب والجراد فإياك أن تتهاون بشأن هذا الجند»^(٤) وقال عن السبتي : وأما قوله : مشى السبتي (فإن السبتي) هو النمر ، ثم صار اسماً لكل سبع جرى»^(٥) وقال عن **دود القز** : «فالنحل والعنكبوت ، ودود القز تختلف من جهات ما يقال إنه يخرج منها»^(٦) وقال عن الكركدن : «فأما الهند ففتتهم بالكركدن أشد من فتتهم بالفيل»^(٧) والحمار الهندي ، قال عنه الجاحظ : «وقد زعموا أن للحمار الهندي قرناً واحداً»^(٨) وذكر **الشبديز** وهو ضرب من الخيل فقال : «والله أن لو نتجت في كل عام ألف شبديز»^(٩) وذكر **الزنديل** وهو الفيل الكبير فقال : «والنعجة ترى الفيل والزنديل والجاموس والبعير فلا يهزها»^(١٠) وقال عن **الكاوماشي** : «ويقولون

(١) الحيوان ج ٧ ص ١٠٥ ، ج ٤ ص ١٥٤ ، وانظر البخلاء ص ١٠٠ والجذ والهزل ص ٢٥١ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٥٧ وانظر فخر السودان على اليبضان ص ٢١٧ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٣٩ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٣٠٣ ، ج ١ ص ١٩ .

(٥) الحيوان ج ٦ ص ٤٠٤ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٤١٢ .

(٧) الحيوان ج ٧ ص ١١١ .

(٨) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٢ .

(٩) في الجد والهزل ص ٢٥٩ .

(١٠) الحيوان ج ٣ ص ١٨٧ ، ج ٢ ص ١٣٧ .

للجاموس كاومشي «على أن الجاموس يشبه الكبش والثور لا على الولادة لأن كاو بقرة وماشي اسم للضأن»^(١) وذكر الفوالج والفالج فقال : وقد تتسع أرحام القلاص العربية لفوالج كرمان»^(٢) **والفالج** قال عنه الجاحظ واصفاً لشكله : «والفالج : البعير الذي قد انشق سنامه نصفين»^(٣) .

٧ - الرعاية الصحية للحيوان وطعامه ومخلفاته :

ذكر الجاحظ في كلامه عن الحيوان وأمراضه ومن يقوم على علاجه أموراً كثيرة لا يتسع المجال لذكرها ، ولكن يجب أن أشير إلى لفظة جرثومة وتجرثم ولفظة بيطار ، وهى ألفاظ مهمة بالنسبة للناحية الصحية للحيوان ، ذكر الجاحظ **الجرثومة** فقال : تجرثم أي بقى ، مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النحلة ليقويها»^(٤) . وقال : «قرية النمل من التراب ، وهى أيضاً جرثومة النمل»^(٥) وحدثنا عن **البيطار** وعمله فقال : «إذا قام في غير بلاده احتاج إلى الأخذ من حافره وإلى أن يختلف به إلى البيطار»^(٦) .

مخلفات الحيوان وطعامه :

السرجين ، والقرامة ، والرداغ ، والجلال ، والفرث والهسيس ، والنشوار والقت ، كل هذه الأنواع من المخلفات والأطعمة التي تخص الحيوان، ذكرها الجاحظ في كتبه قال عن **السرجين** : «وقتلناهم فجعلناهم

(١) الحيوان ج ٧ ص ٢٤٣ .

(٢) الحيوان ج ٧ ص ٢٤٢ .

(٣) البرصان ص ٢٨٣ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٢٤ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ١٢ .

(٦) الحيوان ج ٧ ص ١٠٠ وأنظر مناقب الترك ص ٤٧ .

كانهم أنابير سرجين»^(١) . وذكر **القُرَامَة** : بقوله : «والقرامة نحاة القرون والأظلاف والمناسم وبرادتها»^(٢) . وقال عن الرداغ وهو الوحل الكثير : «إن أكثر الرداغ لا تستغرق ثخنها»^(٣) **والفرث** قال عنه : «فأما الفظ فإنه عصارة الفرث إذا أصابهم العطش في المفاور»^(٤) وقال عن **الجلال** «ويسقطن على المتاع وعلى جلال الدواب»^(٥) وقال عن **القت** وهو الطعام غير المحبب للحيوان : وعلى قضم الشعر واعتلاف القت»^(٦) وطعام آخر هو **الهسيس** ذكره الجاحظ فقال : «وقد تعلف في تلك الحالات اللحم اليابس وهسيس السمك فأما الهسيس فلخيول أهل الأسياخ خاصة»^(٧) **ونشوار** العلوفة قال عنه الجاحظ من مخلقات الحيوان : «أن يكون له روث الدابة ، ويعر الشاة ونشوار العلوفة»^(٨) .

(١) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٢) البخلاء ص ٢١٧ .

(٣) الترييع والتدوير ص ٨٥ .

(٤) البخلاء ص ٢١٦ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٧ .

(٦) البخلاء ص ١٠٣ .

(٧) الحيوان ج ٧ ص ١٤٥ .

(٨) البخلاء ص ٨٢ .

رابعاً : الألفاظ الخاصة بدراسة النبات :

النبات ذكره الجاحظ في جميع المجالات في مجال الأطعمة والأشربة وفي مجال العقاقير والأدوية وفي مجال الاقتصاد والغلات الزراعية وفي مجال الترف والزينة كالزهور وأنواعها والآس والريحان وغيره من النباتات التي تضيء جواً عبقاً ، ثم النباتات التي تستعمل لعلف الحيوان أو للظل وتلطيف الجو وغيرها من الاستعمالات اليومية ، وعلى هذا نرى النبات قاسماً مشتركاً في جميع فعاليات الحياة في المجتمع العباسي وخاصة في عصر ازدهار الحضارة العباسية وتنوع أساليب الترف . فنرى الموائد قد صفت عليها أصناف من الأطعمة لا يمكن حصرها ومعها الفاكهة والريحان وما يزين الموائد من بقل . والشراب أيضاً تعددت أنواعه وكلها تستخلص من النبات ، والصيدلاني تفنن في وصف العقاقير والأدوية المختلفة الأشكال والاستعمالات .

والجاحظ يذكر أقسام النبات فيقول : «ويقال : إن جميع نبات الأرض على ثلاثة أصناف : **نجم وشجر ويقطين** ، فما كان قائماً على ساق ، فهو بخم ، وما كان منفرجاً ذا أغصان ومتشعباً بأفنان فهو يقطين»^(١) .

وقد وردت ألفاظ النبات واستعمالاتها عند الجاحظ في مجال حديثه عن أمور تتعلق بالحياة العلمية اليومية والحياة المعيشية والعلاج من الأمراض .

١ - النبات والغذاء :

النبات الذي يصلح لإعداد الأطعمة مثل : الفطر ، والكمأة ، والخس والخيار - والريحان ، والبادروج - ولباب البر ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأصناف وأصنافاً كثيرة جداً غيرها في مجال الكلام عن الأطعمة، وذكر **الفطر** والكمأة بقوله : «ثلاثة أشياء ربما صرعت أهل البيت عن آخرهم أكل الجراد ،

(١) البرصان والعرجان ص ١٨٠ .

ولحوم الإبل والفطر من الكمأة»^(١) وقال عن **الكمأة** في هذا المجال العلمي :
«ويقال إن الذبان لا يقرب قدراً فيه كمأة»^(٢) وقال عن الخس : «وإنما اشتق له
ذلك إذا كان يورث النعاس كما يورثه الخس»^(٣) **والخيار** قال عنه : «ويسمون
القثاء خياراً والخيار بالفارسية»^(٤) وعن **الريحان** قال : «يعرفون وظائف الثلج
والريحان في الدور»^(٥) **والباذنجان** ذكره بقوله «أنني أكثرت في أحد تلك الأيام
من أكل الباذنجان ، وفي اليوم الآخر من أكل الزيتون وفي اليوم الثالث من
أكل الباقي»^(٦) وذكر لباب البر فقال : «أتروني لا أعرف الطعام الطيب لباب البر
بصفار المغرى»^(٧) . وحدثنا عن الفاكهة فعدد أصنافها كالموز ، والكمثرى ،
والأترج ، والسفرجل ، والتوت والتفاح والخربز أو البطيخ ، والبادروج ثم
التمور بأنواعها من باكوراتها إلى المشان إلى البرني والمقوة والحلقان والجمارة .
والجمار . وقال الجاحظ ذاكراً هذه الأصناف من النبات مثل **الموز** والكمثرى :
«فجلست على مائة قنوموز موصوف وعلى كدس كمثرى منعوت»^(٨) **والكمثرى**
أنواع ذكرها الجاحظ ، منها الخراساني والصيني والنهاوندي»^(٩) أما **الترنجبين**
فقال عنه : ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها كما يسقط الترنجبين والمن
وغير ذلك»^(١٠) وقال عن **الأترج** : «وناب الأفعى يحتال له بأن يدخل في فيها

(١) الحيوان ج ٥ ص ٥٧٠ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٠٨ وانظر البخلاء ص ٩٨ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٣٠١ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠ .

(٥) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٥٧٢ .

(٧) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٨) البخلاء ص ٩٥ .

(٩) البخلاء ص ٣٣٧ .

(١٠) الحيوان ج ٥ ص ٤٣٣ .

حماض الأترج»^(١) **والسفرجل** قال عنه : «فلقوا السفرجل أيام السفرجل للنقل والاكل»^(٢) **والبلادر** وصفه طيباً فقال : «وإن البلادر إنما صار يصلح العقل ويورث الحفظ لأنه صالح للعصب»^(٣) وقال عن **التوت** : والطير عندنا يأكل التوت ويذرقه ، فينب من ذرقه شجر التوت»^(٤) **والتفاح** قال عنه «والتفاح الذي يتهداه الناس بينهم»^(٥) **والخربز** أو البطيخ أوضحه بقوله : «ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخربز»^(٦) **والباذروج** وهو نوع من الريحان قال عنه الجاحظ : «يسمى أهل الكوفة الحوك الباذروج ، والباذروج بالفارسية»^(٧) وعن التمر والرطب تحدث الجاحظ طويلاً ، وقد ذكرت هذا حينه والمعوه **والحقان** المنبسته والمنصفة بقوله «وردت عند الجاحظ فذكروا أن أتانا تعتاد نخلة فترفع يديها وتعطو بفيها ، وتأخذ الحقان والمنبسته والمنصفة والمعوة»^(٨) وهي أوصاف للرطبة قبل أن يتم النضج في البصرة . وقال عن **الجمارة** والجمع جمار «وكأنه جمارة رطبة»^(٩) وقال : «ما تخلق من جمار النخلة»^(١٠) وفيها ، وذكر أنواع الرطب ومنها المشان **والبرني** «زعم أهل البصرة أن مشان الكوفة قريب من برني البصرة»^(١١) .

(١) الحيوان ج ٤ ص ١١٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٩ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ٢٥١ .

(٥) كتاب القيان ص ١٤٨ .

(٦) البيان ج ١ ص ١٩ وانظر الحيوان ج ٤ ص ١١٠ .

(٧) البيان ج ١ ص ٢٠ .

(٨) البخل ص ٢٢١ .

(٩) الحيوان ج ١ ص ١٠٧ .

(١٠) الحيوان ج ٣ ص ٣٧١ .

(١١) الحيوان ج ٤ ص ١٣٠ وانظر البخل ص ١٣٤ ، ص ١٩٧ .

٢ - نباتات ذات استعمالات خاصة :

حدثنا الجاحظ في كتبه عن نباتات تستعمل في الغذاء وتصلح للعلاج ونباتات تكون ذات استعمالات متعددة ، منها للعلاج ومنها للتطيب ومنها للأكل ومنها للأصباغ كالزعفران والعصفر وغيره ، ونباتات للاستعمالات اليومية كالاستحمام مثل الودك والليف والقطن وللأثاث والحوائج الأخرى كالأبنوس وغيرها . فمن النباتات التي تستعمل عدة استعمالات مثل الزعفران والعصفر والصندل ، والقنطار ، والرازقي والآس ، والسدر والصعتر ، والصنوبر ، والخشخاش والحبق وغيرها كثيرة ومتنوعة لا يمكن حصرها ، وقد جاء ذكرها عند الجاحظ في مواضع عديدة قال عن **الزعفران** : «كما تكره الورغ ريح الزعفران»^(١) وقال عن **العصفر** واستعماله للصبغة وللأغذية : إن الثوب المعصفر محتضر»^(٢) . وذكر **الصندل** فقال : فليست أرى شيئاً هو خير من اتخاذ مشط صندل فإن ريحه طيبة والشعر سريع القبول»^(٣) وعن القنطار العود قال : لم يرض بالتبخر واستقصاء ما في العود من القنطار»^(٤) . وعن العنب الرازقي قال : «تنازعا في العنب النيروزي والرازقي»^(٥) . وقال عن **الآس** والسدر وهما يستعملان في أغراض عديدة : «أن يأخذ شيئاً من خطمي وآس وسدر وشيئاً من صمغ فيجعله في أصول شعره وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يعرق»^(٦) . وقال عن **السدر** : «وغسل الرأس بالسدر يرمه»^(٧) ، وذكر الجاحظ الحبق

(١) الحيوان ج ٤ ص ١١٠ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ١١٠ .

(٣) البخلاء ص ٦٠ .

(٤) البخلاء ص ٦٠ .

(٥) الحيوان ج ٧ ص ٨ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٣٧٧ ، ج ٣ ص ٤٥٨ .

(٧) البرصان والعرجان ص ٤١ .

والخشخاش وهي من العقاقير المخدرة : «وهو شئ يعرض عن أكل دسم الضأن، وهو أيضاً يلقي على دسمه النعاس ، وقد يفعل ذلك الحبق والخشخاش»^(١) وحدثنا عن **الصنوبر** فقال : «ولو أن إنساناً أراد أن يخرج القطران من الصنوبر والزفت من الأرز لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقه ويقشره ، بل يوقد له ناراً بقربه . فإذا أصابه الحر عرق وسال في ضروب من العلاج»^(٢) . وقال عن **الصعتر** : «والقنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفاعي والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البري»^(٣) وفي هذا المجال العلاجي ذكر اللقاح والخردل والذاب والشيخ فقال : «والحية تعجب باللفاح والبطيخ وبالخرف والخردل المرخوف وتكره ريح الذاب والشيخ» وقال عن **الخردل** : «ثم لا ألبث أن أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل والخردل لا يرام»^(٤) . وذكر نبات **الخروع** بقوله : «ولم أر أشبه في الحذف من شجر الخروع»^(٥) . وذكر المقل **والنارجيل** في مجال تهكمه على مزاعم الناس واعتقاداتهم : «ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل هو نخل المقل ولكنه انقلب لطباع البلدة وأشباه ذلك كثير»^(٦) وقال عن **الكزبرة** وأنباتها : «فأما إذا كان الحب من حب الكزبرة ، فلقته أربعاً لأن أنصاف حب الكزبرة ينبت من بين جميع الحبوب»^(٧) ثم الحبة الخضراء **وحب الآراك** ذكرهما بقوله : «فيشقق عن حواصلها فيوجد فيه الحبة الخضراء غضة»^(٨) فقال عن حب الآراك : «فإن حب الآراك - يغرس

(١) الحيوان ج ٤ ص ٣٠١ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٥٢ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ٣٣ .

(٤) البخلاء ص ٥٥ .

(٥) الحيوان ج ٢ ص ٤٦٥ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ١٣٠ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٦ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٤٥٣ .

في جوف طين في قواصر ويسقى الماء أياماً^(١) وقال عن **العفص** : «إن اعتل القوم بالزاج والعفص والماء ، وقالوا قد نجد كل واحد من هذه الثلاثة ليس أسود وإذا اختلطت صارت جسماً واحداً أشد سواداً من الليل^(٢) وذكر الودك فقال : «الذي يدلك يده بالأشنان من الغمر والودك حتى إذا اخضر وأسود من الدرن ذلك به شفته^(٣)» وقال عن **الليف** واستعماله : «مما يشبه الليف فنفشه ثم قتل منه حبلاً^(٤) . والقطن قال عنه : «حشو أذنان المحاجم بالقطن^(٥)» وقال عن **الأبنوس** : «ولا أجدر أن ينشب فيه الخط من الأبنوس^(٦)» وذكر **الدارصيني** فقال : «إنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدارصيني من موضعه ، فيفرش به عشه^(٧)» وقال عن **الجاورس** وهو حب الدخن : «وكما يدخر من خاف الحصار الأكارع والجاورس^(٨) . ومن أشجار المكسرات أشار الجاحظ إلى الجوز واللوز والبطم وهذا مما يدل على الترف الحضاري الذي وصل إليه الناس في العصر العباسي حتى أنهم أدخلوا في مجالسهم أثمار هذه النباتات مثل اللوز ، قال عنه الجاحظ «وقضبان اللوز أعلك وألدن ولكنها أسلم^(٩) . وقال عن **الجوز** : «تأكل الثمر والجوز والباقلي^(١٠)» ووصف شجر **البطم** فقال : «وأشجار البطم وهى الحبة الخضراء بعيدة المنابت منا» وقال

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤١٤ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٤٧ .

(٣) البخلاء ص ٧٧ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٦ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٢٢٠ .

(٦) فخر السودان على البيضان ص ٢٠٤ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ١٢١ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٥١٥ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٤٤٢ .

(٩) الحيوان ج ٤ ص ١٢٥ .

(١٠) البخلاء ص ٧٩ .

«والبطم لا يعرفه أهل الجلسي وبلاد نجد هي الجلس»^(١) .

٣ - أجزاء النبات :

الجذم ، والجزعة ، والفسيل ، والرواشن ، والحواضن ، والأعذاق ، والنسولتين ، والطلعة والطلع ، والعراجين ، والكرب ، والليط وغيرها ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأقسام في حديثه عن الحيوان أو الإنسان واستعمالاته اليومية فقال عن **الجذم** : «أو تعلق بجذم شجرة»^(٢) والجزعة قال عنها : «والخوان من جزعة»^(٣) **والفسيل** ذكره بقوله : «وأنت رجل لك في البستان ، ورجل في أصحاب الفسيل»^(٤) وذكر **الأجذاع** والرواشن والحواضن بقوله : «ويدق على الأجذاع والحواضن والرواشن»^(٥) وهي صفات النخيل . وقال عن النسولتين : وإنما الغلة غلة الزرع والنسولتين»^(٦) وقال عن **الطلع** والطلعة : «كأمثال طلع الفحال الأبيض»^(٧) وقال : وإن النبي ﷺ سحر في جف طلعة»^(٨) وذكر **الأعذاق والعراجين** ، وهي من أجزاء النخلة فقال : «ويشتري الأعذاق والعراجين والسفن الكلاء»^(٩) ثم يذكر **الكرب** فيقول : «ما سقط من التمر في جوف الليف وأصول الكرب»^(١٠) . ومن أجزاء النبات **الليط** وقد وصفه الجاحظ فقال : «لأن البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينه

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٥٣ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ١٢٦ .

(٣) البخل ص ٥٤ .

(٤) البخل ص ١٤٥ .

(٥) البخل ص ٨٤ .

(٦) البخل ص ٨٧ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ١٢٧ .

(٨) التريب والتدوير ص ٧٨ .

(٩) البخل ص ١٢٥ .

(١٠) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٥ .

وملاسته»^(١) وذكر الأحراش والحشائش وما يتخلف من النبات من واشي وغيره، وفي مهجال الحشائش ذكر **العنقر** فقال : «وكذلك دابته تكتفي بالعنقر والعشب والشجر»^(٢) وقال عن **العرفج** : «إنما قيل لنا العرفج : نار الزحفتين لأن العرفج إذا التهبت فيه النار أسرع»^(٣) والحراج قال عنه : «وواحد الحراج حرجة ، وهى ها هنا مثل جعل كل شئ التف وكتف من الظلام حراجاً ، وإنما الحراج من السدر وأشباه السدر»^(٤) **والواشي** قال عنه : «ثم ذراه ثم غربله ، ثم حش الواشي منه»^(٥) .

وقبل أن أختتم الكلام عن النبات هناك بعض التشبيهات التي وردت عند الجاحظ مثل **خوط بان** ، **وغصن بان** ، وقضيب خيزران ، وذكر أصنافاً من الورود والرياحين مثل الخيري ، وشقائق النعمان ، والنيلوفر ، **والياسمين** ، والدفلي وغيرها . قال الجاحظ يشبه إحدى الجوارى بالغصن الناعم وهو الخوط بان فقال : «فرأى عنده جارية كأنها جان ، وكأنها خوط بان ، وكأنها جدل عنان ، وكأنها الياسمين نعمة وبياضاً»^(٦) وعن الورود ذكر الخيري **والنيلوفر** فقال : «وشقائق النعمان والخيري يصنع ذلك ، ويتفتح بالنهار ، وينضم بالليل . والنيلوفر الذي ينبت في الماء يغيب الليل كله ويظهر بالنهار»^(٧) وقال عن **الدفلي** وهو نبات مر قاتل : «ولا تغلط الخيل إلا في الدفلي وحده»^(٨) .

(١) البخلاء ص ١٠٢ .

(٢) مناقب الترك ص ٤٨ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ١٠٧ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٤٢١ .

(٥) البخلاء ص ١٢٩ .

(٦) الحيوان ج ٦ ص ٢٦٢ وانظر الترييع والتدوير ص ٢١ .

(٧) الحيوان ج ٦ ص ٣٦٤ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٣١٢ وانظر ج ٣ ص ٥٢١ .

خامساً : الألفاظ الخاصة بالمعادن والتعدين :

حدثنا الجاحظ عن المعادن وأنواعها وأشكالها وعن طريقة تعدينها ، وكيف أن أصحاب المعادن والحفائر كانوا إذا هجموا على فتق في باطن الأرض أو مغارة في أعماقها قدموا شمعة في طرفها أو في رأسها نار ، فإن تثبت النار وعاشت دخلوا في طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك ، وإلا لم يتعرضوا له ، وإنما دخولهم بحياة النار وامتناعهم بموت النار^(١) هذا ما جاء في كتاب الحيوان عن طريقة التعدين والبحث عن المعادن في جوف الأرض .

١ - المعادن والتعدين :

يشرح لنا الجاحظ مكونات باطن الأرض وما تحويه من معادن فيقول : «كما صنع في طينة الأرض ، فجعل بعضها حجراً ، وبعض الحجر ياقوتاً وبعضه ذهباً ، وبعضه نحاساً ، وبعضه رصاصاً ، وبعضه حديداً ، وبعضه تراباً ، وبعضه فخاراً ، وكذلك الزجاج ، والمغرة ، والزرنيخ ، والمرتك ، والكبريت ، والقار ، والتوتيا ، والنوشادر ، والمرقشيتا ، والمغنطيس»^(٢) ويذكر الجاحظ **الفلز** وأنواعه وتأتي لفظة فلز عند الجاحظ في أكثر كتبه وفي أماكن متفرقة منها فهو يقول متسائلاً : «ومن يحصى عدد أجزاء الأرض ، وأصناف الفلز»^(٣) ويقول عن الفلز جوهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك^(٤) ويقول عن الفلز : «ويبيع الريح الهاب بالذهب الجامد ، وفلز اللجين والعسجد»^(٥) ويعد أن ذكرنا الفلز نأتي إلى أنواعه وإن جاء جزءاً ليس

(١) الحيوان ج ٥ ص ١١٠ .

(٢) مناقب الترك ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) مناقب الترك ص ٣٤ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١ وانظر الحيوان ج ٥ ص ١٠١ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٨ .

بالتيسير منها في الحياة الاقتصادية عند ذكر الصناعات .

فقد ذكر الجاحظ أنواعاً كثيرة من المعادن والفلزات منها (القطران ، والآلنك ، والنفط بأنواعه والكبريت وأنواعه والرصاص والزفت ، والزاج ، والمينا ، والمرداسنج ، والزبيق ، والزرنيخ ، والمرتك ، والشعر ، والقار ، والصفر ، والشبة ، والطلق ، والملح) وغيرها ، قال ذاكر **الكبريت** وتحدث عن **القطران** وكيف أنه وسيلة لقتل النمل : «قالوا : وتقتل بأن يصب في أفواه يسوتها القطران والكبريت الأصفر ، ويدس في أفواهها الشعر ، وقد جربنا ذلك فوجدناه باطلاً»^(١) **والنفط** ذكر أنواعه ومسمياته فقال : «وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النفط الأزرق والأسود والأبيض»^(٢) وذكر من أنواع النفط الخضخاض وهو النفط الأسود الرقيق ، فقال مبيناً استعماله : «فإنه يعمد إلى الخضخاض فيصب فيه شيئاً من دبس ثم يطلى به ذلك البعير»^(٣) وذكر **الزفت** فقال : «يخرج القطران من الصنوبر ، والزفت من الأرز»^(٤) ، **والرصاص** قال يصف أصله : «والرصاص في العالم أصل قائم فيدبرون المرداسنج فيستحيل رصاصاً»^(٥) **والكبريت** ذكره بأنواعه الأحمر والأصفر فقال : «القطران والكبريت الأصفر»^(٦) ولا أعلم الكبريت الأحمر إلا أوجد منه»^(٧) . وقال عن **المينا** وهي نوع من الحجر : وكذلك المينا له أصل قائم وقد عمله الناس»^(٨) **والزبيق** قال عنه : «أن يطلى أصول ريشه بالزبيق المحلل بدهن

(١) الحيوان ج ٤ ص ٣٦ وانظر ج ٥ ص ٥٢ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٦١ وانظر البهلاء ص ١٢٧ ، وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٠٧ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٥٢ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٠ وانظر ج ٣ ص ٥١٥ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٣٦ .

(٧) في الجذ والهزل ص ٢٧١ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٣٥١ .

البنفسج^(١) وهنا يصف نوعاً من العلاج بهذا المعدن . وقال عن **الزرنينخ** ومعه أنواع أخرى من المعادن «المغرة والزرنينخ والمرتك والكبريت والقار»^(٢) وذكر الصفر وهو النحاس الأصفر الجيد ، فقال فعمدت إلى منارات من صفر من هذه المسارح»^(٣)، ومن المواد : التي تحدث عنها الجاحظ في كتبه **الشبه** وهو نوع من النحاس قال عنه «ولا يجوز أن يكون شئ له في العالم أصل أن يؤلف الناس أشياء تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هذا الوجه تحويل الشبه ذهباً والزئبق فضة»^(٤) وكان يسمى هذه العمليات صناعة **الكيميا** ، وقد تكلم عن **الإكسير** فقال : «وما تقول في إكسير الكيمياء»^(٥) ولفظة الإكسير جاءت عند الجاحظ في كلامه عن العقاقير والكيمياء وفي التعدين ، وفي نص له يقول : «وسمعت أبا حكيم الكيمائي وهو يقول لثمامة بن أشرس : قلنا لكم إننا ندلكم على الإكسير فاستثقلتم الغرم وأردتم الغنم بلا غرم»^(٦) . ومن العمليات الكيميائية التي تحدث عنها الجاحظ مثل الزجاج والمغنطيس والأقلميا والشعر . وذكر **الزجاج** فقال : «كنحو مجيء الزجاج من الرمل ، وامتناع الشبه والزئبق من أن يتحول في طبع الذهب والفضة» ، وقال عن الزجاج وخواصه الكيميائية : «ومن العجب أن الزجاج - وهو مولد - قد يجرى مع الذهب في كثير من مفاخر الذهب ، إذ كان لا يغير طبعه ماء ولا أرض»^(٧) و**المغنطيس** ذكره الجاحظ قائلاً : «والمغنطيس الجاذب للحديد إذا حك عليه

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٤ وانظر البخل ص ٨٥ .

(٢) مناقب الترك ص ٣٣ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤١٤ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٩ ، أنظر ج ٣ ص ٣٧٤ .

(٥) الترييع والتدوير ص ٣٩ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٨٥ وأنظر ج ١ ص ٦ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٤ .

الثوم لم يجذب الحديد»^(١) وقال عن **الاقليميا** : «فيدبرون اقليميا النحاس فتستحيل توتيا»^(٢) . وذكر عملية التصعيد فقال : «وقد يصعدون الشعر ويدبرونه حتى يستحيل كحجر النوشادر ، ولا يغادر منه شيئاً في عمل ولا بدن»^(٣) .

ومن الصناعات الكيميائية التي ذكرها الجاحظ بالنسبة للمعادن ، قال : «وصنعة الزجاج والفسيفساء والأسرنج والزنجفور واللازورد»^(٤) وقال : «والطلق لا يصير جمرأ أبداً»^(٥) وهذا **الطلق** هو من أنواع الحجر الذي يتشظى صفائح إذا دق . ومن المعادن الملح وهو يأتي من عدة مصادر ، ولفظة الملح جاءت عند الجاحظ بعدة معان فنراه يقول : «إن تفتيت فالرشاقة والملح»^(٦) ويقول : «الذين كانوا مصابيح الظلام ، وقادة هذا الأنام ، وملح الأرض»^(٧) ويذكر الملح بلفظ **الزجاج** ، وهو نوع يدخل في صناعة المداد، قال عنه الجاحظ : «فإن اعتل القوم بالزجاج ، والعفص ، والماء»^(٨) وقال الجاحظ عن منبت الملح والملاحه : «فلا يزال يسير حتى يجد ملاحه»^(٩) ، وفي ختام حديثنا عن المعادن أورد قول الجاحظ عن هذه المعادن وأجناسها فيقول معاتباً من عابه على كتاب المعادن : «وعتيني بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض وفي اختلاف أجناس الفلز والإخبار عن ذاتها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف

(١) الحيوان ج ٤ ص ١١٢ وانظر مناقب الترك ص ٣٤ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٠ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٣٤٩ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٨١ .

(٥) فخر السودان على البيضاء ص ٢٠٠ وانظر الحيوان ج ٦ ص ٤٣٥ .

(٦) الترييع والتدوير ص ٦٤ .

(٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٥ ، ج ٣ ص ٧ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٤٧ .

(٩) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٠ .

يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويبطئ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان
يصبغ ولا ينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما
القول في الإكسير والتلطيف»^(١) .

سادساً : الألفاظ الخاصة بالظواهر الجغرافية الطبيعية :

تعرض الجاحظ للظواهر الطبيعية فتحدث عن الأحوال الجوية وعن الظواهر الطبيعية المتعلقة بالأنهار والغدران والأجراف ، وتحدث عن الأشهر وعن الفصول ووصف آلات القياس العلمية ، وتطرق إلى مسائل الكون والأجرام السماوية ، وذكر ألفاظ المتكلمين الخاصة بالأجرام مثل الجنس والمادة والحيز والجزء والهبولي والمتناهي والأشباه والنظائر وأسماء الملائكة الذين يتألف منهم العالم ويقوم عليهم الكون .

ونرى ألوان الثقافة اليونانية في كتابات الجاحظ المتعلقة بمسائل الكون واضحة جداً ، ثم إنه لم يهمل إعمال الفكر فيما نقل ، فنراه ينقل عن اليونانية ويضيف عليها من علمه ومعرفته ، وعلى هذا لا نستطيع أن نقول بأنه كان ناقلاً لتلك العلوم فقط دون إعمال الفكر ، فمن يتصفح كتاب الحيوان يجد أن الجاحظ يشفع ما نقله عن أرسطو من آراء علمية برده ونقده لها بل وتخطئتها أحياناً والاعتذار لصاحبها كقوله في الحيوان : «وقال أرسطو في الفيل هو أجود الجلد ولذلك يشتد جزعه من البرد ، ويرد عليه الجاحظ بقوله : فإن كان أجود الجلد ، فما قولهم فلان على الفيل الأسود»^(١) وهناك أمثلة كثيرة على هذه التخطئة من الجاحظ لأرسطو ولكنه يعتذر في موضع آخر من الحيوان بأن المترجمين لكتاب أرسطو لم يحسنوا النقل ولم يتوخوا عنه»^(٢) .

١ - الأحوال الجوية :

أهم الظواهر الطبيعية التي تعرض لها الجاحظ الأحوال الجوية ، وذكر الجاحظ ألفاظاً تختص بهذه الأحوال الجوية مثل الطبيعية والدمق ، والغسق ،

(١) الحيوان ج ٧ ص ٢٢٨ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ٥٢ ، ج ٦ ص ١٩ .

واللخن ، والثلث ، والرطوبات ، والخموم ، والأضحيانة ، وثلجاء ، وجنائب ، وصنبرة ، صاقعة ، وصاعقة . وقد ذكر الطبيعة بقوله : «وفي إهمال الطبيعة كلال ، حد الطبيعة»^(١) ، وقال عن **الدمق** وهو الثلج مع الريح الشديد : «ورغم العقاب في الآخرة إنما هو بالبرد والزمهرير والدمق»^(٢) وعكسه **الغمق** وهو الندى والرطوبة والوخامة ، ذكره الجاحظ بقوله : «ومررت به وهو جالس في يوم غمق حار»^(٣) **والثلث** صفة ملازمة للغمق ، قال عنها : «ولا يعرفون الغمق ولا الثلث»^(٤) وعلى ذكر الرطوبات جاءت هذه اللفظة ومعها مشتقاتها التي تشابهها في المعنى مثل **الخموم** واللخن ، قال الجاحظ يصف هذا المناخ الرطب ومضاره بالنسبة للإنسان والحيوان أيضاً : «واللخن والعفن والرطوبات الغليظة ، فذلك يغم السمك ويكربه»^(٥) ويصف الجو المعتدل المضيئ بقوله : «في ليلة **إضحيانة** أي مضيئة لا غيم فيها»^(٦) . ونعود إلى المناخ البارد ويصفه الجاحظ بقوله : «وقد تكون الليلة باردة جداً ، وتكون صنبرة فلا يجمد فيها الماء»^(٧) وذكر لفظة **ثلجاء** وهو يصف الأرض : «إذا لقيه والأرض ثلجاء ، فإنه عند ذلك يخفش وجه الأرض ويجمعه ويضرب وجه الرجل فارساً كان أو راجلاً قال : ودقاق الثلج وغباره إذا صك وجه الفارس سدر واسترخى»^(٨) . وحدثنا الجاحظ عن **الصواعق** والصواعق فقال :

(١) في الجذ والهزل ص ٢٥٠ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٦٦ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٨ .

(٤) مناقب الترك ص ٧٠ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٦) الحيوان ج ٦ ص ٢٠٦ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٦٩ .

(٨) الحيوان ج ٧ ص ٢٥٢ .

«لأن الصاعقة تقتل بشدة الصوت كما تحرق التي فيها»^(١) وقال عن الصاعقة **والصواعق** ، وكان الحسن يسميها صاعقة ويجعل الصواعق ما كان من العذاب النازل على الأمم ، فأما هذه التي تراها اليوم فهي عنده صواعق»^(٢) . وذكر الرياح فقال : الجنائب : «ويزعمون أنهم يعرفون ذلك بكثرتها في الجنائب»^(٣) .

٢ - التضاريس الطبيعية :

وتعرض للتضاريس الطبيعية فذكر ألفاظاً تخص البيئة النهرية والبحرية في معظمها ، وهذا شئ طبيعي لمعايشته لهذه البيئة مثل الخب ، والدردور ، والأغلال ، والأجراف ، والفرضة ، وهذه تتكرر عنده كثيراً والأسياف ، والغدير ، والجمع غدران ، والحزون ، والأغوار وغيرها من التضاريس .

قال عن الخب «وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس ، ولا يعرفون الخب والمكلا»^(٤) . وذكر **الدردور** وهي من المواضع الخطرة في الملاحة ، واللفظة بنفس المعنى في الفارسية ، فقال : «وكذلك يحكون عن الدردور»^(٥) ، وقال عن **الأغلال** : «الأغلال : جمع غلل وهو الماء الذي يجري بين ظهري الشجر»^(٦) . وقال عن **الأجراف** «وكذلك شجر الآجام على الأجراف»^(٧) . والأجراف جمع جرف وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر . وتأتي هذه الكلمة عند الجاحظ كثيراً ، وكذلك كلمة **الفرضة** والجمع فرض

(١) البرصان والعرجان ص ٢٥٦ .

(٢) البرصان والعرجان ص ٢٥٦ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٢ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٩١ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٣٣٥ .

وهي محط السفينة وتعني الجرف أيضاً ، قال الجاحظ : « فلما قربنا من الفرضة صحت : يا حمال»^(١) **وَالْفَرْضُ** قال عنها : « فسأله أن يقربني إلى بعض الفرض ، حتى أكرى من هناك إلى حيث أريد»^(٢) وذكر **الأسياف** بقوله : «فأما الهسيس فلخيول أهل الأسياف خاصة»^(٣) .

وقال غدير ، **وَعُذْرَان** : «في الصيف كله في القيظ جميعاً منع ماء ولا غدير»^(٤) والغدران قال عنها : « فأورده العيون والغدران والأنهار»^(٥) ثم **الْأَغْوَارُ** ، قال عنها الجاحظ : «ويين من نزل النجود ويين من نزل الأغوار» ، وقال : «وكاختلاف ما بين من نزل البطون ويين من نزل الحزون»^(٦) . وهذه الألفاظ كلها تضاريس طبيعية جاءت في كتب الجاحظ ومعها الكثير من الألفاظ التي تمس التضاريس وتصف البلدان ومواقعها .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٥٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٧ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ١٤٥ .

(٤) الحيوان ج ٦ ص ٢٨٢ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٦) مناقب الترك ص ١٠ .

سابعاً : الألفاظ الخاصة بالكون والمسائل الفلكية :

١ - المسائل الفلكية :

أخذ الجاحظ بعض المسائل الفلكية عن الثقافة الهندية واليونانية أيضاً . ونرى في كتبه إشارات إلى هذه المسائل المتعلقة بالكون ، ففي كتابه التربيع والتدوير يشير إلى كتاب السند هند وهو مؤلف يحوي مذهب الهند في الحسابات الفلكية ، وقد عرفه العرب قبل معرفتهم كتاب المجسطي . وكذلك وردت ألفاظ على لسان المتكلمين في عصر الجاحظ مثل العرض والجوهر ، **والهَيُولِي** وهذه الأخيرة لفظة يونانية جاءت في كتب الجاحظ بقوله متسائلاً : «ويا قوة الهَيُولِي كيف أصبحت ؟»^(١) وقال أيضاً «وكان يتعجب من القول بالهَيُولِي»^(٢) ، ومن ألفاظ المتكلمين : يتناهى والأشباه والنظائر والعرض والجوهر . وقد ذكر الجاحظ هذه الألفاظ في أماكن متفرقة من كتبه فقال : فإنه ليس شئ أبغض إلى من يتناهى فيه إلى غايته»^(٣) وقال عن **الأشباه والنظائر** «ففرقوا ما بين الأشباه والنظائر»^(٤) .

أما **العرض** والجوهر فقد أكثر من ترديدها الجاحظ في كل مناسبة حتى وإن لم تكن في مجال معناها الأصلي ، فقد كان يستعمل هذه الألفاظ كثيراً وكذلك علماء عصره وحتى بخلافه استعملوا هذه الألفاظ كقوله : «المعين يأخذ الجوهر ويعطي العرض»^(٥) وقال : «التعادي عرض في طبائع الغرباء ، وجوهر

(١) التربيع والتدوير ص ٧٧ .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٥٠ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٦ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٢٣٨ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٨ .

في طبائع الأقرباء»^(١) . وقال : «أنى لو تكلفت كتاباً في حلولة ، وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثم كان من كتب العرض والجوهر ، والطفرة ، والتولد ، والمداخلة ، والغرائز»^(٢) ، وقال : «قال المكي : فإذا هو يريد أن تدفع جوهرأ بجوهره وعرضاً بعرض ، حتى لا تريح أمه إلا صرف ما بين العرضين الذي هو البرد والحر ، فأما عدد الجواهر والأعراض فمثلاً بمثل»^(٣) وقال أحد البخلاء عن **الجوهر** : «فتحول كل شئ كان في لقمته بتلك الجذبة إلى لقمتي لاتصال الجنس بالجنس والجوهر بالجوهر» ثم ذكر **الجنس** فقال : «فنجد الماء جنساً واحداً ، ثم تجد ذلك الجنس أبيض إذا قل عمقه وأخضر إذا كان وسطاً وأسود إذا بعد غوره»^(٥) وقال عن الجوهر «والماء هو الجوهر القبال لجميع القوى»^(٦) وقال عن **الحيز** : «الهواء اسم لكل منق وكذلك الحيز»^(٧) وقال عن **الجزء** : «وأبو الهذيل العلاف في الجزء والطفرة»^(٨) وقال أيضاً في الجزء على لسان أحد بخلائه : «كيف أجرش جزءاً لا يتجزأ»^(٩) وهذه الألفاظ تعتبر ظاهرة لغوية عند المتكلمين .

٢ - الأجرام السماوية :

وعن الأجرام السماوية وحركتها حدثنا الجاحظ عن المشتري والزهرة وعطارد وسهيل ، وذكر في هذا المجال المجانسات والمكائنات والحسومات ،

(١) في الجدل والهزل ص ٢٧٢ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٢ .

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٢٠٨ .

(٣) البخلاء ص ١١٣ وانظر مناقب الترك ص ١٠ .

(٤) البخلاء ص ٦٩ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٩١ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٨٩ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ١١١ وانظر مناقب الترك ص ٩ .

(٨) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٩) البخلاء ص ١٢٨ .

وقال عن القطب وعن العواء ثم في مجال الأشهر يتحدث عن الفصول والأشهر والكريت والأهلية والعقد والصميمين . وقد وردت لفظة **الأجرام** عند الجاحظ بقوله : « فالجوهر المنقلب في جميع الأجرام السيالة ، إنما هو الماء »^(١) وقال عن المكائنات والمجانسات : « وإبراهيم بن سيار النظام في المكائنات والمجانسات »^(٢) وذكر **المشتري** فقال « وكأنه المشتري وكأنه وجه دينار هرقلي »^(٣) . وقال عن الزهرة : وما قصة الزهرة ؟^(٤) وتساءل عن سهيل فقال : « وما شأن سهيل ؟ »^(٥) واستمر في أسئلته عن الأجرام فقال : « وخبرني عن عطاره الهندي وجوابه لعطارد المساوي حين هبط إليه من فلكه »^(٦) وهناك مسائل كثيرة يعرضها الجاحظ في التربيع والتدوير على شكل أسئلة أمام أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ليجيب عنها . وذكر **الكريت** فقال : « من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتا »^(٧) وقال عن الأهلة : « ومن الأمور الملتوية والمعوجة لو كانت مستوية مستقيمة لعظم الضرر وظهرت الخلّة . فمن ذلك الأضلاع . . والأهلة »^(٨) . وقال عن **العقد** : « وقلنا في العقد ولم تكلفوه »^(٩) وذكر الصميمين وهما الشتاء والصيف فقال : وزعم ناس من أطباء النصارى ، وهم أعداء اليهود أن اليهود يختنون أولادهم في اليوم الثامن وأن ذلك يقع

(١) الحيوان ج ٥ ص ٨٩ .

(٢) ذم الأخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٣) التربيع والتدوير ص ٢١ .

(٤) التربيع والتدوير ص ٢٧ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٢٧ .

(٦) التربيع والتدوير ص ٢٩ .

(٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٩ .

(٨) البرصان ص ١٦٧ .

(٩) الحيوان ج ٦ ص ٥ .

ويوافق أن يكون في الصميمين كما يوافق الفصلين»^(١) وذكر القطب بقوله : «وجدتك في خلال ذلك على سبيل تضييع وإهمال لأمرين هما القطب الذي عليه مدار الفضائل»^(٢) وإن كانت لفظة قطب جاءت في هذا النص بمعنى آخر ولكنها تفهم بأن القطب هو المدار للأجرام ولجميع الأشياء ، فهو المحور الذي ترتكز عليه الأمور . وقال عن الأشهر مثل : تشرين الأول ذكره بقوله «وأنه رأيته مرة في تشرين الأول وقد بكر البرد شيئاً»^(٣) واستمر في حديثه فقال : ولو كان هذا البرد الحادث في **تموز** وآب لكان ألباباً لهذا الكساء»^(٤) وقال عن شهر ناجر : «تراه أبداً في شهر ناجر بباب حجرة ، متدخلاً يخاف أن يقبض قابض بذنبه»^(٥) .

الفاظ علمية مختلفة وعلماء وكتب علمية :

هناك ألفاظ تتعلق بالحياة العلمية أشار إليها الجاحظ في كتبه مثل أعلام الثقافة اليونانية : كأفلاطون ، وأرسطو ، وإقليدس ، وفيثاغورس وغيرهم من أعلام اليونانيين . وأشار إلى بعض مؤلفاتهم مثل كتاب المجسطي الذي وضعه بطليموس ، وذكر أنظمة الحسابية وأدواتها من مثل ذكره عمل الأرثماطقي وهو نوع من أنواع الحساب من وضع إقليدس ، وذكره الجاحظ في الترييع والتدوير مع عدة كتب ومسائل أخرى فقال : «وخبرني - جعلت فداك - مذكم صنع حساب الهسميرج ، ومن صاحب خطوط الهند ، وأين كتب قوم صفة السند هند والأركند وحساب **كلاسفر** ، ومذكم عمل باب الجمع ،

(١) الحيوان ج ٧ ص ٢٥ .

(٢) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٣٩ .

(٣) البخل ص ٥٩ .

(٤) البخل ص ٥٩ .

(٥) الحيوان ج ٦ ص ٥٩ .

ومذكم عمل الأرثماطريقي ومن سمي الجبر بالجبر والجذر بالجذر»^(١) ففي النص السابق نرى أصداء المؤثرات الثقافية الهندية بجانب اليونانية . وذكر من الأدوات العلمية **الأصطرلاب** وهو من أجهزة القياس اليونانية وكذلك القرسطون والجمع **قرسطونات** وقد ذكرهم الجاحظ بقوله : «ومن صاحب الأصطرلاب؟ ومن صاحب القرسطون»^(٢) . ومن الألفاظ العلمية أيضاً **المجهر** ، قال عنه الجاحظ «أوصرت للقوم عيناً ولهم مجهرأ»^(٣) **والخرائط** والمفرد **خريطة** ذكرها الجاحظ فقال : «وذلك الموضع المستدق إنما هو شيء كهيئة الخريطة»^(٤) وقال : «ومنها تكون خرائط البرد»^(٥) . وذكر ألفاظاً علمية تتعلق بأركان العالم فقال : «ويزعم أن الأرض أحد الأركان التي بنيت العوالم الخمسة عليها يزعمهم أبرسارس وأبرمارس وأبردس وكارس وحريرة أمنة»^(٦) .

وهكذا نرى الجاحظ يأخذ من كل الثقافات التي انتشرت في عصره كاليونانية والفارسية والهندية وكتاب الحيوان الذي يعطينا أوضح صورة للحياة العلمية في العصر العباسي هو خير دليل على كلامنا ، ففي كتاب الحيوان أمثلة كثيرة على اتصال الجاحظ باليونان في كتبهم فعرف أرسطو ونقل عن أفليمون صاحب الفراسة في الكلام عن الحمام»^(٧) ونقل عن جالينوس فيما يصلح له **لحم الضب**»^(٨) وفي معارف السبائهم

(١) التريبع والتدوير ص ٨١ .

(٢) التريبع والتدوير ص ٤٤ والحيوان ج ١ ص ٨١ ومناقب الترك ص ٦٨ .

(٣) البخلاء ص ٤٩ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١٥٣ .

(٥) في الجد والهزل ص ٢٥٣ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٨٧ .

(٨) الحيوان ج ٦ ص ١٧ .

والطير»^(١) وفي رسالة التريب والتدوير نستطيع أن نقف على طائفة من المسائل العلمية التي ثار حولها الجدل في العصر العباسي سواء في المنطق أو في الفلسفة أو في الكيمياء والصناعة أو في خلق الإنسان والأجناس والأمم المختلفة وكذلك الحيوان وما يتعلق به من علوم . أو في علم الفلك والطب والطبيعة أو في الأساطير والعادات وغير ذلك من المسائل التي يطرحها الجاحظ أمام أحمد بن عبد الوهاب الكاتب . وجملة المسائل التي طرحها كانت تشغل فكر العلماء والمفكرين في العصر العباسي أيام ازدهار الحضارة العباسية .

(١) الحيوان ج ٧ ص ١٠ .

الباب الثاني
الدراسة الدلالية

الفصل الأول
الانفاظ ذات الاصول العربية

الفصل الثاني
الانفاظ ذات الاصول غير العربية

الفصل الأول
الانفاظ ذات الاصول العربية

الفصل الأول الألفاظ ذات الأصول العربية

أولاً: الألفاظ الحضارية القديمة :

تاريخ اللغة مرآة ينعكس فيها تاريخ الحضارات الإنسانية ، فهي تواكب الحضارة في مسيرتها عبر القرون وتتلاءم وحاجات المتكلمين بها ، إذ أن صفات أى لغة من اللغات تظل مستمرة باستمرار أهلها بنفس نمط حياتهم وعاداتهم ، ويعتبر العامل الاجتماعي من أهم العوامل فى حياة اللغات ، وتظل مفردات اللغة التى خلفتها احتياجات الحياة خاضعة لتلك الحياة لتلبى رغباتها المتنوعة ، والتى لا تنتهى إلا بانتهاء الحياة نفسها . ونجد أن كل لفظة من ألفاظ اللغة لها دلالة معينة تحقق للإنسان غرضاً من أغراض حياته المتشعبة الاتجاهات ، وهذا مما يؤدي إلى صعوبة حصر ألفاظ اللغة ذات المعانى الدلالية المعينة .

الحديث عن تاريخ اللغة وحياة الألفاظ حديث طويل ويمتد إلى العصور السحيقة وفي النتيجة نرى أن الكلمة تعيش وتتفاعل ، والمعنى هو حصيلة الملابس التى عاشتها الكلمة^(١) . وفي مجال حديثنا عن اللغة العربية نرى أن هذه اللغة عاشت وتطورت بنيتها في تفاعل دائم مع طبيعة العلاقات الاجتماعية والحضارية والسياسية والدينية التى سادت في المجتمع العربي عبر التاريخ^(٢)

(١) علم اللغة العربية د. محمود حجازى ص ٣١٢ .

(٢) علم اللغة العربية د. محمود حجازى ص ٣١٦ .

واللغة العربية لها رصيدها الضخم من الألفاظ للتعبير عن معطيات الحضارة ، وهناك محاولات كثيرة لمعرفة ماضي اللغة العربية من خلال التاريخ المعروف اللهجاتها ودراسة ظواهرها بعد أن ضنت رمال الجزيرة بحكاية تاريخ أصحابها فيما قبل الجاهلية ، وصار هذا التاريخ مجالا لافتراضات عديدة^(١) . ومن خلال تتبعنا لمسيرة اللغة العربية نرى أن العربية تعرف كلمات ترجع إلى اللغة السامية الأم ، وهناك كلمات لاتعرفها من اللغات السامية إلا العربية^(٢) . وما إن نصل إلى العصر الجاهلي حتى نرى أن اللغة العربية قد ارتقت رقيا كبيرا وتطورت جميع لهجاتها التي تتكلم بها القبائل المختلفة ، ونشأت لهجة أدبية راقية تأخذ من هذه اللهجات جميعا^(٣) . وقد كان لهجرة القبائل العربية عقب الفتح الإسلامي وفي القرون التالية أكبر الأثر في انتشار اللغة العربية في أنحاء الدولة الإسلامية الكبرى . وهكذا نرى أن اللغات تتبع الأمم في صعودها وهبوطها وفي تطورها وتغيرها وأن كل تطوير في حياة الأمة يترك أثرا قويا « واضحا » في لغتها^(٤) . وتعتبر اللغة ظاهرة غير عادية شأنها في هذا شأن العرف والعادات السائدة في المجتمع . وتكتسب مفردات اللغة دلالتها من التجارب الكثيرة والأحداث الاجتماعية التي يمر بها الفرد^(٥) .

والكلمات التي تنتمي إلى نشاط المجموعات الاجتماعية يطلق عليها كلمات الحضارة . وفي مسيرتنا مع اللغة العربية نصل إلى عصر الجاحظ وكتاباتة وهي التي تحدد لنا الألفاظ الحضارية التي كانت سائدة في العصر العباسي عصر ازدهار الحضارة العباسية وألفاظها الحضارية .

(١) في التطور الدلالي د. عبد الصبور شاهين ص ٥ .

(٢) علم اللغة العربية د. محمود حجازي ص ٣١٢ .

(٣) المعجم العربي د. حسين نصار ج ١ ص ١٧ .

(٤) علم اللغة العربية د. محمود حجازي ص ٩٨ .

(٥) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٧٣ .

وتحدث الجاحظ في حيوانه عن سلطان الحظ على الناس وعلى الآثار الأدبية فقال : وكما تحظى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعض الألفاظ دون غيرها ، ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها ^(١) . وهذه الألفاظ التي قصدها الجاحظ في حديثه والتي سعدت بالخط واستمرت بسيرها عبر القرون هي ما ندعوه بالألفاظ الحضارية ذات الصفة التاريخية لأنها تحدد لنا أبعاد الحضارة في أي عصر من العصور التاريخية ، وقد وردت عند الجاحظ ألفاظ حضارية كثيرة جداً ، وسوف أتطرق لذكر بعض هذه الألفاظ مثل : سياسة ، ومملكة ، وولاية ، ووزراء ، وحاجب وحاشية وجمهور وجلة وبوش وخول ، ومعلمج ، وألاف ، وعامة وخاصة ، وعثرة ومحلة وقيم ، وطوافين ، والناشد ، وإمارة ، وثورية ، وإمام ، والربوبية ، ونظائر ، وظهريا ، وتسريح ، وجرثومة ، ورياضة ، وأزقة ، وقلة وشريعة ، وفرضة ومدود وسكان وملاح وأسياف ، وحرقة واحتكار ، وأصناف وأقطاع ووظيفة وغيرها من الألفاظ .

سياسة لفظة سياسة من الألفاظ الحضارية القديمة ، وزن سياسة فعالة من الفعل سوس ، وقد وردت هذه اللفظة في كتابات الجاحظ في أماكن متفرقة من كتبه السياسية والدينية وأيضاً في كتبه الأخرى ونراه يصف صعوبة السياسة فيقول : « وليس في الأرض عمل أكد لأهله من سياسة العوام » ^(٢) وقال أيضاً عن السياسة : « وإنما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط . والحكم هاهنا الحكم هناك ، ولولا ذلك ما قامت مملكة ، ولاثبتت دولة ، ولا استقامت سياسة » ^(٣) . وتناولت المعاجم العربية لفظة

(١) الحيوان ج ٢ ص ٢ ١

(٢) الحيوان ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

سياسية ، ففي اللسان جاء معني السياسة هي القيام على الشيء بما يصلحه .
والوالي يسوس رعيته ، وعن أبي زيد قال : سوس فلان لفلان أمرا فركبه ،
كما يقول سول له وزين له . وقال غيره : سوس له أمرا أى روضه وذلك .
والسوس : الرياسة ، يقال ساسوهم سوسا ، وإذا رأسوه قيل : سوسوه
وأساسوه . وساس الأمر سياسة : قام به ، وسوسه القوم : جعلوه يسوسهم
. وقال الجوهري : سست الرعية سياسة ، وسوس الرجل أمور الناس ، على
مالهم يسم فاعله ، إذا ملك أمرهم . وقال القراء : سوست خطأ^(١) . وفي
التاج جاءت شروح للفظه سياسة مثلما جاءت في اللسان إلا بعض
الاستدراكات مثل : وما - يستدرك عليه السوس : بالفتح الرياسة وساسوهم
سيوسا وإذا رأسوه قيل سوسوه وأساسوه ورجل ساس من قوم ساسة
وسواس^(٢) . ووضح مما سبق أن كلمة سياسة من الألفاظ الحضارية التي
عرفتها العربية قبل عصر الجاحظ . كما تشهد بذلك المعاجم العربية ، ثم استمر
استخدام الكلمة أيضا عند الجاحظ .

مملكة « مملكة » من الألفاظ التاريخية القديمة وزنها مفعلة . وجاء في
ديوان الأدب في باب مفعل بفتح الميم والعين ، وما ألحقت الهاء في هذا البناء
مملكة : مفعلة^(٣) .

وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : والحكم هاهنا الحكم هناك ،
ولولا ذلك ما قامت مملكة ولاثبتت دولة^(٤) . وفي اللسان : المملكة : سلطان
الملك في رعيته . ويقال طالت مملكته وساءت مملكته وحسنت مملكته وعظم

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) التاج ج ٤ ص ١٦٩ .

(٣) ديوان الأدب الفارابي ج ١ ص ٢٨٢ .

(٤) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

ملكه وكثر ملكه . قال ابن سيده : الملك والملك والملك احتواء الشيء والقدرة على الاستبدادية ، والمملكة والمملكة : سلطان الملك وعبيده ^(١) . وفسرت كتب اللغة لفظة المملكة وجاءت لها بالأوزان المختلفة ، فابن قتيبة يصنف هذه اللفظة في باب ما جاء على مفعلة وفيه لغتان مفعلة ومفعلة بفتح الميم مع فتح العين أو ضمها مملكة ومملكة قال : عبد مملكة ومملكة « إذا ملك ولم يملك أبواه » ^(٢) . فكلمة مملكة تعد من تلك الكلمات التي عرفت بها العربية واستمر استخدامها عند الجاحظ .

ولاية من الألفاظ التاريخية الحضارية القديمة وزنها على فعالة ، يقول ابن قتيبة ولاية وولاية من المولات من باب فعالة وفعالة ^(٣) . وردت عند الجاحظ بقوله : ولو قال أسلم فلان كان حكمه المحبة والولاية : فإذا كانوا كلهم قد قالوا : أسلم على وحكم أسلم يثبت الاختيار وإجابة الولاية ^(٤) . فسر صاحب اللسان الولاية من ولي الشيء وولي عليه ولاية وولاية عن ابن سيده وقيل : الولاية الخطة كالإمارة ، والولاية المصدر وقال ابن السكيت : الولاية بالكسر السلطان ، والولاية والولاية النصر . وقال سيويه : الولاية بالفتح ، المصدر ، والولاية ، بالكسر الاسم . وتولاه : اتخذه وليا وإنه لبين الولاية والولية والتولي والولاء والولاية والولاية وكذلك ولي الوالي البلد ^(٥) وجاء في التاج الولاية بالفتح في النسب والنصرة والعق والولاية بالكسر في الإمارة والولاء ، وعن الصحاح ورد قول لابن السكيت هم على ولاية أى مجتمعين في النصره يروي بالكسر والفتح جميعاً ^(٦) .

(١) اللسان ج ٣ ص ٥٢٨ وانظر التاج ج ٧ ص ١٨١ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٥٠ .

(٣) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٤٣ .

(٤) العثمانية ص ٢٠ .

(٥) اللسان ج ٣ ص ٩٨٤ .

(٦) تاج العروس ج ١ ص ٣٩٩ .

وزير الجمع وزراء جاءت على وزن فعلاء بضم ففتح ممدودا ويطرد في وصف مذكر عامل على زنة فعيل بمعنى فاعل ^(١) . وقد وردت الأخيرة عند الجاحظ بقوله : والمكارم الباقية الماثورة مع ما تضمنته من سير الملوك والخلفاء ووزرائهم وأتباعهم ^(٢) قال الزبيدي نقلا عن الجوهري : الوزير الموازر كالإكيل المواكل لأنه يحمل عنه وزره أي ثقله ، وقد استوزر فلان فهو يوازر الأمير ويتوزر له ووازره الأمر أعانه وقواه والأصل آزره . وقال ابن سيده : ومن هنا ذهب بعضهم إلى أن الواو من الهمزة أبعد ، وقال الزمخشري : وزير الملك الذي يوازره أعباء الملك أي يحامله وليس من الموازنة المعاونة لأن واوها عن الهمزة والفعل منها أوزير (وحالة الوزارة بالكسر وبفتح) والكسر أعلي والجمع أوزار كشریف وأشراف ووزراء والعامة تقول الوزر محرقة وعن أبي عمرو أوزره أحرزه ، ونص أبي عمر وأحرز به ويقال أوزره الشيء إذا ذهب به وأعبأه كاستوزره أوزره فهو موزر جعل له وزرا يأوي إليه أي ملجأ ، والوزير والموازر كالجلس المجالس ويقال وآزره على الأمر وآزره والأول - أفصح . والوزير علم من الأعلام ^(٣) .

الحاجب « على وزن فاعل هو ما اشتق من مصدر المبني للفاعل ، لمن وقع منه الفعل وتعلق به . وحاجب من الفعل الثلاثي حجب فعل ^(٤) وردت عند الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته حتى أنه خصص إحدى رسائله للحجاب ، وقال في هذه الرسالة : قال الفضل بن يحيى : إن حاجب الرجل عامله على عرضه ^(٥) قال صاحب اللسان : الحاجب البواب ، صفة غالبية ،

(١) شذا العرف الحملاوي ص ١٠٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٧ .

(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٦٠٢ وانظر اللسان ج ٣ ص ٩١٨ .

(٤) شذا العرف الحملاوي ص ٧٥ .

(٥) كتاب الحجاب ص ٤١ .

وجمعه حجة وحجاب وخطته الحجابة . وحجبه : أي منعه من الدخول .
وفي الحديث : قالت بنو قصي : فينا الحجابة ، يعنون حجابة الكعبة وهي
مدانتها وتولي حفظها وهم الذين بأيديهم مفاتيحها وحاجب الأمير :
معدونه ، وجمعه حجاب ، وحجب الحاجب يحجب حجباً . واستحجبه :
ولاه ، خجبه . والحجابة : ولاية الحاجب . وحاجب كل شيء : حرفه ^(١) .
وقال ابن قتيبة : حاجب الرجل حارس عرضه ، وقال : وقرأت في التاج أن
أبرويز قال لحاجبه : لاتقدمن مستغيثا ولا تضعن ذا شرف بصعوبة حجاب
ولا ترفعن ذا ضعة بسهولته وضع الرجال مواضع أخطارهم ^(٢) .

حاشية من الألفاظ الحضارية القديمة ووزنها على فاعلة اسما أو صفة ^(٣)
من الفعل حشا : فعل . وقد وردت عند الجاحظ في كلامه وهو يحدد هؤلاء
الناس الذين يتسمون بالحاشية قال : وفرض لسوى هؤلاء التفر من العجم من
الحاشية والعوام ^(٤) قال صاحب اللسان : الحشو من الكلام : الفضل الذي
لا يعتمد عليه . وكذلك من الناس . وحشوة الناس : رذالتهم وفلان من
حشوة بني فلان ، بالكسر أي من رذالهم . وتحشي في بني فلان إذا اضطموا
عليه وآووه . وجاء في حاشيته أي في قومه الذين في حشاه . وهؤلاء حاشيته
أي أهله وخاصته ، بالنصب أي في ناحيته وظله ^(٥) وكلمة الحاشية استمرت مع
الزمن على مر العصور وانتشر استخدامها في العصر العباسي .

(١) اللسان ج ١ ص ٥٦٨ وانظر التاج ج ١ ص ٣٠٢ .

(٢) عيون الأخبار ابن قتيبة ج ١ ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) شذا العرف الحملاوي ص ١٠٨

(٤) العثمانية ٢١٣ .

(٥) اللسان ج ١ ص ٦٤٧ وانظر التاج ج ١ ص ٨٩ .

الجمهور لفظة حضارية قديمة . ووزنها جاء على « فعلول »^(١) من باب فعلال وفعلول^(٢) وأصلها من الفعل « جمهر » فعلل . وقد وردت عند الجاحظ بقوله : هكذا ظاهر هذه القضية وجمهور هذه الحكومة^(٣) وجاء في اللسان : جمهور كل شيء : معظمه ، وجمهور الناس جلهم . وجماهير القوم أشرافهم . وفي حديث ابن الزبير قال لمعاوية : إنا لاندع مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه أي جماعاتها ، واحدها جمهور وجمهرت القوم جمعتهم^(٤) . ويعقب الزبيدي على ما جاء في اللسان فيقول : في التاج : الجمهور بالضم قال شيخنا هذا هو المشهور والمعروف الذي يجب الوقوف عنده ، وما حكاه ابن التلمساني في شرحه على الشفاء من أنه يقال بالفتح ونقله شيخنا الزرقاني في شرح الذهب ، قال شيخ شيوخنا الشهاب إن ما نقله التلمساني من الفتح غريب وقد تقرر عندهم أنه ليس لهم فعلول بالفتح فلا سماع ولا قياس يثبت به هذا الفتح^(٥) والجمهور كلمة معروفة منذ العصور البعيدة فهي لفظة ذات جذور حضارية وقويت هذه الجذور في عصر الجاحظ وأصبح لها استعمالات كثيرة .

جِلَّة من الألفاظ الحضارية القديمة ووزنها فعلة بكسر فسكون ، ولم يطرده في شيء بل سمع في ألفاظ^(٦) . وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ فقال : شيوخنا من جِلَّة الشيعة ، وكهولا من أبناء رجال الدولة والمنسويين إلى الطاعة

(١) ديوان الأدب الفارابي ج ٣ ص ١١٢ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٥٢ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٥٠٦ .

(٥) تاج العروس ج ٣ ص ١١٠ .

(٦) شذا العرف الحملاني ص ١٠٣ .

والمناصحة^(١) ، وقد فسر صاحب اللسان لفظة الجِلَّة فقال : قوم جِلَّة : ذور أخطار وعن ابن دريد مشيخة جلة أي مَسَّان ، والواحد منهم جليل . وجل الرجل جلالة فهو جليل : أسن وفي حديث الدعاء : اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله أي صغيره وكبيره^(٢) ، وفي التاج قال الزبيري : قوم جلة بالكسر وجل جلالة عظم قدره فهو جليل^(٣) .

بَوْش على وزن فَعْل فهو اسم جمع قال عنه سيويه اسم جمع لا مفرد من لفظه يقع على الجميع ولم يكسر عليه واحدة^(٤) وقال الفارابي بوش من باب فعل بفتح الفاء وتسكين العين^(٥) وقد ذكر هذه اللفظة الجاحظ في حديثه عن الدور وصيانتها وسكانها قال : وإذا كثر الصبيان ، وتضاعف البَوْش نزعت مسامير الأبواب ، وقلعت كل ضربة ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة^(٦) . وفي اللسان فسرت لفظة البوش بالجماعة الكثيرة وعن ابن سيده البوش والبوش : جماعة القوم لا يكونون إلا من قبائل شتي ، وقيل : بوشي بآشي ، والأوباش جمع مقلوب منه ، والبوش الرجل الفقير الكثير العيال . وقيل البوش : الجماعة والعيال ، وقيل : هما الكثرة من الناس ، وقيل الجماعة من الناس المختلطين . وجاء من الناس الهوشي والبوش أي الكثرة وعن أبي زيد وبوش القوم : كثروا واختلطوا وتركهم هوشًا بوشًا أي مختلطين^(٧) ، وفي

(١) مناقب الترك ص ٨ .

(٢) اللسان ج ١ ص ٤٨٧ .

(٣) التاج ج ٧ ص ٣٥٩ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٥) ديوان الأدب ج ١ ص ٩٣ .

(٦) البخل ص ٨٢ .

(٧) اللسان ج ١ ص ٢٨٧ .

التاج قال الفراء : وباش يبوش بوشا إذا صحب البوش وهم الغوغاء عن ابن الأعرابي ^(١) .

خول على وزن فعل اسم جنس إفرادي وهو ما يصدق على القليل والكثير ^(٢) ذكرها الجاحظ في أماكن عديدة ومعها مشتقاتها المتنوعة فقال : وكل ما نقله كتابها للإنسان خول ومتاع إلى حين ^(٣) وقال في رسائله : قالوا : ومنا المغول وبنوه ، وهم من الخول ، ليس في الأرض أعرف ولا أثقف ولا أعلم بالبادية منهم ^(٤) وجاء بالفعل أيضاً من هذه اللفظة فقال : وتستوى لهم الرياسة على طعام الناس ورعاعهم ويستخولون رعاعهم وقومهم ^(٥) . قال صاحب اللسان خول ، وخول ، وخوله المال : أعطاه إياه ، وقيل أعطاه إياه تفضلاً . وخول الرجل : حشمه الواحد خائل ، وقد يكون الخول واحداً وهو اسم يقع على العبد والأمة قال الفراء : هو جمع خائل وهو الراعي وقال غيره : هو مأخوذ من التخويل وهو التمليك . قال ابن سيده : الخول ما أعطي الله سبحانه وتعالى الإنسان من النعم الخول : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء ، وهو مما جاء شاذاً عن القياس وإن اطرده في الاستعمال ، وقال الفراء : القوم خول فلان ، ومعناه أتباعه ، وقال : خول الرجل الذي يملك أمورهم وخولك الله مالا أي ملكك . وخال يخول خولا إذا صار ذا خول بعد انفراد . والتخول : التعهد وتخول الرجل : تعهده . والخول ما أعطي الله سبحانه وتعالى الإنسان من النعم .

(١) التاج ج ٤ ص ٣٨٤ .

(٢) شذا العرف الحملاوي ص ١١٦ .

(٣) كتاب القيان ص ١٤٦ .

(٤) فخر السودان على البيضاء ص ١٩٣ .

(٥) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٩ .

واستخول في بني فلان : اتخذهم أخوالا والاستخوال : مثل الاستخيا
من أخيلته المال إذا أعرتة ناقة ليتفع بالبانها وأوبارها ^(١) .

مَعْلَهج جاء وزنها على مفعّل من الفعل علج : فعل ^(٢) وهو وزن المفعول
من الرباعي وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : وكلهم مع ذلك عربي
خالص غير مشوب ولا معلهج ^(٣) وفسرت المعاجم العربية لفظة المعلهج وكذلك
كتب اللغة تناولت هذه اللفظة بالشرح الطويل المسهب . ففي اللسان جاء أن
المعلهج هو الذي ولد من جنسين مختلفين ، وعن ابن سيده : المعلهج الذي
ليس بخالص النسب . وقال الجوهري الهجين . وقال السليث : المعلهج :
الرجل الأحمق الهذر اللثيم ^(٤) . وفي التاج المعلهج بمعنى الهجين بزيادة
الهاء ، وحكم الجوهري الهاء غلط . وقال شيخنا : لا غلط فإن أئمة الصرف
قاطبة صرحوا بزيادة الهاء فيه ، ونقله أبو حيان في شرح التسهيل وابن القطاع
في تعريفه وغير واحد ، فلا وجه للحكم عليه بالغلط في موافقة الجمهور
والجري على المشهور واستدراك صاحب التاج فقال : وما يستدرك عليه في
هذه المادة العلج بالكسر الرجل الشديد الغليظ ^(٥) . ومن كتب اللغة التي تناولت
هذه اللفظة بالشرح كتاب القالي وقد ذكر القالي لفظة المعلهج في باب الهاء
والعين إذا اجتمعتا ، قال أبو علي ، قال ابن الأعرابي : المعلهج الذي ليس
خالص النسب ونقل عن الخليل قوله : المعلهج الأحمق الهذر اللثيم ^(٦) ونري

(١) اللسان ج ١ ص ٩٢٢ وانظر التاج ج ٧ ص ٣١٢ .

(٢) تهذيب اللغة ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٣) مناقب الترك ص ١٠ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٨٧٣ .

(٥) التاج ج ٢ ص ٧٦ .

(٦) البارع للقالي ص ١٨٥ - ١٨٦ وقد ورد في هذه المادة عنده شاهدان ، أحدهما منسوب إلى أبي

الجون الخزاعي .

أن كلمة الملهج من الكلمات الحضارية القديمة ، وقد وردت عند الجاحظ استمرارا لاستخدامها اللغوي في لغة أهل عصره والعصور السابقة إذ أنها تهتم بأصول الأشخاص المتتمين إلى القبائل العربية ، وهكذا استمرت معهم ومع حضارتهم في العصر العباسي .

الألف جاءت على وزن فُعَال وهذا الوزن فيه أقوال إذ يعده سيبويه سماعيا^(١) ويعدّه الرضوي اسم جمع ويصنّفه ابن قتيبة في باب فُعَال جمعا لفعل قال : وإذا أرادوا المبالغة شددوا^(٢) . لفظة حضارية قديمة وردت عند الجاحظ في كتاباته فقال : إن - احترست منك ألفيت لنفسي كذا شديدا وغما طويلا ، وطال اغترابي واقتراق الألفي وتعرضت للعدو^(٣) . فسر صاحب اللسان الألف جمع أليف ، ويقال : فلان أليف وهم الألفي . يجوز الألف وهو جمع أليف والألف جمع ألف ، وقد اتلف القوم اثلافا وألف الله بينهم تأليفا . وقال ابن الأعرابي : وألف الشيء ألفا وألafa وولافا . وعن ابن الأعرابي أيضا وشارطه مؤالفة أي على ألف ، وألف الشيء ألفا وألفانا وألفة : لزمه وألفه إياه ألزمه . وقال أبو زيد : ألفت الشيء وألفت فلانا إذا أنست به وألفت بينهم تأليفا . إذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وألفت فلانا الشيء إذا ألزمته إياه أولفه إيلافا . والألف : الأليف . يقال : حنت الألف . وجمع الأليف الألف مثل أفيل وأفائل^(٤) وقال الزبيدي في معجمه الألف بالكسر الأليف تقول حن فلان إلى فلان حنين الإلف إلى الإلف والجمع آلف وجمع الأليف الألف مثل تبيع وتبائع .

(١) الكتاب ج ٢ ص ١٩٦ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٤٠ .

(٣) في الجدل والهزل ص ٣٥١ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٨٣ ورد هنا شاهد منسوب للي الرمة فيه لفظة آلف .

والألف كصبور الكثير الألفة والجمع ألف ككتب . وهو ألف ككاتب والجمع أَلَف ككُتِّب وفي الحديث المؤمن ألف مألوف وهي ألفة جمع ألفات وأوالف . وتألف فلان فلانا إذا داراه وآنسه وقاربه وواصله فيما يصل إليهم من المال وتألف القوم تألفا اجتمعوا كاتلفوا ائتلافا ^(١) . وتعد هذه اللفظة من الألفاظ التي تتناولها الألسن في كل عصر وأوان فهي ذات صلة وثيقة بالنفس البشرية على مر العصور .

عامة جاءت على وزن فعلة من الفعل عمم : فعل . وهي من الألفاظ الحضارية القديمة التي وردت عند الجاحظ متلازمة مع لفظة خاصة على وزن فعلة ، قال الجاحظ : « والعامة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم إلا من قبل الخاصة ، والخاصة لم تذكر هؤلاء دون أولئك ، فتركت تحصيل الأمور والموازنة بين الرجال وحكمت بالسابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ، ثم استوت علل العامة في ذلك وتشابهت » ^(٢) . وقال : « والمعلمون عندي على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة » ^(٣) وفسر صاحب اللسان هذه اللفظة فقال : والعامة : خلاف الخاصة قال ثعلب : سميت بذلك لأنها تعم بالشر . ويقال رجل عمى ورجل خصى ، فالعمى العام ، والخصى الخاص . وفي الحديث : كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله ، وجزءا لأهله ، وجزءا لنفسه ، ثم جزءا جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، أراد أن العامة كانت لاتصل إليه في هذا الوقت ، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه ، فكانه وصل الفوائد إلى العامة بالخاصة ^(٤) . وقال الزبيدي في معجمه

(١) تاج العروس ج ٦ ص ٤٤ - ٤٦ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ١٠٤ .

(٣) البيان والتين ج ١ ص ١٧٤ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٨٩٠ .

التاج : العامة : بتشديد الميم وقال ثعلب إنما سميت عامة لأنها تعم بالشر وقال الراغب لكثرتهم وعموميتهم في البلاد . والععم اسم جمع للعامة وهي خلاف الخاصة^(١) . وتعلق الدكتور دعيعة على استعمال لفظة العامة والخاصة عند الجاحظ فتقول : يميز الجاحظ بين طبقتين : خاصة وعامة والسبب كما يبدو هو أن الناس عند الجاحظ كلهم من طبقتين : خاصة وعامة^(٢) . ويصف الجاحظ العامة بصفات تشابه مع السفلة من الطبقات الدنيا للمجمع العباسي فيقول : والعامة والباعة والأغبياء والسفلة كأنهم أعذار عام واحد وهم في باطنهم أشد تشابهاً من التوأمين في ظاهرهما وكذلك هم في مقادير العقول وإن اختلفت الصور والنعم^(٣) وزن عامة فعلة من الفعل عمم : فعل .

عُتْرَة على وزن فعلة من الفعل عتر : فعل والعتر : مصدر عتر بعتر عتار إذا اضطرب^(٤) . من الألفاظ الحضارية ذات الجذور القديمة وردت عند الجاحظ بقوله : « وعلى أبرار عترة الطيبين الأخيار »^(٥) قال صاحب اللسان عترة الرجل : أقرباؤه من ولد غيره ، وقيل : هم قومه ديننا ، وقيل هم رهطه وعشيرته الأذنون من مضى منهم ومن غير . ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه : نحن عترة رسول الله ﷺ التي خرج منها ويبضته التي تفقأت عنه . وقال أبو عبيدة وغيره : عترة الرجل أسرته وفصيلته ، وقال ابن الأثير : عترة الرجل أخص أقاربه . وقال ابن الأعرابي : العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه^(٦) . وفي تاج العروس تفصيل أكثر لكلمة عترة وهي نسل الرجل

(١) تاج العروس ج ٨ ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٢) الجاحظ والحاضرة العباسية د . دعيعة طه النجم ص ٨٤ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٠٥ .

(٤) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٢٨ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٦) اللسان ج ٢ ص ٦٧٦ .

وأقرباؤه من ولد وغيره . وقال ابن سيده : عترة الرسول ﷺ ولد فاطمة رضي الله عنها . وقال : وعترة النبي ﷺ عبد المطلب وولده ، وقيل عترة أهل بيته الأقربون وهم أولاده وعلى وأولاده وقيل عترة الأقربون والأبعدون منهم ، ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه قال النبي ﷺ حين شاور أصحابه في أساري بدر عترتك وقومك أراد بعترة العباس . ومن كان فيهم من بني هاشم وبقومه قريشا ، والمشهور المعروف أن عترة أهل بيته وهم الذين حرمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة وهم ذوو القربي الذين لهم الخمس المذكور في سورة الأنفال (١) .

من نص الجاحظ يتبين لنا أن كلمة عترة بمعنى أهل البيت المقربون لمن تخصه العترة فهم أولاده وذريته والجاحظ كان يقصد في نصه عترة النبي ﷺ .

مَحَلَّة على وزن مفعلة من الفعل حل : فعل وردت في كتابات الجاحظ وتناولتها الكتب التاريخية واللغوية فهي من ألفاظ الحضارة القديمة ، قال الجاحظ : نقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة (٢) وقال : ولكن محلة شيخ (٣) ومن المؤرخين الذين تناولوا التنظيمات الخاصة بالمحلة العباسية الطبري فقال : كان من واجبات الشيخ في المحلة أن يكون واسطة بين أبناء محلته والسلطة (٤) . ويقول التوحيدي : كما أن الحكومة كانت تستعين به لمعرفة شؤون محله كمعرفة الفقراء أو مرتكبي الجرائم بها (٥) . والشيخ له فاعليات

(١) تاج العروس ج ١ ص ٣٨٠ .

(٢) مناقب الترك ص ٢٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٢٠ .

(٤) تاريخ الطبري ج ٩ ص ٣٣٥ .

(٥) الامتاع والموانسة التوحيدي ج ٣ ص ٢٦ .

متعددة بالنسبة لمحلته فنري التنوخي يذكر أن شيخ المحلة يحضر عادة مراسيم عقد الزواج مع القاضي^(١) . وقال ابن الجوزي : إن شيخ المحلة كان له مجلس يجتمع فيه أفراد محلته للسمر والحديث^(٢) . ويشير ابن الأثير إلى أن سكان كل محلة كانوا يشعرون بنوع من الرابطة المتينة بينهم فكان أهل كل محلة يتعصبون لمحلتهم ضد المحال الأخرى^(٣) . أما أصحاب المعاجم فقد تناولوا لفظة المحلة بالتفسير والرجوع بها إلى جذورها الأصلية ، فصاحب اللسان يقول حل بالمكان يحل حلولاً ومحلاً وحلاً وحلاً بفك التضعيف نادر وذلك نزول القوم بمحلة وهو نقيض الارتحال قال : ويكون المحل الموضع الذي يحل فيه ويكون مصدراً . وإذا قلت المحل بكسر الحاء فهو من حل يحل أي وجب يجب قال الله عز وجل : وقد بلغ الهدي محله ، أي الموضع الذي يحل فيه نحره ، والمصدر من هذا بالفتح أيضاً . والمكان بالكسر والحلة : مجتمع القوم هذه عن اللحياني . والمحلة : منزل القوم . وهو بكسر الحاء يقع على الموضع والزمان^(٤) .

وهذه اللفظة تعد من الألفاظ الحضارية القديمة منذ أن عرف العرب الاستيطان وهذا ما قصده الجاحظ باستخدامه لهذه اللفظة .

قيّم على وزن فيعل من الفعل قوم : فعل قال الجاحظ في حديثه عن أحد الكتاب : « ولم يزل بمكانه في ديوانه قيماً لابن أبي خالده الأحول »^(٥) وفي اللسان : القيم السيد وسائس الأمر . وقيم القوم : الذي يقومهم ويسوس

(١) الفرج بعد الشدة التنوخي ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٢) المتظم ابن الجوزي ج ٥ ص ١٠٨ .

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٤١٨ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٧٠٣ وانظر التاج ج ٧ ص ٣٨٤ ولهذه اللفظة ورد في التاج شاهد منسوب للنايغة .

(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ٢٠٢ .

أمرهم . وفي الحديث ما أفلح قوم قيمتهم امرأة . وقيم المرأة : زوجها في بعض اللغات^(١) . وقال الزبيدي هو قيم أهل بيته كعنب بمعنى قيام به ، قريء قوله تعالى : ﴿ جعل الله لكم قيما ﴾ أي بها تقوم أموركم وهي قراءة نافع . وقيم الأمر : ككيس مقيمه وأمر قيم مستقيم وخلق قيم حسن ودين قيم مستقيم . وقال الفراء الأصل في قيم قويم على فعيل إذ ليس في أبنية العرب فيعل وقال سيبويه وزنه فيعل وأصله قيوم والقوام المتكفل بالأمر ، وأيضاً كثير القيام بالليل وقام إلى الصلاة هم بها وتوجه إليها بالعناية والقيام بعد الأذان معروفة وجمع قيم عند كراع قامة . وقال الزجاج قيم مصدر كالصغر والكبر أي الاستقامة^(٢) .

والقيم لفظ حضارية قديمة وردت في الشعر الجاهلي واستمرت إلى أن جاء عصر الجاحظ وكثر استخدامها اللغوي .

طوافون من الألفاظ الحضارية القديمة وجاءت هنا جمعا لمذكر سالم من المفرد طواف . ذكرها الجاحظ في حديثه عن أصحاب المهن قال : « القرادين والمتكسين والطوافين »^(٣) الطواف في اللسان فقال شبهها بالخدام الذي يطوف على مولاه ويدور حوله أخذاً من قوله تعالى : ﴿ ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم ﴾ ولما كان فيهم ذكور وأناث قال : الطوافين والطوافات . وقال أبو الهيثم : الطائف هو الخادم الذي يخدمك برفق وعناية وجمعه الطوافون . وقال النبي ﷺ في المهرة : إنما هي من الطوافات في البيت أي من خدم البيت^(٤) .

(١) اللسان ج ٣ ص ١٩٤ .

(٢) تاج العروس ج ٩ ص ٣٧ ، وقد وردت في هذه المادة شاهد منسوب إلى كعب بن زهير .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٢٨ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٦٢٧ .

وفي تاج العروس قال أبو الهيثم وقال ابن دريد الطوافون الخدم والممالك^(١) . وقال ابن قتيبة طاف حول الشيء يطوف طوفا وطوفا وطاف الخيال يطيف طيفا وأطاف يطاف أطياف إذا قضى حاجته وأطاف به يطيف أطافه إذا ألم به^(٢) .

الناشد على وزن فاعل من الفعل نشد : فعل ذكرها الجاحظ فقال : فوالله ما شعرت إلا والناشد قد جاءني وهو يطلب جعله^(٣) . قال صاحب اللسان الناشد : المعرف وغيره أراد بالناشد أيضاً رجلاً قد ضلت دابته فهو ينشدها أي طلبها . قال : وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد الطالب والمعرف جميعاً . ومما يبين لك أن الناشد هو الطالب حديث النبي ﷺ ، حين سمع رجلاً ينشد ضالة في مسجد فقال : يا أيها الناشد غيرك الواجد . معناه لا وجدت ، وقال ذلك تأدياً له حين طلب ضالته في المسجد ، وهو من النشيد : رفع الصوت^(٤) .

أما الزبيدي فهو يشرح لفظة الناشد بإسهاب مع الشواهد والأمثلة فيقول في الناشد : قال كراع في المجرد وابن القطاع في الأفعال يقال نشدت الضالة طلبتها وعرفتها . ونشد فلاناً عرفه بتخفيف الراء معرفة وروي عن المفضل الضبي أنه قال زعموا أن امرأة قالت لابتها احفظي بيتك ممن تنشدين أي لاتعرفين . ونشد بالله استحلف . وقال ابن الأثير : النشدة مصدر وأما نشدك فقليل إنه حذف منها التاء وأقامها مقام الفعل وقيل هو بناء مرتجل كعقدك الله

(١) تاج العروس ج ٦ ص ١٨٥ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٦٣ .

(٣) الحيوان ج ٦ ص ٤٦١ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٦٣٤ . وقد ورد شاهد ذكره أبو عمر بن العلاء منسوباً لأبي داود فيه هذه اللفظة الحضارية القديمة التي حدد الجاحظ مفهومها في نصه .

وعمر ك الله . وقال شيخنا في قوله وأصله نشدتك طلبت إيماء إلى أنه مأخوذ من نشد الضالة إذا طلبها ، وصرح به غيره ، وفي المشارق للقاضي عياض أصل الإنشاد رفع الصوت ومنه إنشاد الشعر . وفي المحكم أنشد الضالة عرفها واسترشد عنها .

وفي الحديث في حرم مكة لا يختلي خلاها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد قال أبو عبيد : المنشد المعروف قال والطالب هو الناشد . وحكى اللحياني في النوادر نشدت الضالة إذا طلبتها وأنشدتها ونشدها بغير ألف إذا عرفتها ، قال ويقال : أشدت الضالة أشيدها إشادة إذا عرفتها ، وقال الأصمعي كل شيء رفعت به صوتك فقد أشدت به ضالة كانت أو غيرها .

ومما يستدرك عليه الناشدون الذين ينشدون الإبل ويطلبون الضوال فيأخذونها ويحبسونها على أربابها وفي حديث عثمان فأنشد له رجلا أي أجابوه ، وهذه الألف تسمى ألف الإزالة .

أمانة جاءت على وزن فعالة من الفعل أمرو يصاغ المصدر من هذا الوزن فعل يفعل على فعالة^(١) . وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله لأحدهم « كل من كان بالصباح أصبح الأماليس حيث لا أمانة ولا هادي ، مع حاجته لبعد الشقة - مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه »^(٢) . وفسر صاحب اللسان لفظة أمانة بالعلامة ، وقال : الأمار جمع الأمانة ومنه الحديث : فهل للسفر أمانة ؟ والأمانة والأمار : الموعد والوقت المحدد ، وهو أمار لكذا أي علم . وعم ابن الأعرابي بالأمانة الوقت فقال : الأمانة الوقت ، ولم يعين أمحدود أم غير محدود ؟ وعن أبي عمرو قال : الأمارات : الأعلام ، وأحدثها أمانة ،

(١) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٨ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ٣٠ .

وقال غيره : وأماره مثل أمرة . وكل علامة تعد فهي أماره . وتقول : هي أماره ما بيني وبينك أي علامة . وقال ابن سيده : الأمرة العلامة والجمع كالجمع ، والأمار الوقت والعلامة ^(١) . وفي التاج جاء الحديث الذي ذكره ابن مسعود عن الأمار قال : ابعثوا بالهدي واجعلوا بينكم وبينه يوم أمار « والأمار والأمرة العلامة » ^(٢) وقال الهمذاني موردا تفسيراً للفظه أماره والجمع أمارات فهي عنده تعني العلامة وجمعها علامات قال : هذه علامات اليمن وأمارات الخير وتباشير النصر وآية من آيات الساعة أي علامة من علاماتها ^(٣) . ومن نص الجاحظ نفهم معني الأماره هذه اللفظة التاريخية القديمة والمعجم وضحت صورتها وأبعادها وإن كان الجاحظ واضحاً في ذكره لهذه الكلمة وما تعنيه .

تورية وزنها على تَفْعَلَة جاءت من الفعل غير الثلاثي فتكون في المصدر على فَعَلْ بتشديد العين قال ابن قتيبة : يجيئ مصدر فعلت على التفعيل ، والفعال ، وفي بنات الباء والواو على تفعلة ^(٤) ووردت هذه اللفظة عند الجاحظ في حديثه عن المسائل الكلامية قال : فطته عند الرشق والتورية فإن فضل الفطنة ربما دل على فرط الاكتراث ^(٥) قال صاحب اللسان استوريت فلانا رأيا سألته أن يستخرج لي رأيا ، قال : ويحتمل أن يكون من التورية عن الشيء ، وهو الكناية عنه ، ووريت الخبر أوريه تورية إذا سترته وأظهرت غيره ، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان لأنه إذا قال وريته فكأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر ^(٦) .

(١) اللسان ج ١ ص ٩٨ وقد أورد صاحب اللسان شاهداً منسوبا للعجاج يذكر فيه لفظة أماره .

(٢) تاج العروس ج ٣ ص ١٩ .

(٣) الألفاظ الكتابية الهمذاني ص ٤٦ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٩ .

(٥) في الجد والهزل ص ٢٣٧ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ٩١٦ .

وفي التاج وري الخبر تورية ستره مأخوذ من وراء الإنسان كذا في الصحاح ، وقال كراع ليس من لفظ وراء لأن لام وراء همزة ووري عن كذا أراد وأظهر غيره وفي الحديث كان إذا أراد سفرا وري بغيره أي ستره وكني عنه ومنه أخذ أهل المعاني والبيان التورية ووري عنه تورية نصره ودفعه عنه وهو نص ابن الأعرابي^(١) هذه اللفظة تين لنا المباحث الكلامية وإلى أي مدي وصلت في ذلك العصر العباسي الزاهر وكيف استخدمها الجاحظ في كتاباته فهي متداولة في لغة أهل عصره والعصور السابقة .

إمام جاءت على وزن فَعَال وهو مصدر للفعل أمم ، قال ابن قتيبة ويحيى مصدر فاعلت على فعال^(٢) وذكر الجاحظ الإمام فقال يصف تأويل أبي لقمان : « حين جعل الإمام جزءا لا يتجزأ »^(٣) وقال يصف مذهب الروافض : وإنما صارت الروافض إلى إكفار الأنصار والمهاجرين بزعمهم أن النبي ﷺ نص إمامته ودل على فضيلته^(٤) في هذا النص ذكر الجاحظ لفظة الإمامة وهي تلازم لفظة الإمام أحيانا وتمت لها بالصلة ووزن إمامة فعالة من نفس مادة إمام ، أما المعاجم العربية فلها مع هذه اللفظة حديث طويل قال صاحب اللسان : يقال : فلان إمام القوم معناه هو المتقدم لهم - ويكون الإمام رئيسا كقولك إمام المسلمين ، ويكون الكتاب قال الله تعالى : ﴿ وإني جعلت إماما مبين ﴾ ويكون الإمام المثال ، والدليل : إمام السفر . وقوله عز وجل : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع . وقيل : الإمام جمع أم كصاحب وصحاب ، وقيل : هو جمع إمام ليس على حد عدل ورضا لأنهم قد قالوا إمامان ، وإنما هو جمع مكسر ، قال ابن سيده : أنبأني بذلك

(١) تاج العروس ج ١٠ ص ٣٨٩ وذكر صاحب التاج هذه اللفظة في شاهد منسوب للفرزدق .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٨ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٨ .

(٤) العثمانية ص ١٣٩ .

أبو العلاء عن أبي على الفارسي قال : وقد استعمل سيبويه هذا القياس كثيراً قال : والإمة والإمام^(١) . وقال صاحب التاج ما قاله الجوهري : الإمام الذي يقتدى به والجمع بلفظ الواحد وجمع إمام أئمة على أفعلة فأدغمت الميم فنقلت حركتها إلى ما قبلها فلما حركوها بالكسر جعلوها ياء . وقال الأنخفش جعلت الهمزة ياء لأنها في موضع كسر وما قبلها مفتوح إمام كمثال وأمثلة ولكن الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية وألغيت حركتها على الهمزة فقلبت أئمة فأبدلت العرب من الهمزة المكسورة الياء . وعن معنى الإمام قال الخليفة إمام الرعية وقد بقي هذا اللقب على ملوك اليمن إلى الآن ، وقال أبو بكر يقال فلان إمام القوم معناه هو المتقدم عليهم^(٢) . وهذه اللفظة من الألفاظ الحضارية القديمة والتي استخدمها الجاحظ في كتاباته كثيراً فجاءت تبين بعدا من أبعاد الحضارة .

نظائر نظائر على وزن فعائل بالفتح وكسر ما بعد الألف ويترد في الرباعي الذي مؤنثه على فعلية وثالثه مدة^(٣) . قال الجاحظ مورداً هذه اللفظة الحضارية القديمة : وعرفوا الشرائع والفروع ففرقوا ما بين الأشباه والنظائر^(٤) تفسير النظائر اللفظة في اللسان هي المثل والشبه في الأشكال ، والأخلاق والأفعال والأقوال ، قال الفراء : يقال نظيرة قومه ونظورة قومه للذي ينظر إليه منهم ، ويجمعان على نظائر ، وجمع النظير نظراء والأنثى نظيرة ، والجمع النظائر في الكلام والأشياء كلها . وفي حديث ابن مسعود : لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقوم بها عشرين سورة من المفصل ، يعنى سور المفصل ،

(١) اللسان ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) التاج ج ٨ ص ١٩٣ وذكر الزبيدي شاهداً للناصفة مورداً فيه لفظة إمام .

(٣) شذا العرف الحملوى ص ١٠٩ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٣٨ .

سميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض في الطول ^(١) .

قال الزبيدي : والنظائر الأفاضل والأمثال لاشتباه بعضهم ببعض في الأخلاق والأفعال والأقوال . والنظيرة والنظورة نقله الصاغانى ويجمعان على نظائر وناظره صار نظيراً له في المخاطبة ، وناظر فلانا بفلان جعله نظيره ومنه قول الزهرى محمد بن شهاب لاتناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله ﷺ . ومن المجاز ما كان هذا نظيراً لهذا ولقد أنظر به كما يقال ما كان خطيراً . وقد أخطر به وقال الأصمعى عدت إيلهم نظائر أى مثنى مثنى والنظار ككتاب الفراسة ^(٢) .

هذه اللفظة الحضارية استخدمت في عصر الجاحظ كثيراً وخاصة عند أصحاب علم الكلام فهى وإن كانت قديمة إلا أنها شاعت وكثر استخدامها في العصر العباسى .

ظَهْرِيّ : على وزن فعلىّ منسوب إلى الظهر ذكرها الجاحظ بقوله : وإذا تجاوز المطلوب مقدار وسعها وحاجتها فصار ظهرياً وفضلاً استخفت به وقل في أعنيها كثيرة ^(٣) فسرت هذه اللفظة في اللسان بقوله : واتخذتموه وراءكم ظهرياً ، أى لم تلتفتوا إليه وهو استهانة بحاجة الرجل ، وجعلنى بظهر طرحنى وظهر الشيء ظهوراً ، ونقل عن ابن سيدة : واتخذ حاجته ظهرياً استهان بها كأنه نسبها إلى الظهر على غير قياس . ويقال للشيء الذى لا يعنى به : قد جعلت هذا الأمر بظهر ورميته بظهر ^(٤) . وفسر صاحب التاج لفظة ظهرياً فقال : هى من الاستظهار والاحتياط . ومنه قوله عز وجل حكاية عن شعيب واتخذتموه

(١) اللسان ج ٣ ص ٦٦٦ .

(٢) تاج العروس ج ٣ ص ٥٧٣ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٥٥ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٦٥٦ .

وراءكم ظهريًا والجمع ظهاريّ مشددة ممنوعة من الصرف لأن ياء السنة ثابتة في الواحد كذا في الصحاح ومن المجاز ظهر بحاجتى كمنع . واتخذها ظهريًا وظهرية أى خلف ظهر كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم . وقال ابن سيده واتخذ حاجته ظهريًا استهان بها ^(١) .

واستخدام الجاحظ هذه اللفظة الحضارية القديمة دلالة على استمرارها ومعاشتها للعصر العباسى عصر الحضارة الزاهرة .

جُرْثُومَةٌ من الألفاظ التى وردت عند الجاحظ وهى لفظة حضارية قديمة وقد ذكر الجاحظ لفظة الجرثومة فقال : الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها ^(٢) قال صاحب اللسان جرثم : والجرثومة : الأصل ، وجرثومة كل شئ أصله ومجتمعه وقيل : الجرثومة ما اجتمع من التراب فى أصول الشجر ، عن اللحيانى وجرثومة النمل قريته . وقال الليث : الجرثومة أصل شجرة يجتمع إليها التراب . والجرثومة التراب الذى تسفيه الريح ^(٣) ، وهى أيضًا ما يجمع النمل من التراب ، وفى حديث ابن الزبير : لما أراد أن يهدم الكعبة وبينها كانت فى المسجد جراثيم أى كان فيها أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين ، أراد إن أرض المسجد لم تكن مستوية . واجرثم القوم إذا اجتمعوا ولزموا موضعًا وتجرثم الرجل : اجتمع ، وروى عن بعضهم : الأسد جرثومة العرب فمن أضل نسبه فليأتهم ، وفى الحديث : تميم برثمتها وجرثمتها ، الجرثومة هى الجرثومة وجمعها جراثيم وفى حديث على : من سره أن يقتحم جراثيم جهنم فليقض فى الجد .

والجرثومة : الغلصمة . واجرثم الرجل وتجرثم إذا سقط من علو إلى

(١) تاج العروس ج ٣ ص ٣٧٣ ، وأورد الزبيدي فى معجمه شاهدًا للفرزدق يذكر فيه هذه اللفظة .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٤ .

(٣) اللسان ج ١ ص ٤٣١ .

أسفل وجرثم : موضع . وفسر صاحب التاج لفظة جرثومة وجاء بما ذكره اللسان من تفاسير وإن أضاف بعض الإضافات قال : الجرثومة قرية النمل . والجرثومة الغلصمة وأبو ثعلبة الخشني اختلف في اسمه فقل جرثوم بنى ناشر أو ناشم صاحبى رحمته . ومنه حديث خزيمة : « وعاد لها النقاد مجرثما » أى مجتمعا منقبضا من شدة الجذب والنقاد صغار الإبل . ومما يستدرك عليه الجراثيم أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من طين وتراب والاجرثام الانقباض والجرثمة بالضم الأصل^(١) . والهمداني وصف الجرثومة أصل الشجرة ، وتقول : نشأ فلان وفلان فى عش ودرجا من وكر ومهدا فى حجر ورضعا بلبان ونجلتهما أبوة ونتقتهما أمومة وأفرعهما جذم ، وهما يتسبان إلى جرثومة واحدة^(٢) . وفى الكنز اللغوى الجرائم أصول الشجر^(٣) .

وزن جرثومة : فعلولة من الفعل جرثم : فعلل .

رياضة على وزن فعالة لفظة حضارية قديمة وردت عند الجاحظ فى رسائله وفى أماكن أخرى من كتبه قال : أوصيك برياضة نفسك حتى تذللها على الأمور الحميدة^(٤) وقال : ما تكون الزماتة والوقار إلا بحمل على النفس شديد ورياضة متعبة^(٥) قال صاحب اللسان فلان يراوض فلانا أمر كذا أى يداريه ليدخله فيه وفى حديث طلحة : فتراوضنا حتى أحطرف منى وأخذ الذهب أى نجاذبنا فى البيع والشراء وهو ما يجرى بين المتابعين من الزيادة والنقصان كان كل واحد منهما يروض صاحبه من رياضة الدابة^(٦) . وقال

(١) تاج العروس الزبيدى ج ٨ ص ٢٢٧

(٢) الألفاظ الكتابية الهمداني ص ٣٣

(٣) الكنز اللغوى فى اللسان العربى ص ٢٠٦ عن ابن السكيت .

(٤) المعاش والمعاد ص ١٣٣ .

(٥) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٦ .

(٦) اللسان ج ١ ص ١٢٥٥ .

صاحب التاج : روض تريضاً لزم الرياضى وروض السيل القراح جعله روضة واستراض المكان فسح واتسع . ومن المجاز أراضت النفس أى طابت يقال أفعل ذلك ما دامت النفس مستريضة أى متسعة طيبة .

والتراوض فى البيع والشراء التخاذى وهو ما يجرى بين المتبايعين من الزيادة والنقصان وهو مجاز . والروض جمع راض ، وحماد البصرى عرف بالرائض لرياضة الخيل^(١) سمع من الحسن وابن سيرين : واستراض المحل كثرت رياضته ، ومن المجاز أنا عندك روضة وغدير ومجلسك روضة من رياض الجنة . ويقال راض الشاعر القوافى فارتاضت له ورضت الدر رياضة ثقبته وهو صعب الرياضة .

ويحدثنا آدم مبرز عن الرياضة فى العصر العباسى وتطور هذه اللفظة قال : أما الرياضة التى كان أكثر ما يشتغل بها الكبراء والوزراء فكانت بالصوالة . وكان الخلفاء يلعبون بالصوالة فى ميادين خاصة فى قصورهم ويحكى أنه فى سنة ٢٦٣ هـ دخل الوزير أبو الحسن عبدالله بن يحيى بن خاقان التركى ميدانا فى داره يوم الجمعة ليضرب بالصوالة فركب ولعب فصدمه خادمه وسقط من على دابته ميتا . وكان اللاعبون بعد الفراغ من لعبهم يدخلون الحمام الساخن ويدلكون^(٢) .

أزقة على وزن أفعله ذكرها الجاحظ فى حديثه عن مناقب الترك قال : لنا المواجهة فى الأزقة والصبر على قتال السجون^(٣) وهذه اللفظة من الألفاظ الحضارية القديمة وقد فسرها صاحب اللسان فقال : أزقة جمع رقاق ،

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٣٩

(٢) الحضارة الإسلامية آدم مبرز ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٧ .

والزقاق : السكة ، يذكّر ويؤنّث . وقيل الزقاق الطريق الضيق دون السكة والجمع أركة ورقاق . والأخيرة عن سيويه ، مثل حوار وحوران .

والزقاق : الطريق نافذ وغير نافذ ضيق دون السكة . وفى الحديث : من منح منحة لبن أو هدى رقاقا ، الزُّقاق ، بالضم : الطريق ، يريد من دل الضال أو الأعمى على طريقه ، وقيل : أراد من تصدق بزقاق من النخل وهى السكة منها ، والأول أشبه لأن هدى من الهداية لا من الهدية^(١) . وفى التاج فسر الزبيدى الزُّقاق كغراب يذكر ويؤنّث قال - الأخفش : أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسرائط والسبيل والسوق والزقاق والكلاء وهو سوق البصرة وبنو تميم يذكرون هذا كله . وأزقة وزقان الجمع (للفظه رقاق) كغراب وأغربة^(٢) وذكر فى كتاب الرجل والمنزل المنسوب لابن قتيبة « كل كوة ليست بنافذة فى الحائط فهى مشكاة أفواه الأزقة واحدها فوهة مثل خمرة ولا يقال فم^(٣) .

وزن أركة : أفعلة من فعال : زقاق من جموع القلة اسم على فعال بضم الفاء نحو غُراب وأغربة^(٤) .

تسريح جاءت على وزن تفعيل وهى مصدر للفعل سَرَحَ ، وقد ذكر ابن قتيبة فى باب مصادر بنات الأربع فما فوق يجرى مصدر فعلت على التفعيل والفعال^(٥) ذكر الجاحظ هذه اللفظة فقال واصفا قوماً من الأقوام : وكانوا يكرهون تسريح الشعر^(٦) . وتفسير هذه اللفظة ورد عند صاحب اللسان قال :

(١) اللسان ج ٢ ص ٣٤ .

(٢) تاج العروس ج ٦ ص ٣٧١ .

(٣) البلغة فى شذور اللغة ص ١٢٨ .

(٤) الاشتقاق عبدالله أمين ص ٢٩٠ .

(٥) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٩ .

(٦) الحيوان ج ٥ ص ٣٧٧ .

التسريح التسهيل . وتسريح الشعر : إرساله قبل المشط ، وقال الأزهري : تسريح الشعر ترجيله وتخليص بعضه من بعض بالمشط^(١) . وقال صاحب التاج : التسريح : قال شيخنا ظاهره أنه مصدر متعد والصواب أنه مصدر لازم اقتضى القياس ، والسرح أساقها كالتسريح . والمسرح كمنبر المشط وهو الرجل أيضاً لأنه آلة التسريح والترجيل . والمسرح ما يسرح به الشعر^(٢) .

مَلَّة على وزن فَعْلَة بفتح الفاء وسكون العين . لفظة حضارية قديمة وردت عند الجاحظ بقوله : « كان الأصمعي يقول : لا يقولن أحدكم أكلت مَلَّة يقول أكلت خبزة وإنما الملة موضع الخبزة »^(٣) .

قال صاحب اللسان المَلَّة : الرماد الحار والجمر ، ويقال أكلنا خبز مَلَّة ولا يقال أكلنا مَلَّة . ومل الشيء في الجمر يمله ملا ، فهو مملول ومليل : أدخله . ويقال مللت الخبزة في الملة ملا وأملتها إذا عملتها في الملة فهي مملولة ، وكذلك كل مشوى في الملة من قريس وغيره . ويقال هذا خبز ملة ولا يقال للخبز ملة إنما الملة الرماد الحار والخبز يسمى المليل والمملول ، وكذلك اللحم . وقال أبو عبيد : الملة الحفرة نفسها . والملة : الرماد الحار الذي يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج^(٤) . وفي التاج أضاف الزبيدي على ما جاء في اللسان قال : وفي حديث خير يقول : إذا - أناس من يهود مجتمعون على خبزة يملونها أى يجعلونها في ملة^(٥) .

ومن اللغويين الذين تناولوا هذه اللفظة ابن السكيت قال في كتابه إصلاح

(١) اللسان ج ٢ ص ١٢٨ .

(٢) التاج ج ٢ ص ١٦١ .

(٣) البخل ص ٢١٥ .

(٤) اللسان ج ٥ ص ٥٦٥ .

(٥) تاج العروس ج ٨ ص ١٣٠ .

المنطق : ومما تضعه العامة فى غير موضعه قولهم : أكلنا ملة ، وإنما الملة الرماد الحار .

وتقول : أطعمنا خبز ملة . وأطعمنا خبزة مليلا . وقد مللت الخبزة فى الملة أملها ملا وهى خبزة مليل ^(١) .

شريعة على وزن فعيلة ويطرد فى الرباعى مؤنث ثالثة مدة وتجمع على فعائل ^(٢) من الألفاظ الحضارية القديمة ، وقد وردت عند الجاحظ بقوله : « لا ماء ولا وحل ولا عين ولا شريعة » ^(٣) فى اللسان : الشريعة والشراع والمشرعة : المواضع التى ينحدر إلى الماء منها ، قال الليث : وبها سمى ما شرع الله لعباده شريعة من الصوم والصلاة والحج وغيره . والشرعة والشريعة فى كلام العرب : مشرعة الماء وهو مورد الشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له ، ويكون ظاهرا معينا لا يسقى بالرشاء ، والشريعة : موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب ^(٤) .

قال الزبيدى منه قوله تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر ﴾ وقال الليث الشريعة منحدر الماء ، وفى المفردات للراغب : وقال بعضهم سميت الشريعة تشبيها بشريعة الماء بحيث أن من شرع فيها على الحقيقة والمصدوقة . ومن المجاز الشريعة العتبة على التشبيه بشريعة الماء عن ابن عباد وأصل الشريعة فى كلام العرب مورد للشاربة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون وربما شرعوها دوابهم فشرعت تشرب فيها والعرب لاتسميها شريعة حتى يكون الماء

(١) إصلاح المطلق ابن السكيت ص ٢٨٥ ، ص ١٩٩

(٢) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٩

(٣) الحيوان ج ١ ص ١٥٦ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٢٩٨

عدا لا انقطاع له ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرشاء وإذا كان من السماء والأمطار فهو الكريم^(١) .

لفظة الشريعة جاءت فى نصوص كثيرة عند الجاحظ وهذا مما يدل على تأثير البيئة النهرية عليه وهذه اللفظة مستمرة فى تداولها كاستمرار النهر فهى قديمة منذ الأزل .

الفُرْضَةُ على وزن فُعْلَةٌ ويأتى الجمع على فُعْلٍ فُرْضٌ . وجمعها فُرُضٌ وهى من الألفاظ الحضارية القديمة قال الجاحظ ذاكرا الفرضى : « فسألته أن يقربنى إلى بعض الفرض ، حتى اكترى من هنا إلى حيث أريد » وقال : « فلما قربنا من الفرضة صحت يا حمال »^(٢) قال ابن منظور : فرضة النهر : مشرب الماء منه والجمع فرض وفراض . والفرضة المشرعة . يقال : سقاها بالفراض أى من فرضة النهر . والفرضة : الثلثة التى تكون فى النهر . والفراض : فوهة النهر . وفرضة النهر : « ملته التى فيها يستقى وفى حديث موسى عليه السلام حتى أرفأ به عند فرضة النهر أى مشرعه ، وجمع الفرضة فرض . وفرضة البحر : محط السفن »^(٣) .

والفرض عند الزبيدى لها كلام مسهب قال : الفرض فوهة النهر .

والفرضة بالضم من النهر ثلثة يستقى منها والفرضة من البحر محط السفن كذا فى نسخ الصحاح وفى بعضها مرفأ السفن . والجمع فراض ، وفرض النهر وفراضه مشارعه ، وقال الأصمعى الفرضة المشرعة يقال سقاها بالفراض أى من فرضة النهر وفى حديث ابن الزبير فاجعلوا السيوف للمنايا فرضا أى

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٣٩٤ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٣٥٧ ، ص ٤٥٢ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ١٠٧٨ .

اجعلوها مشاريع للمنايا وتعرضوا للشهادة . والفرضة بشط الفرات . والفراض الشغور تشبيها بمشارع المياه ^(١) .

ومن نص الجاحظ يتبين أن هذه اللفظة كثيرة الاستعمال في عصره لتأثره بالبيئة النهرية وهي مستمرة في استخدامها من قبل الجاحظ بعصور عديدة .

مدود على وزن فَعُول ويطرد في فَعَلَ بفتح فكسر وفي فَعَلَ اسما ثلاثيا ساكن العين مثلث الفاء ^(٢) . وردت عند الجاحظ كثيرا وهذا من تأثير البيئة النهرية ، وهذه اللفظة لها امتداد حضارى وهو ما تؤكد المعاجم العربية . قال الجاحظ : المسنيات التى تهدمها المدود ^(٣) قال صاحب اللسان : المد : كثرة الماء أيام المدود وجمعه مدود ، وقد مد الماء يمد مدا ، وامتد مده غيره وأمدته . قال ثعلب : كل شئ مده غيره ، فهو يألف ، يقال : مد البحر ، وامتد الحبل ، قال الليث هكذا تقول العرب . والأصمعى يقول : المد مد النهر ، والمد : مد الحبل . والمد : أن يمد الرجل . وقال اللحيانى : يقال لكل شئ دخل فيه مثله فكثرة : مده يمد مدا . تقول دجلة تمد تيارنا وأنهارنا والله يمدنا بها ^(٤) وجاء فى التاج المد السيل ومن المجاز المد ارتفاع النهار والظل .

وقال الفراء فى قوله تعالى : ﴿ والبحر يمد من بعده سبعة أبحر ﴾ . قال يكون مدادا كالمداد الذى يكتب به والشئ إذا مد الشئ فكان زيادة فيه فهو يمد . والمدادين جمع مدان للمياه المالحة ^(٥) . ولفظة مدود لفظة حضارية قديمة ممتدة منذ عصور قديمة وإلى عصر الجاحظ عصر الحصار العباسية .

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٦٦ .

(٢) شذا العرف الحملوى ص ١٠٧ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٤٥٣ .

(٥) تاج العروس ج ٢ ص ٤٩٧ .

السكان من الألفاظ الحضارية القديمة وقد وردت عند الجاحظ كثيراً كقوله يصف أحد اللصوص على لسان ملاح فقال : وقع علينا اللصوص : فأول رجل دخل علينا السفينة كان في طول هذا المردى وكان فخذة أغلظ من هذا السكان^(١) . ووردت لفظة سكان عند الجاحظ أيضاً بمعنى القوم قال : وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرياب مواش^(٢) يقول صاحب اللسان في تفسير هذه اللفظة : قال أبو عبيد : الخيزرانة السكان ، وهو الكوثل أيضاً . وقال أبو عمرو : الجذف السكان في باب السفن . والليث يقول : السكان ذنب السفينة التي به تعد . وسكان السفينة عربى . والسكان : ما تسكن به السفينة تمنع به من الحركة والاضطراب^(٣) . فسر صاحب اللسان السكان الكوثل ويورد الجاحظ نصاً فيه لفظة كوثة مينا أنها ذنب السفينة وليست السكان ، قال الجاحظ : « أردت الصعود مرة في بعض القناطر ، وشيخ ملاح جالس ، وكان يوم مطر وزلق . فزلق حمارى فكان يلقينى لجنبى ، ولكنه تماسك فألقى على عجزه . فقال الملاح لا إله إلا الله ، ما أحسن ما جلس على كوثره^(٤) » وفى التاج قال الزبيدي : وما يستدرك عليه أسكنه سكنه والسكان كرمان جمع ساكن وأيضاً ذنب السفينة عربى صحيح^(٥) .

وزن سكان على فعال من الفعل سكن : فعل وهى من باب فعال وفُعال بكسر الفاء ويضمها^(٦) .

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) مناقب الترك ص ٧٠ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ١٧٤ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ١٧٦ .

(٥) تاج العروس ج ٩ ص ٢٤٠ .

(٦) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٣٨ .

ملاح على وزن فعَّال من باب فعال وفعيل . من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته وهو شديد الولع بهذه اللفظة الحضارية القديمة قال يصف أخلاق الملاح : إن مولاك ملاح ، لأن الملاحين إذا تظلموا رفعوا المرادى^(١) وقال : قلت لملاح لى ، وذلك بعد العصر في رمضان : انظركم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مردين ونصف^(٢) . وتفسير هذه اللفظة ذكرتها المعاجم العربية بإسهاب فترى صاحب اللسان يقول : الملاح : صاحب الملح حكاه ابن الأعرابي .

والملاح : النوتى ، وفي التهذيب : صاحب السفينة لملازمته الماء الملح وهو أيضاً الذى يتعهد فوهة النهر ليصلحه وأصله من ذلك ، وحرفته الملاحة والملاحية .

وقال ابن الأعرابي : الملاح الريح التي تجرى بها السفينة وبه سمي الملاح ملاحا . وقال غيره : سمي السفان ملاحا لمعالجته الماء الملح بإجراء السفن فيه ، ويقال للرجل الجديد : ملحه على ركبته . ويقال فلان ملحه على ركبته إذا كان قليل الوفاء^(٣) . أما الزبيدي فيقول فى التاج : ملاح بالكسر وأملاح كلاهما عن أبى عمرو مثل شريف وأشراف وجمع ملاح وملاح ملاحون . وملاحون وهما جمعا سلامة والأنثى مليحة . وفى الأساس من المجاز ملحه أى عرضه . والملاح : النوتى وفى التهذيب صاحب السفينة لملازمته الماء الملح^(٤) .

وفى الكتب التاريخية يذكر المؤرخون أخبار طريفة عن الملاحين وعن

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٩ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٥٢٠ .

(٤) تاج العروس ج ٢ ص ٢٢٧ .

سفنهم وعاداتهم وطرق معيشتهم . وقد خصص المسعودى باباً فى أخبار الملاحين وأنواع سفنهم وأسمائها المختلفة . قال الفتح : فكان المتوكل كثيراً ما يقول إذا ذكر قدر الملاح : ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة فى ذلك اليوم^(١) . وتعد هذه اللفظة من الألفاظ القديمة والتي تداولتها الألسن منذ عرف البحر وركوبه ، والجاحظ يكثر من ذكر الملاح وهو الذى فطر على رؤيته منذ وجد فى تلك البيئة البصرية ، ولللفظة تاريخ عريق من قبل عصر الجاحظ .

أسياف جاء وزنها على أفعال بفتح فسكون ويكون جمعاً لكل مالم يطرد فيه أفعل^(٢) . وردت عند الجاحظ فى كتاباته قال : « وقد تعلف فى تلك الحالات اللحم اليابس وهسيس السمك . فأما الهسيس فلخيول أهل الأسياف خاصة^(٣) » قال صاحب اللسان مفسراً هذه اللفظة الحضارية القديمة : السيف ساحل البحر ، والجمع أسياف . وحكى الفارسي : أساف القوم أتوا السيف ، ابن الأعرابي : الموضع النقى من الماء ، وفى حديث جابر : فأتيانا سيف البحر : أى ساحله^(٤) .

وقال صاحب التاج : السيف بالكسر خاصة ساحل البحر والجمع أسياف كما فى الصحاح . والسيف ساحل الوادى والساحل الطويل جداً فكأنه قطع بالسيف مسيره مائة فرسخ ويقال نزلوا بالسيف أى بالساحل وهم أهل أسياف وأرياف^(٥) . ومن نص الجاحظ نرى أنه كان متعايشاً مع هذه اللفظة الحضارية القديمة كقدم أمواج البحر .

(١) مروح الذهب المسعودى ج ١ ص ١٦ .

(٢) شذا العرف الحملاوى ص ١٠٢ .

(٣) الحيوان ج ٧ ص ١٤٥ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٢٥٤ وجاء فى اللسان شاهد للبيد يذكر فيه لفظة الأسياف .

(٥) تاج العروس ج ٦ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

حرفة جاءت على وزن فعلة بكسر الفاء وسكون العين . من الألفاظ الحضارية القديمة وقد وردت عند الجاحظ في بيانه قال : ذكر لعمر بن الخطاب إتلاف شباب من قريش أموالهم فقال : حرفة أحدهم أشد على من عيلته « وأورد الجاحظ قولاً آخر لعمر بن الخطاب : حرفة يعاش بها خير من مساءلة الناس »^(١) . وذكر الجاحظ لفظة حريف فقال : جعلت فداك : دفعتها إلى حريف لى دهان ، فألقاها في المصفاة شهراً حتى رويت^(٢) . وقد تناولت المعاجم لفظة حرفة بالشرح والتفسير قال صاحب اللسان : وأما الحرفة فهو اسم من الاحتراف وهو الاكتساب ، يقال هو يحرف لعياله ويحترف ويقرش ويقترش بمعنى يكتسب من ههنا وههنا ، وقيل المحارف بفتح الراء هو المحروم المحدود الذي إذا طلب فلا يرزق أو يكون لا يسعى في الكسب . والحرف : الاسم من قولك رجل محارف أى منقوص الحظ لا ينمو له مال . وكذلك الحرفة بالكسر . والمحترف : الصانع . وفلان حريفى أى معاملى . والمحرف : الذى نما ماله وصلاح ، والاسم الحرفة . وأحرف الرجل إحرافاً فهو محرف إذا نما ماله وصلاح يقال جاء فلان بالخلق والإحراف إذا جاء بالمال الكثير . والحرفة : الصناعة . وحرفة الرجل : ضيعته أو صنعته . وحرف لأهله واحترف : كسب وطلب واحتال ، وقيل : الاحتراف الاكتساب أياً كان . وقال الأزهري : وأحرف إذا استغنى بعد فقر . وأحرف الرجل إذا كد على عياله . وفي حديث عائشة : لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه ، قال : لقد علم قومي أن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤونة أهلى . والحرفة : الصناعة وجهة الكسب ، وحريف الرجل : معامله في حرفته . ومنه الحديث : إني لأرى الرجل يعجبني فأقول : هل له حرفة ؟ فإن قالوا : لا ، سقط من عيني^(٣) .

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٨١ .

(٢) البخلاء ص ٢٠ .

(٣) اللسان ج ١ ص ٦١١ .

أما الزبيدي فقد فسر لفظة الحرفة بالطعمة والصناعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب وكل ما اشتغل الإنسان به وضرى به أى أمر كان فإنه عند العرب يسمى صنعة وحرفة ، يقولون صنعة فلان أن يعمل كذا وحرفة فلان أن يفعل كذا يريدون دأبه وديدنه لأنه ينحرف إليها أى يميل . وحريفك معاملك كما في الصحاح (في حرفتك) أى في الصنعة ، قلت ومنه استعمال أكثر العجم إياه فى معنى النديم والشريب ومنه أيضاً استفاد استعمال أكثر الترك إياه فى معرض الذم بحيث لو خاطب به أحدهم صاحبه لغضب ^(١) .

ولفظة الحرفة والحرف تناولتها كتب الفقه والتاريخ والأدب فالفقهاء اعتبروا هذه اللفظة من الأمور الأساسية فى بناء صرح الحضارة ، فهى ضرورة اجتماعية تفرضها الحاجات المعاشية على أفراد المجتمع فى كل العصور ، واستشهد الفقهاء بالقرآن والسنة وكيفية نظرة الإسلام إلى الحرف فقد رفع الإسلام من شأن الحرف إلى مصاف العبادة وحث الرسول ﷺ على العمل والكسب بقوله : إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف وكذلك كان شأن الصحابة فى نظرهم إلى العمل واكتساب الحرف أسوة برسول الله ﷺ . وقد مارس الفقهاء أنواعاً كثيرة من الحرف ومما يدل على اشتغال الفقهاء فى الحرف تسميتهم بأسماء هذه الحرف ، فأبو حنيفة مثلاً كان خرازاً ^(٢) وغيره تسمى بالقطان ^(٣) والسراج والقيار وغير ذلك من الأسماء التى تدل على الحرف . وهذه النظرة تختلف عند الأدباء فى العصر العباسى ، فقد ظلت الحرف ومن يحترفها ينظر إليها نظرة ازدراء وعدم احترام وتؤدى إلى مطعن اجتماعى كالحياكة والحجامة ^(٤)

(١) تاج العروس الزبيدي ج ٦ ص ٦٩ .

(٢) المحاسن والمساوى البيهقي ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) البداية والنهاية ابن كثير ج ١٠ ص ١٨٢ ، ص ٢٦٩ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٩٣ ، ج ٦ ص ٤٦٤ وج ٣ ص ٢٤٨ .

وخير من يمثل هذا الرأي الجاحظ عندما استهزأ من الحاكة والحجامين . وعلى لسان المأمون^(١) يورد البيهقي هذه المقولة : « السوق سفلى والصناع آنذاك والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس »^(٢) وأبو حيان التوحيدي يصف المهنة بأنها « حركة يتعاطاها الإنسان بلا حفز ولا استكراه ، وجعل الصناعة أقرب إلى الذل والضعة »^(٣) .

ويرد جرونييام سبب نظرة الاردراء هذه إلى العهد الساساني حيث كان الغنى والشرف هما اللذان يحددان المركز الاجتماعي عندهم ، فتبنى رجال الأدب هذه النظرة ، فى الوقت الذى نجدها لا تتفق مع قيم الجماعة العربية ، فقد كانت مكة دولة تجار ، واشتغل الرسول ﷺ نفسه بالتجارة فترة من حياته كما أنه زكى الحرف^(٤) - ويعلق جب فى كتابه عن حضارة الإسلام بأن النظرة الاجتماعية إلى الصنائع بدأت تتغير بمرور الزمن بسبب النمو الاقتصادى الذى شهده المجتمع العربى الإسلامى فى مجالات الزراعة والتجارة والصناعة فقد أقبل الكثيرون على ممارسة الحرف لتلبية حاجات المجتمع العربى الإسلامى المتurf^(٥) .

وبمرور الزمن نرى لفظة الحرف تتغير مفاهيم الناس نحوها فانبرى كثير من المفكرين للدفاع عن هذه اللفظة الحضارية ، فأخوان الصفا دعوا إلى تعلم الحرف وإتقانها واهتموا بتقسيم الحرف وتبين أوجه التفاضل بينها^(٦) وكذلك الغزالى الذى جعل الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها^(٧) وفى عصر

(١) المحاسن والمساوى البيهقى ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) الإمتاع والمؤانسة التوحيدي ج ٣ ص ١٣٢ .

(٣) حضارة الإسلام جرونييام ص ٢٧٤ .

(٤) دراسات فى حضارة الإسلام جب ص ٨٢ .

(٥) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٢٨٥ .

(٦) إحياء العلوم للغزالى ج ٢ ص ٦٢ .

متأخر نرى لفظة الحرفة تأخذ مكانا رفيعا في بناء الحضارة الإنسانية كما وصفها ابن خلدون في مقدمته^(١). هذه هي قصة « الحرفة » وسيرتها الذاتية من خلال كتابات الفقهاء والمؤرخين والأدباء . والجاحظ كان إمام الكتاب ورائدهم في الحديث عن أصناف الحرف وصاحب الحرفة ، وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ كثيرا جدًا ككثرة أصحابها . وميزات لفظة الحرفة ذكرتها كما جاء في الكتب التاريخية التي وضحت لنا أبعاد هذه اللفظة التاريخية الحضارية .

احتكار على وزن افتعال من الفعل احتكر افتعل ، قال ابن قتيبة : ويجيء مصدر افتعل على افتعال^(٢) وهي من الألفاظ الحضارية القديمة والتي وردت عند الجاحظ في رسائله قال : « ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ، ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم »^(٣) . وفي اللسان : الاحتكار من الحكر وهو إدخار الطعام للتربص وصاحبه محتكر .

وابن سيده يفسر الاحتكار كما جاء في اللسان بجمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به . والحكر والحكر جميعا : ما احتكر . وعن ابن شميل : أنهم ليتحكرون في بيعهم ينظرون يتربصون ، وأنه لحكر لايزال يحبس سلعته والسوق مادة حتى يبيع بالكثير من شدة حكره أى من شدة احتباسه وتربصه ، قال والسوق مادة أى ملأى رجالا وبيوعا وقد مدت السوق تمد مدا . وفي الحديث : من احتكر طعاما فهو كذا ، أى اشتراه وحبسه ليقل فيغلو ، والحكر والحكرة الاسم منه ، ومنه الحديث : أنه نهى عن الحكرة أى جملة ، وقيل : جزافا . وأصل الحكرة : الجمع والإمساك^(٤) . وفي التاج قال الزبيدي : والحكر بالضم اسم من الاحتكار وكذلك الحكر . ومما يستدرك

(١) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥١٠ .

(٣) مناقب الترك ص ٧٠ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٦٨٧ .

عليه الحكر بالكسر . ما يجعل على العقارات ويحبس^(١) .

وتعد هذه اللفظة من الألفاظ الحضارية القديمة التي تناولتها الكتب بالشرح ، فالطبرى يحدثنا عن الدولة العباسية وكيف اهتمت بالتسعير والاحتكار ، فقد كان المنصور يأمر ولاية البريد فى جميع الأقاليم أن يكتبوا له كل يوم سعر القمح والحبوب والأدم ، وبسعر كل مأكول ، فإذا وجد تغيرا فى الأسعار كتب إلى والى الأقاليم يسأله عن العلة فى زيادة السعر ، فإن اقتنع بها حاول إزالتها حتى يعود السعر إلى ما كان عليه^(٢) . ويقول المؤرخ مسكويه : إن ضجر العامة من ارتفاع الأسعار كثيرا ما أجبر الدولة العباسية على إنقاص السعر السائد وفرض سعر معين ، ففى سنة ٣٠٨ هـ ضجر العامة من ارتفاع الأسعار ، فأمر الخليفة المقتدر بخفض السعر ، وطلب من المحتسب أن يسعر بأقل من السعر القديم^(٣) . ومن قبل الطبرى كان الجاحظ ومن قبله كان الكثيرون قد استخدموا لفظة الاحتكار .

إقطاع على وزن إفعال إذ يجئ مصدر أفعلت على إفعال وهو فى باب مصادر بنات الأربعة فما فوق^(٤) . وردت عند الجاحظ بقوله : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك وكل إقطاع^(٥) . فسر صاحب اللسان لفظة الإقطاع بأنه يكون تمليكاً وغير تمليك . وقال ابن الأثير : سألته أن يجعله له إقطاعاً يملكه ويستبد به وينفرد ، ويقال : استقطع فلان الإمام قطعة فأقطعه إياها . وقال الشافعى : ومن الإقطاع إقطاع أرفاق لاتمليك ، كالقاعدة بالأسواق التى هى طرق المسلمين ، فمن قعد فى موضع منها كان له بقدر ما يصلح له ما كان مقيماً فيه ، ومنها إقطاع السكنى^(٦) . وفسر الزبيدى لفظة الإقطاع : من المجاز أقطعه قطعة أى طائفة من أرض الخراج والإقطاع

(١) تاج العروس ج ٣ ص ١٥٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٩٦ .

(٣) تجارب الأمم - مسكويه ج ١ ص ٧٣ - ٧٤ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٥٠٩ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٦٩ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ١١٩ .

يكون تمليكا ويكون غير تمليك كما ذكر في اللسان ، وعن ابن الأثير القطائع إنما تجوز في عقود البلاد التي لا ملك لأحد فيها ولا عمارة فيها لأحد فيقطع الإمام المستقطع منها قدر ما يتهيأ له عمارته بإجراء الماء إليه أو باستخراج عين منه أو بتحجر عليه للبناء فيه . قال الشافعي : إقطاع أرفاق كالمقاعدة بالأسواق التي هي طرق المسلمين فمن قعد في موضع فيها كان له بقدر ما يصلح له ما كان مقيما فيه فإذا فارقه لم يكن له منع غيره منه كأبنية العرب وفساطيطهم فإذا انتجعوا لم يملكوا بها حيث نزلوا ، منها إقطاع السكنى ، وفي الحديث لما قدم النبي ﷺ المدينة أقطع الناس الدور معناه أنزلهم في دور الأنصار يسكنونها معهم ثم يتحولون عنها ، ومنه الحديث أنه أقطع الزبير نخلا يشبه أنه إنما أعطاه ذلك من الخمس الذي هو سهمه لأن النخل مال ظاهر العين حاضر النفع فلا يجوز إقطاعه وأما إقطاع الموات فهو تمليك ^(١) .

وهذه اللفظة استخدمت من قبل عصر الجاحظ وفي عصره وهذا ما أثبتته في نصوصه الكثيرة . ويقول آدم ميتز عن الإقطاع في العصر العباسي : كان الإقطاع في المملكة الإسلامية كلها ضربا هاما من ضروب تملك الأرض . ويقول أبو يوسف : فأما الإقطاع أو القطائع في أرض العراق فكل ما كان لكسرى ومرابته وأهل بيته مما لم يكن في يد أحد عن كتاب الخراج لقدامة ^(٢) .

ويحدثنا التنوخي أن الرشيد اعتل فداواه طبيبه فأمر بإقطاعه ما قيمته ألف ألف درهم ، فقال له : مالي حاجة إلى الإقطاع ، ولكن تهب لي ما أشتري الضياع به ، فأجاب الخليفة طلبه وأمر بمعاونته حتى ابتاع ضياعا لا إقطاع فيها ^(٣) . وما تقدم نرى أن لفظة الإقطاع قديمة وذات دلالة تاريخية عريقة .

وظيفة على وزن فعيلة والجمع منه على فعائل بالفتح وكسر ما بعد الألف وهي من الألفاظ الحضارية القديمة وقد وردت عند الجاحظ بقوله : « وأقاموا

(١) تاج العروس ج ٥ ص ٤٧٤ .

(٢) الحضارة الإسلامية آدم ميتز ج ١ ص ٢١٢ .

(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي ج ٢ ص ١٠٢ .

وظائف الثلج والريحان»^(١) وقال الجاحظ : خبرني صديق لى أنه حبس كلبا له فى بيت وأغلق دونه الباب فى الوقت الذى كان طباخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ، ثم أحد سكين بسكين فنبح الكلب ورام فتح الباب ، لتوهمه أن الطباخ قد رجع من السوق بالوظيفة»^(٢) وقد فسر صاحب اللسان الوظيفة من كل شىء : ما يقدر له فى كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شرب وجمعها الوظائف والوظف . ووظف الشىء على نفسه ووظفه توظيفا : ألزمها أياه ، وقد وظفت له توظيفا على الصبى كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل . عن ابن الأعرابى . ويقال : وظف فلان فلانا يظفه وظفا إذا تبعه ، مأخوذ من الوظيف^(٣) .

وقال فى التاج الوظيفة : كسفية ما يقدر لك فى اليوم وكذا فى السنة والزمان المعين كما فى شروح الشفا من طعام أو رزق كما فى الصحاح زاد غيره ونحوه كشراب أو علف للدابة يقال له وظيفة . قال شيخنا ويبقى النظر هل هو عربى أو مولد وإلا ظهر عندى الثانى .

وقال ابن عباد الوظيفة : العهد والشرط والجمع وظائف ووظف بضمين والتوظيف تعيين الوظيفة ، وقال ابن عباد المواظفة مثل الموافقة والمواظرة والملازمة يقال واطفت فلانا إلى القاضى إذا لازمته عنده^(٤) . الوظيفة ربما استعملت بمعنى المنصب والخدمة المعينة (للدنيا وظائف) أى نوب ودول وكذا الدنيا لها وظف وهى شبه الدول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء جمع الوظيفة (الأساس)^(٥) ومن النصوص السابقة نرى أن لفظة الوظيفة قديمة واستعمالاتها كثيرة ، وقد ذكرها الجاحظ فى عصور متقدمة على عصره فكانت تستخدم أيضا من قبل المجتمع الإنسانى وليس العباسى فقط .

(١) البخلاء ص ٢٠٥ . (٢) الحيوان ج ٢ ص ١٢٠ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٩٥٠ . (٤) تاج العروس ج ٦ ص ٢٦٨ .

(٥) أقرب الموارد الشرتونى ج ٢ ص ١٤٦٤ .

لفظة «أصناف» على وزن أفعال من الفعل صنف ، قال ابن قتيبة : صنف وصنف من فعل وفعل بفتح الفاء وكسرهما مع سكون العين صنف من المتاع وصنف^(١) . وردت عند الجاحظ في نصوصه وهى من الألفاظ الحضارية القديمة . قال الجاحظ : وأعلم أنه سيمر بك في معاملات الناس حالات تحتاج فيها إلى مداراة أصناف الناس وطبقاتهم^(٢) وقال «كنحو صيادى السمك وصيادى الوحش وأصناف الجزارين والقطاين والشوائين والطهائين»^(٣) . لفظة الأصناف أوردها المؤرخون هذا القدم للتعبير عن الجماعات الحرفية فى المجتمع العربى الإسلامى وهناك كتب تاريخية عديدة فسرت هذه اللفظة التاريخية فنرى اليعقوبى يذكر لفظة الزصناف فيقول : «ان المنصور عندما أراد بناء بغداد جمع الصناع من مختلف البلاد ، فبلغ عددهم مائة ألف من أصناف المهن والصناعات»^(٤) . أما الطبرى ، فيشير إلى كلمة صنف عند ذكره خبر إخراج المنصور لأسواق مدينة بغداد إلى ناحية الكرخ وكيف جعلها «صفوفاً وبيوتاً لكل صنف»^(٥) ويؤيده الخطيب البغدادي فى قوله : ورتب كل صنف فيها فى موضعه^(٦) ويطلق ياقوت صنف على أهل المهن والحرف ، كصنفل الصيارفة وصنف الصاغة^(٧) . أما المعاجم فقد فسرت الأصناف ومفرداتها صنف ، وأهمها معجم الزبيدى وقد جاء فيه الصنف بالكسر والفتح لغة فيه النوع والضرب من الشئ يقال صنف من المتاع وصنف منه والجمع أصناف وصنوف وقال الليث : الصنف طائفة من كل شئ وكل ضرب من الأشياء صنف على حدة . وصنفه تصنيفاً جعله أصنافاً وميز بعضها عن بعض^(٨) .

ولفظه الصنف حضارية قديمة وهذا ما ثبت فى كتب الجاحظ وعند غيره من المؤرخين فهى ممتدة مع التاريخ وأصنافه .

(١) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٤٢٤ .

(٢) المعاش والمعاد ص ١١٧ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٤٢٩ .

(٤) البلدان - لليعقوبى ص ٢٥٨ .

(٥) تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٦٥٣ .

(٦) تاريخ بغداد ج ١ ص ٨٠ .

(٧) معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٨) تاج العروس ج ٦ ص ١٦٨ . وذكر صاحب التاج شاهداً منسوباً لقيس بن الرقيات ترد فيه هذه اللفظة .

ثانياً: التغير الدلالي

التغير الدلالي ظاهرة معروفة في إطار اللغة الواحدة فضلاً عنه في إطار الأسرة اللغوية الواحدة^(١) . وظاهرة تعدد معاني اللفظة الواحدة ، ظاهرة لغوية تجدها في جميع اللغات الشائعة ، والمعاني المجتمعة في لفظة من الألفاظ يتفرع بعضها من بعض وتتصل بالمعنى الأصلي بنوع من الصلة فمنها المعنى الاشتقاقي أو المعنى التاريخي ، وفي كتب الأقدمين من علماء اللغة نجد بحوثاً متفرقة هي في الصميم من بحوث دلالة الألفاظ ومعانيها ، كالترادف والمشارك اللفظي ، والأضداد ، والخاص ، والعام والحقيقة والمجاز وغيرها من البحوث التي تهتم باللفظة ودلالاتها . وقد عنى المؤلفون في أصول الفقه بهذه الأبحاث عناية خاصة وأفردوا لها فصلاً من كتبهم وذلك لأنهم اعتبروا أن دلالة الألفاظ من أهم موضوعات علم أصول فقه اللغة .

إن البحث في دلالة الألفاظ ومعرفة قوانين لغة من اللغات وسننها في قرب الألفاظ بمعانيها وتبدلها وتطورها وأسباب ذلك يعين على فهم اللغة فهماً عميقاً كما أنه من جهة أخرى يكشف عن مدى الارتباط بين اللغة وأصحابها بوجه عام ويعين على تحديد مفاهيم عصر بعينه^(٢) . وتطور الدلالة من عصر إلى عصر يعتبر صدى لتحول اجتماعي خارج حقل اللغة يتضاءل فيه الاهتمام بأحد المسميات ويتعاضد فيه الاهتمام بمسمى آخر فيغلب الآخر على الكلمة التي كانت تدل على الأول^(٣) . هذا وقد أمدت اللغة البدوية مجتمع الحضارة الإسلامية بالمواد اللغوية المختلفة ونعني بالمواد هنا الحروف الأصول ، وأمدت أيضاً بعدد

(١) علم اللغة د. محمود حجازي ص ٢١٠

(٢) مناهج البحث في اللغة د. تمام حسار ص ٣٢٧

(٣) في التطور اللغوي د. عبد الصبور شاهين ص ١٦ .

من القوالب أو الأوزان ، ولكنها لم تكن بحاجة إلى استخدام جميع الأوزان في كل كلمة ، والقضية ليست فقط قضية وجود الكلمة ، فالكلمة كرمز صوتي لا قيمة لها دون الاستخدام ، والمعنى هو العنصر الثاني بعد وجود الرمز ، فالرمز اللغوي لا يكون رمزاً إلا إذا كان له معنى^(١) . ومن طبيعة العملية التطويرية للدلالة أن تتم بصورة تدريجية تستغرق زمناً طويلاً وليس المسئول عنها فرداً بعينه بل تعزى إلى المجتمع في البيئة اللغوية^(٢) . وكل تطور في حياة الأمة يترك أثراً قوياً وواضحاً في لغتها وتستجيب الأمم عادة لمظاهر الحياة وتواكب التقدم الحضاري ، فتعمل على تغير الدلالات في بعض ألفاظها حتى تتمكن من مسايرة ركب الحضارة وهذا ما أكدته فندريس في كتابه القيم اللغة قال : إن الحياة تشجع على تغير المفردات لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات ، فالعلاقة الاجتماعية والصناعات والعدد المتنوعة تعمل على تغير المفردات ، وتقضي على الكلمات القديمة أو تحور معناها وتتطلب خلق كلمات جديدة^(٣) . ويؤكد الدكتور حجازي على رأي فندريس بشأن نشأة الكلمات الجديدة كمتطلبات ضرورية تبين لنا الأبعاد الحضارية فيقول : لولا هذه التجديدات لما عرفنا الحضارة العربية الإسلامية في أبعادها الماثورة ولو نظرنا إلى الألفاظ الحضارية في العصر العباسي لوجدنا ذلك الخضم الهائل من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة ، وقد وجدت في الكلمة القديمة إمكانية طبعها طورتها بالاستعمال في المعنى الجديد فاكسبته^(٤) . وأدينا اللغوي الجاحظ هو خير من يبرز لنا هذا الخضم الزاخر لأن الأديب يشعر حيال الألفاظ

(١) علم اللغة د. محمود حجازي ص ٣٠٣ .

(٢) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٤٥ .

(٣) اللغة . ج فندريس ص ٢٤٧ .

(٤) علم اللغة د. محمود حجازي ص ٣٠٣ ص ٣٠٦ .

بانفعالات لا يجدها الرجل العادي ويستجيب لبعض ظلال معانيها استجابات خاصة ويؤلف منها أسلوباً جديداً أو يسبغ معنى آخر فوق معناها القديم بالتضمن^(١) .

والتغير الدلالي عند الجاحظ يظهر في كتاباته ضمن مجموعة محددة من الألفاظ الحضارية ذات الأصل والوزن العربي والتي وردت عند الجاحظ بمعنى مخالف لما جاء في المعاجم العربية ، إذ أن هذه المعاجم تهدف إلى ألفاظ اللغة العربية عامة أو إلى جمهرة الألفاظ ، أما المعاجم الدلالية فهي تلتزم بمجموعة من الألفاظ وتبحثها من النواحي الدلالية وتصنفها هجائياً^(٢) إذا اقتضى الأمر . ومنهجنا مع الألفاظ التي تناولها الجاحظ في مجال التغير الدلالي سوف نقسم هذه الألفاظ إلى أفعال وأسماء وهذه الأخيرة تمثل الجانب الأكبر من معجم الجاحظ الخاص بالتغير الدلالي ، وهذه الأسماء لها مجالات متنوعة ستعرض لها وتقسيماتها ستكون حسب أغراض التطور الدلالي من عامة إلى خاصة ومن دلالة راقية إلى منحطة أو بالعكس ، ومن مجال ضيق إلى مجال أوسع وهكذا سيستمر التقسيم . أما الأفعال في هذا المجال فهي قليلة جداً وسوف نتعرض لها حسب الأبنية وأنواعها مع ذكر الأوزان والنواحي الصرفية الأخرى .

(١) المعجم العربي د. حسبي نصار ص ٧٦٩

(٢) علم اللغة د. محمود حجازي ص ١١

أولاً : الأفعال

ذكر الجاحظ في مجال التغير الدلالي صيغاً لأفعال قليلة ونادرة الوجود . ومعظم هذه الصيغ من وزن الثلاثي والرباعي وهي تدخل في باب تغير مجال الاستعمال من المحسوس إلى المجرد وبالعكس . وتغير مجال استعمال الدلالة يحدث عندما تنتقل دلالة الكلمة من الدلالة المجردة إلى الدلالة المحسوسة وبالعكس . وقد وردت عند الجاحظ أفعال مثل غشوه ، وغلس وينساح وأطلع وجميعها من وزن الثنائي والثلاثي المجرد أو المزيد .

غَشَوَهُ فعل ثنائي مضعف على وزن فعل يفعل ، وردت عند الجاحظ في قوله : وقد غشوه ببطانة ساج أملس كأنه صفاة ، فإذا كان الليل لزقت به^(١) . في المعاجم جاء تفسير لفظة غش مخالفاً لما ذكره الجاحظ فنرى صاحب اللسان يقول : غشه يغشه غشاً بمعنى لم يمنحه النصيحة ، واستغشه واغتشه ظن به الغش وهو خلاف استنصحه . وغش صدره يغش غشاً : غل^(٢) . وفي كتاب الأفعال ذكر ابن القوطية غش صاحبه غشاً : لم يخلص له^(٣) . والقالبي يذكر عدة لغات للفعل (غش) ففيه غشوه وغشوه بفتح الغين وضمها غشو^(٤) . ومما تقدم من تفسير للفظ غشوه التي يعني بها الجاحظ حجبوه عن الأنظار ووضعوا عليه غطاء يحجبه عن العيون هذا ما قصده الجاحظ وهو لا يمت بصلة لما ورد في المعاجم وكتب اللغة فقد استخدم الجاحظ هذه اللفظة استخداماً آخر مغايراً لما جاء في المعاجم .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٩٩٠ وأورد صاحب اللسان شاهداً لكثير عزة يذكر فيه هذه اللفظة وكذلك شاهداً لأوس بن حجر يذكر فيه كلمة غشو .

(٣) كتاب الأفعال لابن القوطية ص ٢٧ - ١٩٦ .

(٤) البارع للقالبي ص ٣٩٠ .

غَلَسَ جاءت من الفعل (فعل) وهو من الرباعي الصحيح^(١) ، وقد ذكر الجاحظ هذا الفعل فقال يصف أحد القصاص . وشرب نبيذ تمر ، وغلس إلى بعض المساجد ليقص على أهله^(٢) وفي اللسان جاء معنى الفعل غلس وغلسنا سرنا بغلس وهو التغليس والغلس معناها ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح . وقال أبو منصور الغلس أول الصبح حتى ينتشر في الآفاق . والتغليس ورد الماء أو ما ينفجر الصبح . وغلس يغلس تغليساً . وغلسنا الماء : أتينا به بغلس^(٣) . نرى أن صاحب اللسان لم يتطرق للمعنى الذي قصده الجاحظ من الكلمة غلس ، فالجاحظ يريد أن الفعل غلس أي دخل بحذر وذلك الشخص الذي وصفه بهذا الوصف هو الذي دخل المسجد بدون أن يثير انتباه أحد الموجودين . فدلالة اللفظة غلس عند الجاحظ تختلف عما فسرتها المعاجم العربية .

ينساح من الأفعال المعتلة العين قال ابن القوطية «ينساح» من الأفعال المعتلة الياء في عينه ووزنه فعل ، وقد فسره بأن ينساح في الأرض سياحة ذهب فيها للتعبد والترهب^(٤) وذكر الجاحظ هذه اللفظة في حديثه عن أنواع الحيوانات قال : والحيوان على أربعة أقسام شئ يمشي وشئ يطير وشئ يسبح وشئ ينساح^(٥) . وفي اللسان فسرت لفظة انساح وكانت بغير المعنى الذي جاء في نص الجاحظ فصاحب اللسان يقول : انساح الثوب وغيره تشقق وكذلك الصبح وفي حديث الغار ؛ فانساحت الصخرة أي اندفعت واتسعت وانساح

(١) الأفعال ابن القوطية ص ١٦٤ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٤ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ١٠٠٥ وهذه اللفظة وردت في شاهدين منسويين للأختل وليد .

(٤) الأفعال لابن قوطية ص ٢٣٥ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٢٧ .

البطن : اتسع ودنا من السمن وانساح باله أي اتسع^(١) .

ومما تقدم يتضح الاختلاف البين بين الداليتين ، فقد استعمل الجاحظ هذه اللفظة في مجال الدلالة المحسوسة وهي بمعنى الزحف على البطن في الجرى على وجه الأرض وقصد به مشي بعض الحيوانات . أما في المعاجم فقد كانت دلالة الكلمة مجردة وهي بمعنى الاتساع وهذا يختلف عما ذكره الجاحظ في نصه .

أَطْلَعَ فعل ثلاثي مزيد من باب أفعل : يُفْعِل «واطَّلَعَ» على وزن افتعل وقد وردت عند الجاحظ وهو يصف لغة أهل الشام قال : وقوله «واطلع» يريد وانزل وهي لغة أهل الشام وأخذوها من نازلة العرب في أول الدهر^(٢) وجاء تفسير هذه اللفظة في اللسان بقوله طلع الرجل على القوم يطلع وتطلع طلوعاً واطلع : هجم ، والأخيرة عن سيويه ، وطلع عليهم : أتاهاهم ، ، وطلع عليهم : غاب وهو من الأضداد .

واطلع رأسه إذا أشرف على شيء ، وكذلك اطلع ويقال طلعت عليهم واطلعت واطلعت بمعنى واحد . وطلعت في الجبل اطلع طلوعاً إذا أدبرت فيه حتى لا يراك صاحبك^(٣) جميع التفسيرات التي وردت لللفظة اطلع لم أجد فيها ما قصده الجاحظ فدلالة هذه اللفظة عند الجاحظ شرحها في نصه وهي بمعنى النزول ، وفي اللسان وغيره بمعنى آخر ، فاستخدام الجاحظ لهذه اللفظة هو استخدام خاص به وسائد في عصره ولم تسجلها المعاجم المتداولة ولا كتب الأضداد لكنهم ذكروا طلع عنهم ، وطلع عنهم وعليهم بمعنى أقبل^(٤) .

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٥١٤ وذكر صاحب اللسان شاهداً للفرردق يذكر فيه هذه اللفظة

(٢) مناقب الترك ص ٨٣ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٦٠٤ .

(٤) حاشية مناقب الترك ص ٨٣ التعليق للمحقق .

ثانياً: الأسماء

١ - تغير المجال الدلالي :

انتقال الدلالة من مجال إلى آخر له مبرراته ودوافعه فإما يكون لتوضيح أو لترقية الحياة العقلية فتنتقل الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد أو بالعكس وهذا يتم بصورة تدريجية ، ومن خلال الألفاظ التي وردت في كتابات الجاحظ ودخلت مجال التغير سنرى ألفاظاً منها .

تعطيل مثلاً وردت عند الجاحظ في معرض كلامه عن المسائل الدينية ومباحثها الكلامية قال : « نسك المتكلم : التسرع إلى إكفار أهل المعاصي وأن يرمي الناس بالجبر أو بالتعطيل أو بالزندقة يريد أن يوهم أموراً »^(١) معنى لفظة التعطيل : التفريغ ، وعطل الدار : أخلاها . وتعطل الرجل إذا بقي لا عمل له والاسم العطلة ، وعطلت المرأة تعطل عطلاً وعطولاً . وتعطلت إذا لم يكن عليها حلي ولم تلبس الزينة . وقد يستعمل العطل في الخلو من الشيء ، وإن كان أصله في الحلي ، يقال عطل الرجل من المال والأدب فهو عطل مثل عسر^(٢) . أما ما قصده الجاحظ من لفظة التعطيل فهي مبحث كلامي يتعلق بمسائل دينية كانت ترد هذه اللفظة كثيراً في مناظرات أصحاب علم الكلام في العصر العباسي عصر ازدهار الحضارة العباسية .

أما وزن تعطيل : تفعيل مصدر غير ثلاثي عَطَّلَ على وزن فعَّلَ المشدد العين الصحيح اللام .

(١) الحيوان ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٨١٣ .

الطفرة ذكرها الجاحظ فقال : وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة ، ولا من باب الجوهر والعرض بل كلها في الكتاب والسنة وبجميع الأمة أعظم الحاجة^(١) .

لفظة الطفرة فسرّها صاحب اللسان بالوثبة ، والطفرة : وثبة في ارتفاع كما يطفرة الإنسان حائطاً أي يشبه ، وقد طفر يطفرة طفراً وطفوراً : وثب في ارتفاع . وطفرة الحائط : وثبه إلى ما وراء ، وفي الحديث : فطفرة عن راحلته ، والطفرة من اللبن : كالطثرة وهو أن يكثف أعلاه ويرق أسفله ، وقد طفر^(٢) . هذا ما ورد في اللسان لمعنى الطفرة التي يقصد بها الجاحظ مبحثاً من المباحث الكلامية وهي أيضاً من الألفاظ الحضارية التي جاءت في مناظرات أصحاب علم الكلام .

وزن طفرة : فعلة من الفعل طفر : فعل .

مرسال : تغير مجال دلالتها عندما وردت على لسان أبي الفاتك في البخلاء قال أبو الفاتك : «الفتى لا يكون نشالاً ولا نشافاً ولا مرسالاً»^(٣) وفسر الجاحظ كلام أبي الفاتك قال : و (المرسال) رجلان : أحدهما إذا وضع في فيه لقمة هريسة أو ثريدة أو خيسة أو أرزة ، أرسلها في جوف حلقه إرسالاً . والوجه الآخر : هو الذي إذا مشى في أشب من فسيل أو شجرة قبض على رأس السعفة ، أو على رأس الغصن ليأخيه عن وجهه ، فإذا قضى وطره أرسلها من يده ، فهي لا محالة تصك وجه صاحبه الذي يتلوه ، لا يحفل بذلك ، ولا يعرف ما فيه^(٤) . هذا ما قاله الجاحظ تفسيراً للفظ مرسال .

(١) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٥٩٧ .

(٣) البخلاء ص ٦٧ .

(٤) نفسه ص ٧٦ .

أما المعاجم العربية فقد فسرت معنى المرسال بالناقة السهلة السير ، فصاحب اللسان يقول : والناقة المرسال تعني رسالة القوائم كثيرة الشعر في ساقها طويلته والمراسيل : جمع مرسال وهي سريعة السير^(١) . مما تقدم نجد أن المعنى الذي ذكره صاحب اللسان يختلف عن المعنى الذي قصده الجاحظ للفظ مرسال ، وهذا مما يبين لنا أن الألفاظ التي استخدمها الجاحظ في كتاباته ولم ترد لها معان مطابقة في المعاجم تعتبر هذه الألفاظ من الاستخدامات اللغوية الخاصة بالجاحظ .

وقد وردت في كلام فئة معينة من فئات المجتمع العباسي .

وقد قام الجاحظ بشرح الألفاظ التي لم تكن متداولة على نطاق واسع حتى يقربها من الأذهان ويصبح المعنى الدلالي واضحاً لكافة فئات المجتمع في ذلك العصر العباسي وبها تكون كتابات الجاحظ قد مثلت مرحلة حضارية مهمة في تاريخ دلالة الألفاظ .

أما وزن مرسال فهو على مفعال اسم فاعل من غير الثلاثي تحولت صيغته إلى صيغة تدل على الكثرة والمبالغة في الحدث ومفعال من الصيغ التي تدل على المبالغة^(٢) ويؤكد ابن قتيبة بأن مرسال على مفعال ويكون لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه^(٣) .

لَكَام تغير مجال استعمالها في عصر الجاحظ ، وقد وردت على لسان أحد بخلائه وفسرها الجاحظ فقال : اللكام الذي في فيه اللقمة ، ثم يلكمها بأخرى قبل إجادة مضغها أو ابتلاعها^(٤) . وصاحب اللسان فسر اللكام بمعنى الصلب

(١) اللسان ج ١ ص ١١٦٦ وردت في اللسان لفظة مراسيل في شاهد لكعب بن زهير .

(٢) شذا العرف الحملاوي ص ٧٥ .

(٣) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٥٥ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

الشديد الذي يكسر الحجارة^(١) . ومن نص الجاحظ وتفسير اللسان لهذه اللفظة نجد أن المعنى الدلالي للفظه اللكام قد تغير وأصبح عند الجاحظ بمعنى استخدام مغاير لما جاء في المعاجم العربية .

ووزن لفظه (لكام) : فعال من الفعل لكم فعل : وكل اسم يكون على فعال هو لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه^(٢) .

الغالية تدخل في مجال التغير الدلالي عند الجاحظ ، وقد جاء ذكرها فقال : كان خشغام بن هند كان شيخاً من الغالية وكان ممن إذا أراد أن يسمى أبا بكر وعمر قال : الجبت والطاغوت^(٣) . وفسر صاحب اللسان الغالية : هي نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن وهي معروفة وقد تغلي بها . ويقال إن أول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك ، ويقال منها تغللت وتغلقت وتغلّيت كله من الغالية^(٤) .

من الواضح أن دلالة لفظه الغالية قد تغير عند الجاحظ واختلف عن المعاجم العربية ، فالجاحظ يقصد بالغالية اسم فرقة دينية متطرفة في معتقداتها ومغالية أشد الغلو ، وقد أطلق عليها الغالية نسبة للغلاة المتطرفين من الشيعة ، وهكذا نرى الاختلاف البين في مجال الاستعمال عند الجاحظ والمعاجم العربية .

أما وزن الغالية فهي على فاعلة مفردة مؤنثة بالتاء من الفعل غلا : فعل .

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٩٣ وقد وردت لفظه اللكام في شاهد لثعلب ذكره صاحب اللسان .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٥٥ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٢٠ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ١٠١٢ .

مَحْوُلٌ وردت في البخلاء على لسان أبي الفاتك وقد فسرهما الجاحظ فقال : فكيف لو رأى أبو الفاتك اللطاع والقطاع والنهاش والمداد والدفاع والمحول^(١) ثم فسر معنى المحول فقال : «هو الذي إذا رأى كثرة النوى بين يديه احتال حتى يخلطه بنوى صاحبه»^(٢) وفي اللسان المحول : هي التي تنتج سنة سقياً وسنة قلوصاً ، وامرأة محيل وناقمة محيل ومحول ومحول إذا ولدت غلاماً على أثر جارية وجارية على أثر غلام^(٣) . من تفسير صاحب اللسان للفظة محول نجد أن المعنى مختلف كلية عما قصده الجاحظ ، فالتغير في مجال استعمال اللفظة واضح ومختلف عن المعاجم العربية .

ووزن محول : مفعول اسم فاعل من فعل غير ثلاثي حول فعل .

مَحْلَقِمٌ : فسرهما الجاحظ تعليقاً على كلام أبي الفاتك فقال :

والمحلقم : الذي يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه نقول لهذا : قبيح ادع الكلام وقت إمكانه^(٤) . وقال صاحب اللسان نقلاً عن الأزهري رطب محلقم ومحلقتن وهي الحلقامة والحلقانة ، وهي التي بدأ فيها النضج من قبل قمعها ، هذا رأى الأزهري وأضاف ابن منظور تفسيراً لمعنى حلقم التمر : كحقن ، وزعم يعقوب أنه بدل وعن الجوهري أيضاً الحلقوم الحلق^(٥) .

من تفسير اللسان وتفسير الجاحظ نرى تغير مجال استعمال اللفظة محلقم التي وردت عند الجاحظ بمعنى مخالف لما جاء في اللسان وهذا مما يوضح لنا أن هذه اللفظة استخدام لغوي للجاحظ وهو الذي قام بتفسيرها ليقربها من الأفهام لفئات المجتمع العباسي قاطبة .

(١) البخلاء ص ٦٧ .

(٢) البخلاء ص ٧٧ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٧٦٠ .

(٤) البخلاء ص ٧٧ .

(٥) اللسان ج ١ ص ٧٠٢ .

ووزن محلقم مفعّل اسم فاعل من غير الثلاثي جاء على زنة مضارعه وأبدلت حرف المضارعة ميما مضمومة ومادة الكلمة «حلقم» .

مَغْرِبِل فسرّها الجاحظ بقوله : « والمغربيل : الذي يأخذ وعاء الملح فيديره ، إدارة الغربال ليجمع أبازيره يستأثر به دون أصحابه لا يبالي أن يدع ملحهم بلا أبزار»^(١) وفي اللسان معنى المغربيل : المفرق وغربل الشئ نخله والمغربيل من الرجل الدون كأنه خرج من الغربال والمغربيل المقتول المتفخ^(٢) . أما المعنى الذي قصده الجاحظ وفسره بالتفصيل فهو مختلف عن صاحب اللسان ونجد أن المعنى عند الجاحظ مغاير لما ورد في المعاجم العربية ، وهذه اللفظة وغيرها وردت على لسان فئة معينة من فئات المجتمع العباسي وهو تغير دلالي حمل للفظة المغربيل التي شرحتها المعاجم العربية واستعملها العامة بمعنى مختلف .

وزن مغربل مفعّل مغربل : مفعّل اسم فاعل من غير الثلاثي «غربل» فعلل .

مَقْوَر وردت عند الجاحظ على لسان أبي الفاتك قاضي الفتيان كما يسميه الجاحظ ويورد الجاحظ قول أبي الفاتك فيقول : قال أبو الفاتك ، ولا نقاضا ولا دلاكا ولا مقورا^(٣) ، ثم يفسر الجاحظ كلام أبي الفاتك ويشرح لفظة المقور بقوله : المقور : الذي يقور الجراذق ويستأثر بالأوساط ويدع لأصحابه الحروف^(٤) وفسر صاحب اللسان لفظة المقور التي تدخل في مجال حديثنا عن تغير مجال الدلالة يقول : القوارة اسم لما قطعت من جوانب الشئ وكل شئ

(١) البخلاء ص ٦٧ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٩٧٠ .

(٣) البخلاء ص ٦٧ .

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

قطعت من وسطه خرقاً مستديراً فقد قورته»^(١) .

ومما تقدم نرى أن المعنى الذي قصده الجاحظ من هذه اللفظة وقد شرحها شرحاً وافياً لكي تفهمها كافة الفئات في ذلك العصر ، عصر الحضارة العباسية إذ أن لفظة المقور كانت مفهومة عند فئة معينة وقد ذكرهم الجاحظ مع قاضيهـم وهذه اللفظة تضاف إلى قاموس الجاحظ اللغوي إذ أنها لم ترد في المعاجم العربية بنفس المعنى الذي أورده الجاحظ لللفظة المقور ، فهي استخدام لغوي خاص به .

وزن مقور : مفعول وهو اسم مفعول من الفعل قور غير الثلاثي .

خُضْرَة ذكرها الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته وتدخل في مجال تغير الدلالة من مجال إلى آخر ، وقد وردت عند الجاحظ في بخلائه وهو يصف بساتين بغداد قال : «ومضى وحده ، حتى يدخل بعض بساتين الكرخ وينظر موضعاً تحت شجرة وسط خضرة وعلى ماء جار»^(٢) وقال في البخلاء أيضاً : رأيت أنا حمارة منهم زهاء خمسين رجلاً يتغدون على مباقل بخضرة قرية الأعراب^(٣) . وهذه اللفظة فسرّها صاحب اللسان فقال : الخضيرة تصغير الخضرة ، وهي النعمة وفي نوادر الأعراب : ليست لفلان بخضرة أي ليست له بحشيشة رطبة يأكلها سريعاً . وخضر الزرع خضراً : نعم ، وأخضره الري . وأرض مخضرة ، على مثال مبقلة : ذات خضرة ، وقرئ : فتصبح الأرض مخضرة . والخضرة من الألوان : لون الأخضر ، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغيرهما .

(١) اللسان ج ٣ ص ١٨٣ .

(٢) البخلاء ص ٢٤ .

(٣) البخلاء ص ٤٢ .

وقال ابن السكيت : والخضر ، والخضر والخضير : اسم للبقلة الخضراء^(١) . ومن نص الجاحظ نفهم أن المعنى المقصود للخضرة هو الحقل الذي تزرع فيه المخضرات خاصة وهذا المعنى لم يرد في المعاجم ، وهو استخدام لغوي خاص بالجاحظ وبهذا انتقل مجال استعمال الدلالة للفظه خضرة من استخدام إلى آخر فتغير المجال الدلالي هذا يعتبر من التطور الحضاري الذي طرأ على المجتمع العباسي في عصر الجاحظ عصر ازدهار الحضارة العباسية .

وزن خضرة : فعلة والأصل جاء من خضر : فعل .

مَرَابِطَةٌ ذكرها الجاحظ في حديثه عن أحد قواد الجيش قال : كان سلم ابن قتيبة يركب بغلة واحدة ومعه أربعة آلاف مرابطة^(٢) . وفسرت المعاجم هذه اللفظة بملازمة ثغر العدو ، ويقول صاحب اللسان رباط الخيل : مرابطتها ، والرباط والمرابطة : ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطاً . والرباط المواظبة على الأمر . قال الفارسي : هو ثان من لزوم الثغر ولزوم الثغر ثان من رباط الخيل^(٣) . والمعنى الذي ذكره صاحب اللسان يختلف عما أراده الجاحظ من لفظه مرابطة . فالجاحظ تعني عنده المرابطة فرقة عسكرية تسير بجانب القائد أو من يتولى قيادة الجيش خليفة كان أو أميراً ، فهذه الفرقة التي يسميها الجاحظ مرابطة تسير بمحازاة صاحب السلطان ، والمعنى هنا يختلف عما جاء في المعاجم . وهذا مما يدل على تغير مجال الدلالة وانتقالها إلى مجال آخر غير الذي عرفت به في المعاجم .

(١) اللسان ج ١ ص ٨٤٦ .

(٢) البخلاء ص ٤٢ .

(٣) اللسان ج ١ ص ١١٠٨ هذه اللفظة وردت في اللسان في شاهدين أحدهما لرؤية والآخر لطرفة .

أما وزن مرابطة فهو على مفاعلة من الفعل ربط : فعل .

تجوير وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير^(١) وقال أيضاً : كان تجوير النابت لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأفظع^(٢) . وفسر صاحب اللسان لفظة التجوير ونسبها إلى الجور قال : الجور ترك القصد في السير والفعل جار يجور وكل ما مال ، فقد جار . والجور : نقيض العدل وجار عليه في الحكم وجوره تجويراً : نسبة إلى الجور ، ومنه الحديث : حتى يسير الراكب بين النطقتين لا يخشى إلا جوراً أي ضللاً عن الطريق ، قال ابن الأثير هكذا روى الأزهري^(٣) .

والتجوير عند الجاحظ بمعنى مسألة ومبحث ديني أما في المعاجم فالتجوير يختلف بعض الشيء عما قصده الجاحظ ، وهكذا نرى أن مجال الدلالة للفظه تجوير قد تغير إلى مجال آخر لم تذكره المعاجم العربية ، وتغير مجال الدلالة هنا يعطينا صورة عما كان سائداً في العصر العباسي ويوضح لنا بعداً من أبعاد الحضارة العباسية .

وزن تجوير : تفعيل وهو مصدر لغير الثلاثي معتل العين ، جور فعل .
وَبَيْئَةٌ أصابها التغير في مجال الدلالة ، فالجاحظ يورد هذه اللفظة فيقول : وكان طبيباً فأكسد مرة . فقال له قائل : السنة وبئـة والأمراض فاشية^(٤) . قال صاحب اللسان وبئـة على فعلة وهي كثيرة الأمراض أو بمعنى كثيرة الوباء . وأرض وبئـة على فعيلة وموبوءة وموبئة كثيرة الوباء . واستوبأت البلد والماء ،

(١) في النابتة ص ١٤ .

(٢) في النابتة ص ١٥ .

(٣) اللسان ج ١ ص ٥٣٠ وقد ورد في اللسان شاهد لأبي ذؤيب فيه لفظة تجوير .

(٤) البخلاء ص ١٠٢ .

وفي حديث على كرم الله وجهه : أمر منها جانب فأوبأ أي صار وبيئاً . واستوبأ الأرض استرخمها ووجدتها وبيئة^(١) . وتفسير اللسان للفظه وبيئة كان بمعنى يخص بقعة من الأرض كثيرة المرض فهو دلالة محسوسة للفظه وبيئة . أما الجاحظ فعنده الدلالة مجردة وهي تعني السنة التي انتشر بها الوباء أي الزمن ، ومن هنا نرى أن دلالة اللفظة وبيئة انتقلت من المحسوسة إلى المجردة وهذا ما يسمى بتغير مجال الدلالة . ووزن وبيئة فعلة .

مَعَالِيْق تدخل في مجال تغير الدلالة ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : ويزعمون أن جوف التماسح إن هو إلا معاليق فيه وأنه في صورة الجراب ، مفتوح الفم^(٢) . قال صاحب اللسان : المعالق ، بغير ياء والمعلق والمعلوق : ما علق من عنب ولحم وغيره . ويقال للمعلق معلوق وهي ما يعلق عليه الشيء . وكل شيء علق به شيء فهو معلقة والأعاليق كالمعاليق كلاهما : ما علق ولا واحد للأعاليق^(٣) . معنى لفظة معاليق يختلف في الأساليب القديمة وتناولها لهذه اللفظة عن المعنى الذي يعنيه الجاحظ . فالمعنى الذي يريده الجاحظ لهذه اللفظة : هو الجهاز الهضمي والتنفسي للكائن الحي وهو معنى مغاير للمعاجم العربية .

أما وزن لفظة معاليق فهو على وزن مفاعيل جمع تكسير ويطرد في مزيد الثلاثي ويجوز تعويض ياء قبل الطرف مما حذف سواء كان المحذوف أصلاً أو زائداً^(٤) . وهناك تعليق أورده ابن السكيت على مفرد معاليق وهو معلاق ومعلوق قال : ليس في الكلام مفعول مضموم الميم إلا مغفور واحد مغاير

(١) اللسان ج ٣ ص ٨٦٨ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٥٧ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٨٦٤ وقد ورد هنا شاهد منسوب للفرزدق يذكر فيه لفظة معاليق .

(٤) شذا العرف الحملوي ص ١١٣ .

ومعلوق لواحد المعاليق شبه بفعلول^(١) . ومعلق من باب فعلا ففعلول
معلق ومعلوق .

ومما تقدم نرى أن تفسير لفظة المعاليق تناولته كتب اللغة بجانب المعاجم
العربية وكلها تفاسير تختلف عن معنى الدلالة لللفظة معاليق عند الجاحظ فتغير
مجال الدلالة واضح ما بين القديم وما أورده الجاحظ وهذا يمثل الاستخدام
اللغوي في العصر العباسي .

٢ - إرتقاء الدلالة :

رقي الدلالة هو قوة الدلالة في ألفاظ كانت تستعمل في مستوى أقل مما
أصبحت عليه عند الارتقاء ، وهو وليد الحاجة إلى التجديد في التعبير . وقد
وردت عند الجاحظ ألفاظ من هذا النوع مثل لفظة .

أَوَاخِي قال الجاحظ ذاكراً هذه اللفظة في حديثه عن ركائز الملك : «الملك
يحتاج إلى أواخ شداد وأسباب متان ، ومن أتمها سبباً وأعمقها نفعاً ما ثبته في
نصابه ، وأقره وسكنه في قراره ، وزاد في تمكنه وبهائه^(٢) . وقد فسر صاحب
اللسان لفظة أواخي بمعنى العود الذي يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه
ويصير وسطه كالعروة وتشد إليه الدابة ، وقال ابن السكيت : هو أن يدفن
طرفاً قطعة من الحبل في الأرض وفيه عصابة أو حجير ويظهر منه مثل عروة
تشد إليه الدابة ، وقيل هو حبل يدفن في الأرض ويبرز طرفه فيشد به ، وقال
أبو منصور : سمعت بعض العرب يقول للحبل الذي يدفن في الأرض مثباً
ويبرز طرفاه الآخران شبه حلقة وتشد به الدابة آخية . وقد أخيت للدابة تأخية

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٢٢٢ لفظة المعاليق شائعة في اللغة المحلية .

(٢) مناقب الترك ص ٧٤ .

وتأخيت الأخية ، والأخية لا غير : الطنب^(١) . وقال ابن السكيت : وما يضعه الناس في غير موضعه الأواخي والواحدة أخية . ويقال هي الأخية وجمعها الأواخي وهو أن يدفن طرفاً قطعة من جبل في الأرض وتظهر منه مثل العروة تشد إليها الدابة^(٢) . وما تقدم من تفسير للفظه . أواخي ترى كيف ارتقت هذه اللفظة ، ففي المعاجم وكتب اللغة فسرت على أنها الجبل أو العود أو العصية وغيرها من الدلالات المحسوسة ، ولكن هذه اللفظة عند الجاحظ أصبحت تعني ركائز الملك وأعمدته فدلالة اللفظة تطورت واحتلت مكانة مرموقة في الدولة وعند أصحاب السلطة . فالاختلاف واضح بين معناها القديم والمعنى الذي جاء عن الجاحظ ، وارتقاء هذه اللفظة يدل على الرقي الفكري في العصر العباسي .

أما وزن أواخ ، فعال ، أواخي فعالي جمع تكسير يطرد في كل ثلاثي ساكن العين زيد في آخره ياء مشددة ليست متجددة للنسب^(٣) .

التسوية : تدخل في مجال ترقية الدلالة ، وقد وردت في كلام الجاحظ عن المباحث الدينية والمسائل الكلامية قال الجاحظ : وزعمت العثمانية أن لها في التسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة^(٤) . وقد جاء في اللسان أن أصل التسوية من الفعل سوا ، وسوى بالقصر يكون بمعنيين ، يكون بمعنى نفس الشيء ، ويكون بمعنى غير ، وسوى الشيء وأسواه : جعله سوا . والساية فعلة من التسوية . وقول الناس : ضرب لي ساية أي هياً لي كلمة سواها على

(١) اللسان ج ١ ص ٣٢ .

(٢) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ٣١٣ ، ص ١٧٧ .

(٣) شذا العرف الحملاوي ص ١١١ .

(٤) العثمانية ص ٢٠٦ .

ليخدعني^(١) المعنى في اللسان واضح للفظة تسوية . أما المعنى الذي قصده الجاحظ فهو يختلف بعض الشيء عن المعاجم ، فالجاحظ يريد بلفظة التسوية مبحثاً كلامياً يتعلق بمسألة دينية ، وبهذا أصبحت دلالة الكلمة في مكانة أرفع مما كانت عليه في المعاجم . وكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجردة الأكثر رقياً مما كانت عليه في السابق .

وزن كلمة تسوية : تفعلة مصدر لفعل غير ثلاثي إذ أن الفعل المعتل اللام يكون مصدره على وزن تفعلة بحذف ياء التفعيل وتعويضها بتاء في الآخر .

التَّقِيَّة : التي وردت في كتابات الجاحظ فقال يذكر التَّقِيَّة في حديثه عن إحدى المسائل الدينية : « قد نجد التقية تسيع الكفر ، والكفر باللسان أعظم من القتل والقذف بالجراحة . فإذا جازت التقية في الأعظم كانت في الأصغر أجوز^(٢) وفي اللسان فسر التقية وذكر مادتها من الفعل وقى وتوقى واتقى وتوقيت واتقيت الشيء وتقيته أتقيه ، وأتقيه تقي وتقية وتقاء : حذرته ، الأخيرة عن اللحياني ، والاسم التقوي ، التاء بدل من الواو والواو بدل من الياء وقوله تعالى : إلا أن تتقوا منهم تقاة ، يجوز أن يكون مصدراً وأن يكون جمعاً والمصدر أجود لأن في القراءة الأخرى : إلا أن تتقوا منهم تقية ، التعليل لا نأرسي . وفي التهذيب قرأ حميد تقية هو وجه إلا أن الأولى أشهر في العربية والتقي يكتب بالياء والتقي والمتقي ، وفي الحديث : قلت وهل للسيف من تقية قال : نعم ، تقية على أقذاء وهدنة على دخن ، التقية والتقاة بمعنى يريد أنهم يتقون بعضهم بعضاً ويظهرون الصلح والاتفاق وباطنهم بخلاف . وقال في موضع آخر : التقوى أصلها وقوى من وقيت فلما فتحت

(١) اللسان ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٤١٣ .

قلبت الواو تاء ، تم تركت التاء في تصريف الفعل على حالها في التقي والتقوى والتقية والتقي والاتقاء ، قال : والتقاء جمع . وحكى ابن برى عن القزاز : أن تقي جمع تقاة مثل طلاة وطلبي . والتقاء : التقية ، يقال : اتقى تقية وتقاء مثل اتخم تخمة^(١) . والمعنى الذي قصده الجاحظ للفظه تقية هو مبحث كلامي يتناول مسألة دينية تتعلق بإحدى الفرق الدينية التي عاشت في العصر العباسي ومثلت أحد المعالم الحضارية لتلك الفترة ، والتقية تعتبر من الألفاظ الحضارية التي ظهرت مع ازدهار الحضارة العباسية وإن كانت دلالة الكلمة موجودة من قبل إلا أنها وضحت دلالات في عصر الجاحظ وارتقت إلى منزلة أرفع مما كانت عليه في بدء ظهورها .

أما وزن تقية تعلقة من الفعل وقى فعل . وتقية مصدر لفعل غير ثلاثي معتل اللام ومصدره على وزن تفعلة دائماً وذلك بحذف ياء التفعيل للمصدر وتعويضها بتاء في الآخر .

٣ - انحطاط الدلالة :

يصيب الدلالة أحياناً بعض الضعف أو الانهيار فتفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال بين الناس الاحترام والتقدير وتستعمل في مجال أضعف من مجالها الأول وأحط فتصيبها الخسة بعد الرفة أو الضعف بعد القوة ، وقد أورد الجاحظ ألفاظاً تخص موضوعنا هذا مثل .

لفظة الثلج وردت عند الجاحظ في وصفه لمجلس شراب قال : وأقاموا وظائف الثلج واتخذوا القيان^(٢) . وفسر صاحب اللسان لفظة ثلج فقال :

(١) اللسان ج ٣ ص ٩٧٢

(٢) البخلاء ص ٢٠٥ .

الثلج هو ما سقط من السماء . وفي حديث الدعاء : واغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ، إنما خصهما بالذكر تأكيداً للطهارة ومبالغة فيها لأنهما ماءان مفطوران على خلقتهم ، لم يستعملوا ولم تنلهم الأيدي ولم تخصصهما الأرجل ، كسائر المياه التي خالطت التراب وجرت في الأنهار وجمعت في الحياض فكانا أحق بكمال الطهارة . وفي حديث عمر رضى الله عنه : «حتى أتاه الثلج اليقين» ومنه حديث الأحوص أعطيك ما تثلج إليه^(١) . المعنى في نص الجاحظ واضح وهو ما يوضع مع الشراب ويلطفه ويبرده فاستعمل لفظة ثلج بمعنى مبتدل بالنسبة لما ذكرته المعاجم من معنى للفظه الثلج . فقد استعملت هذه اللفظة في الأساليب القديمة قوية محترمة وعند الجاحظ نزلت من عليائها وأصبحت في منزلة منحلة ففقدت مكانتها الأولى .

وزن ثلج فعل اسم جمع .

الواشي وقد وردت عند الجاحظ بقوله : ثم ذراه ثم غربله ثم جش الواشى منه^(٢) . في اللسان الواشى جاء من المادة وشى ، والواشية : الكثيرة الولد ، والرجل واش وفي حديث عفيف : خرجنا نشي بسعد إلى عمر ، وهو من وشى إذا نم عليه وسعى به ، وهو واش وجمعه وشاة^(٣) . ما ذكره صاحب اللسان لا يمت للمعنى الذي قصده الجاحظ .

وجاء معنى الواشى عند الجاحظ ما تخلفه الحيوانات أو النباتات وبالأخص عملية الغربلة في النبات وما تتركه من مخلفات عديمة الفائدة ، وهذا المعنى الدلالي للفظه الواشى ليس الذي استعمل في المعاجم ، فقيمة اللفظة انحطت عند الجاحظ كثيراً وأصبحت تعني شيئاً عديم الفائدة بعد أن كانت صفة لإنسان ذي كيان وقيمة ، وهذا ما ذكرته المعاجم تفسيراً لهذه اللفظة .

(١) اللسان ج ٢ ص ٣٧ ورد في اللسان شاهد منسوب لعبيد يذكر فيه لفظة ثلج .

(٢) البخل ص ١٢٩ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٩٣٤ .

وزن واشي : فاعل من الفعل وشى فعل .

المقدس : من الألفاظ التي أصابها الانحطاط في العصر العباسي ، وقد وردت في كتابات الجاحظ في تفسيره لكلام ابن خالويه المكدي قال : والمقدس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه . ويقف في طريق مكة على الحمار الميت والبعير الميت فيدعي أنه كان له ويزعم أنه قد أحصر . وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والأفريقية ، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال . وهو متى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء^(١) وفي اللسان فسرت لفظة المقدس بالخبير والراهب ، وحكى عن ابن الأعرابي : لا قدسه الله أي لا بارك عليه . وقال : المقدس المبارك^(٢) .

مما تقدم نجد أن تناول المعاجم للفظه المقدس يختلف عما أورده الجاحظ في نصه تفسيراً لهذه اللفظة فقد انحطت اللفظة في استخدام الجاحظ لها وأصبحت في الدرك الأسفل بعد أن كانت في القمة من القداسة والروحانية ، فالتغير الذي أصاب لفظة المقدس يعتبر تطوراً دلالياً مخالفاً لما كانت عليه في الأساليب العربية القديمة وهو استخدام لغوي انتشر في العصر العباسي ، وخير مؤشر على هذا كتابات الجاحظ المعبرة عن ذلك العصر .

وزن مقدس : مفعول وهو اسم فاعل للفعل غير الثلاثي قدس : فعل .

النابتة من الألفاظ التي تدخل في مجال انحطاط الدلالة عند الجاحظ فقد وردت هذه اللفظة كثيراً في كتابات الجاحظ ، وقد خصص لها رسالة كاملة أسماها في النابتة ويقول الجاحظ عن النابتة : شعراء الأمصار والقرى من

(١) البخلاء ص ٥٣ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٣٣٠

المولدة والنابتة^(١) وقال : وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا ، أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجوزة بدعة^(٢) وفسرت لفظة النابتة في اللسان من النابت وهو كل شئ طري حين ينبت صغيراً ، وما أحسن نابتة بني فلان أي ما ينبت عليه أموالهم وأولادهم ونبتت لهم نابتة إذا نشأ لهم نشء صغار . والنوابت من الأحداث : الأغمار^(٣) . المعنى في اللسان واضح وليس هناك ما يحط من دلالة اللفظة (نابتة) ولكن الجاحظ في نصوصه جعل هؤلاء النابتة في الدرك الأسفل من فئات المجتمع العباسي ، وبهذا نرى أن اللفظة - ضعفت وانحطت في استخدام الجاحظ لها بعد أن كانت في المعاجم في موضع أرفع .

وزن نابتة : فاعلة والمادة منها نبت : فعل .

٤ - تخصيص الدلالة :

تتطور دلالة اللفظ من العموم إلى الخصوص ، ويضيق مجالها وهذا ما نسميه بتخصيص الدلالة ولا تزال تتخصص حتى تصل إلى العلمية أو ما يشبهها .

وقد ذكر الجاحظ ألفاظاً عديدة في هذا المجال مثل لفظة :

تَوَلَّدَ التي وردت عند الجاحظ في حديثه عن أنواع الكتب الدينية قائلاً : لو تكلفت كتاباً في طوله ، وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر ، والطفرة ، والتولد والمداخلة والغرائز والتماس لكان أسهل^(٤) وجاء في اللسان معنى التولد هو تولد الشئ من الشئ والمادة (ولد) والوليد الصبي

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٣٠ .

(٢) في النابتة ص ١٤ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٥٦٣ .

(٤) الحيوان ج ٤ ص ٢٠٨ .

حين يولد . وحكى أبو عمرو عن ثعلب قال : ومما حرفته النصارى أن في الإنجيل يقول الله تعالى مخاطباً عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : أنت نبي وأنا ولدتك أي ربيتك ، فقال النصارى : أنت بنى وأنا ولدتك ، وخففوه وجعلوا له ولداً^(١) . إن تفسير اللسان واضح وهو يختلف عن تفسير الجاحظ للفظه التولد . فالجاحظ يعني بهذه اللفظة : مبحث كلامي يتعلق بما تولد عن فعل الإنسان والحي ، وقد اختلف العلماء فيما تولد من فعل غير الحي^(٢) . وقد خصص الجاحظ هذه اللفظة في أضيق الحدود بينما المعاجم تعني بهذه اللفظة عملية خلق الكائن الحي بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة .

وزن تولد : تفعل من الفعل ولد : فعل .

دَفَّاع : وقد فسرها الجاحظ تعقياً على كلام ابن خالويه المكدي قال : الدفاع : الذي إذا وقع في القصعة عظم ، فصار مما يليه نحاه بلقمة من الخبز حتى يصير مكانه قطعة من لحم . وهو في ذلك كأنه يطلب بلقمته تشريب المرق دون إراغة اللحم^(٣) . وفي اللسان رجل دفاع ومدفع : شديد الدفع . وركن مدفع : قوي . ودفع فلان إلى فلان شيئاً ، ودفع عنه الشر على المثل . والدفاع بالضم والتشديد : كثرة الماء وشدته ، وقال أبو عمرو : الدفاع الكثير من الناس ومن السيل^(٤) . مما تقدم نرى أن المعنى الذي قصده الجاحظ في نصه للفظه دفاع مغاير لما جاء في المعاجم ، فالجاحظ يقصد بلفظة الدفاع بسئ المؤكلة وهكذا نجد خصص هذه اللفظة بصفة سيئة للإنسان .

(١) اللسان ج ٣ ص ٩٨٠ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٤٣ .

(٣) البخل ص ٧٧ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٩٩٢ .

أما وزن دفاع فقد ذكره ابن قتيبة فقال : «وهو لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه»^(١) .

دولة خصص الجاحظ دلالتها في كتاباته وقد وردت هذه اللفظة بقوله : «والحكم ها هنا الحكم هناك ولولا ذلك ما قامت مملكة ولا ثبتت دولة»^(٢) .

فسر صاحب اللسان لفظة الدولة والدولة : العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل الدولة بالضم في المال ، والدولة بالفتح الحرب ، وقيل هما سواء فيهما يضمنان ويفتحان ، . وقيل : بالضم في الآخرة ، وبالفتح في الدنيا وقيل هما لغتان فيهما ، والجمع دول ودُول . وقال ابن جنبي : مجئ فعلة على فعل يريك أنها كأنها جاءت عندهم من فعلة فكأن دولة دولة ، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتي تابعا لضممة . وقال الجوهري : الدولة بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال : كانت لنا عليهم الدولة ، والجمع الدول . وقال الليث : الدولة والدولة لغتان وكانت الدولة لنا والدولة : الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء»^(٣) هذا ما جاء به صاحب اللسان تفسيرا للفظ دولة وهي تختلف في دلالتها عما يريده الجاحظ من لفظة الدولة ، فقد خصص هذه اللفظة بصفة سياسية تشريعية فالدولة عند الجاحظ تشتمل على عدة أقاليم تحكم من قبل سلطة حاكمة ذات سيادة وكيان وحدود آمنة . وهكذا نرى أن دلالة الكلمة قد تقلص واختص بمعنى واحد عند الجاحظ ، وهذا يختلف عما أورده المعاجم في تناولها للفظ «دولة» .

وزن دولة فعلة من الفعل دال : فعل .

(١) : أب الخاتب ابن قتيبة ص ٢٥٥

(٢) المعاش والمعاد ص ٩٩ .

(٣) اللسان ح ١ ص ١٠٣٤

حكومة من الألفاظ التي خصصت دلالتها في كتابات الجاحظ وقد وردت في نص من كتاباته قال فيه : هكذا ظاهر هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة^(١) . جاء في اللسان أصل الحكومة من الحكم وهو القضاء وجمعه أحكام لا يكسر على غير ذلك ، وقد حكم عليه بالأمر يحكم وحكموه بينهم : أمروه أن يحكم ويقال : حكمنا فلاناً فيما بيننا أي أجزنا حكمه بيننا . وحكمه في الأمر ما احتكم : جاز فيه حكمه ، جاء فيه المطاوع على غير بابه والقياس فتحكم ، والاسم الحكومة والحكومة^(٢) . هذا ما فسرهُ صاحب اللسان للفظ حكومة ، ولكن الجاحظ خصص هذه اللفظة بمعنى واحد وهو السلطة القضائية للدولة وتعني جهاز الحكم من وزراء ومستشارين ويرأسهم الحاكم .

وزن حكومة : فعولة وأصلها من حكم : فعل .

جيزة تدخل في مجال تخصيص الدلالة وقد وردت عند الجاحظ بقوله : ما طبع الله عليه تلك البرية من خصائص الغرائز ، وما قسم الله تعالى لأهل كل جيزة من الشكل والصورة ومن الأخلاق واللغة^(٣) . وقد جاء في اللسان معنى الجيزة : الجانب والناحية ، وجمعها جيز وجيز . وقال صاحب اللسان : الجيزة الناحية من الوادي ونحوه . وقال الأزهري : الجيزة من الماء مقدار ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل ، يقال اسقني جيزة وجائزة وجوزة^(٤) .

هذا ما قاله صاحب اللسان تفسيراً للفظ «جيزة» ، أما الجاحظ فقد حدد معالم هذه اللفظة فهي تعني عنده الحي والمنطقة والمحلة التي تضم فئة من الناس . فالجاحظ إذن خصص هذه اللفظة بعد أن كانت عامة تطلق على أمور

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢ .

(٢) اللسان ج ١ ص ٦٨٩ .

(٣) مناقب الترك ص ١١ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٥٤١ .

كثيرة ، وهذا تطور دلالي نلاحظه في ألفاظ عديدة وردت في كتب الجاحظ التي تعبر عن فترة حضارية مرت بها الألفاظ العربية وإلى أي مدى وصلت .

وزن جيزة : فعلة من جيز : فعل .

نهارية وقد جاءت في كتابات الجاحظ وهي لفظة لها مدلول حضاري وهذا ما نراه في نص الجاحظ قال : فأما المكي فإنه تعشق جارية يقال لها سندرة ثم تزوجها نهارية^(١) . وقال في نص آخر في قصة تمام بن جعفر : وقالت له امرأة : ويحك يا أبا القماقم إني قد تزوجت زوجاً نهارياً والساقه وقته ولست على هيئته فاشتر لي بهذا الرغيف آسا^(٢) . هذا ما ذكره الجاحظ في نصوصه عن لفظة نهارية ونهاري ، ولنر المعاجم بماذا فسرت هذه اللفظة ، قال صاحب اللسان النهار : ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وقيل : من طلوع الشمس إلى غروبها ، وقال بعضهم : النهار انتشار ضوء البصر واجتماعه والجمع أنهر عن ابن الأعرابي ، ونهر عن غيره . وقال الجوهري : النهار ضد الليل . ولا يجمع كما لا يجمع العذاب والسراب ، فإن جمعت قلت في قليله : أنهرة وفي كثيره : نهر . وأنهرنا من النهار . قال ابن بري ولا يجمع . ورجل نهر : صاحب نهار على النسب . قال سيويه : قوله بليلي يدل أن نهاراً على النسب حتى كأنه قال : نهارى ، ورجل نهر أي صاحب نهار يغير فيه^(٣) . ووردت هذه اللفظة في نوادر أبي زيد قال : رجل نهر وليس بليلي تقول صاحب نهار وليس بصاحب ليل^(٤) .

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٦٧ .

(٢) البخل ص ١٠٤ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٣٢٨ .

(٤) النوادر في اللغة أبو زيد الأنصاري ص ٢٤٩ .

وذكر صاحب الأغاني لفظة (النهاريات) قال عن الفضل بن سعيد :
حدثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنهاريات قال تزوجت امرأة منهن
فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا أو كنا في أسفل البيت وبشار في
علوه^(١) .

بما تقدم نرى لفظة النهارية ومشتقاتها وردت في الأساليب القديمة وكلها
تعني ذلك الزواج الذي حدده الجاحظ وهو بالأصح حدد هذه اللفظة وخصها
بنوع معين من الزواج وهذا ما كان سائداً في عصره ، واللفظة تبين لنا عادة
كانت متعارفاً عليها في العصر العباسي إذ أن ورود اللفظة في ذلك العصر
وتخصيصها عند الجاحظ يعطينا بعداً حضارياً آنذاك ويضيف لقاموس اللغة عند
الجاحظ لفظة لها استخدام لغوي خاص وضح في نصوصه .

وزن نهارية فعالية منسوبة إلى النهار .

بَيْسَرِي خصصها الجاحظ بعد أن كانت عامة في الأساليب القديمة ، قال
الجاحظ : ورأينا البيسري من الناس ، وهو الذي يخلق من البيض والهند ،
ولا يخرج ذلك التاج على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه يجئ أحسن
وأملح^(٢) وفي اللسان جاءت هذه اللفظة من المادة بسر بمعنى الإعجال .
والمبور : طاب الحاجة في غير موضعها . وبسر حاجته يبسرهما بسرّاً وبساراً ،
وابتسرهما وتبسرهما : طلبها في غير أوانها أو في غير موضعها ، والبسر : الغض
من كل شئ . والبياسر : قوم بالسند ، وقيل جيل من السند يؤاجرون أنفسهم
من أهل السفن لحرب عدوهم ، ورجل بيسري^(٣) . صاحب اللسان لم يفسر
معنى لفظة البيسري مثلما فسرهما الجاحظ وكيف أنه حدد نوع هذا البيسري وإلى

(١) الأغاني للأصفهاني ج ٣ ص ٣٠ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ١٥٧ .

(٣) اللسان ج ١ ص ٢١١ .

أي القوم ينتمي فهو ليس بالعربي الأصيل بل هو خليط من البيض والهند .
وبهذا خصص الجاحظ هذه اللفظة في كتاباته وهو ما توضحه المعاجم
والكتب القديمة قال ابن السكيت : البسر : ، مصدر بسر الرجل ، إذا كلى^(١) .
وزن يسرى فيعلى منسوبة إلى البياسرة .

الشارع : ذكرها الجاحظ بقوله : «قد أردت أن أهدم المسجد الذي كنت
بنيته ليزيد بن هشام حين تركه بينه في الشارع وبناه في الرائغ»^(٢) معنى الشارع
في اللسان : الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة وهو على هذا المعنى
ذو شرع من الخلق يشرعون فيه . والشرع : موضع وكذلك الشوارع . وشرع
المنزل إذا كان على طريق نافذ . وكل دان من شئ فهو شارع وقد شرع له
ذلك ، وكذلك الدار الشارعة التي دنت من الطريق وقربت من الناس^(٣) . مما
تقدم نرى أن الجاحظ حدد معنى لفظة الشارع بالطريق الممهدة الممتدة الواضحة
المعالم للبيوت المأهولة ، وبهذا خصص لفظة الشارع فبعد أن كانت تطلق على
كل طريق عام أصبحت عند الجاحظ مخصصة بطريق معين يرتاده الناس في
أماكن سكناهم .

وزن شارع : فاعل من الفعل شرع : فعل .

عجوز من الألفاظ التي خصص دلالتها الجاحظ وقد ذكرها على لسان أحد
بخلائه قال : فقلت للعجوز : لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة^(٤) .
وقال صاحب اللسان مفسراً لفظة العجوز : العجوز من النساء : الشيخة الهرمة
والجمع عجز وعجائز ، وقد عجزت تعجز عجزاً وعجوزاً ، وعجزت تعجز

(١) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ١٢٧ /

(٢) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٥٩٧ .

(٤) البخلاء ص ٣١ .

تعجيزاً : صارت عجوراً ويقال للرجل عجوز وللمرأة عجور . ويقال : اتقي الله في شبيبته وعجزك أي بعدما تصيرين عجوراً . قال ابن السكيت : ولا تقل عجوزة والعامة تقوله . وقال ابن الأثير : العجز جمع عجوز وعجوزة ، وهى المرأة الكبيرة المسنة . والعرب تقول لامرأة الرجل وإن كانت شابة . هى عجوزة ، وللزوج وإن كان حدثاً : هو شيخها^(١) . مما تقدم نرى تفسير الجاحظ للفظه العجوز وهو يقصد الزوجة لأن الرجل في العصر العباسي وخاصة في المنطقة الجنوبية من العراق لا يسمى زوجته باسمها بل هو طالما يكنى عنها أو يصفها بوصف ما . وفي المعاجم جاءت لفظة العجوز عامة تقصد المسنة وأحياناً الشابة امرأة لرجل من الأعراب ولكن الذي حدث بالنسبة للجاحظ أنه خصص دلالة هذه الفظة بالزوجة فقط مهما كان سنها . ولا يدرك هذه الألفاظ التي تناولها الجاحظ في استخدامه اللغوي إلا من عايش اللغة العامية البصرية أي لغة الجاحظ المحلية .

أما وزن لفظة عجوز فهو على فعول من الفعل عجز : فعل : وعجزت تعجز تعجيزاً إذا صارت عجوراً^(٢) .

شهوة من الألفاظ ذات الدلالة الخاصة في كتابات الجاحظ فقد خصصها بعد أن كانت عامة ، وللجاحظ قصة مع هذه اللفظة فهو لا ينفك يذكرها في كل مناسبة وهكذا نجدها في أماكن كثيرة من كتبه ورسائله ففي البخلاء يقول : ولأن عامتهم قد بقيت عنده فضلة ، فهي تمنعه من الشهوة^(٣) . وقال أيضاً : إن أهله ألحوا عليه في شهوة وأكثروا في إنفاق درهم ، فدافعهم ما أمكن

(١) اللسان ج ٢ ص ٦٩١ هذه اللفظة لا تزال تستعمل في المنطقة الجنوبية من العراق .

(٢) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٢٦٣ .

(٣) البخلاء ص ١١٢ .

ذلك^(١) . وفسرت المعاجم العربية لفظة الشهوة تفاسير كثيرة ليس من بينها ما قصده الجاحظ ففي اللسان أصل شهوة من شهى الشئ وشهاه ويشهاه شهوة واشتهاه وتشهاه : أحبه ورغب فيه . وقوم شهاوي أي ذوو شهوة شديدة للأكل . وقال أبو عبيد : ذهب بها بعض الناس إلى شهوة النساء وغيرها من الشهوات . وقال : وعندي أنه ليس بمخصوص بشئ واحد ، ولكنه في كل شئ من المعاصي يحبه صاحبه ويصر عليه ، فإنما هو الإصرار وإن لم يعمل^(٢) . هذا ما شرحه صاحب اللسان من معنى للفظ شهوة وهو مخالف لما قصده الجاحظ ، فقد خصصت دلالة هذه اللفظة عند الجاحظ وهي بمعنى الطعام الذي لا يطبخ يومياً بل في المناسبات أو نادراً ما يطبخ فهو شهوة لأنه قليل ما يشتهي ويطبخ ، وهكذا نرى الجاحظ قد خصص هذه الشهوة بالطبخة التي تشتهي فتطبخ ، فالمعنى الذي قصده الجاحظ من هذه اللفظة غير الذي فسر في المعاجم فقد حدد دلالة هذه اللفظة وخصصها في مجال بعيداً عما تداولته المعاجم إذ أن للجاحظ طرقاً خاصة في التعبير واستخدامه للألفاظ ينفرد به في كتاباته ، وهذه الألفاظ التي استخدمها في معجمه اللغوي وخصص دلالتها كانت سائدة بين فئات المجتمع العباسي في ذلك العصر الحضاري الزاهر عصر الحضارة العباسية ونقلها الجاحظ من بين شفاه الناس دون تحوير إلا أنه أعطاها مكاناً معيناً في معجمه اللفظي ، وخير ما يصور لنا هذا نصه الذي وردت فيه لفظة شهوة على لسان أحد بخلائه فأهل هذا البخل ألحوا عليه بأن يعطيهم درهماً يشتروا به شيئاً يأكلونه وكل طعام عند هؤلاء أصبح شهوة لشدة بخل من يعولهم ولأن الطعام غير متوفر عندهم يومياً فقد أصبح شهوة .

(١) البخلاء ص ١٣١ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٣٧٨ .

ثالث : الاشتقاق :

قال الرازي : إن لغة العرب هي اللغة التامة الحروف الكاملة الألفاظ ، لم ينقص منها شيء من الحروف فيشيناها النقصان ، ولم يزد فيها شيء فيعييها الزيادة^(١) . وقال أحد المحدثين الكلمة العربية : صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم ، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى ، أو يغير موضعها أو يستبدل بها غيرها في السياق وترجع في مادتها غالبا إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد^(٢) . هذا ما قاله القدماء والمحدثون في لغة العرب وحروفها التي تتكون منها الألفاظ العربية الأصل ولكن ما نظام هذه الألفاظ وهذا ما يجيب عنه أحد الباحثين في اللغة ، بأن الألفاظ العربية تتجمع في مجموعات كل مجموعة منها تشترك مفرداتها في حروف ثلاثة وتشترك في معنى عام ثم تنفرد كل كلمة في المجموعة تتميز عن قريباتها في النسب بصيغها أو مبناها وتختلف في معنى خاص بها ناشئ عن صيغها أو عن غيرها من الملابس التي أكسبتها حياة خاصة . ولكنها ابتعدت في معناها وفي حياتها وتأريخها تحمل طابعاً يسنيها في الحروف الثلاثة التي تدور معها أنى دارت . وهذه مزية في اللغة العربية ليست لغيرها من اللغات^(٣) . وبما تقدم نرى أن العناصر القابلة للتحول والتطور هي المفردات ذات الصيغ أى العناصر ذات الصيغ الاشتقاقية وأن العناصر الأخرى التي لاتخضع للصياغة الاشتقاقية إنما هي مبان تنتمى إلى نظام اللغة فمعانيها وصورها محفوظة مسموعة^(٤) . وأية دراسة للمقابلات السامية من ناحية المفردات تبحث

(١) كتاب الزينة الرازي ج ١ ص ٦٤ .

(٢) مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان ص ٢٣٢ .

(٣) فقه اللغة محمد المبارك ص ٧٠ .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان ص ١٥١ .

الكلمات التي انحدرت من أصل اشتقاقى واحد ثم تبحث مدى الاتفاق أو الاختلاف الدلالى بعد ذلك^(١) . فالاشتقاق يحدد الكلمة أو مادتها الأساسية ومعناها الأصلية ، وهو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة أخرى والقياس هو الأساس الذى تبنى عليه هذه العملية ويقول السيوطى : « إن الأصل فى الاشتقاق أن يكون من المصادر ، وأصدق ما يكون فى الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر ، والزمان والمكان يغلب فى العلم ويقل فى أسماء الأجناس^(٢) »

أما الجاحظ فنجد الصيغ الاشتقاقية التى أوجدها لم ترد فى المعاجم العربية وقد انفرد باستحداثها ولكن مادة هذه الصيغ مع اشتقاقات متعددة من تلك المادة ذكرتها المعاجم العربية بإسهاب وهذه الألفاظ ذات الصيغ الاشتقاقية الجديدة أوزانها كلها عربية الأصل ومعروفة لدى الصرفيين . وتشمل هذه الصيغ الأفعال على قلتها والأسماء - بأنواعها وأبنيتها المختلفة وأجناسها المتباينة وهى تشغل الحيز الأكبر من الصيغ الاشتقاقية التى أوجدها الجاحظ فى عصر الحضارة العباسية .

الأفعال وأوزانها:

وردت فى كتابات الجاحظ صيغ اشتقاقية للأفعال لم ترد فى المعاجم العربية وهذه الصيغ الاشتقاقية المستحدثة كانت من باب الثلاثى المزدب بحرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف ومن باب المضعف ، ومن هذه الأفعال لفظة ساهلوك وأفتك ، وخول واستف واستنطى وحموه . وهذه الصيغ الفعلية قليلة جداً بالنسبة

(١) علم اللغة د. محمود حجازى ص ٢١٠ .

(٢) الزهر السيوطى ج ١ ص ٣٥٠ .

لصيغ الأسماء التي استحدثها الجاحظ وأهم أوزان الأفعال التي ذكرها الجاحظ :

١ - بناء فاعل : وهو ما زيدت بين الفاء والعين منه ألف .

وهو من باب المفاعلة ويكون بين اثنين فصاعدا ، ثم يتفرع منه فروع ^(١) .
سَاهَلَهُ من هذا الوزن فاعل بمعنى تفاعل . قال الجاحظ : فأما ثناء المادحين لك في وجهك ، فإنما تلك أسواق أقاموها للأرباح وساهلوك في المبايعة ^(٢) .

وفي اللسان وردت المادة سهل ومشتقاتها أسهلوا إذا استعملوا السهولة مع الناس واستسهل الشيء : عده سهلا ^(٣) . ولم أجد هذه الصيغة التي استحدثها الجاحظ وإن كانت مادتها قد ذكرها اللسان - وقد وردت عند ابن قتيبة في باب فاعلت ^(٤) . وهو من الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف .

٢ - بناء أفعَل (باب الافعال) وهو ما كررت اللام فيه .

أَفْتَكْ وقد ذكرها الجاحظ فقال : وكان عبيدالله أفتك الناس وأخطب الناس ^(٥) وفي اللسان وردت مادة اللفظة هذه من الفتك وذكرها صاحب اللسان ومعها اشتقاقات شتى مثل فتكا وفتوكا وفتكا وفتاك وفتاك ^(٦) . ولم ترد صيغة أفتك التي جاء في نص الجاحظ فهي من الصيغ التي استحدثها في كتاباته ولم يرد ذكرها في المعاجم وهي من وزن الثلاثي المزيد بحرف وهو الألف وذكره

(١) ديوان الأدب الفارابي ج ٢ ص ٣٨١ .

(٢) المعاش والمعاد ص ١٢٩ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٣٥٧ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٥ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ١٠٤٨ .

ابن القوطية فى كتابه فقال : فتكت به فتكا : قتلته مطمئنا مجاهرة ، ولغة أفتكت^(١) .

١ - بناء فعل (باب التفعيل) وهو ما كررت العين فيه^(٢) .

خول وردت فى كتابات الجاحظ وهى من هذا البناء فعل ثلاثى معتل مزيد بحرف . وقد ذكرها الجاحظ بقوله : « ولاشئ أعجب من أن المنطق أحد مواهب الله العظام ، ونعمه الجسام وأن صاحبها مسؤول عنها ، ومحاسب على ما خول منها »^(٣) .

جاءت مادة خول فى اللسان وهى بمعنى أعطى وجاءت معها مشتقات شتى مثل التخول بمعنى العهد وخوله المال : أعطاه إياه^(٤) . وذكر هذا الفعل ابن القوطية فى باب المعتل بالياء والواو فى عين الفعل ، قال خيل الرجل فهو مخيل ومخول : كثرت خيلان جسده ، وأخولتك الشئ : ملكتك^(٥) . وفى نص الجاحظ خول فعل مبنى للمجهول على وزن الثلاثى للتكثير .

٤ - بناء افتعل (باب الافتعال) وهو مما زيدت بين الفاء منه والعين تاء^(٦)

إستف جاءت من هذا البناء وهى من الأفعال المزیدة المضعفة . وقد وردت هذه الصيغة عند الجاحظ فى بخلائه قال : لم يفجأنى قط وأنا آكل تمرا إلا استفه سفا وحساه حسوا^(٧) . فى اللسان لم ترد هذه الصيغة وإنما جاءت المادة

(١) الأفعال ابن قوطيه ص ١٤٠ .

(٢) ديوان الأدب الفارابى ج ٣ ص ٤٣٣ .

(٣) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٢ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٩٢٣ .

(٥) الأفعال ابن قوطيه ص ٣٦ .

(٦) ديوان الأدب الفارابى ج ٢ ص ٣٩٤ .

(٧) البخلاء ص ٧٩ .

سف « سفف » وذكر صاحب اللسان بعض الاشتقاقات مثل سفت الريح التراب تسفيه سفيا : ذرته ، وأسفت فلم يعد واحدا منها^(١) . وهذه الصيغة الاشتقاقية التي ذكرها الجاحظ في نصه ذكرها ابن القوطية بقوله « سفت الدواء ، والسويق سفا : ابتلعت^(٢) . وقد اشتهر هذا الوزن بستة معان ذكرها الحملاوى منها ما يدل على المبالغة فى معنى الفعل وربما يأتى مطاوعا للمضعف^(٣) .

٥ - بناء استفعل ناقص (ومن المعتل العجز)

إستنطى وهو من الأفعال المزيدة بثلاثة حروف ، وقد وردت هذه الصيغة عند الجاحظ فى حديثه مع أحد البخلاء قال : فرأى أنظر إليه مرة ، وإلى ما بين يديه ثمرة فتوهم أنى أشتهيه وأستنطيه ، فقال لى : لم تحديق النظر^(٤) . فى اللسان لم ترد هذه الصيغة بل وردت عدة اشتقاقات مثل أنطيت لغة فى أعطيت ، والإنطاء : العطيات . وذكر على لسان الشعبى أن رسول الله ﷺ قال لرجل : أنطه كذا وكذا أى أعطه . والإنطاء لغة فى الإعطاء ، وقيل الإنطاء الإعطاء بلغة أهل اليمن^(٥) . ومما تقدم نرى أن الفعل استنطى لم يرد فى الصيغ التى ذكرها صاحب اللسان . ولهذه الصيغة معان كثيرة أحدها : الطلب حقيقة كاستنطى^(٦) .

(١) اللسان ج ٢ ص ١٦١ .

(٢) الأفعال ابن قوطية ص ٧٠ .

(٣) شذا العرف الحملاوى ص ٤٥ .

(٤) البخلاء ص ١٤٨ .

(٥) اللسان ج ١ ص ٦٦٤ .

(٦) ديوان الأدب ج ٣ ص ٢٨٤ .

الأسماء ومشتقاتها :

لقد اشتق الجاحظ من الأسماء صيغا اشتقاقية متنوعة الأجناس وكثيرة العدد ، ففي كتابات الجاحظ وردت ألفاظ مفردة وألفاظ تشمل الجمع باختلاف أنواعه أما المثنى فلم نجد أى صيغ اشتقاقية تأتى فى باب التثنية وعلى هذا نرى أن الجاحظ أهمل صيغة المثنى ولم تأت فى كتاباته وكانت صيغ المفرد تشمل المفرد المذكور والمفردة المؤنثة وصيغ الجموع السالم والتكسير ، وفى مجال صيغ المفرد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مثال : المستلحم ، والأسطيل والمستعرض والمهموز والاستتمام والالتهاب والتفليس والشاذروان والمختراني والمشعب والملغم والمسوغ والنشال والنفاض والنشاف والمصاص والدلاك والنهاش وغيرها من الصيغ الاشتقاقية المفردة المذكورة .

(١) الحيوان ج ٦ ص ٢٤٩ .

(٢) اللسان ج ١ ص ٧٢٨ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٦ .

استلحم ذكرها الجاحظ بقوله : ونحن حماة المستلحم ، وأبناء المضايق^(١) ومادة هذه اللفظة لحم ومشتقاتها كثيرة في اللسان منها استلحم الزرع واستك وازدج أى التف وقال أبو منصور : معناه التف واستلحم الرجل إذا اختوسه العدو في القتال والملحم الذى أسر وظفر به أعداؤه ، واستلحم استلحاما إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا . والملحم : الدعى الملق بالقول ليس منهم . واستلحم : اتبع ، وفي حديث أسامة : فاستلحمتنا رجل من العدو أى تبعنا^(٢) أما وزن اللفظة مستلحم فهو مستفعل وهو صيغة لاسم المفعول من الاسم غير الثلاثى فيكون كاسم فاعله ، لكن بفتح ما قبل الآخر^(٣) .

استتم ذكرها الجاحظ في رسائله فقال : لأن الحاسد الجاهل يتبدر إلى الطعن على الكتاب في أول وعملة يقرأ عليه من قبل استتم قراءته ورقة واحدة^(٤) . هذه الصيغة الاشتقاقية التى أوردها الجاحظ لم ترد في اللسان ولكن هناك اشتقاقات أخرى من المادة : تم الشيء يتم وتامة وتمة ، وأتمه غيره وتممه واستتمه بمعنى قال والمستتم الذى يطلب التمة . واستتم النعمة : سأل إتمامها . وجعله تما أى تمامًا^(٥) أما وزن استتم الذى استخدمه الجاحظ فهو استفعال المصدر ، استفعل : استتم .

اسطيل قال الجاحظ موردا هذه الصيغة الاشتقاقية : ولا مزيدى ولا اسطيل إلا وكان تحت يدي^(٦) وفسر الجاحظ هذه اللفظة في مكان آخر من

(١) مناقب الترك ص ٢٦ .

(٢) اللسان ج ٤ ص ٣٥٢ .

(٣) شذا العرف الحملوى ص ٧٦ .

(٤) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥٢ .

(٥) اللسان ج ١ ص ٣٣٢ .

(٦) البخل ص ٤٦ .

كتابه البخلاء فقال : الاسطيل : هو المتعamy إن شاء أراك أنه منخسف العينين وإن شاء أراك أنه بها ماء وإن شاء أراك أنه لا يبصر ، للخسف ولريح السبل^(١) . ومادة الكلمة سطل - واشتقاقاتها فى اللسان السيطل : السطل والجمع سطلول عربى صحيح والسيطل لغة فيه ومعناها الطسيصة الصغيرة ، يقال إنه على صفة تورله عروة كعروة الرجل^(٢) والوزن إفعيل واسطيل على وزن إفعيل مثل إكليل هذا ما ذكره صاحب ديوان الأدب^(٣) .

مستعرض ذكرها الجاحظ فى البخلاء ثم شرحها بالتفصيل فى مكان آخر من البخلاء قال : لم يبق فى الأرض مخطراني ولا مستعرض إلا ففته وقال : المستعرض الذى يعارضك وهو ذو هيئة وفى ثياب صالحة وكأنه قد مات من الحياء ، ويخاف أن يراه معرفة ثم يعترضك اعتراضا ويكلمك خفيا^(٤) هذه الصيغة الاشتقاقية التى جاء بها الجاحظ لم أجدها فى اللسان وإن كانت مادتها موجودة ، وأنواع أخرى من الاشتقاقات ذكرها اللسان لمادة عرض قال : المعرض : الذى يستدين ممن أمكنه من الناس . والمعرض معناها المعرض الذى يعترض لكل من يعرضه ، والعرب تقول : عرض لى الشئ وأعرض وتعرض واعترض بمعنى واحد^(٥) .

ولفظه مستعرض التى لم ترد فى اللسان وزنها على مستفعل اسم فاعل من غير الثلاثى على زنة المضارع وإبدال حرف المضارع ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر .

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ١٤٤ .

(٣) ديوان الأدب ج ٣ ص ٤٩ .

(٤) البخلاء ص ٤٦ ص ٥٣ .

(٥) اللسان ج ٢ ص ٧٤٠ .

مهموز ذكرها الجاحظ قائلا : الخرشاء : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج ما فيها وجماعة الخراش ، غير مهموز^(١) . في اللسان الهمزة من الحروف المتحركة معروفة وسميت الهمزة لأنها تهمز فتتفتت فتهمز عن مخرجها ، يقال : هوتت هنا إذا تكلم بالهمز^(٢) أما صيغة مهموز فلم ترد في اللسان وتعتبر من صيغ الجاحظ الاشتقاقية ووزن مهموز مفعول وهى اسم مفعول للفعل : همز .

الالتهاب ذكرها الجاحظ فقال : « ألم السهر والالتهاب والقلق وشدة الكلب »^(٣) مادة الكلمة لهب كما جاءت في اللسان ومشتقاتها التهب وتلهبت النار أى اتقدت وألهب إلهابا وإلهابة : تداركه حتى لا يكون بين البرقتين ، ويتلهب والهوب^(٤) ووزنها افتعال مصدر من الفعل ألهب .

المسوغ فقد جاءت عند الجاحظ فى البخلاء قال : ولا محلقما ولا مسوغا ولا ملغما ولا مخضرا^(٥) وقد فسر الجاحظ معنى المسوغ فقال : « المسوغ : الذى يعظم اللقم ، فلا يزال قد عض ، ولا يزال يسيغه بالماء »^(٦) وقد جاء فى اللسان ساغ الطعام سوغا بمعنى نزل فى الحلق . والسواغ بكسر السين أما أسغت به غصتك يقال : الماء سواغ الغصص^(٧) ولم أجد فى اللسان مسوغ التى على وزن مفعول من الفعل ساغ يسوغ وهذا الاشتقاق أوجده الجاحظ .

(١) الحيوان ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٧٢٨ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص

(٤) اللسان ج ٣ ص ٤٠١ .

(٥) البخلاء ص ٦٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٧ .

(٧) اللسان ج ٢ ص ٢٤٠ .

ملغم قال الجاحظ : هو الذى يأخذ حروف الرغيف أو يغمز ظهر التمرة بإبهامه : ليحملا له من الزبد والسمن ، ومن اللبأ واللبن ومن البيض النيمبرشت^(١) الملغم صيغة اشتقاقية غير موجودة فى اللسان وإن كانت مادتها لغم قد ذكرها صاحب اللسان وقال لغم فلان بالطيب فهو ملغوم إذا جعل الطيب على ملاغمه . والملغم : طرف أنفه ، والملغم : الفم والأنف وما حولهما . ويقال لغمت المرأة ألغمها إذا - ملغمها . وصيغة لغام وردت فى اللسان أيضاً^(٢) والملغم على وزن مفعّل اشتقها الجاحظ من الفعل لغم .

نشاف قال : « الفتى لا يكون نشالا ولا نشافا ولا نفاضا ولا مصاصا ولا دلاكا » وقد شرح هذه الألفاظ وفسر معناها حتى يقربها من الأذهان لأنها لم تكن معروفة فى عصره وهذا ما يتبين لنا أنها من الاشتقاقات التى استخدمها الجاحظ فقط ولم ترد فى المعاجم لأنها غير متداولة وهى استخدامات لغوية خاصة بالجاحظ ، قال مفسرا لفظة **نشاف** : والنشاف : الذى يأخذ حرف الجرذقة فيفتحه ثم يغمسه فى رأس القدر ، ويشربه الدسم . يستأثر بذلك دون أصحابه^(٣) مادة الكلمة نشف وجدتها فى اللسان ومعها مشتقات أخرى مثل النشفة وهى الشئ القليل . والجمع نشف ونشاف ، والنشافة : التى ينشف بها الماء . والرغوة والنشافة والنشفة : ما أخذت بمعرفة من القدر وهو حار فتحسيته^(٤) وهى على وزن فعال صيغة مبالغة

نفاض التى وردت فى النص السابق وقد فسرهما الجاحظ فقال : وأما النفاض فالذى إذا فرغ من غسل يده فى الطست نفّض يديه من الماء فنضح على

(١) البخلاء ص ٧٧ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٣٧٨ .

(٣) البخلاء ص ٧٦ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٦٤١ .

أصحابه^(١) والمادة في اللسان نفض ومنها الاشتقاقات النفاضة والنفاض بالضم وهو ما سقط من الشيء إذا نفض والنفاض يقطر الجلب والنفاض الجذب^(٢) وزن نفاض على فعال صيغة مبالغة من اسم الفاعل .

والنشال فسر الجاحظ بقوله : فالنشال عنده : الذي يتناول من القدر ويأكل قبل النضج وقبل أن تنزل القدر ويتنام القوم^(٣) وصيغة نشال لم أجدها في اللسان وإن وجدت المادة « نشل » ومنها نشل الشيء ينشله نشلا : أسرع نزعه . ونشل اللحم ينشله وينشله نشلا وأنشله : أخرجته من القدر بيده من غير مغرفة . ولحم نشيل : متشيل . ويقال : انتشلت من القدر نشيلا فأكلته . ونشلت اللحم من القدر أنشله بالضم وانتشلتته إذا انتزعت منه . ونشل اللحم ينشله وينشله وانتشله : أخذ بيده عضوا فتناول ما عليه من اللحم بفيه . وفي الحديث : أنه مر على قدر فانتشل منها عظما أى أخذه قبل النضج وهو النشيل^(٤) أما صيغة نشال التي على وزن فعال فقد اشتقها الجاحظ فهي استخدام لغوي للجاحظ .

مصاص ذكرها الجاحظ وفسرها بقوله : والمصاص : الذي يمص جوف قسبة العظم ، بعد أن استخرج مخه ، واستأثر به دون أصحابه^(٥) وفي اللسان مادة الكلمة مص ومنها اشتقاقات أخرى مصصة ويمصمص^(٦) أما مصاص فلم ترد في اللسان وقد أوجدها الجاحظ على وزن فعال .

(١) البخله ص ٧٦ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٦٩٢ .

(٣) البخله ص ٧٦ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٦٤١ .

(٥) البخله ص ٦٧ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ٤٩٤ .

دَلَالِك قال الجاحظ مفسراً لفظة الدلاك التي وردت في كلام أبي الفاتك :
أما الدلاك : فالذى لا يجيد تنقية يديه بالأشنان ويجيد دلکها بالمندیل ^(١) . ولم
ترد هذه الصيغة في اللسان وإنما وردت المادة ذلك ومشتقاتها الكثيرة التي ليس
من بينها دَلَّك . فمن مشتقات مادة ذلك : المدلوك : المصقول . ودلكت
الثوب إذا مصته لتغسله . ودلکه الدهر حنكه . وقال ابن الأعرابي : الدلك
عقلاء الرجال ، وهم الحنك ، وتدلک بالشئ : تخلق به . والدليک : طعام
يتخذ من الزبد واللبن . والدلوك ، بالفتح : اسم الدواء أو الشئ الذى
يتدلک به من الغسولات كالقدس والأشنان ^(٢) .

ونقل عن ابن سيده ذلك الشئ يدلکه دلکا مرسه وعركه ودلکت السنبل
حتى انفرك قشره عن حبه ^(٣) أما صيغة دَلَّك فلم أجدها في اللسان وقد اشتقها
الجاحظ على وزن فعَّال وهي صيغة مبالغة وهذه الصيغة تشتق من اسم الفاعل
للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث وهي بتشديد العين .

بَقَال وردت عند الجاحظ وهي من وزن فعَّال ، وذكرها الجاحظ بقوله :
« رأيت مرة أنا وجعفر بن سعيد بقالا في العتيقة » ^(٤) . ذكر صاحب اللسان
مادة هذه اللفظة بقل وقال نقلا عن ابن سيده البقل من النبات ما ليس بشجر
دق ولا جل . وأبقلت الأرض : خرج بقلها . وقال ابن جنى : مكان مبقل
هو القياس ، وبأقل أكثر في السماع . وقال الأصمعي : أبقل المكان فهو بأقل

(١) البغلاء ص ٦٧ .

(٢) اللسان ج ١ ص ١٠٠٥ .

(٣) اللسان ج ١ ص ١٠٠٤ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٣٨٢ .

من نبات البقل . قال وياقل : اسم رجل يضرب به المثل فى العى^(١) ومما تقدم نرى أن صيغة بقال التى على وزن فعال لم ترد فى المعاجم ، وذكرها الجاحظ فى نصوصه اشتقاقاً مستحدثاً خاصاً به .

خباص ذكرها الجاحظ بقوله : « وإنك لتغالى بالخباز والطباخ والشواء والخباص »^(٢) وفى اللسان جاءت المادة خبص خبصا وخبص تخيصا فهو خبيص مخبص مخبوص . ويقال اختبص فلان إذا اتخذ لنفسه خبيصا . وخبص الحلواء يخبصها خبصا وخبصها : خلطها وعملها . وخبص الشيء بالشيء : خلطه . والمخبصة : التى يقلب فيها الخبيص . وقيل المخبصة كالمعلقة يعمل بها الخبيص^(٣) لم أجد صيغة خباص فى كل ما ذكره صاحب اللسان من اشتقاقات وعلى هذا فهى صيغة من الصيغ التى استحدثها الجاحظ فى كتاباته . وهى على وزن فعال من باب (فعال بفتح الفاء)^(٤) .

خطاط على وزن فعّال وردت عند الجاحظ فى حديثه عن المعتقدات الشعبية قال : وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف وإلى ما يذهب الخطاط والعياف^(٥) هذه الصيغة الاشتقاقية جاءت من المادة خط ، وقد ذكرها صاحب اللسان قال : روى أبو العباس عن ابن الأعرابى أنه قال فى الطرق : قال ابن عباس هو الخط الذى يخطه الحازى وهو علم قديم تركه الناس . وقال ابن الأثير : الخط وما إليه علم معروف وللناس فيه تصانيف كثيرة وهو معمول به إلى الآن . ولهم فيه أوضاع واصطلاح وأسام ، ويستخرجون به الضمير

(١) اللسان ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) البخل ص ٦٧ .

(٣) اللسان ج ١ ص ٧٨٥ .

(٤) ديوان الأدب ج ١ ص ٣٢٥ .

(٥) البخل ص ٤٧ .

وغيره ، وقال : والخط : خط الزاجر ، وهو أن يخط بأصبعه في الرمل ويزجر^(١) هذا ما ورد في اللسان من صيغ للمادة خط أو خطط . أما خطاط فلم يذكرها صاحب اللسان وتعد من الصيغ التي أوجدها الجاحظ في اشتقاقاته المستحدثة وذكرها الفارابي في باب فعال بفتح الفاء^(٢) .

مداد قال الجاحظ : القطاع والنهش والمداد والدفاع ، وفسر لفظة المداد فقال : والمداد : الذي ربما عض على العصبه التي لم تنضج وهو يمدها بفيه ، ويده توترها له . وربما قطعها بثره فيكون لها انتضاح على ثوب المأكل . وهو الذي إذا أكل مع أصحابه الرطب أو التمر أو الهريسة أو الأرزة فأتى على ما بين يديه ، مد ما بين أيديهم إليه^(٣) وقد جاء في اللسان أن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملا كفيه بالطعام وهذا قول بعضهم^(٤) أما صيغة مداد فلم ترد في اللسان وقد اشتقها الجاحظ على وزن فعال .

نهش فسرهما الجاحظ فقال : والنهش هو معروف وهو الذي ينهش اللحم كما ينهش السبع^(٥) هذه الصيغة لا توجد في اللسان وإن وجدت مادتها نهش ينهش وينهش نهشا : تناول الشيء بفيه ليعضه فيؤثر فيه ولا يجرحه ومنها اشتقاقات النهش والنهش ، وهو أخذ اللحم بمقدم الأسنان يروى بالسين والشين جميعا^(٦) وانصيغة الاشتقاقية نهش جاءت على وزن فعال .

مخطراني ذكرها الجاحظ في البخلاء وفسرها أيضاً فقال : والمخطراني :

(١) اللسان ج ١ ص ٨٥٨ .

(٢) ديوان الأدب الفارابي ج ١ ص ٣٢٥ .

(٣) البخلاء ص ٦٧ ص ٧٧ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٥) البخلاء ص ٧٧ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ٧٣٠ .

الذى يأتيك فى رى ناسك ، ويريك أن بابك قد قور لسانه من أصله لأنه كان مؤذنا هناك ثم يفتح فاه كما يصنع من يتشاءب فلا ترى له لسانا البتة . ولسانه فى الحقيقة كلسان الثور . وأنا أحد من خدع بذلك . ولا بد للمخترانى أن يكون معه واحد يعبر عنه أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته ^(١) ولفظة المخترانى لم ترد فى اللسان ومادتها جاءت فى اللسان وهى خطر ومشتقات أخرى وردت من هذه المادة مثل المخاطر بمعنى الهاجس والجمع خواطر . وتخاطروا على الأمر : تراهنوا ، وخاطرهم عليه راهنهم . والأخطار بمعنى الأحرار فى لعب الجوز . وقالوا تخطراك وتخطاك بمعنى واحد . وتخترانى شر فلان : تخطانى أى جازنى ومخطرة : مخضوبة به ، ومنه قيل للبن الكثير الماء : خطر والخطار : دهن من الزيت ذو أفاويه ^(٢) وهذه اللفظة التى اشتقها الجاحظ على وزن مفعلاتى أو فعلاتى وفعللاتى كما جاء فى ديوان الأدب ^(٣) ولا وجود لها فى اللسان .

مُتَيَّامِن ذكرها الجاحظ فى حيوانه وهى على وزن متفاعل وهذه الصيغة من الاشتقاقات التى استحدثها الجاحظ فى كتاباته ، وقد وردت هذه اللفظة فى وصفه لأحد المواضع فى العراق قال : إن ذلك الموضع يدعى ببئر الكلب . وهو ميامن عن النجف ^(٤) وفى اللسان وردت صيغ كثيرة للمادة اليمين وهى أصل " سطة ميامن وعن ابن السكيت ذكر صاحب اللسان : يا من بأصحابك وشائم بهم أى جذبهم يمينا وشمالا ، ولا يقال تيامن بهم ولا تياسر بهم ، ويقال أيمن الرجل ويمن ويامن إذا أتى اليمين . وقال ابن الأتبارى : العامة تغلط فى

(١) البخلاء ص ٥١

(٢) اللسان ج ١ ص ٨٥٦ .

(٣) ديوان الأدب ج ٣ ص ١١٤ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٢٣ .

معنى تيامن فتظن أنه أخذ عن يمينه وليس كذلك معناه عند العرب ، إنما يقولون تيامن إذا أخذ ناحية اليمن ، وتشاءم إذا أخذ ناحية الشام^(١) مما تقدم لم أجد صيغة متيامن فى اللسان ، إذن هى من الصيغ التى أوجدها الجاحظ فى اشتقاقاته . وذكر صاحب ديوان الأدب أن متيامن على وزن متفاعل^(٢) .

كُعْبَى وردت عند الجاحظ فى حديث ابن خالويه المكدي قال : ولم يبق فى الأرض كعبى ولا مكدي إلا وقد أخذت العرافة عليه^(٣) وفسر الجاحظ كلام ابن خالويه فقال : والكعبي : أضيف إلى أبى بن كعب الموصلى وكان عريفهم بعد خالويه سنة على ماء^(٤) هذه اللفظة لم ترد فى اللسان ولكن مادتها جاءت عند صاحب اللسان ومعها اشتقاقات متعددة من المادة « كعب » قال : كعب الإنسان ما أشرف فوق رسغه عند قدمه . ورجل على الكعب : يوصف بالشرف والظفر . وكعبت الشيء تكعيبا إذا ملأته ، وأكعب الرجل أسرع ، والكعاب فصوص النرد واحدا كعب وكعبة . والكعبة الغرفة^(٥) . وهناك اشتقاقات أخرى من المادة كعب ذكرها صاحب اللسان ولا مجال لذكرها هنا وهذا ما يثبت أن صيغة كعبي لم ترد فى المعاجم واستحدثها الجاحظ فى اشتقاقاته ، ووزن الكعبي فعلى منسوبة .

المُشْعَب قال الجاحظ مفسراً هذه اللفظة : الذى يجعل أولاد المكدين عميانا وعرجانا وعمشا وحديبا فهو يسمى المشعب^(٦) فى اللسان وجدت مادة هذه اللفظة من شعب ومعها عدة مشتقات مثل المشعب معناها الطريق ، ومشعب

(١) اللسان ج ٣ ص ١٠١٦ .

(٢) ديوان الأدب الفارابى ج ١ ص ٣٢٢ .

(٣) البخل ص ٤٦ .

(٤) البخل ص ٥٣ .

(٥) اللسان ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٦) البرصان والعرجان ص ٢٣٧ .

الحق : طريقه المفرق بينه وبين الباطل ، وانشعب عنى فلان تباعد . وجمل مشعوب وإبل مشعبة : موسوم بها . والشعب : موضع^(١) أما صيغة المشعب فلم أجد لها أى أثر فى اللسان . وهذه الصيغة التى أوجدها الجاحظ على وزن مفعّل من اشتقاقاته .

هذه بعض الصيغ التى اشتقها الجاحظ من الأسماء وهى تمثل المفرد المذكور . وهناك ألفاظ وردت عند الجاحظ وقد جاءت مفردة مؤنثة مثل مناسخة ومزملة وتزملة وشعبذة وحومة ومحلة وزنبلة ومحقنة والمداخلة والمواجأة وغيرها كثير .

ذكر الجاحظ لفظة **الْمَنَاسِخَةُ** فقال : وجهل بادعاء الربوبية من طريق المناسخة^(٢) . هذه اللفظة جاءت من المادة نسخ وقد ذكر اللسان عدة اشتقاقات لمادة نسخ ليس من بينها مناسخة ، وتلك المشتقات مثل تناسخ : تداول فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملك ، وفى الحديث : لم تكن بنوة إلا تناسخت أى تحولت من حال إلى حال ، يعنى أمر الأمة وتغاير أحوالها . والعرب تقول : نسخت الشمس الظل وانتسخته أزالته . والمعنى أذهبت الظل وحلت محله . والتناسخ فى الفرائض والميراث : أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم ، وكذلك تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن^(٣) وكذلك جاء فى اللسان صيغة ناسخة ومنسوخة . أما مناسخة التى ذكرها الجاحظ فهى على وزن مفاعلة أو مفاعلة .

(١) اللسان ج ٣ ص ٣٢٠ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠٣ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٦٢٤ .

مداخلة ذكرها الجاحظ في رسائله فقال : من باب الطفرة والمداخلة^(١) وقد جاء في اللسان داخلة الرجل : باطن أمره والمداخل : المباطن^(٢) والمادة دخل والوزن (مفاعلة مداخلة) مصدر الفعل الثلاثى المجرد دخل . ولفظة **مواجأة** على وزن مفاعلة أيضاً قال الجاحظ : « ولنا المواجأة في الأزقة »^(٣) وفي اللسان وجأ هي مادة الصيغة الاشتقاقية مواجأة . والوجوء معناها في اللسان اللكز . ووجأه باليد والسكين وجاء مقصوراً : ضربه ووجأ في عنقه كذلك . وقد توجأته يدي ، ووجئ فهو موجوء ووجأت عنقه وجأ : ضربته . وأوجأ : جاء في طلب حاجة أو صيد فلم يصبه : وأوجأت الركية وأوجت : انقطع ماؤها أو لم يكن فيها ماء . وأوجأ عنه : دفعه ونحاه^(٤) ولم يذكر اللسان لفظة مواجأة التي على وزن مفاعلة .

الشعبذة ذكرها الجاحظ متسائلاً : وما فصل ما بين الكهانة والشعبذة^(٥) في اللسان المادة شعبد ومنها المشعبد بمعنى الهارئ كالشعوذ^(٦) أما الشعبذة فلم ترد في اللسان وهي من الصيغ الاشتقاقية التي أوجدها الجاحظ على وزن فعلة وهي مصدر من الفعل الرباعى المجرد شعبذ .

الزنبلة على وزن فعلة وقد ذكرها الجاحظ بقوله : وأدب فقبل وتعلق في رقبته الزنبلة والدوخلة وتوضع فيها رقعة^(٧) مادة هذه اللفظة جاءت في اللسان زنبل فعل رباعى ، وقال في التهذيب زنبل اسم وهو القصير من الرجال

(١) في كتاب الفتيا ص ٣١٩ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٩٥٦ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٧ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٨٧٨ .

(٥) التريب والتدوير ص ٧٧ .

(٦) اللسان ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٧) الحيوان ج ٢ ص ١٧٩ .

والزبيل والزنبيل لغة فى الزبيل ^(١) ومن المادة زنبيل أو من الزبيل التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته اشتق لفظة الزنبلة ووزنها على فعلة مصدر من الفعل الرباعى .

مُحَقَّنَةٌ ذكرها الجاحظ على لسان أحد الأطباء وهو يصف معركة فقال : حتى تركناهم فى أضيق من مُحَقَّنَةٍ ^(٢) فى اللسان لا توجد هذه اللفظة وإنما جاءت المادة حقن ومنها اشتق عدة مشتقات ليس من بينها مُحَقَّنَةٌ . وقد ذكر ابن منظور الحَقْنَةُ بمعنى الدواء الذى يحقن به المريض المحتقن وهى أن يعطى المريض الدواء من أسفله وهى معروفة عند الأطباء والمحقن : الذى يجعل فى فم السقاء والزق ثم يصب فيه الشراب أو الماء . وقد قال الأزهري : المحقن القمح الذى يحقن به اللبن فى السقاء ، ويجوز أن يقال للسقاء نفسه محقن ^(٣) . ولفظة المحقنة جاء على وزن مفعلة وهى اسم آلة .

مزملة وقد ذكرها الجاحظ بقوله « بلغنى أن عندك مزملة ، ويومنا يوم حار قابعث إلى بشربة منها » ^(٤) وكذلك وردت عند الجاحظ لفظة تزميل فقال « وكان لديهم الخدم فى الدور يعنون بتصفية الماء وتبريده وتزميله » ^(٥) المزملة لم أجد لها فى اللسان وإن ذكرت مادتها زمل ومنها الاشتقاقات التالية يزمّل ويضمّل وزمّالا والزامل وأزمل وجمعه الأزامل . والأزمولة والأزمولة والمزملة بالكسر والزميل ومزمول . والمزاملة وزاملته والمزمل - والزمولة . والأزميل ، وأخذ الشيء بزميلته وأزملة وأزمله وترك زملة والزمّل يزمّل زمّالا والزمال ^(٦)

(١) اللسان ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) اللسان ج ١ ص ٦٨٥ .

(٤) البخل ص ١١٣ .

(٥) البخل ص ٣٦ .

(٦) اللسان ج ٢ ص ٤٧ .

كل هذه المشتقات وردت فى اللسان وكما هو واضح ليس من بينها المزملة أو المزملة التى اشتقها الجاحظ على وزن مفعلة أو مفعلة مصدر وهى لفظة مفردة مؤنثة .

أما لفظة التزميل التى لم ترد فى اللسان فهى على وزن تفعيل مصدر صاغة الجاحظ من الفعل زمّل .

معتزلى وردت عند الجاحظ وهو يصف أحدهم بهذه اللفظة قال : وزعم إبراهيم الأنصارى المعتزلى ^(١) وقد فسر صاحب اللسان جميع الاشتقاقات التى جاءت من المادة عزل ولم يتطرق إلى صيغة معتزلى التى اشتقت من الأصل « عزل » وذكر فى اللسان : عزل الشيء يعزله عزلا وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل : نحاه جانبا فتنحى وتعازل القوم : انعزل بعضهم عن بعض . واعتزلت القوم أى فارقتهم ، والمعتزلة ، زعموا أنهم اعتزلوا ففتى الضلالة عندهم . والعزلة العبادة ^(٢) .

وهناك اشتقاقات أخرى لمادة عزل ليس من بينها لفظة معتزلى التى جاءت فى كتابات الجاحظ فهى صيغة اشتقاقية مستحدثة ظهرت فى عصر الجاحظ بشكل واسع الانتشار وهذا مما يعطى بعدا حضاريا فى ذلك العصر العباسى . وهذه اللفظة جاءت على وزن مفتعلى وهى منسوبة إلى المعتزلة فرقة من القدرية .

نهارية صيغة مستحدثة أوجدها الجاحظ فى كتاباته وقد وردت على لسان أحدهم وهو يصف المكى قال : فأما المكى فإنه تعشق جارية يقال لها سندرة ثم تزوجها نهارية ^(٣) جاءت هذه اللفظة فى اللسان من المادة « نهر » ووردت

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٧٦٧ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٦٧ .

اشتقاقات كثيرة من هذه المادة مثل النهار وهو الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وقال بعضهم : النهار انتشار الضوء أو انتشار ضوء البصر واجتماعه ، والجمع أنهر ونهر وقال سيويه : تعليقا على رجل نهر يدل على أن نهرا على النسب حتى كأنه قال نهاري^(١) هذا ما ذكره صاحب اللسان ونرى أنه لم يتطرق إلى لفظة نهارية التي جاءت على وزن فعالية^(٢) .

العَارِيَّة ذكرها الجاحظ بقوله : كان لابن سيرين بغلتان : بغلة لخاصة نفسه وبغلة للعارية^(٣) هذه الصيغة الاشتقاقية التي أوردها الجاحظ من المادة « عرا » ذكرها صاحب اللسان مع اشتقاقاتها قال : « عرا » عراه عروا واعتراه ، كلاهما غشيه طالبا : معروفة . والعراة : شدة البرد . وريح عرى وعرية : باردة والعرى : خلاف اللبس وعريان والجمع وعريانون ورجل عارٍ من قوم عراة وامرأة عريانة والمعرى والمعراة أى المجرد^(٤) كل هذه الصيغ الاشتقاقية ليس من بينها صيغة عارية التي جاءت فى كتابات الجاحظ ، فهى اشتقاق خاص به أما وزن العارية فهو فاعلة من الفعل عرا : فعل .

أما صيغ الجمع عند الجاحظ فقد كانت متنوعة وقد شملت كل أنواع الجموع ولكنه من الملاحظ أن جمع المؤنث السالم احتل حيزاً كبيراً من الصيغ الاشتقاقية التى استحدثها الجاحظ واستعملها فى استخدامة اللغوى . وجمع المذكر السالم ورد عند الجاحظ بشكل غير ملحوظ .

كَسَّاحُونَ : ذكرها الجاحظ قائلاً عن أحد البخلاء : نظر يوماً إلى الكساحين وهو معنا جالس فى رجال من قريش وهم يخرجون ما فى بالوعته

(١) اللسان ج ٣ ص ٣٢٨ .

(٢) ديوان الأدب ج ١ ص ٣٧٠ .

(٣) كتاب البعال ص ٢٣٣ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٧٥٩ .

ويرمون به فى الطريق^(١) فى اللسان ذكرت المادة الكسح بمعنى الكنس وعن اللحيانى كساحة البيت ماكسح من التراب فألقى بعضه على بعض والكساحة بمعنى الكناسة وقال ابن سيده : والكساحة الكناسة^(٢) وهذه اللفظة لم ترد فى اللسان وهى من المشتقات التى أوجدها الجاحظ على وزن الجمع المذكور السالم .

الملحدون : وردت عند الجاحظ فقد قال فى رسائله : ولولا الكلام لم يقم لله دين ، ولم ينب من الملحدين^(٣) فى اللسان ورد لفظ الملحد وهو العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه ، أما لفظه الجمع ملحدون فلم يذكرها اللسان وإن ذكر مشتقات من مادة لحد مثل ألحد فى الدين ولحد أى حاد عنه ، وقرئ : لسان الذى يلحدون إليه . والتحد مثله . وقيل الإلحاد فيه الشك فى الله ، وقيل كل ظالم فيه ملحد^(٤) .

خناقون ذكرها الجاحظ فقال : وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلا معا ، ولا يقيمون فى الأمصار إلا كذلك . فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب على دف أو طبل^(٥) . فى اللسان جاءت المادة خنق والصيغ خناق وانخنق اختنق وانخنقت الشاة بنفسها فهى مخنقة وخناق : نعت لمن يكون ذلك شأنه بين الناس^(٦) أما صيغة الجمع خناقون فلم ترد فى اللسان وأوجدها الجاحظ جمعا لمذكر سالم .

(١) البخلاء ص ١١٤ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٢٥٥ .

(٣) فى نفى التشبيه ص ٢٨٥ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٣٤٨ .

(٥) الحيوان ج ٦ ص ٣٩٠ .

(٦) اللسان ج ١ ص ٩١٤ .

النفاطون : أوجدها الجاحظ في قوله « فكأن هذا الطائر في طباعه وفي طباع ريشه مزاج من طلاء النفاطين وأظن هذا من طلق »^(١) في اللسان ذكر النفاطات وهي ضرب من السرج يرمى بها النفط والتشديد في كل ذلك أعرف ، نفاطات : ضرب من السرج يستصبح بها وهي أدوات تعمل من النحاس يرمى فيها بالنفط والنار^(٢) . ولم ترد في اللسان الصيغة التي ذكرها الجاحظ نفاطين وهي جمع لمذكر سالم .

القلاسون قال الجاحظ وكذلك السماكون والقلاسون^(٣) في اللسان المادة قلس ، وتقليس هو الضرب بالدف والغناء . والمقلس : الذي يلعب بين يدي الأمير إذا قدم المصير . وقال أبو الجراح : التقليس : استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو . وقال الشاعر : ضرب المقلس جنب الدف للعجم . ومنه حديث رضي الله عنه : لما قدم الشام : لقيه المقلسون بالسيوف والريحان وفي الحديث لما رأوه قلسوا له ، التقليس : التكفير وهو وضع اليدين على الصدر والانحناء خضوعا واستكانة^(٤) أما الصيغة الاشتقاقية قلاسون فلم ترد في اللسان وقد صاغها الجاحظ جمعا لمذكر سالم .

المعينون ذكرها الجاحظ في بخلائه يصف أحدهم قال : كان أبو سعيد المدائني إماما في البخل عندنا في البصرة . وكان من كبار المعينين ومياسيرهم^(٥) لفظة المعينين لم ترد في اللسان ولكن المادة عين جاءت في اللسان ومعها مشتقات عديدة مثل العين : المال العتيد الحاضر الناضر والعين : النقد والذهب

(١) الحيوان ج ٦ ص ٤٣٥ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٦٩٣ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٠٥ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ١٤٩ .

(٥) البخلاء ص ١٣٧ .

عامّة والدينار ، والعين عند العرب حقيقة الشيء وعينه المال خياره مثل العيمة . وقد سميت عينة لحصول النقد لطالب العينة . وذلك أن العينة اشتقاقها من العين وهو التقدر الحاضر ويحصل له من فوره ، والمشتري إنما يشتريها لبيعها بعين حاضرة تصل إليه معجلة وعن اللحياني : العين والعينة : الربا . وعين التاجر : أخذ بالعينة أو أعطى بها . وقال الأزهري : يقال عين التاجر عين تعينا وعينة قبيحة ، وهى الاسم وذلك إذا باع الرجل بثمان معلوم إلى أجل معلوم ثم اشتراها منه بأقل من الثمن الذى باعها به . وقد كره العينة أكثر الفقهاء . والعينة السلف تعين عينة وعينة إياها . والعين : الجماعة : مخل ثور وقد قال الشاعر جابر بن جريش يذكر المعين : « ومعينا يحوى الصوار كأنه متخبط قطم إذا ما بربرا » والمعين المصاب بالعين ، والمعيون الذى فيه عين^(١) ولم يتطرق صاحب اللسان إلى المعينين وهى جمع مذكر سالم جاء به الجاحظ من اللفظ عينة الاسم ومعين المفرد المذكر .

زَفَانُونَ : من صيغ الجمع المذكر السالم التى وردت فى كتابات الجاحظ ، فقد قال فى البيان والتبيين ذاكرًا هذه اللفظة : تكلم عمر بن ذر فصاح بعض الزفانين صيحة^(٢) وفى اللسان وردت المادة زفن يزفن زفنا والزفن والرقص ويزفنون يرقصون والزفن والزمارات والمزاهر والكتارات ، قال ابن الأثير : ساق هذا . نفاظ سياقًا واحدًا والزفن والزفن بلغة عمان كلاهما : ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم ومد الحراى حره ونداه . والزفن عسيب من عشب النخل يضم بعضه إلى بعض شبيه بالحصير المرمول . قيل هى لغة أردية والزيفن : الشديد . ورجل منه أرفنه أى حركه . يقال للمرقاص زفان^(٣) أما

(١) اللسان ج ٢ ص ٩٤٨ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٣٣ .

جمع المذكر السالم فلم يأت في اللسان وقد أورده الجاحظ فقال زفانين .
ومن صيغ الجمع التي اشتقها الجاحظ وأوجدها في كتاباته : جمع المؤنث السالم ، وهذا الجمع ورد عند الجاحظ في أماكن كثيرة وفي ألفاظ متعددة .
ولايات وعقارات وصينيات وراسات وتأريخات والبرهانات ومعجونات ومكائنات وقيارات وفطيسات ومزملات وديورات وعيالات . وغيرها من الألفاظ التي لايسع المجال لذكرها ولم ترد هذه الجموع في اللسان إطلاقا وقد اختص الجاحظ بذكرها .

الولايات ذكرها الجاحظ فقال : « ضخم البدن كثير العلم فاشى الغلة عظيم الولايات »^(١) وردت في اللسان لفظة ولايا جمعا لولية والأولية جمع الولية وهي البرذعة شبه ما عليها من الشحم وتراكمه بالولايات وهي البراذع . وقيل الولية التي تحت البرذعة وقيل كل ما ولى الظهر من كساء أو غيره فهو لولية . وقال أبو منصوره الولايات إذا جعلتها جمع الولية ، وهي البرذعة ، التي تكون تحت الرحل^(٢) ومما تقدم نجد أن لفظة ولايات لم ترد في اللسان وأن الجاحظ اشتق هذه الصيغة الاشتقاقية كاستخدام لغوى في عصره وهي جمع مؤنث سالم للمفرد لولية والمادة ولى كما ذكرها اللسان .

عقارات من الصيغ التي أوردها الجاحظ في رسائله فقال : في الصكك والعهود وفي الشروط وصور العقارات^(٣) وقد جاءت مادة هذه اللفظة من عقر وفي اللسان ذكر ابن منظور العقر والعقار : المنزل والضيعة ، ويقال ماله دار ولاعقار وخص بعضهم بالعقار النخل . يقال للنخل خاصة من بين المال : عقار وفي حديث من باع دارا أو عقارا ، قال العقار ، بالفتح الضيعة والنخل

(١) البخله ص ٥٦ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٩٨٦ .

(٣) في الجدل والهزل ص ٢٥٣ .

والأرض ونحو ذلك^(١) أما لفظة عقارات التى ذكرها الجاحظ فلم ترد فى اللسان وهى من صيغ الجاحظ الاشتقاقية .

صينيّات وردت عند الجاحظ بقوله : ثم عمدت إلى أصبح ما بقى منعه من أصحاب الصينيات والصلاحيات^(٢) ولفظة الصينيات لم ترد فى اللسان وذكر صاحب اللسان الجمع صوانى وهى منسوبة إلى بلد معروف وهو الصين وإليه ينسب الدار صينى^(٣) وعلى هذا يكون الجمع صينيّات خاصاً بالجمع المؤنثة السالمة التى أوردها الجاحظ فى كتاباته .

الراسات صيغة جمع مؤنث سالم ذكرها الجاحظ فى حيوانه فقال : وإنما تبتلع ذوات الراسات وهى غير ذوات الأنياب^(٤) هذه اللفظة جمع رأس وذكر صاحب اللسان أن جمع رأس أرؤس على القلب ، ورؤوس فى الكثير ولم يقبلوا هذه ، ورؤوس الأخيرة على الحذف^(٥) أما الراسات فلم ترد فى اللسان وهى اشتقاق ذكره الجاحظ جمعاً للمؤنث السالم .

تاريخات وردت فى العثمانية قال الجاحظ : وهذه التاريخات والأعمار معروفة^(٦) جاءت هذه اللفظة من المادة أرخ التى ذكرها صاحب اللسان ومعها مشتقات كالتأريخ وهو تعريف الوقت والتوريخ مثله . وقال إن التأريخ الذى يؤرخه الناس ليس بعربى محض . وأن المسلمين أخذوه من أهل الكتاب وتأريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ﷺ والأرخ ولد البقرة الصغير وقيل إن التأريخ مأخوذ منه كأنه شئ حدث كما يحدث للولد . وقيل

(١) اللسان جـ ٢ ص ٨٣٩ .

(٢) الحيوان جـ ٥ ص ١١٧ .

(٣) اللسان جـ ٢ ص ٥٠٢ .

(٤) الحيوان جـ ٢ ص ٥٦ .

(٥) اللسان جـ ٢ ص ١٠٨٩ .

(٦) العثمانية ص ٦ .

التاريخ مأخوذ منه لأنه حديث^(١) ولم ترد صيغة جمع المؤنث السالم تأريخات في اللسان .

البرهانات جمع مؤنث سالم ، قال الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته يذكر فيها لفظة البرهانات قال في الحيوان : ومع ما فيها من البرهانات النيرة^(٢) وقال في البيان : ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حل الله تلك العقدة^(٣) وذكر الجاحظ هذه اللفظة في رسائله وفي أماكن أخرى من كتبه وهي جمع لمؤنث سالم ، ولكن في اللسان ذكر أن البرهان الحجة الفاصلة بينة . يقال برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم فهو مبرهن . والجمع براهين وقد برهن عليه : أقام الحجة^(٤) .

مكامنات قال الجاحظ في رسائله : وإبراهيم بن سيار النظام في المكامنات^(٥) في اللسان المادة كمن ومنها كمون : اختفاء وكمن له يكمن كمونا وكمن : استخفى . وناق كمن : كتوم اللقاح . والكمنة : جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه فتكمن ، وهي مكمونة ، وقال شمر : الكمنة ورم في الأجفان ، وقيل قرح في المآقي . والمكتمن : الخافي المضمّر^(٦) وهذه المكامنات هي مذهب كلامي يزعم أصحابه أن النار كامنة في الحجر وفي دهن السراج كما يكمن الدم في الإنسان^(٧) . ولفظة المكامنات فلم ترد في اللسان فهي صيغة اشتقاقية أوجدها الجاحظ في كتاباته .

معجونات جمع لمؤنث سالم ذكره الجاحظ فقال : « إن المعجونات كلها

(١) اللسان ج ١ ص ٤٤ .

(٢) الحيوان ج ٦ ص ١٠ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٥) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٧) الحيوان ج ٤ ص ٢٠٨ .

إنما تكون بالعسل وكذلك الأنبيجات^(١) المادة لهذه اللفظة عجن ، وقد جاءت في اللسان عجن الشيء يعجنه عجنا ، فهو معجون وعجين ، والعاجن من الرجال : المعتمد على الأرض بجمعه إذا أراد النهوض من كبر أو بدن قال ابن الأعرابي : العجن أهل الرخاوة من الرجال والنساء والعجان الأحمق . وعاجنة المكان : وسطه والمتعجن : البعير المكتنز سمنا كأنه لحم بلا عظم^(٢) ولم ترد في اللسان لفظة معجونات .

قيارات لفظة أوردها الجاحظ في كتاباته كثيراً قال : إن الماء الذي يكون عليه النقاظات أمراً من الماء الذي يكون عليه القيارات^(٣) هذه الصيغة الاشتقاقية لم ترد في اللسان مع العلم بأن مادة قير ذكرها اللسان ومنها اشتق قيرت السفينة أى طليتها بالقار ، وقير الحب والزق ، وصاحبه قيَّار^(٤) وقد اشتق الجاحظ صيغة جمع المؤنث السالم قيارات من المادة قير .

الفطيسات ذكرها الجاحظ فقال : أصبر على دق عظام المطارق والفطيسات^(٥) في اللسان المادة فطس واشتق منها الفطيس ، مثال الفسيق : المطرقة العظيمة والفأس العظيمة^(٦) ولم يذكر اللسان أى جمع لهذه المادة ولفظة الفطيسات من الصيغ الاشتقاقية التى أوجدها الجاحظ جمعاً لمؤنث سالم .

المزملات فقال : « وعرفوا كيف يرشحون ماءهم فى الجرار الراشحة وكيف ييردونها صيفا فى المزملات »^(٧) لم يذكر هذا الجمع فى اللسان وإن

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٢٩ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٦٩٩ .

(٣) البغلاء ص ٩٨ .

(٤) اللسان ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٥) الحيوان ج ٤ ص ٣١١ .

(٦) اللسان ج ٢ ص ١١١ .

(٧) البغلاء ص ٨٣ .

ذكرت مادته زمل يزمل ويزمل زمالا عدا وأسرع معتمدا في أحد شقيه رافعا جنبه الآخر ، وكأنه يعتمد على رجل واحدة . والزامل من الدواب : الذى كأنه يطلع فى سيره من نشاطه . والزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع والزوملة واللطيمة : العير التى عليها أحمالها . وزاملهم يجوز أن يكون جمع زاملة . والمزاملة المعادلة على البعير . والمزمل أصله المتزمل والتاء تدغم فى الزاى لقربها منها^(١) وما تقدم لم يذكر اللسان فى مشتقاتها زمل لفظة مزملات التى جاء بها الجاحظ جمعا مؤنثا سالما لمزملة التى ذكرها فى كتاباته ، وقد وردت هذه اللفظة فى صيغ المفردة المؤنثة .

عيالات ذكرها الجاحظ فقال : « وإنما كان ذلك من زياد على جهة النظر للعيالات وكما ينظر الراعى للرعية »^(٢) هذه اللفظة مادتها عيل ذكرها اللسان مع مشتقات أخرى مثل عيال وعيائل ، وعيول ، ومعيل وغيرها كثير ليس من بينها عيالات ، والعيل جمع العائل وهو الفقير والعيل جمع العائل وهو المتكبر والمتبخر وجمع عيال المتبخر عاييل ورجل فعيل : ذو عيال^(٣) ولفظة عيالات لم ترد فى اللسان وذكرها الجاحظ فى صيغ الجمع .

المسنيات فى كلام الجاحظ قال : الخشبة التى تمنع الحائط من السقوط وتشخص فى القناطر والمسنيات^(٤) وقد جاء فى اللسان المسناة : صغيرة تبني للسيل لترد الماء . سميت مسناة لأن فيها مفاتيح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب . مأخوذ من قولك سنيت الشيء والأمر إذا فتحت وجهه^(٥) .

(١) اللسان ج ٢ ص ٤٦ .

(٢) البخل ص ٧٤ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٩٤٥ .

(٤) الحيوان ج ٢ ص ١٨٦ .

(٥) اللسان ج ٢ ص ٢٢٥ .

نَسِيَّاتٌ ذكرها الجاحظ فقال : « ثم لا يلبث كذلك إلا نسيئات يسيرة حتى يذهب ذلك ذهاباً لا يعود »^(١) وقال صاحب اللسان نساء الشيء نساء : باعه بتأخير والاسم النسيئة . تقول : نسأته البيع وأنسأته وبعته بنسأة وبعته بكلائة وبعته بنسيئة أى بأخرة^(٢) .

بَاكُورَاتٌ قال الجاحظ : اصبروا على الرطب عند ابتدائه وأوائله وعن باكورات الفاكهة^(٣) الباكور من كل شيء : المعجل المجئ والإدراك ، والأنثى باكورة وباكورة الثمرة منه . والباكورة أول الفاكهة . وقد ابتكرت الشيء إذا استوليت على باكورته وأول كل شيء باكورته والباكور : هو المبكر السريع الإدراك^(٤) .

المُخَارِجَاتُ من صيغ الجمع المؤنث السالم الذي ذكره الجاحظ فى كتاباته وجاءت المفردة منه فى اللسان قال الجاحظ : لم يصعد نهر سليمان ولاقاتل فى المخارجات أحد قط يشبهه^(٥) وفى اللسان مخارجة : لعبة لفتيان العرب . والمخارجة : المناهدة بالأصابع وجاء فى التهذيب : الخراج والخريج ومخارجة : لعبة لفتيان الأعراب^(٦) والمخارجات جمع مؤنث سالم بمعنى المبارزات وهو أن يخرج كل من الفارسين لصاحبه فيبارزه وهذا ما قصده الجاحظ فى قوله ولاقاتل فى المخارجات .

السَّيِّرَاتُ من صيغ الجمع التى ذكرها الجاحظ فقال : كتحن العفيفات

(١) الحيوان ج ١ ص ١٠٧ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٦٢٢ .

(٣) البخل ص ٩٢ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٢٤٨ .

(٥) فخر السودان على البيضان ص ١٩٤ .

(٦) اللسان ج ١ ص ٨٠٨ .

الستيرات^(١) هذا الجمع جاء مفردة فى اللسان ستير أى عفيف والجارية ستيرة .
وقال الكميت فأما ستيرة فلا تجمع إلا جمع سلامة على ماذهب إليه سيويه فى
هذا النحو^(٢) .

جمع التكسير وردت عند الجاحظ بكثرة ، وقد اشتق من الأسماء صيغاً
اشتقاقية متنوعة لهذه الجمع ومن هذه الصيغ : المتشبهة والنفاضة والنحل
والمرادى والأرابيح والمحارى والأوفاق والأمواه والشرائف والأوكية والملال
والأعالى والخيوش والجلاليب ، وألفاظ أخرى كثيرة لايسع المجال لذكرها .

الألفاظ التى جاءت على صيغ جمع التكسير فى كتابات الجاحظ لتمثل لنا
الاستخدام اللغوى للألفاظ فى العصر العباسى .

فقد ذكر الجاحظ لفظة **المتشبهة** بقوله : سل عنى المتشبهة وذباحى
الجزيرة^(٣) وهذه اللفظة جاءت من مادة شبه التى وردت فى اللسان ومعها
مشتقاتها مثل الشبه ، والشبه ، والشبيه بمعنى المثل والجمع أشباه ، قال
صاحب اللسان وبينهم أشباه أى أشياء يتشابهون فيها . ومشبهة : مشكلة يشبه
بعضها بعضاً قال : وأعلم بأنك فى زمان مشبهات والمتشابهات : التماثلات
والتشبيه : التمثيل^(٤) .

أما لفظة متشبهة فلم ترد فى اللسان فهى من الصيغ الاشتقاقية التى اشتقها
الجاحظ من شبه أو من أشباه . أو تشبيه وهى على وزن متفعلة .

نفاضة جاء بها الجاحظ من النفض وذكرها فى بيانه فقال : « كنتم

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٦٧ .

(٢) اللسان ج ٢ ص ٩٤ .

(٣) البخل ص ٥٠ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٢٦٦ .

لاتقاتلون بالليل ، ولا تعرفون البيات ولا الكمين ، ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفاضة ولا الدراجة^(١) لفظة نفاضة على وزن فعالة فى اللسان جاءت المادة نفض ومشتقاتها النفیضة : الذى ینفـض الطريق والنفیضة : الذين ینفـضون الطريق وقال الليث : النفیضة بالتحريك ، الجماعة یبعثون فى الأرض متجسسين لینظروا هل فیها عدو أو خوف وكذلك النفیضة نحو الطليعة والنفض تبصر الطريق^(٢) أما لفظة نفاضة التى على وزن فعالة فلم ترد فى اللسان .

أراییح التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته فى أماكن عديدة لم ترد فى اللسان وإنما اشتقها الجاحظ اشتقاقاً جديداً ، وقد جاء ذكر لفظة أراییح فى الرسائل قال : ولسنا نعنى معانى تراکیب الألوان والطعوم والأراییح^(٣) وقال فى الحيوان « وكذلك الطعوم ، وكذلك الأراییح وكذلك الأصوات »^(٤) وفى اللسان المادة ریح والجمع أریاح وأراییح وكلاهما شاذ هذا ما ذكره صاحب اللسان وقال الریح : نسیم الهواء وكذلك نسیم كل شىء ، وهى مؤنثة ، والریحة : طائفة من الریح عن سیبویه ، قال : وقد یجوز أن یدل الواحد على ما یدل علیه الجمع ، وجمع الریح أرواح وأراویح جمع الجمع ، وقد حكيت أریاح وأراییح وكلاهما شاذ ، وفى التهذیب : الریح واحدة الریاح ، وقد تجتمع على أرواح لأن أصلها الواو وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها ، وإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو^(٥) أما صیغة أراییح فلم یأت ذكرها فى اللسان وهى استخدام لغوى خاص بالجاحظ ووزنها على أفاعیل .

(١) البیان والتبیین ج ٣ ص ١٧ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٦٩٢ .

(٣) فى الجدل والهزل ص ٢٦٢ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٥٧ .

(٥) اللسان ج ١ ص ١٢٤٧ .

أوفاق ذكرها الجاحظ فقال : وعتبني بكتاب الأوفاق والرياضيات^(١) هذه اللفظة لم ترد في اللسان وإن كانت مادتها وفق قد ذكرها صاحب اللسان ومعها المشتقات أوفق القوم الرجل : دنوا منه واجتمعت كلمتهم عليه ، وأوفقت الإبل : اصطفت واستوت معا وقد سموا العرب موفقا ووفقا^(٢) أما أوفاق التي لم يذكرها صاحب اللسان وصاغها الجاحظ على وزن أفعال من صيغ جموع التكسير (للقلة) .

شرائف ذكرها الجاحظ بقوله « كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث »^(٣) في اللسان جاءت المادة شرف . وشرفا وشرفة وشرفة وشرافة فهو شريف والجمع أشراف ، والشرف ، مصدر الشريف من الناس . وشريف وأشراف مثل نصير وأنصار وشهيد وأشهد وشرف وشوارف وشرف جمع شارف نادر لم يأت مثله^(٤) أما الجمع شرائف فلم ترد في اللسان وصاغها الجاحظ على وزن فعائل بالفتح وكسر ما بعد الألف ويطرد في رباعي مؤنث ثالثة مدة سواء كان تأنيثه بالتاء أو بالألف مطلقا^(٥)

أوكية ذكرها الجاحظ فقال : وتقرض الجرب وأوكية الأسقية^(٦) قال ابن منظور الوكاء هو ما يشد به الكيس وغيره كأنه أوكأ مقعدته وشدها بالعقود على الوطأ الذي ، وعن الأخفش التكاة بوزن فعلة وأصله وكأة وإنما متكأ أصله موتكأ مثل متفق أصله موثق عن أبي عبيد قال : تكأة بوزن فعلة ، وأصله

(١) الحيوان ج ١ ص ٧ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٩٦٠ .

(٣) كتاب القيان ص ١٤٩ .

(٤) اللسان ج ٢ ص ٣٠١ .

(٥) شذا العرف الحملوى ص ١٠٩ .

(٦) الحيوان ج ٤ ص ٢٩٨ .

وكأه ، فقلبت الواو تاء فى تكأة^(١) .

أما لفظة أوكية فلم أجدها فى اللسان وصاغها الجاحظ على وزن أفعلة من جموع التكسير .

المَلال ذكرها الجاحظ فى أماكن عديدة من كتبه فقال : وأنهم ليوقدون بها الحمامات ، وأتاتين الملال^(٢) وقد جاء فى اللسان المادة لهذه اللفظة من ملل والمفردة مله وهى بمعنى الرماد الحار والجمر ويقال الملة الحفرة نفسها وأيضاً بمعنى الرماد الذى يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج^(٣) أما الجمع ملال فلم ترد فى اللسان وإن ورودها عند الجاحظ جاء على وزن فعال بكسر ففتح مخفف ، وقد علق الجاحظ على الملة مفرد الجمع ملال فقال : « ومن هذا الباب الملة والملة موضع الخبزة ، فسموا الخبزة باسم موضعها وهذا عند الأصمعى خطأ^(٤) .

الخيوش على وزن فعول ذكرها الجاحظ فى أماكن عديدة من كتاباته قال فى البخلاء : إذا جلسوا فى الخيوش واتخذوا الحمامات فى الدور^(٥) مادة هذه اللفظة خيش ومفردتها خيشة ، والخييش بمعنى الثياب الرقاق النسج والغلاظ الخيوط وتتخذ منه مشامة الكتان ومن أردته ، وربما اتخذت من القصب والجمع أخياش وفيه خيوشة أى رقة وخاش ما فى الوعاء أخرجه^(٦) أما الجمع خيوش فلم يرد فى اللسان وجاء به الجاحظ على وزن فعول .

النحل ذكرها الجاحظ فى حيوانه فقال : « لولا مكان المعتزلة لهلكت

(١) اللسان ج ٣ ص ٩٧٢ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٢٤٤ .

(٣) اللسان ج ٣ ص ٥٣٠ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٣٣٣ .

(٥) البخلاء ص ٢٠٥ .

(٦) اللسان ج ١ ص ٩٢٨ .

العوام من جميع النحل»^(١) لم يرد هذا الجمع فى اللسان وإن جاءت المادة نحل وذكر صاحب اللسان لفظة المفردة نحلة أى دين وتدين . وقال بعضهم : هى نحلة من الله لهن أن جعل على الرجل الصداق ولم يجعل على المرأة شيئاً من الغرم ، فتلك نحلة من الله للنساء^(٢) الجمع نحل لم يذكره صاحب اللسان وورد عند الجاحظ على وزن فعّل من جموع التكسير ويطرّد فى الاسم الذى على وزن فعلة بكسر وسكون .

جلايب وقد وردت هذه اللفظة فى قول الجاحظ : « وما تخفيه الجلايب مما يحل للزوج والولى ويحرم على غيرهما »^(٣) لفظة الجلايب استخدام لغوى خاص بالجاحظ فقد ذكر صاحب اللسان أن جلباب الملاة التى ترتديها المرأة وتشتمل بها والجماعة جلايب والفعل تجلبيت . وقد أنشد الشاعر : « مجلبب من سواد الليل جلبابا » والجلباب هو الرداء وقيل هو كالمقنعة تغطى به المرأة رأسها وظهرها وصدرها والجمع جلايب كنى به عن الصبر لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن . والجلباب الملك^(٤) والجمع جلايب لم يرد فى اللسان وقد جاء به الجاحظ على وزن فعاليل .

المراى ذكرها الجاحظ بقوله : « المسنيات التى تهدمها المدود وتخربها المراى »^(٥) فى اللسان ذكر المفرد مردى بمعنى الخشبة التى يدفع بها الملاح السفينة والمرد : دفعها بالمردى ، والفعل يمد^(٦) أما الجمع مراى فلم يذكره صاحب اللسان وجاء به الجاحظ على وزن مفاعل .

(١) الحيوان ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) اللسان ج ٣ ص ٥٩٨ .

(٣) كتاب القيان ص ١٥٤ .

(٤) اللسان ج ١ ص ٤٧٧ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٦) اللسان ج ٣ ص ٤٦٤ .

محارى ذكرها الجاحظ بقوله : « لم صوروا فى محاريهم وبيوت عباداتهم ، صور عظمائهم ورجال دعوتهم »^(١) . فى اللسان لم ترد لفظة محارى وإن ذكر صاحب اللسان الحارة بمعنى المحلة التى دنت فيها المنازل وقال : كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة ، وذكر المحارة بمعنى الصدقة وجمعها محار والمادة حير بالفتح بمعنى شبه الحظيرة أو الحمى ومنه الحير بكريلاء^(٢) والوزن لهذه الصيغة مفاعل .

رءاسى على وزن فعالى منسوب وقد ذكرها الجاحظ فى بخلائه فقال : « وكان أبو عبدالرحمن يشتري ذلك الرأس من جميع رءاسى بغداد »^(٣) هذه الصيغة لم ترد فى المعاجم ، ففى اللسان نرى المادة رأس والجمع فى القلة رؤس وآراس على القلب ورؤوس فى الكثير ولم يقبلوا هذه ، ورؤوس : الأخيرة على الحذف . وقال صاحب اللسان نقلا عن أبى عبيد : ارتأسنى فلان واكتأسنى أى شغلنى وقال : الرؤاس والرؤاسى والأرأس : العظيم الرأس . وقال أبو عبيد : شاة رأس ولاتقل رؤاسى عن ابن السكيت . وشاة رئيس : مصابة الرأس والجمع رآسى بوزن رعاسى ، ورجل رأس بوزن رعاس : يبيع الرؤوس والعمامة تقول رواسى^(٤) وما تقدم نجد أن اللسان لم يذكر هذه الصيغة الاشتقاقية رآسى التى أوردها الجاحظ ، فهى من الصيغ الجديدة المستحدثة فى كتاباته وهى على وزن فعالى من المنسوب^(٥) .

(١) الحيوان ج ١ ص ٦ .

(٢) اللسان ج ١ ص ٧٦٨ .

(٣) البخلاء ص ١١١ .

(٤) اللسان ج ١ ص ١٠٨٩ .

(٥) ديوان الادب الفارابى ج ٣ ص ٦٩ .

الفصل الثاني
الفاظ ذات الاصول غير العربية

الفصل الثاني

الألفاظ ذات الأصول غير العربية

تسربت الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية منذ القدم من أيام الجاهلية وذلك عن طريق التجارة أو الاختلاط بالشعوب المجاورة لبلاد العرب ، كالفرس واليونان وغيرهم . وفي عصر الفتوحات الإسلامية انتقل إلى اللغة العربية نتيجة لاتصالها بغيرها من اللغات عدد من الألفاظ الأجنبية تعبر عن أمور ليست مألوفة عند العرب ولكنهم كانوا بحاجة شديدة إلى هذه الألفاظ الغريبة على بيئتهم اللغوية لكي يسايروا ركب التقدم الحضاري لدى الأمم التي كانت تجاورهم ويرتبطون معها بمصالح مشتركة ، إذ أن التقارب الحضاري يصحبه دائماً تبادل لغوي ، وهذه ظاهرة عامة في كل اللغات وقد سلكت العربية مسلك غيرها من اللغات .

وما أن نصل إلى العصر العباسي حتى نجد أن العرب أصبحوا أكثر شعوراً بأسباب الحضارة للأمم المجاورة واشتد احتياجهم لاقتباس الألفاظ من الفرس^(١) واليونان وإن كان ما أخذوه من الفرس أكثر ، وهذا ما سنجده في كتابات الجاحظ أديب العصر العباسي . وقد كان العرب في اقتباسهم للألفاظ الأجنبية يعمدون إلى تحوير بعض هذه الألفاظ عن بنيتها الأصلية وجعلها على نسج الكلمات العربية وأسموها بالألفاظ المعربة ، والبعض الآخر من الألفاظ الأجنبية تركوها على صورتها الأصلية وأسموها بالألفاظ الدخيلة . وهذا التصنيف لم يعرفه علماء العربية القدماء فقلما يفرقون بين المعربة والدخيلة ، ويقول د. حسن ظاظا : إن السيوطي في المزهرة والخفاجي في شفاء الغليل استعملوا لفظي المعرب والدخيل بمعنى واحد^(٢) .

(١) ضحى الإسلامي أحمد أمين ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) كلام العرب د. حسن ظاظا ص ٧٩ .

والمتاخرون من المؤلفين يصفهم الدكتور إبراهيم أنيس بأنهم استعملوا لفظتي المعرب والدخيل بمعنى واحد وأنهم لم يلتزموا هذا التمييز في علاجهم للألفاظ التي اقترضها العرب^(١) . أما الفرق بين اللفظتين فيشرحه مفصلاً الدكتور إبراهيم أنيس فيقول : الكلمة الأعجمية التي يشيع استعمالها لدى العرب القدماء تأخذ نسج العربي فيتنقص من أطرافها وتبدل بعض حروفها ويغير موضع النبر منها حتى تصبح على صورة شبيهة بالكلمات العربية وتلك هي التي سماها علماء العربية فيما بعد بالمعرب ، أما غيرها من الكلمات الأجنبية التي بقيت على صورتها الأصلية فقليل عددها وقد ظلت قليلة الشيوع والدوران وأطلق عليها «الأعجمي الدخيل» كأنما أريد بهذا استبعادها عن الألفاظ العربية الأصيلة^(٢) .

(١) أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ص ١٢٥ .

(٢) أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ١٢٦ .

الألفاظ الإيرانية :

أثرت اللغات الإيرانية في عربية العراق تأثيراً قوياً وكثرت في اللغة العربية الألفاظ الإيرانية المعربة بصورة واضحة ، وكتابات الجاحظ تشير إلى هذه الألفاظ وتكشف لنا النقاب عن مدى تأثير اللغات الإيرانية في أهل العراق وخاصة الجيوش العربية الفاتحة ، وقد أورد الجاحظ في بيانه محاوراً بين الحجاج وأحد التجار الخراسانيين الذين كانوا يعقدون صفقات تجارية مع الجيش الإسلامي من أجل التموين والإمداد بالمواد الغذائية وغيرها مما يحتاجه الجيش ، قال تاجر الدواب للحجاج : شريكائنا في هواها ، وشريكائنا في مدينها^(١) . ويعلق الدكتور حجازي على هذا الحديث اليومي بين الجيش العربي الفاتح وبين المتعاونين معه من الأمصار المفتوحة : من النص نرى أن التاجر استخدم كلمة شريكائنا بدل شركائنا ، وبذلك لم يعرف المتحدث صيغة الجمع الصحيحة شركاء وهي صيغة جمع تكسير ، ولكنه لم يجمع هذه الكلمة على نحو عربي بل أضاف علامة الجمع في الفارسية «آن» وبذلك نشأت هذه الصيغة الهجين^(٢) .

وأشار الجاحظ إلى انتشار الألفاظ الإيرانية في المدينة والبصرة والكوفة وخص أهل المدينة بقوله : ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطح الخربز ويسمون السميطة الرزدق ، وقال عن أهل الكوفة : فإنهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية^(٣) . ولو أردنا تتبع الألفاظ الإيرانية التي وردت في كتابات الجاحظ لكان من العسير علينا إحصاؤها ، ولكنه من الممكن إعطاء صورة

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٦١ .

(٢) علم اللغة العربية د. محمود حجازي ص ٢٤٧ .

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

تقريبية عما ورد في تلك الكتب من ألفاظ إيرانية دخلت في شتى المجالات للحياة اليومية في العصر العباسي ، ومن الملاحظ أن أكثر هذه الألفاظ تتعلق بالماديات المحسوسة ولم ترد في الناحية المعنوية إلا نادراً كمصطلحات فلسفية أو دينية ، وفيما عدا ذلك كانت تشمل مجالات الأطعمة والألبسة والسكن والأدوية والعقاقير والتعدين والصناعات والمرافق الصحية والمصطلحات الإدارية وغيرها من المجالات التي تنوعت في العصر العباسي وتقريب بعض الألفاظ الإيرانية إلى أفراد المجتمع العباسي ، وإن كانت هذه الألفاظ تدور على السنة الأكثرية من أفراد المجتمع حتى المثقفين من الكتاب في هذا العصر كانوا مزهوين بكل ما هو فارسي^(١) .

(١) ذم أخلاق الكتاب ص ٤٣ .

أولاً: المجالات الدلالية:

(١) الأطعمة:

مجال الأطعمة متنوع يشمل أنواع البطبخ وأدوات الطبخ وأوانيه وكذلك إعداد الموائد وصفات الأكلين وآداب الطعام وكل ما يمس الأطعمة ويدخل في مجالها وما يستعمل للتنظيف من مواد . وكذلك الأشربة وأنواعها ومن يقوم على خدمة الشاربين وما يدخل في إعداد الأشربة من مواد أولية .

ففي مجال أنواع الطبخ نجد كلمة سكباغ وبزر ماورد وشاهسفرم والجردة والشبارقات والفالوذق والطبرزد والكامخ والنشاستج والأبزار والباذنجان والماش واللوبيا والترنجبين والخشكار والحواري والزردج والفسق والفانيد والجور والخربز والكمثرى والسيريز والجيسران والمارماهي .

سَكْبَاج : لفظة «السكباغ» وردت عن الجاحظ في أماكن كثيرة من كتبه ورسائله ففي البخلاء قال يصف أحد بخلائه : اشترى بصلاً بدائق وبادنجان بدائق وقرعة بدائق فإذا كان أيام الجزر فجزراً بدائق وطبخه كله سكباجا^(١) . إن لفظة السكباغ فسرهما آدي شير بأنها مرق يعمل من اللحم والخل معرب سكبا وهو مركب من سك أي خل ومن با أي طعام^(٢) . وفي معجم استاينجس وصفت لفظة السكباغ بأنها فارسية الأصل معربة عن سكبا وهي نوع من الأكل يعمل من اللحم والطحين الأبيض والجزر^(٣) . ويعلق طه الحاجري على تناول المعاجم لهذه اللفظة فيقول : عد أصحاب المعاجم هذه اللفظة من الألفاظ المعربة ، وقد وردت في القاموس المحيط من مادة سكب

(١) البخلاء ص ١٢٢ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٩٢ .

(٣) معجم استاينجس ص ٦٨٨ .

وأن السكباج بالكسر : معرب سكباً ولعله من أجل ذلك كان يسمى كما يقول الراغب - الخلية والمخللة^(١) .

كَعَك : وردت عند الجاحظ في البخلاء قال : بعد أن كبنا لا نرى إلا شيئاً كالبحر من ييس الكعك وهذا ثلث يعبر عن كل غض^(٢) . وقد فسرت لفظة الكعك في اللسان بالخبز اليابس ، وقيل الكعك خبز فارسي معرب . قال الليث : اظنه : فارسي معرب^(٣) . وقال صاحب كتاب الألفاظ الفارسية : الكعك تعريب كاك ، وهو خبز يعمل مستديراً من الدقيق والحليب والسكر^(٤) . ووردت هذه الكلمة في معجم استاينجس بأنها فارسية معربة وهي تعني : نوع من الخبز أو الفطائر تعمل بدون حليب أو ربة أي أنها ناشفة غير طرية^(٥) .

جَرْدَقَة : ذكرها الجاحظ بقوله : فما ألت أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة ، فيغمسها في الخل الحاذق ويغرقها فيه^(٦) . ومن النص نفهم أنها نوع من الأرغفة ، وقد ذكرها القالي بأنها فارسية معربة قال : ولا يقال جردقة وقال أبو النجم : كان بصيراً بالرغيف الجردق^(٧) . وفي القاموس جاءت الكلمة بالدال جردقة : بالفتح ومعناها الرغيف معرب كرده^(٨) . وفسرها الجواليقي بالخبز الغليظ وهي بالفارسية كرده^(٩) . وقال الخفاجي الجردق معرب

(١) البخلاء طه الحاجري ص ٢٨٨ .

(٢) البخلاء ص ٢٠١ .

(٣) اللسان ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٣٦ .

(٥) معجم استاينجس ص ١٠٣٦ .

(٦) البخلاء ص ٥٥ .

(٧) البازع للقالي ص ٥٢٩ .

(٨) ق م الفيروز آبادي ج ١ ص ٤٧٣ .

(٩) انعرب للجواليقي ص ٩٥ ، ١١٥ .

كرده ويأتي بالذال والذال وهو رغيف غليظ^(١) .

شَبَارِقَات : من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ ووصفها بأنها من طعام العجم . قال : أبا فلان ما أدمك ، فيقول : الشبارقات والأخبصة والفالوذجات ، قال : طعام العجم وعيش كسري ، ولباب البر ، بلعاب النحل بخالص السمن^(٢) . وفي اللسان مادة شبرق ، وفسر صاحب اللسان الشبارق والشباريق : القطع أو يقال ثوب شبرق كجعفر ، والشبارق كقنادل : ما اقتطع من اللحم صغاراً وطبخ وهو معرب^(٣) . وقال الجواليقي نقلاً عن ابن دريد : والشبارق الذي تسميه الفرس بيشارة . ولحم شبارق يقطع صغاراً ويطبخ ، وزعموا أنه فارسي معرب . وقال الجواليقي أيضاً : فأما الشبارقات وهي ألوان اللحم في الطبائع فقارسي معرب ، وهو الشفارج للذي تقول له العامة فيشفارج وبشارج وهو ما يقدم بين يدي الطعام من الأطعمة المشهية له^(٤) . والخفاجي يفسر الشبارق : بمعنى مقطع معرب يقال ثوب شبارق ويقال لحم شبارق وجمعه شباريق والشبارقات ألوانه . . . قلت ومنه قول العامة شبرقة^(٥) .

فالوذجات : ذكرها الجاحظ بقوله : الشبارقات والأخبصة والفالوذجات ، قال طعام العجم^(٦) . وذكر مفردا الفالوذق فقال : ومن أشرف ما عرفوه من الطعام ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان ، وهو الفالوذق^(٧) . قال ابن قتيبة : والعرب تسمى الفالوذ صير طراطاً سميت بذلك

(١) شفاء العليل للخفاجي ص ٩٠ .

(٢) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٦٦٦ وانظر بالبارع للقالبي ص ٥٣٠ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٠٤ ، ٢٨٧ .

(٥) شفاء العليل للخفاجي ص ١٥٨ .

(٦) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٧) البخلاء ص ٢٢٩ .

للاستراط وهو الابتلاع^(١) . ويقول ابن السكيت : تقول الفالوذ والفالوذق ، ولا تقل الفالوذج^(٢) . وقال الجواليقي : والفالوذ أعجمي معرب وكذلك الفالوذق والفلواذ قال أبو حاتم : قال أبو زيد : سمعت من العرب من يقول للفلواذ . فالوذ^(٣) . والخفاجي يقول الفالوذ ، والفالوذق ، معربان عن بالوده . قال يعقوب : ولا تقل فالوذج قال الجوهري : وفي الحديث كان يأكل الدجاج والفالوذ^(٤) . وآدي شير يقول : إن الفالوذج والفالوذق وهى معربة عن بالوده وأما الفالوذ بمعنى ذكره الحديد فلغة في الفلواذ^(٥) .

بِزْمَاوَرْد : ذكرها الجاحظ بقوله : لم يلبث الفضل أن أتى بصحفة ملائنة من فراخ الزنابير ، ليتخذ له منها بزماورد ، والدبر والنحل عند العرب أجناس من الذبان^(٦) . ويعلق ابن السكيت على هذه اللفظة ويقول : ما جاء من الأسماء مضموماً الزماورد . وتقول : هو الزماورد للذي تقوله العامة بزماورد^(٧) ويفسر صاحب القاموس الزماورد بالطعام الذي يعد من البيض واللحم ، والمادة من ورد^(٨) . ويقول أبو منصور الزماورد هو ما تدعوه العامة وأصل اللفظة الزماورد وهى معربة^(٩) ، والخفاجي يفصل معنى الكلمة فيقول : الزماورد معرب والعامة تقول بزماورد وليس بغلط لأن فارسيته كما هو مسطور في لغاتهم وهو الرقاق الملفوف باللحم بفتح الزاي كذا في حواشي الكشاف ،

-
- (١) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ١٤٣ .
 (٢) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣٠٨ .
 (٣) المعرب للجواليقي ص ٢٤٧ .
 (٤) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٩٨ .
 (٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٢١ .
 (٦) الحيوان ج ٦ ص ٩١ .
 (٧) إصلاح المنطق ابن السكيت ص ١٦٧ .
 (٨) ق . م للفيروز آبادي ج ٢ ص ٤٧٣ .
 (٩) المعرب للجواليقي ص ١٧٣ .

وفي القاموس هو بالضم طعام من البيض واللحم معرب . وفي كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة^(١) . وفي معجم استاينجس البزماورد حلوى تصنع في المناسبات أو هو نوع من الشطائر وهو معرب عن الفارسية^(٢) .

شَاهَسْفَرَم : من الكلمات المعربة وقد وردت عند الجاحظ بقوله اجعلوا النقل باقلاء ، وإن قدرتم على الفستق ، والريحان شاهسفرم^(٣) وردت هذه الكلمة في القاموس بالباء الشاهسبرم وبالفاء الشاهسفرم ومعناه الريحان ومادته شهرب^(٤) . وفي شفاء الغليل ترد هذه اللفظة بحركتين الشاهسفرم والشاهسفرم وأصل الكلمة شاه اسبرغم ومعناه الريحان السلطاني . وقال في البرهان القاطع شاه اسبرغم بكسر الهمزة وهو المسمى ريحانا ويقال له بالعربية ضميران^(٥) . وفي الألفاظ الفارسية وردت الشاهسفرم بالفاء ومعناها عند آدي شير نوع من الريحان ويفصل أصل الكلمة فيقول : سيرغم معناه بالفارسية الريحان وفيه لغة سبرم ، وللكير الشاهسبرم وشاه سبرغم والباء الفارسية تبدل فاء لقربها منها ، وقد ذكره في القاموس وهو فيما عرب قديما لوقوعه في شعر الأعشى وغيره^(٦) .

بازَنْجَان : فقد أورها الجاحظ فقال يصف أحد بخلائه : فإذا كان يوم الأربعاء أكلوا البازنجان . فإذا كان يوم الخميس أكلوا اللحم^(٧) . جاءت هذه

(١) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٣٩ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٨٤ وهذه اللفظة تسمى في العراق اليورك .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٤) ق م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٧٧٠ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٦٤ وانظر حياة الحيوان للمميري ج ٢ ص ١٨٨ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٤ .

(٧) البخلاء ص ١٢٢ .

اللفظة من المادة أ ن ب كما ذكرها صاحب القاموس وهي الأنب في العربية^(١) وقال الدميري يصف الباذنجان ومضاره : أكله يورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة ونقل عن ابن سينا : يولد السدد والسوداء ويفسد اللون ويسود البشرة ويصفر الوجه ويولد الجذام والسرطانات والصداع^(٢) . وفي شفاء الغليل فسرت لفظة الباذنجان بالأنب والمغد والوغد وهذه أسماؤه بالعربية ، وعن ابن البيطار وهو يكسر الذال وبعض العجم يفتحها ذكره في المصباح ، والعجم تضرب بقبحه المثل في شدة القبح فتقول باذنجان^(٣) . أما آدي شير فهو يشك في أصل هذه الكلمة فيقول : والصحيح أن الباذنجان مشتق من السريانية . وفي محيط المحيط : الباذنجان معرب باذنكان بالفارسية ومعناه بيض الجن ، وأن باد بالفارسية اسم جن كان موكلاً على أمر التزويج ونك جمعه نكان هو المتقار فيكون معناه مناقير الجن^(٤) . ويعلق الأب أنستانس في كتابه نشوء اللغة العربية على لفظة الباذنجان فيقول : هذه الكلمة باذنجان ليس في العربي لفظة أفش انتشاراً ولا أعرف منها ، وقد جاءتنا من جيراننا الفرس الأقدمين فحاول الأقدمون خنقها وعمد بعضهم إلى عمل في منتهى القسوة ، أنهم لم يثبتوها في معاجمهم ليلجنوا الجميع إلى عدها من حوشي اللفظ ، أو من العربي المستهجن ، ولهذا لا تجدها في القاموس ولا في تاج العروس ولا في المصباح ولا في مختاره ولا في الأساس . ومن الغريب أنهم لم يحتاطوا لأنفسهم كل الاحتياط لأنهم لما ذكروا ما يقابلها في العربية المبنية شرحوه بقولهم الباذنجان فجاء عملهم هذا خداجاً مضحكاً والآن اذهب بنفسك إلى جميع الربوع التي نطق أهلها بلسان معد وعدنان فإنك لا تسمع إلا الباذنجان ولا يعرفون المغد ،

(١) القاموس الفيروز آبادي ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٨١ وانظر المرهر للسيوطي ج ١ ص ٢٨٤ .

(٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ٦٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥ .

ولا الوغد ، ولا الجدق والحدق ولا الحصيل ولا الكهكب أو الكهكم أو القهقب ولا الأنب ولا الشرجيان ولا الا نفحة ولا سواها^(١) .

طَبَاهِج : وقد ذكره الجاحظ بقوله : فلم يلبث الخرساني أن سمع نشيش اللحم في المقلي ، وشم الطباهج^(٢) . وجاء في القاموس : الطباهجة : هي اللحم المشرح معرب تابيه والمادة طبهج^(٣) . وذكر آدي شير الطباهجة معربة عن الفارسية تباهة وهو طعام من بيض وبصل ولحم^(٤) .

طَبْرَزْد : وردت عند الجاحظ كثيراً ففي مجال العلاج قال : فمما يعالج به الكباد : الزعفران والسكر الطبرزد ، وماء الهندبا^(٥) . وجاء في القاموس أصل المادة من طبر والطبرزد : سكر معرب كأنه نحت من نواحيه بالفأس وذكر قول الأصمعي طبرزن وطبرزل^(٦) . وذكر الجواليقي هذه الكلمة بثلاث لغات : سكر طبرزد وطبرزل وطبرزن وقال : عن هذه اللغات لغات معربات . وأصله بالفارسية تبرزد كأنه يراد : نحت من نواحيه بفأس . والتبر : الفأس بالفارسية ومن ذلك سمى الطبرزد من التمر لأن نخلته كأنما ضربت بالفأس^(٧) . وقال الخفاجي : الطبرزد : سكر وطبرزل وطبرزن معرب أصل معناه ما نحت بالفأس ولذا سميت طبرستان لقطع شجرها^(٨) . وقال آدي شير الطبرزد : السكر الأبيض الصلب فارسي محض مركب من تبر ومن زد أي ضرب لأنه يدقق بالفأس ، وهذه الآلة من السلاح تشبه الطبر أو هو الطبر بعينه وهذا

(١) مصادر اللغة د. عبد الحميد الشلقاني ص ٥٥٤ .

(٢) البخل ص ٢٣ .

(٣) قاموس المحيط ج ٣ ص ٥٦ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١١ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ وانظر البيان والتبيين ج ٣ ص ٩٣ .

(٦) ق . م . الفيروز آبادي ج ٣ ص ٥٢ .

(٧) المعرب للجواليقي ص ٢٢٨ وانظر المزهري للسيوطي ج ١ ص ٢٨٢ .

(٨) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٦ .

أصبح لأن أصل معناه الطبر المعلق في السرج فإن الفرس كان من عاداتهم أن يعلقوا الطبر في السروج^(١) .

كامخ : ذكرها الجاحظ فقال : أتى قاسم التمار منزل ابن أبي شهاب وقد تعشي القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز وزيتون وكامخ^(٢) . وقد فسرت المعاجم هذه الكلمة بالآدم وأيضاً بالمشهيات التي توضع مع الأكل .

ففي المعرب الكامخ هو الذي يؤتد به معرب . وروى ابن دريد عن بعض أهل اللغة : أن أعرابياً قدم إليه خبز وكامخ ، فلم يعرفه ف قيل له : هذا كامخ فقال : قد علمت ولكن أيكم كمخ به^(٣) . وفي شفاء الغليل يقول الخفاجي : الكامخ جمعه كواميخ مخلل يشهى الطعام معرب كامه . وعن صاحب منهاج البيان : الكامخ هو الطعام من الدقيق والملح واللبن ينشف في الشمس ثم يطرح عليه الأباير^(٤) . وقال آدي شير عن الكامخ هو أدام يؤتد به يقال له المري تعريب كامه ومنه الآرامي ويرادفه اليوناني^(٥) .

نيمبرشت : ذكرها الجاحظ في مجال الأطعمة فقال : ومن اللبأ واللبن ومن البيض والنيمبرشت^(٦) . وقد فسر آدي شير هذه اللفظة بالشئ الذي يشوي نصف شئ مركب من نيم أي نصف ومن برشت أي مشوي^(٧) . أما في المعاجم الأخرى فلم أجد ورود هذه الكلمة وإن كانت تستخدم بمعنى البيض الذي يشوي نصف شئ .

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١١١ .

(٢) البيان والتبيين ج ٤ ص ١٢ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٢٩٨ وانظر ق . م ج ٤ ص ٨٠ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٢٦ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٢٧ .

(٦) البخلاء ص ٧٧ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٦ .

أبزار : ذكرها الجاحظ في تفسيره لكلام أبي الفاتك قال : المغربل الذي يأخذ وعاء الملح ، فيديره إدارة الغربال ليجمع أبازيره ، يستأثر به دون أصحابه . لا يبالي أن يدع ملحمهم بلا أبزار^(١) وقد تناولت المعاجم هذه الكلمة ، ففي القاموس جاءت لفظة أبزار ، وأبازير ، والبزر كل حب يبذر للنبات والجمع بزور والتابل جمع أبزار الطعام وإلقاء الأبازير في القدر^(٢) . وفي المعرب جاءت لفظة إبزار بكسر الهمزة وهو التابل وقال الجواليقي : الأبزار فارسي معرب وليس بجمع^(٣) .

دارصيني : وهو نوع من التوابل لا يستغنى عنه في إعداد الطعام آنذاك ، وقد ذكره الجاحظ في كلامه عن أحد بخلائه قال : وكان قد جاوز في ذلك حد البخلاء . فدخلت عليه يوماً وإذا قدامه قطع دارصيني لا تساوي قيراطاً فلما نال حاجته منها مددت يدي لأخذ منها قطعة فلما نظر إلى قبضت يدي^(٤) . جاء في شفاء الغليل : الدارصيني معروف معرب ومعناه بالفارسية شجر الصين^(٥) . وفسر آدي شير لفظة الدارصيني بالشجر الهندي ومكانه في تخوم الصين كالرماة ، تعريب دارجيني أي شجر الصين^(٦) .

النشاستج : تدخل في مجال حديثنا عن الأطعمة وقد ذكرها الجاحظ في حديثه عن فضل الكتب ومآثر المتقدمين قال : ولهم صبب الزردج واستخراج النشاستج^(٧) . واستعمال هذه الكلمة ذكره الجاحظ في بخلائه

(١) البخلاء ص ٧٧ .

(٢) ق. م ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ١٩ .

(٤) البخلاء ص ١٢٢ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٩ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٠ .

(٧) الحيوان ج ١ ص ٨٢ .

ليصف الخزيرة التي تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز^(١) . وفسر الجواليقي هذه اللفظة نقلاً عن الجوهرى قال : النشاستج هو النشا ، فارسي معرب حذف شطره تخفيفاً كما قالوا للمنازل منا . والنشا معرب وأصله نشاسته^(٢) . ويفصل لنا آدي شير هذه اللفظة فيقول : النشا ما يستخرج من الحنطة إذا نقت حتى تلين ومرست حتى تخالط الماء وصفيت في المناخل وجفت فارسيته نشاسته والكردي نشا ولعل الكلمة آرامية الأصل^(٣) .

ماش : يوردها الجاحظ في حديثه عن أدواء الحمام وعلاجها قال : ومما يعالج به السل أن يطعم الماش المقشور ، ويمج في حلقه من اللبن الحليب^(٤) . قال الجواليقي مفسراً هذه اللفظة : المج حب كالعدس غير أنه أشد استدارة منه أعجمي معرب وهو بالفارسية ماش^(٥) . وقال الدميري يصف الماش : هو نبت معروف يضمده بالأعضاء فيسكن ويضعف الأسنان^(٦) . الخفاجي لا يضيف شيئاً جديداً على ما جاء في المعرب وهو ينقل نص المعرب حرفياً .

لوبيا : وهى من البقول التي تستعمل في الأطعمة بكثرة ، قال الجاحظ في الحيوان : قال : وتعشي أبو كعب القاص بطفشيك كثير اللوبيا وأكثر منه وشرب نبيذ التمر^(٧) وفي القاموس اللوبياء ، اللوباء بالضم ولوبه به : خلطه به أو لطخه به^(٨) . ومما نلاحظ أن معنى القاموس غير واضح . أما في المعرب

(١) البخلاء ص ٣١ .

(٢) المعرب للجواليقي ص ٣٤٠ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥٣ .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٣ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ٣١٧ .

(٦) حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٩٦ .

(٧) الحيوان ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٨) ق م الفيروز آبادي ج ٤ ص ١٨٠ .

فيقول الجواليقي اللوبيا ، واللوبياء ، واللوبياج ، ولم أجد من نص على أنه معرب إلا قول ابن دريد والدجر الذي يسمى اللوبيا بالفارسية^(١) . وآدي شير فهو يفسر الكلمة : اللوبياء تعريب لوبية وفيها لغات بالفارسية منها لوبيا ولوبا ولووبا ويورد كلام (فرنكل) على أنها مأخوذة من الآرامي^(٢) .

الترنجبين : ذكرها الجاحظ في حيوانه فقال : ثم تنقل من الأشجار العسل الساقط عليها ، كما يسقط الترنجبين والمن وغير ذلك^(٣) . قال آدي شير مفسراً لهذه الكلمة : الترنجبين طل أكثر ما يسقط بخراسان وما وراء النهر وأكثر وقوعه على الحاج ويجمع كالمن وأجوده الأبيض تعريب ترنكين . وقد قال في البرهان القاطع ترنكين من أنواع المن يسقط مثل الطل على الحسك وهو حلوا . ويقال له بالعربية المن . والترنجبين معرب عنه^(٤) . ولم يرد ذكر هذه الكلمة في المعاجم الأخرى .

الخشكار : فقد ذكرها الجاحظ بقوله : فيقوم الحواري المتطبخ مقام الخشكار النظيف^(٥) . يقول آدي شير : الخشكر ما خشن من الطحين فارسيته خشكار وهو القصرى والقصرى ما بقى في المخل بعد الانتخال ، أي ما نسميه بالنخالة^(٦) . وقد وردت كلمة الحواري بقول الجاحظ : فيقوم الحواري المتطبخ مقام الخشكار^(٧) وهى من الألفاظ الفارسية ، وهذا ما أكدته استاينجس في

(١) المعرب للجواليقي ص ٣٠٠ وانظر شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٤٢ ، وانظر حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٩٦ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٤٢ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٤٢٣ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٣٥ .

(٥) البخلاء ص ٩٦ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٥ .

(٧) البخلاء ص ٩٦ .

معجمه قال : هو نوع من الدقيق الجيد يعمل منه الخبز الأبيض اللذيذ . أو هو ما يدعى بالخبز الأبيض^(١) .

الخَشْكَنَان : قال الجاحظ : وقد عاب ناس من أهل المازج والمدير بأمور : منها أن خشكنانهم من دقيق الشعير وحشوه الذي فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار^(٢) . قال الجواليقي : هذه الكلمة قد تكلمت بها العرب واستشهد لها بيت من الرجز :

يا حبذا الكعك بلحم مشرود وخشكنان وسويق مقنود^(٣)

أما في شفاء الغليل فيقول الخفاجي : الخشكنان لفظ معروف تكلمت به العرب قديماً^(٤) ويعلق الحاجري على كلام الجواليقي والخفاجي فيقول : والذي يؤخذ من السياق هنا أنه نوع من الكعك يحشى بالجوز والسكر . وكذلك يفسر دوزي الكلمة «خشكنانج» ، فيقول : إنه نوع من الخبز المصنوع من الزبد والسكر والجوز والفسق ، ويكون على هيئة هلال^(٥) .

الزردج : ذكرها الجاحظ في الحيوان فقال : ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج^(٦) . يقول الخفاجي عن الزردج هو المصفر وماء الزردج ماؤه وهو معرب^(٧) . وفسرها آدي شير فقال : الزردج فسر بالمصفر تعريب زرتك وهو ماء المصفر^(٨) .

(١) معجم استاينجر ص ٤٣٣ .

(٢) البخل ص ١٢٢ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ١٣٤ - ٢٦١ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .

(٥) البخل ص ٣٦٩ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ٨٢ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٣٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٧٨ .

الجُوزِينَج : وهذه تستخدم في الحلوى وقد ذكرها الجاحظ فقال : الإيثال بخبز الخشكار على الحواري والباقلي على الجوزينج^(١) . قال الجواليقي الجوزينق والجوزينج . وبالقفاف للغة الفصيحة^(٢) . ولم يزد على هذا القول شيئاً ولكن أدى شير أوضح معنى الكلمة وذكر أصلها فقال : فالجوزينج والجوزينق من الحلوات يعمل من الجوز تعريب كوزينة^(٣) .

الفَانِيد : نوع من الحلواء وقد ذكر الجاحظ هذه الكلمة في مجال وصفها كدواء من السعال قال : اشتكيت أياماً صدري ، من سعال كان أصابني ، فأمرني قوم بالفانيد السكري^(٤) . ذكر آدي شير الفانيد فقال : الفانيد معرب فانيد ، وهو نوع من الحلوى يصنع من السكر ودقيق الشعير والترنجبين^(٥) .

الفستق : وقد تكررت في كتب الجاحظ فذكرها في وصية عثمان الخياط للشطار من اللصوص قال : واجعلوا النقل باقلاء ، وأن قدرتهم على الفستق والريحان شاهسفرم وأن قدرتهم على الياسمين^(٦) . قال القالي : الفستق والواحدة فسدة ، وفستقة . قال الخليل : الفسدة حمل شجر كالبندق ويكسر عن لب كالفستق^(٧) . أما آدي شير فيقول : الفستق تعريب بسته وهو مركب من بست أي السويق ومن هاء التخصيص ومنه اليوناني والتركي والكردي فستق^(٨) .

(١) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(٢) المعرب للجواليقي ص ٩٩ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٨ .

(٤) البخلاء ص ٣١ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٢١ .

(٦) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٧) البارع للقالي ص ٥٥٧ وانظر القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٨٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١١٩ .

الجوز : وهو ما يدخل كثيراً في عمل الحلوى وذكر الجاحظ هذه اللفظة فقال : وحشوه الذي يكون فيه من الجوز والسكر من دقيق خشكار^(١) . في القاموس الجوز بمعنى وسط الشيء ومعظمه . وثمر معرب كوز أما الجمع فجوزات^(٢) . ويقول الخفاجي عن الجوز بأنه فارسي معرب وقد تكلم به العرب قديماً ومن أمثالهم : لأشقحك شقح الجوز بالجندل^(٣) . وآدي شیر يصف الجوز بزنة تمر معروف معرب كوز ومنه التركي جویز والآرامي والكردي كوز أو قوز والأرمني والعبراني كوز وهو باللغة الربانية ويقربه الرومي^(٤) .

الخريز : وقد ذكره الجاحظ في بيانه فقال ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخريز^(٥) . فسرت لفظة الخريز في القاموس بالبطيخ وقال الفيروز آبادي : هو عربي صحيح أو أصله فارسي^(٦) . وفي المعرب الخريز والرطب وهو البطيخ بالفارسية ، وقد جاء في حاشية المعرب الخريز فسروه بالبطيخ ولكن أهل الحجاز يطلقونه على البطيخ الأصفر^(٧) . وفي شفاء الغليل يؤكد الخفاجي أن هذه الكلمة معناها بطيخ وهو معرب^(٨) . أما آدي شیر فيقول إن الخريز مشتق من خريزة وهو البطيخ والكريز لغة فيه^(٩) . وما تقدم نرى أن المعاجم قد اختلفت في تحديد أصل هذه الكلمة ولكن الجاحظ في نصه يؤكد أن الخريز لفظة فارسية الأصل .

(١) البخلاء ص ١٢٢ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٩٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شیر ص ٤٨ .

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ١٩ .

(٦) ق م ح ٢ ص ٣٠ .

(٧) المعرب للجواليقي ص ١٣٧ .

(٨) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .

(٩) الألفاظ الفارسية آدي شیر ص ٥٢ .

خيار : ذكرها الجاحظ في حديثه عن الألفاظ الفارسية فقال : ويسمون القثاء خيار والخيار بالفارسية^(١) . جاء في القاموس الخيار من مادة خير شبه القثاء والاسم من الاختيار^(٢) . وفي شفاء الغليل يقول الخفاجي : الخيار نوع من القثاء ليس بعربي^(٣) أما آدي شير فيؤكد أن الخيار فارسي محض وهو معروف^(٤) .

كمثرى : وهو أنواع مثل الكمثرى الخراساني والصيني والنهاوندي . قال الجاحظ عن الكمثرى الخراساني : وهذا الباقلي الأخضر العباسي ، أطيّب من كمثرى خراسان^(٥) جاء في القاموس الكمثرى منه ، الواحدة كمثرأة والجمع كمثریات وقد يذكر وقد يقال هذه كمثرى واحدة وهذه كمثرى كثيرة^(٦) . وفي المعرب قال الجواليقي نقلاً عن الأصمعي : من الفارسي المعرب الكمثرى ، ويقال كمثرأة وكمثرى منون مشدد ولم يعرف التخفيف وقال الأصمعي : حدثني عقيلي قال : قيل لابن ميادة الكمثرى فلم يعرفه ، لأنه أعرابي ثم فكر وقال : مالهم - قاتلهم الله - يقولون الأكّم أثرى : ليست - والله - بأثرى ولا كرامة^(٧) . وقال الخفاجي : إن الكمثرى معربة ويخفف وقيل هي عربية وتكلفوا في اشتقاقها ولا يعرفها عربي قح^(٨) .

والتمور ذكرها الجاحظ في كتاباته وعدّد أنواعها مثل :

-
- (١) البيان والتبيين ج ٦ ص ١٩ .
(٢) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ١٣٣ .
(٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .
(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٨ .
(٥) البخلاء ص ٩٨ .
(٦) ق . م الفيروز آبادي ج ٤ ص ٨٠ .
(٧) المعرب للجواليقي ص ٢٩٦ .
(٨) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٢٣ .

بَرْني : والهلبيثا والسكر والرطب أيضاً ذكره الجاحظ فقال : إنك إذا أطعمتهم اليوم البرني أطعمتهم غدا السكر ، وبعد غد الهلبثا . ثم يصير ذلك بعد أيام الجمع في سائر أيام الأسبوع ثم يتحول الرطب إلى غداء^(١) . في شفاء الغليل يفصل معنى هذه اللفظة البرني معناه بالفارسية حمل مبارك لأن بر بمعنى حمل وني بمعنى جيد فعربته العرب وأدخلته في كلامها ، قال الإمام السهيلي : وفيه نوع يقال له البردي كما في المصباح^(٢) وأدي شير يقول إن البرني ضرب من التمر وهو من أجود التمر ، معرب بارنيك وأصل معناه الحمل الجيد^(٣) .

سَهْرِيْز : ذكره الجاحظ فقال : فلو جئنا بشئ من السهريز والبرني لأكلنا^(٤) . وهذه اللفظة شرحها صاحب القاموس قائلاً : سهريز بالضم والكسر وبالنعت والإضافة : نوع من التمر^(٥) وقال الجواليقي : السهريز يقال له التمر السهريز والشهريز وقال : وسمعت أعرابياً يقول شهريز فجاء بالشين معجمة وضمها والقياس الكسر . وهو فارسي معرب وبعض العرب يسمى السهريز السوادي وبعضهم يسميه الأوتكي^(٦) ويقول الخفاجي السهريزي معربة^(٧) .

الجَيْسَرَان : فيقول : جاءنا بطبق عليه ربط سكر وجيسران أسود^(٨) شرح هذه اللفظة في القاموس بأفخر أنواع النخل وهي لفظة معربة والأصل

(١) البخلاء ص ١٣٤ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ص ٧٢ .

(٣) الألفاظ الفارسية أدي شير ص ٢١ .

(٤) البخلاء ص ١٩٧ .

(٥) ق م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٦٣٨ .

(٦) المعرب للجواليقي ص ١٨٩ ، ١٩٩ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٤٨ .

(٨) البخلاء ص ١٩٧ .

كيسران ومعناها الذوائب^(١) . ويقول آدي شير الجيسران : جنس من أفخر النخل فارسيته كيسران ومعناه الذوائب^(٢) .

المارماهي : وردت عند الجاحظ قال : وكل شئ في الماء مما يعايش السمك ، ومما أشبه الحيات كالمارماهي والأتكليس فإنها كلها على ضربين^(٣) . قال الدميري عن المارماهي بأنه سمك شبيه الحيات رديء الغذاء ، وهو الذي يسمى الجري ويسمى المارماهي ويكون في أنهار البصرة ولفظه غير عربي^(٤) وفي معجم استاينجس المارماهي من الألفاظ الفارسية التي تدل على نوع من السمك Snake-Fish^(٥) .

الباذرُوج : وردت عند الجاحظ في حديثه عن أهل الكوفة قال : ويسمى أهل الكوفة الحوك الباذرُوج والباذرُوج بالفارسية^(٦) . وصف استاينجس هذه اللفظة في معجمه فقال : هي نوع من النبات له عطر أو هو زيت نبات ذو رائحة لطيفة ويجلب السلام والهوى للعقل والذهن فارسي الأصل^(٧) .

أواني الطعام :

ذكر الجاحظ في كتاباته كلمات كثيرة معربة لأدوات وأواني الطعام مثل الجامات والأسكرجات والأسكرية والدستج والدبة والهاون . والخوان والبارجين والتنور والأنهار . وهذه الألفاظ وردت في أماكن متفرقة عند الجاحظ .

(١) ق . م الفيروز آبادي ج ١ ص ٥٦٦ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٩ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ١٢٩ .

(٤) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٦٤ .

(٥) معجم استاينجس ص ١١٤٠ .

(٦) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠ .

(٧) معجم استاينجس ص ١٤١ .

الجامات : وذكر المفرد جام فقال : وجاءني بجام لباً وطبق تمر^(١) . فسرت المعاجم هذه اللفظة بالتفصيل ففي القاموس الجام : إناء من الفضة والجمع أجوم بالهمز والجمع أجوام ، وجامات وجوم^(٢) . وآدي شير يشرح هذه اللفظة باقتضاب فيقول : الجام وهو معروف فارسيته جام^(٣) وفي معجم استاينجس الجام بمعنى الكأس أو القدح أو الاطس أو الإناء العميق^(٤) .

السُّكَّرَجَات : وقد وردت عند الجاحظ بقوله : ما يفضل في الجامات والسكرجات^(٥) . وذكر الجاحظ لفظة المفرد سكرجة بعدة لغات أسكرجة وأسيكرة وكلها تعني مفرد السكرجات . قال : فنشروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة^(٦) . وقد فسر الجواليقي هذه اللفظة فقال : والسكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها أعجمية معربة ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الصواب أسكرجة وقد جاء في الحديث بغير همزة . عن أنس بن مالك قال : ما أكل النبي ﷺ على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق . ويستمر الجواليقي في تفسيره لهذه الكلمة فقال : الأسكرجة : فارسية معربة ترجمتها مقرب الخل وقد تكلمت بها العرب وفارسيته أسكرة وهو إناء صغير من خزف ، وقال أبو علي فإن حقرت حذفت الجيم والراء فقلت أسيكرة ، وإن عوضت من المحذوف قلت أسيكيرة وكذلك قياس التكسير إذا اضطر إليه . وزعم سيبويه أن بنات الخمسة لا تكسر إلا على استكراه فإن جمع على غير التكسير ألحق الألف والتاء وقياس ما رواه سيبويه في «بريهم» ،

(١) البخلاء ص ١٢٣ .

(٢) ق . م للفيروز آبادي ج ١ ص ٥٦١

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٤٩ .

(٤) معجم استاينجس ص ٣٥٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٠ .

(٦) البخلاء ص ١٢٨ .

«سكيرة»^(١) أما آدي شير فقد فسر هذه الكلمة المتعددة اللغات قال : إن الأسكيرة والسكيرة إناء صغير معناه مقرب الخل وفارسيته أسكرة وهو إناء صغير من خزف وقال : السكيرة الصفحة تعريب سكرة^(٢) .

ولفظة **دستج** وردت عند الجاحظ على لسان الطبيب بسختشوع قال : «شرب الوصل دستج الهجر فاستطلق»^(٣) وفسر صاحب القاموس هذه اللفظة فقال : الدستجة : الخزمة معرب الجمع الدساتج . والدستج أنية تحول باليد معرب دستي . والدستينج : اليارق^(٤) . وقال آدي شير عن الدستينج بأنه أنية تحول باليد مشتق من دستي الفارسية^(٥) .

ومن أدوات الطعام **الدبة** ذكرها الجاحظ وهو يصف أحد بخلائه قال : فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها^(٦) . وردت لفظة دبة في القاموس من المادة دبب وفصل صاحب القاموس بإسهاب معنى الدبة . قال هي الطرف للبزر والزيت وهي الكثيب من الرمل أو الرملة الحمراء ، أو المستوية أو الأرض المستوية والفعلة الواحدة من الدبيب والجمع دب ، والدباء : القرع كالدبة بالفتح والواحدة بهاء^(٧) . ويذكر آدي شير أصل الكلمة الفارسي دبا وهو القرع^(٨) .

هاون : من الأدوات التي لا يستغنى عنه المطبخ العباسي وقد وردت

(١) المعرب الجواليقي ص ١٩٧ وص ٢٧-٢٨ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٠ ، ص ٩٢ وانظر الخفاجي ص ١٤٦ .

(٣) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٤) ق . ه انفيروز آادي ج ٢ ص ١٧٨ وانظر المعرب للجواليقي ص ٣٥٧ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٣ .

(٦) السخلاء ص ١٥٣ .

(٧) ق . ه انفيروز آادي ج ٢ ص ١٧٨ .

(٨) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٦ .

عند الجاحظ في بخلائه فقال : الدق في الهاون والمنحار في أرض الدار^(١) يقول الحريري عن هذه اللفظة : إن القياس المطرد ألا تجمع أسماء الجنس المذكور بالآلف والتاء وإنما أشدت العرب عن هذا القياس أسماء جمعتها بالآلف والتاء تعويضاً لأكثرها عن تكسيره وهي حمام وإيوان ، وهاوون^(٢) . وذكر صاحب القاموس هذه اللفظة بعدة لغات مثل هاون وهاؤن وهاوون وكلها جاءت من المادة هون^(٣) والجواليقي ذكر أن كلمة هاوون معربة أعجمية وهي على وزن فاعول وقال لا تقل هاون لأنه ليس في الكلام اسم على فاعل موضع العين منه واو^(٤) . وأكد كلام أبي منصور ما أورده الخفاجي في شفاء الغليل أن هاوون بوزن فاعول ولا يقال هاون بضم الواو لأنه ليس في كلامهم فاعل بالضم^(٥) . أما آدي شير فيوضح هذه الكلمة بصورة مفصلة فيقول : الهاون والهاوون فارسية وهو الذي يدق فيه الدواء وغيره وأصله الفارسي هاون ومنه هاون بالتركية وجاون بالكردية^(٦) .

خَوَان : وردت هذه اللفظة عند الجاحظ وهو يصف خوان أحدهم قال : كنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن يسار النظام وقطرب النحوي ، وأبو الفتح مؤدب منصور بن زياد على خوان فلان بن فلان والخوان من جرعة^(٧) وتفسير هذه اللفظة ورد في المعاجم وفي كتب اللغة ، ففي البارع يقول القالي : جاءت لفظة الخوان من مقلوب الخاء والنون والآلف والواو والياء في الثلاثي

(١) البخلاء ص ٨٤ .

(٢) درة الغواص للحريري ص ٢٥٨ .

(٣) ق. م ج ٤ ص ٥٤٧ .

(٤) المغرب للجواليقي ص ٣٤٦ وانظر الزهر للسيوطي ج ١ ص ٢٨٠ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٦٩ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥٩ .

(٧) البخلاء ص ٥٤ .

المعتل وعن أبي علي قال يعقوب : وتسمى العرب ربيع الأول خواناً وحكى أبو عبيدة : خوان وخوان بكسر الخاء وضمها للذي يؤكل عليه . وقال الخليل : الخوان المائدة وجمعه أخونة وخون . قال والمخانة خون النصح وخون الود^(١) . وقال القالي في أماليه : خوان وجمعه خون ، وخوان المائدة إذا لم يكن عليها طعام فهي خوان^(٢) . والحريري يفسر معنى كلمة الخوان فيقول : يقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه : مائدة ، والصحيح أن يقال له : خوان إلى أن يحضر عليه الطعام فيسمى حينئذ مائدة^(٣) . وفي القاموس وردت لفظة الخوان بدون توضيح وافٍ ، فقد ذكر صاحب القاموس الخوان في خون ما يؤكل عليه^(٤) أما الجواليقي فيفصل معنى هذه اللفظة ويذكر أصلها فيقول : الخوان : أعجمي معرب وقد تكلمت به العرب قديماً وفيه لغتان جيدتان : خوان وخوان ولغة ولغة أخرى دونهما وهي أخوان وقد مضت في الهمزة قال الشاعر : «كثير إلى جنب الخوان ابتراكه»^(٥) . وفي شفاء الغليل فسرت لفظة خوان بأنها معربة وهناك قول بأنها من أصل عربي مأخوذ من تخونه أي نقص حقه لأنه يؤكل ما عليه فينقص^(٦) . أما آدي شير فيقول : الخوان والأخوان ما يوضع عليه الطعام ليؤكل تعريب خوان وأصل معناها الطعام والوليمة^(٧) .

الْبَارَجِين : من أدوات الطعام وقد وردت عند الجاحظ بقوله : «وحين أكلوا بالبارجين ، وقطعوا بالسكين ، ولزموا عند الطعام السكتة»^(٨) قال

(١) البارع للقالي ص ٢٣٤ .

(٢) الأمالي للقالي ج ٢ ص ١٦٢ ، ٢٧٨ .

(٣) درة الغواص للحريري ص ٢٢ .

(٤) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ١٣٠ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ١٢٩ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٢ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٨ .

(٨) البخلاء ص ٦٨ .

الجواليقي مفسراً هذه اللفظة : البارجين هي الفارقين وتعني الخندق بالفارسية^(١) وما تقدم من تفسير الجواليقي لا يتضح معنى الكلمة ، ولكن الحاجري أوضح المعنى بقوله : البارجين مأخوذة من المصدر الفارسي برجنيدين ومعناه الالتقاط ، ويلاحظ أن مادة الفعل برجين . ويؤخذ من سياق ذكرها هنا أنها أداة من أدوات الأكل ولعلها كانت شيئاً قريباً من الشوكة المستعملة الآن^(٢) .

التنور : وقد وردت في مجال الأطعمة وهي من الأجزاء الرئيسية في البيت العباسي ، قال الجاحظ يحدد مكان هذا التنور وأورد الجمع تنانير أيضاً : لا ينصبون التنانير ، ولا يمكنون للقدور ، إلا على متن السطح^(٣) . ويقول ابن قتيبة : روى عن ابن عباس أنه قال : التنور بكل لسان عربي وعجمي^(٤) والجواليقي يشرح لفظة التنور فيقول : هي لفظة معربة عن الفارسية . لا تعرف له العرب اسماً غير هذا فلذلك جاء في التنزيل ، لأنهم خوطبوا بما عرفوا «وفار التنور . . وعن أبي علي : التنور وجه الأرض»^(٥) ويؤكد الخفاجي بأن التنور فارسي معرب ويزيد بأن التنور من تنوير الصبح وهذا القول مروي عن أبي علي^(٦) أما آدي شير فيرجع الكلمة إلى أصول فارسية فيقول : كما أن الآرامية استعارت من الفارسية ألفاظاً كثيرة كذلك أعارتها أيضاً كلمات عديدة منها التنور^(٧) .

أنابير : ذكرها الجاحظ في مجال الأطعمة وهي المكان المخصص لحفظ

(١) المغرب للجواليقي ص ٣٢٢ .

(٢) البخلاء طه الحاجري ص ٣٣٩ .

(٣) البخلاء ص ٨٣ .

(٤) أدب الكاتب ابن قتيبة ص ٣٨٤ .

(٥) المغرب للجواليقي ص ٨٤ وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٣٨١ .

(٦) شفاء العليل للخفاجي ص ٨٣ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٨٩ .

المواد الغذائية قال الجاحظ : وقتلناهم فجعلناهم أنابيب سرجين^(١) في القاموس ترد لفظة أنبار مفرد أنابير وهو بمعنى بيت التاجر ينضد فيه المتاع الواحد نبر بالكسر . وأكداس الطعام . وبلد بالعراق قديم . ومواضع بين البر والريف^(٢) . وفسر الجواليقي الأنبار من الطعام وغيره قال نقلاً عن أبي بكر : هو أعظمي معرب وإن كان لفظه دانياً من لفظة النبر . وقال غيره : الأنبار أهراء الطعام ، واحدها نبر ويجمع أنابيب جمع الجمع وقال : وسمى الهري نبرا لأن الطعام إذا صب في موضعه انتبر أي ارتفع^(٣) . وآدي شير يقول : الأنبار فارسي محض أني البري وأصل معناه الممتلي ، وأنبار أو عنبار بالتركية والكردية^(٤) .

الزمزمة : من الأوعية التي تذكر على الطعام ذكرها الجاحظ يصف بعض القوم بأنهم : ولزموا عند الطعام السكته ، وتركوا الخوض ، واختاروا الزمزمة^(٥) وقد وصف آدي شير الزمزمة وصفاً دقيقاً فقال : «زمزم المغني ترنم مأخوذ من زمزم وهو النغم الذي يتنغم به المجوس على أكلهم وفي قراءتهم كتاب الزند وفي غسل أبدانهم وهو عبارة عن صوت يدبرونه في خياشيمهم وحلقهم وهم صموت لا يستعملون لساناً ولا شفة لكن يفهم بعضهم من بعض . وأصل معنى زمزم بالفارسية رويداً رويداً^(٦) وجاء وصف الزمزمة في القاموس المحيط بأنها الصوت البعيد له دوى (وأن أصل المادة «زمزم») وهي تتابع صوت الرعد وهو أحسنه صوتاً وأثبته مطراً . وتراطن العلوج على أكلهم

(١) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي ج ٤ ص ٣١٢ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٢٠ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٠ .

(٥) البخلاء ص ٦٨ .

(٦) آدي شير «الألفاظ الفارسية» ص ٧٩ .

وهم صموت ، لا يستعملون لساناً ولا شفة لكنه صوت تديره في خياشيمها وحلقها فيفهم بعضها عن بعض . وصوت الأسد^(١) .

إشنان : هي المزيله للأوساخ ، قال الجاحظ «فالذي لا يجيد تنقية يديه بالأشنان ويجيد ذلكها بالمنديل»^(٢) وقال : «فإن وليت ذلك الخادم أسود ثوبتها وغرمننا ثمن الأشنان والصابون»^(٣) وفسرت لفظة الأشنان بقول الجواليقي فارسي معرب . وقال أبو عبيدة : فيه لغتان : «الأشنان» و «الأشنان» وهو الحرص بالعربية وهمزته أصل لأنك إن جعلتها زائدة لم تصادف شيئاً من أصول أبنيتهم . وحكم النون أن تكون اللام ، كررتها للإلحاق بقرطاس^(٤) . ويقول آدي شير : الأشنان الحرص فارسيته أشنان^(٥) والخفاجي يوضح أكثر فيقول : أشنان بضم الهمزة وكسرها معرب وهمزته أصلية ووزنه «فعلال» أو فعلان ولو جعلت زائدة لكان وزنه أفعال ولا نظير له في العربية وعربيته حرص^(٦) . والفيروز آبادي يقول : إن الأشنان بالضم والكسر : نافع للجرب والحكة ، جلاء ، منق مدر للطمث ، مسقط للأجنة^(٧) .

صابون : وصفها الجواليقي بأنها غير عربية فقال والصابون : أعجمي^(٨) ، ولكن آدي شير يشرح لنا طريقة صنع الصابون ومن أي المواد يتكون يقول : الصابون مطبوخ مركب من الزيت أو من الشحم وغيرهما

(١) ق. م ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) البخل ص ٧٨ .

(٣) البخل ص ٦٣ .

(٤) المغرب ص ٢٤ وانظر المزهري للسيوطي ج ١ ص ٢٨٣ .

(٥) الألفاظ الفارسية ص ١١ .

(٦) شفاء الغليل ص ٣٤ .

(٧) ق. م ج ١ ص ١٥١ .

(٨) المغرب ص ٢١٧ .

والقلی وهو صابون بالفارسية والتركية والكردية وقيل إن أصلها لاتيني مشتق من Sevun وهو الشحم . وقيل إنه منسوب إلى مدينة ساقون التي فيها صنع أول مرة الصابون ، ويحتمل أن يكون سـ ياني الأصل . فإن الصابون ، مصنوع لتنظيف كل ما وسخ من الثياب وغيرها^(١) . وفي القاموس عرف الصابون بأنه حار يابس مفرد للجسد^(٢) .

الأشربة :

إن في مجال الأشربة ألفاظاً إيرانية الأصل لأنواع مختلفة من الأشربة التي كان يتعاطها الناس في العصر العباسي ، وقد وردت في كتابات الجاحظ مثل : الميبختج والكوشان والداذي والدوشاب والاستفشار والجلاب والسكنجين وغيرها من الألفاظ الإيرانية المعربة التي تشمل الأشربة وما يتبعها من ألفاظ .

النقل : التي ذكرها الجاحظ في كلامه عن مجالس الشراب فقال : ما يصلح للنبذ قال : ليس ما يمنعني من ذلك ومن إحضار النقل والريحان إلا لأنني أحسب لك هذه الزورة بدعوة^(٣) . ولفظة النقل فسرهما معجم استاينجس بمعنى الطعام الذي يوضع مع الشراب أو ما يؤكل مع النبذ وهي من الألفاظ الفارسية المعربة^(٤) .

المَيْبُخْتَج : وردت هذه اللفظة عند الجاحظ في قوله : «ادفع إلى أبي هاشم مائتي دورق ميبختجا»^(٥) وقد فسرهما آدي شیر بالعنب المطبوخ مركب من

(١) الألفاظ الفارسية ص ١٠٦ .

(٢) ق . م ج ٢ ص ٧٩٦ .

(٣) البخل ص ٢١١ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٤٢٠ .

(٥) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦٨ .

مي أي خمر ومن بخته أي مطبوخ من عسل العنب . ولكن الأطباء يغلوونه مرة ثانية بالسكر والعسل^(١) . وفي معجم استاينجس الميبختج أصلها مي بخته وأن المعنى الحرفي لها هو الخمر المطبوخة من التمر والعنب أو هو الخمر التي تغلى حتى تصبح غليظة القوام^(٢) .

كُوشَان : وردت عند الجاحظ بقوله : وفي الجري قال أبو كلدة : هم آدم العميان ، وجيد في الكوشان ودواء للكليتين^(٣) . ولفظة الكوشان فسرت بتفاسير عديدة ففي القاموس الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك^(٤) . وفي معجم استاينجس تفسير مغاير للقاموس فاستاينجس يفسر الكوشان بعصير العنب وهي من الألفاظ الفارسية المعربة^(٥) .

دُوشَاب : قال الجاحظ واصفاً هذا الشراب : هذا الدوشاب دسيس من الحرفة وكيد من الشيطان^(٦) . وفسر الخفاجي لفظة الدوشاب بأنه نبيذ التمر معرب ، وأورد الخفاجي قولاً لابن المعتز يذكر فيه هذا الشراب قال : لا تخلط الدوشاب في قدح^(٧) . وفي معجم استاينجس فسر الدوشاب بشراب التمر والعنب وأصله فارسي^(٨) .

الداذي : وقد ورد ذكره عند الجاحظ قال : يشربون الداذي والسكر^(٩) .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٨ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٣٥٩ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ٢٣٤ .

(٤) ق . م الفيروز آبادي ج ٤ ص ١٠٠ .

(٥) معجم استاينجس ص ١١٠٣ .

(٦) البخلاء ص ٦٤ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٥ .

(٨) معجم استاينجس ص ٥٤٤ .

(٩) الحيوان ج ٥ ص ١٤٦ - البخلاء ص ١٢٦ .

وقد جاء في القاموس الداذي أو الدذي : شراب والمادة دذي^(١) . أما في المعرب فلفظة داذ بمعنى عطية فكأنها عطية النفس ، وقد أطلال ياقوت في معجم البلدان لبيان الاختلاف في أصل الكلمة بالفارسية^(٢) . وآدي شير يفسر الداذي بنبات له عنقود طويل تعريب دادي وهو فسر بنبات طوله قدر شبر حبه شبيه بالشعير لكنه أضعف منه وهو مر ونافع في البواسير^(٣) .

الدستششار : قال الجاحظ : ابعث إلى بعسل من عسل خلار من النحل الأبقار ، من الدستششار^(٤) . وقد فسر آدي شير هذه اللفظة بأنها فارسية الأصل ومعناها المعصور باليد ومركبة من دست بمعنى اليد ومن أفسار بمعنى المعصور أي العسل الجيد المعصور باليد^(٥) . وفي معجم استاينجس الاستششار نوع من العسل يشبه الذهب في صفاته وأصلها فارسية^(٦) .

السكنجيين : قال الجاحظ يمتدح مذاقه مع الماء : وفي الماء أن أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجيين^(٧) . وقد شرحت هذه اللفظة في أقرب الموارد بأنها مكونة من سركة وأنكين بالفارسية ومعناها خل وعسل ويراد بها كل شراب حامض وحلو^(٨) .

وآدي شير يقول السكنجيين شراب مركب من سك وأنكين أي خل وعسل

(١) القاموس المحيط الفيروز آبادي ج ٢ ص ١٦٣ .

(٢) المعرب - الجواليقي ص ٧٣ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٩ .

(٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٠٣ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٤ .

(٦) معجم استاينجس ص ٥٢٢ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ١٤٦ .

(٨) أقرب الموارد للشرتوني ج ١ ص ٥٢٩ .

ويراد به كل حامض حلو^(١) . وفي معجم استاينجس السكنجيين كلمة تتألف من مقطعين أو كلمتين سرقة بمعنى خل وأنكبين بمعنى غسل وتعريبها سكنجيين مشروب من الخل والعسل وهي فارسية الأصل^(٢) .

جَلَاب : تدخل في مجال الأشربة ، قال الجاحظ : وفي الماء أن أطيب شراب عمل وركب مثل السكنجيين والجلاب والبنفسج وغير ذلك مما يشرب من الأشربة^(٣) . وقد تناولت المعاجم لفظة الجلاب ، ففي القاموس الجلاب - كزنا ماء الورد معرب والمادة جلب^(٤) . وفي المعرب الجلاب فارسي معرب ، وقد أورد المعرب لفظة الجولاب وهو ماء الورد . وفي حاشية المعرب نقلاً عن المعيار الجلاب كرماني : ماء الورد ، معرب ويطلق في الطب على ماء الورد المغلي فيه السكر^(٥) . وآدي شير يقول : الجلاب والجلاب العسل أو السكر عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد المركب من كل أي ورد ومن آب أو ماء ، ومنه كلاب بالتركية وكلاب بالكردية والفرنسي Julep^(٦) .

٢ - السكن :

وردت في كتب الجاحظ ألفاظ خاصة بالدور والأبنية ومستلزمات البناء والحياة اليومية ، ومن الألفاظ الإيرانية الأصل كان هناك الكثير الذي ورد على ألسنة الناس . في ذلك العصر الحضاري من تاريخ الأمة الإسلامية ، ففي مجال السكن وردت ألفاظ إيرانية مثل قول الجاحظ في كتابه البلدان ، قال إن الدار

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٩٢ .

(٢) معجم استاينجس ص ٦٨٩

(٣) الحيوان ج ٥ ص ١٤٦ .

(٤) ق ه الفيروز آبادي ج ١ ص ٥١٠ .

(٥) المعرب الجواليقي ص ١٠٦

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٤٢ .

في البصرة إنما يتم بناؤها بالطين واللبن والآجر والجص والأجذاع والساج والخشب والحديد والصناع^(١) . ففي هذا النص نرى بعض الكلمات الإيرانية كالجص والآجر وهما لفظتان وردتا كثيراً عند الجاحظ ، وفسرت المعاجم لفظة .

جِصّ : بالآتي . ففي القاموس المحيط يقول عن لفظة الجص بأنها معرب كج والجصاص : متخذة والجصاصات : المواضع يعمل فيها . ومكان جصا جص بالضم : أبيض مستو . وهذه جصيصة من ناس وبصيصة : إذا تقاربت حلتهم . وجصص الإناء : ملأه ، والبناء : طلاه بالجص . والجرو : فتح عينيه . والشجر : بدا أول ما يخرج^(٢) . وفي المعرب قال : الجص معروف وليس بعربي صحيح^(٣) وفي شفاء الغليل جص : ليس بعربي صحيح^(٤) وفي حاشية المعرب نقلاً عن ابن دريد قال الجص فارسي معرب ، وفي اللسان : ولغة أهل الحجاز في الجص القص يعني بفتح القاف^(٥) .

آجر : التي ذكرها الجاحظ في النص السابق مع الجص فسرتها المعاجم بالآتي : ففي القاموس الآجور ، واليأجور ، والأجور ، والآجر ، والأجر ، والأجر ، والآجرون ، والآجرون ، والآجر ، معربات واجر^(٦) .

وفي المعرب : الآجر : فارسي معرب . وفيه لغات : آجر بالتشديد ، وآجر بالتخفيف^(٧) ويورد لنا آدي شير لغات الآجر وهي الآجور ، والياجور ، والآجور ، والآجر والأجر والآجرون تعريب أكور وهو تراب يحكم عجنه

(١) الأوطان ص ٤٢ .

(٢) ق. م الفيروز آبادي ج ١ ص ٤٩٦ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ١١

(٤) شفاء الغليل للخفاجي ص ٩٠ .

(٥) حاشية المعرب ص ٩٥ ص ٢٢ .

(٦) ق. م الفيروز آبادي ج ١ ص ١١٦ .

(٧) المعرب - الجواليقي ص ٢١

وتقريبه ثم يحرق لينى وقالوا فيه أجر الطين ويرادفه بالأرمنية Wghiu . وقال فرنكل (ص: ٥) إن أصل اللفظة آرامي وهو موجود في اللغة الآشورية القديمة^(١) . وفي أبنية الصرف الآجرون الأجر معربة^(٢) .

اشكنج : ذكرها الجاحظ في حديثه عن المواد التي تستعمل في بناء الدور فقال : «وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء»^(٣) وتفسير هذه اللفظة لم أجده في المعاجم العربية مطلقاً ووجدته في المساعد فقط ، قال الأب أنستاس الأشكنج : كلمة معروفة عند العراقيين ويراد بها صغار الآجر والحجارة أو كسرها يتخذها البنائون حشوا للبناء ولما فيه من الفراغ ، ويتخذ أيضاً لرصف الطرق وقوارعها ، وهى لا توجد في معاجم اللغة مع أنها قديمة ، وقد استعملها الجاحظ في كتاباته .

جادة : وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ بقوله : «عليك بالجادة فإنه خير لك ودع الثنيات»^(٤) وفسرت المعاجم هذه اللفظة بإسهاب ، ففي اللسان جاءت لفظة جادة من جدد وسميت المحجة المسلوكة جادة لأنها ذات جدة وجدود ، وهى طرقاتها وشركها المخططة في الأرض ، وكذلك قال الأصمعي في قول الراعي : لهن المنار ، والجواد اللوائح . قال : أخطأ الراعي حين خفف الجواد ، وهى جمع الجادة من الطرق التى بها جدد . والجادة : معظم الطريق والجمع جواد . والجواد : الطرق واحدها جادة وهى سواء الطريق وقيل معظمه . وقيل : وسطه ، وقيل : هى الطريق الأعظم الذى يجمع الطرق ولا بد من المرور عليه . وجادة الطريق : مسلكه وما وضع منه . وقال

(١) الألفاظ الفارسية المعربة أدي شير ص ٧ .

(٢) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٤٤٤ .

(٣) البحلاء ص ١٤٣

(٤) التريع والتدوير ص ٧١ .

أبو حنيفة : الجادة الطريق إلى الماء^(١) . ولكن هذا الشرح المفصل لكلمة جادة لم يهدنا إلى أصل الكلمة ، ونجد آدي شیر يبين لنا أن لفظة جادة تعريب جادة وأصل معناه المكان الموصل إلى القرية ومنه جادة بالتركية^(٢) . وفي معجم استاينجس نجد أن أصل الكلمة فارسي^(٣) .

رَسَن : ذكرها الجاحظ فقال : إذا ألقى على الرسن ، فهو يعرض الجذبة والنترة^(٤) . وقد جاء في القاموس الرسن معناها : الحبل وما كان من زمام على الأنف والجمع أرسان وأرسن^(٥) . وفي المعرب قال أبو حاتم الرسن بالفارسية إلا أنه قد أعرب في الجاهلية قال الأعشى : ومرسون خيل أعطالها^(٦) . وفي شفاء الغليل الرسن معروف وقيل هو فارسي عربوه قديماً^(٧) . وآدي شیر يقول : الرسن هو الحبل المعقود وهو بالعبرانية أيضاً ، ويقول فرنكل : الرسن مأخوذ من الفارسي ريس المشتق هو أيضاً من ريشتن أي غزل أو هو مشتق من ريسیدن ومعناه غزل أيضاً أو من رسان أي الموصل^(٨) .

دَرَوَنَد : أوردها الجاحظ بقوله : ربما جعلت مأواها بالليل دروند الباب^(٩) . وهذه اللفظة لم ترد إلا في معجم استاينجس الذي فصل معناها إذ تتألف من مقطعين در بمعنى الباب ويند بمعنى المادة من المصدر بستن بمعنى

(١) اللسان ص ٤١٣ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شیر ص ٣٩ .

(٣) معجم استاينجس ص ٣٤٩ .

(٤) البخل ص ١٤٠ .

(٥) ق. م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٣٣٩ .

(٦) المعرب الجواليقي ص ١٤٧ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٣٣ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شیر ص ٧٢ .

(٩) الحيوان ج ٣ ص ٤٠٨ .

الأغلاق ودروند ما يغلق به الباب مثل دربند^(١) .

جَبْسِين : وردت عند الجاحظ فقال : وهي لدق الحص والجسِين والسَمْسَم^(٢) ، وقد فسرهما القاموس على اللفظ جبس وهو الجامد الثقيل الروح^(٣) . وهذا الشرح غير وافٍ وآدي شير يقول : الجبس بمعنى الحص ومعرب عن اليوناني ومنه الفارسي جبسين والظاهر أن العربي والفارسي جبسين مأخوذ من السرياني^(٤) . وعند استاينجس جبسين لفظة معربة عن الفارسية^(٥)

بَوَارِي : وردت عند الجاحظ بقوله : «فبطنوا البواري وبطنوا الحصر»^(٦) وهذه اللفظة جاءت في شفاء الغليل بلفظة المفرد باريه بمعنى حصير تقوله العوام وهو خطأ والصواب باري وبوري قال الراجز : كالحصن إذ جلله الباري^(٧) ويورد لنا آدي شير لغات عديدة للفظه البارية فيقول : الباري والبارية والبورياء والبوري والبورية الحصير المنسوج من القصب تعريب بوريا . وأظن أن أصل هذه الكلمة آرامي وهي مشتقة من أي بار لم يفلح فكان الباري أغلظ المفروشات^(٨) ولكن في المساعد نجد أن أصل اللفظة فارسية يقول البارية أو البورية فارسية . وهي في هذه اللغة بوريا ومعناها الأصلي نوع من القصب يكثر في الآجام تتخذ منه الحصر أو البواري . وقد عربت هذه اللفظة بصور مختلفة البوري ، والبورية ، والبورياء والبارياء ، والباري ، والبارية وتجمع

(١) معجم استاينجس ص ٥١٥

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٨ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٣٨ .

(٥) معجم استاينجس ص ٣٥٥ .

(٦) البخلاء ص ١٠٤ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ٧٣

(٨) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٣٠ .

على البواري^(١) ومما تقدم نجد أن أصل الكلمة اختلف فيه ما بين فارسي وآرامي ولم أجد معجماً آخر يفصل في هذا الاختلاط ، وبقيت الكلمة مشكوكاً في أمرها ومثلها كلمات كثيرة تأتي في كتب الجاحظ في مجال الألفاظ المعربة .

خَيْش : فقد وردت عند الجاحظ قال : «لو كانوا إذا جلسوا في الخيوش» وقال : «خيشتي أرض ، وماء خيشق من بثري وبيتي أبرد ، ومؤنتي أخف»^(٢) ، وقد تناولت المعاجم هذه اللفظة ففي القاموس المحيط الخيش . ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ . من مشاقة الكتان ، أو من أغلظ القصب ، وإليه ينسب أحمد بن محمد بن دنان والجمع أخياش وخيوش^(٣) . وقال آدي شير : الخيش فارسي محض وهي ثياب في نسجها تخلخل وخيوطها غلاظ من مشاقة الكتان^(٤) وتكلم الحاجري كثيراً عن هذه اللفظة فقال : ويغلب على الظن أن تكون كلمة خيش مأخوذة من كلمة «كاشان» الفارسية ومعناها بيت الصيف كما ذكر آدي شير على أننا نحسب أن لكلمة خيش استعمالاً آخر غير هذا الاستعمال هو المقصود هنا ، وهو الذي يعنيه الجاحظ في قوله ولهم صب الزردج واستخراج الشناستج وتعليق الخيوش ، فالمقصود بالخيوش هنا ما ذكره ياقوت في معجمه أو هو مروحة الخيش التي قال الشريش في شرحها : هذه المروحة تستعمل ببلاد العراق ، تكون شبه الشراع للسفينة ، وتعلق من سقف البيت ، ويشد بها حبل ، ويدار بها ، وتبل بالماء وترش بماء الورد . فإذا أراد الرجل في القائلة أو الليل أن ينام جذبها بحبلها ، فتذهب بطول البيت وتجيئ فيهب على الرجل منها نسيم طيب الريح بارد «وبهذا المعنى

(١) المساعد ج ٢ ص ١١٩ الأب أنستاس .

(٢) البغلاء ص ٢٠٥ ، ص ١٠٢ .

(٣) ق . م - الفيروز آبادي ج ٢ ص ١٣٥ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٥٩ .

يستقيم كلام أسد بن جاني فهو يشبه أرضه المنادة بماء البئر بتلك المروحة»^(١) .

دهليز : هذه اللفظة وردت عند الجاحظ بقوله : «وقيل للجماز : رأيناك في دهليز فلان»^(٢) وقد جاء في القاموس الدهليز بالكسر : ما بين الباب والدار والحنية . والجمع الدهاليز ، وأبناء الدهاليز الذين يلفظون والمادة «دهلز»^(٣) والمعرب عرف الكلمة باقتضاب بأنها فارسية الأصل قال والدهليز : فارسي^(٤) ولم يذكر أي تفاصيل أخرى كالذي ذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال : الدهليز : بالكسر ما بين الباب والدار فارسي معرب عن الجوهري ، وفي شرح الفصيح هو اسم الممر الذي بين باب الدار ووسطها عن ابن درستويه جمعه دهاليز^(٥) وآدي شیر أورد تعريبها بلفظ يختلف عن الجميع قال الدهليز تعريب «دهله» ومعناه القنطرة والعقدة ما بين الباب والدار^(٦) .

الإيوان : ذكرها الجاحظ فقال : لقيناهم في مقدار سطح الإيوان^(٧) . وقد جاء في القاموس الإيوان بالكسر : الصفة العظيمة كالأزج والجمع إيوانات . وأواوين . وإيوان اللجام جمعه إيوانات . وذو إيوان قيل من رعين^(٨) وفي المعرب الإيوان : أعجمي معرب ، وقال قوم من أهل اللغة هو (أوان) بالتخفيف^(٩) . وآدي شیر يشرح لفظة الإيوان بأنها الصفة العظيمة

(١) البخلاء - طه الحاجري - ص ٣٥٥ .

(٢) البخلاء ص ٧٣ .

(٣) ق. م ج ٢ ص ٣٢٤ ، وانظر أيضاً البارع للقالبي ص ٢٠٨ .

(٤) المعرب - الجواليقي ص ٧٣ ، المزهري ٢٨١ / ١ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٤ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدي شیر ص ٦٨ .

(٧) صناعات القواد ص ٣٨٩ .

(٨) ق. م - الفيروز آبادي ج ١ ص ١٩٩ .

(٩) المعرب للجواليقي ص ١٩ .

كالأزج ومنه إيوان كسري فارسيته إيوان ومنه الكردي إيوان . والظاهر أن أصل الكلمة آرامي وهو مشتق من OK أي ضم وأوي بالعربية معناه سكن^(١) .

كَنَادِيَج : ذكرها الجاحظ فقال : يصعد إلى العلالي فوق الكناديج درجة بعد درجة^(٢) . قال آدي شير في تفسير هذه اللفظة وجاء بلفظ المفرد وهي الكندجة معربة كندة وهي خشبة عظيمة يستخدمها الباني^(٣) وجاء في غرائب اللغة العربية كندجة : خشبة تستعمل في بناء الجدران . كنده : قطعة خشب مستطيلة^(٤) .

سَابَاط : ذكرها الجاحظ في حيوانه قال : «وتركت مجلسك في ساباط غيث وياشراك على رحبة بني هاشم»^(٥) وهذه اللفظة ذكرها القاموس بأنها سقيفة بين دارين تحتها طريق والجمع سوابيط وساباطات والمادة «سبط»^(٦) وفي شفاء الغليل قال عن الساباط سقيفة بين حائطين تحتها طريق ، وقار الأصمعي هو ساباط كسرى ومنه المثل أفرغ من حجام ساباط لأنه حجم كسرى مرة فأغناه ، وهو بالفارسية بلاس آباد وبلاس اسم أخي فباز عم أنو شروان فهو معرب كذا في القاموس وخطئ فيه ، وقيل إنما هو معرب شاه آباد وشاه بمعنى عظيم مطلقاً ومنه شاه راه وشاره دانه ، ولذا خص بالسلطان وآباد بمعنى معمور أي ما عمره السلطان^(٧) ، وقال صاحب الألفاظ الفارسية أن ساباط :

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٣ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ٢٢٤ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٣٨ .

(٤) غرائب اللغة العربية - نخلة اليسوعي - ص ٢٤٣ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٢٩ .

(٦) ق . م ج ٢ ص ٥١٦ .

(٧) شفاء الغليل ، الخفاجي ص ١٤٩ .

مأخوذة من سايه بوش ومعناها المظلة وهي سقيفة بين دارين تحتها طريق^(١) .

شاذروان : ذكرها الجاحظ قال : « كان على ربض الشاذروان شيخ لنا من أهل خراسان^(٢) . وقد جاء تفسير هذه الكلمة في المعاجم مختلفاً عما هو عليه في الواقع قال الخفاجي شاذروان : معروف بفتح الذال من جدار البيت الحرام وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجاً ويسمى تأزيراً لأنه كالإزار للبيت وهو دخيل كذا في المصباح قلت : هو في كلام المولدين أيضاً^(٣) وأدي شیر يشرح هذه اللفظة يقول : إن الشاذروان بالفارسية ستر عظيم يسدل على سرادق السلاطين والوزراء وعلى الشرفه من القصر والدار ، ومنه مأخوذ أيضاً الشاذروان الذي يسمى أيضاً تأزيراً لأنه كالإزار للبيت^(٤) وفي البرهان القاطع ومعجم استاينجس فسر الشاذروان بأنه ستار يضرب على باب الملوك والبساط المنقوش واسم لحن من ألحان اسم المغني الفارسي القديم باربد^(٥) وما تقدم نرى أن المعنى غير واضح في تفسير كلمة الشاذروان ويضيف الحاجري بعض التفسيرات لكلمة الشاذروان استخلصها من كتب البلدان مثل كتاب المسالك والممالك ومعجم البلدان ، يقول الحاجري : وهناك معنى آخر أدى إلى أن يكون المراد هنا وقد أغفلته كتب اللغة إغفالاً تاماً وإنما يمكن استخلاصه من كتب البلدان من خلال ما يذكرونه من عجائب الأمصار وفي أثناء كلامهم عن إقليم الأهواز ومدينة تستر . وذلك كما في قول ابن خردادبه : ما بناء بالحص والآجر أبهى من إيوان كسرى . . . ولا بناء بالحجارة أحكم ولا أبهى من شاذروان تستر لأنه بالصخر وأعمدة الحديد وملاط الرصاص . وكقول

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة أدي شیر ص ٨٤ .

(٢) البخلاء ص ٢٤ .

(٣) شفاء الغليل خفاجي ص ١٦٣ .

(٤) الألفاظ الفارسية أدي شیر ص ٩٩ .

(٥) البرهان القاطع ص . ومعجم استاينجس ص .

الاصطخري في كلامه عن الأهواز : وأما الخاصيات بهفان عندهم تستر الشاذروان الذي بناه سابور وهو من أعجب البناء وأحكمه . ومثل هذا ما نراه عند ياقوت في الفصل الذي كتبه عن تستر . ومن ذلك يتبين لنا أن هذه الكلمة تعني عملاً من الأعمال الهندسية التي كان يقصد بها إلى تنظيم الري في هذا الإقليم فهو نوع من القناطر أو الخزانات يتيح للماء أن يجتمع وراءه ويرتفع ، حتى يمكن توزيعه على النحو المطلوب من ناحية ، وحتى يمكن إيصاله إلى الأمكنة المرتفعة من ناحية أخرى : وإذا كان الشاذروان أكثر ما يطلق على شاذروان تستر ، فليس هناك ما يمنع أنه كان يطلق على كل عمل هندسي من هذا القبيل^(١) . ومع كل هذه التفاسير التي وردت لكلمة الشاذروان فإنها لم تف بالمعنى المطلوب لهذه الكلمة إذ أن الشاذروان تطلق على النافورة التي تزين بها الحدائق وكانت ولا تزال تزين بها البيوت في إيران وفي العراق وتطلق بنفس اللفظة الشاذروان أي النافورة .

صَهْرِيْج : ذكرها الجاحظ فقال : أمرت بصهريج لي في بستان عليه نخل مطل^(٢) . والقاموس المحيط يفسر لفظة الصهريج كقنديل وعلابط : حوض يجتمع فيه الماء والمصهرج : المعمول بالصاروج^(٣) أما العرب فيفسر هذه اللفظة بأنها واحد الصهاريج . وهي كالحياض يجتمع فيه الماء وبركة مصهرجة : معمولة بالصاروج . قال العجاج : حتى تنهى في صهاريج الصفا . يقول : حتى وقف الماء في صهاريج من حجر . قال أبو حاتم : وقالوا : صهري ، صهاري ، وصهريج وصهاريج وصرفوا منه الفعل وقال بعضهم شاروق وحوض مشرق والصهارج بالضم : مثل الصهريج قال هميان : فضجت جابية

(١) البخلاء ص ٢٩٠ - ٢٩١ طه الخاخري

(٢) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٣) ق . م للفيروز آبادي ج ٢ ص ٨٦٣ .

صهارجاً^(١) . وفي شفاء الغليل فسرت الكلمة صهريج جمعه صهاريج وبركة مصهرجة معمولة بالصاروج وهو شئ يخلط بالنورة ويطللى به الحياض ونحوها وهو معرب وتسمى بركة الماء صهريجاً لذلك . وفي كتاب سلوك السنن : والصهريج بكسر الصاد مأخوذ من الصاروج وهو الكلس وبركة مصهرجة مبنية به والصواب ما قدمناه وصاروج قدقر^(٢) . وجاء في حاشية المعرب نقلاً عن اللسان الصهريج مصنعة يجتمع فيها الماء وأصله فارسي وهو الصهري على البدل . وحكى أبو زيد في جمعه صهاري وصرهج الحوض : طلاه^(٣) .

ومن الألفاظ التي تدخل في مجال السكن ومستلزمات المعيشة الأدوات التي تستعمل في الأمور اليومية :

طُست : قال الجاحظ : «إذا فرغ من غسل يده في الطست نفض يديه في الماء»^(٤) . وفسر قاموس المحيط لفظة الطست : الطس ، أبدل من إحدى السينين تاء وحكى بالشين المعجمة . الطس الطست ، كالسطة ، والطسة ، والجمع طسوس وطساس . وطسيس وطسات والمادة «طسس»^(٥) وقال في المعرب : قال أبو عبيدة : ومما دخل في كلام العرب «الطست» والنور والطاجن وهي فارسية كلها ، وقال الفراء : طيئ تقول «طست» وغيرهم طس وهم الذين يقولون لصت للص . وجمعها طسوت ولصوت عندهم . وقال سفيان الثوري : الطس هو الطست ولكن الطس بالعربية أراد أنهم لما أعربوه قالوا طس ويجمع طساساً وطسوساً قال الراجز : ضرب يد اللعبة الطوسة^(٦)

(١) المعرب للحواليقي ص ٢١٥ ، المزهر ١ / ٢٨٠ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٠ .

(٣) حاشية المعرب ص ٢١٥

(٤) البخلاء ص ٧٦ .

(٥) ق م - الفيروز آبادي ج ٣ ص ٧٦ .

(٦) المعرب - الحواليقي - ص ٢٢١

وفي شفاء الغليل : الطست معرب طشت بالمعجمة وفي المغرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طسس وخطئ فيه لأنها معربة وطس مخفف منها أو لغة فيها، وقال الجوهري طست عربية وأصلها طس وهي لغة طيئ أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف ورد . وقال الفراء طيئ تقول طست وغيرهم يقولون طس^(١) .

أما آدي شير فيصف الطست بقوله : الطس إناء من نحاس لغسل اليد تعريب تشت . والطست والطشت والسطاة لغات فيه ومن السرياني والتركي تاس وتست وتشت والكردي تشت وطشت وطشت وطاس^(٢) .

زبيل : أو الزنبيل ذكرها الجاحظ في بخلائه قال : فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلاً^(٣) ، يقول الكسائي : وتقول هذه زبيل بإسقاط النون . قال الشاعر : وماء البحر يغرف في زبيل^(٤) ، يقول ابن قتيبة : «مما يكسر ويفتح» زبيل مفتوحة الزاي فإن كسرتها زدت نوناً فقلت زنبيل ولا يقال زنبيل^(٥) ، وهذه اللفظة شرحها القاموس المحيط بأنها القفة أو الجراب أو الوعاء والجمع زبلان بالضم والمادة «زبل» والزبيل كأمر ، وسكين وقنديل وقد يفتح الزنبيل^(٦) . ويصف آدي شير لفظه الزنبيل وهو يقول : الزنبيل وهو معروف مأخوذ من الفارسي زنبيل وزنبير لغة فيه بالفارسية وأما الزبيل فمأخوذ من السرياني والفارسي نفسه مشتق من الآرامي؟^(٧) إذن أصل الكلمة عند آدي

(١) شفاء الغليل للحفاجي ص ١٧٦ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١٢

(٣) البخلاء ص ١٤٢ .

(٤) ما تلحن فيه العوام ص ٢٨ .

(٥) أدب الكاتب ، ابن قتيبة ص ٤٥٦

(٦) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٧) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٨٠ .

شير هي مأخوذة عن الآرامية ومن ثم انتقلت إلى الفارسية ، وفي حاشية العرب قال : إن الزنبيل محرف عن الزنفاجلة وهو وعاء أداة الراعي أو وعاء أسقاط التاجر . ولم يفسر المؤلف لفظة زنبيل وإنما جاء على لسان الأصمعي بأن الزنفاجلة هي بالفارسية «زين فاله» : وعاء . وفي اللسان تعرب مرة بالياء ومرة بالناء «زين بيله»^(١) .

خان : فهي تعني أمراً واحداً هو الإقامة والسكن وإن كان مؤقتاً فهي خاصة بالمسافرين وذكرتها هنا لأنها من الألفاظ التي تدخل في مجال الأبنية والمبيت وقد ذكرها الجاحظ في مجال حديثه لبعض الأصدقاء قال : «ثم إنا نزلنا بعض الخانات وإذا البيوت ملاء روئاً وتراباً»^(٢) قال الفيروز آبادي في القاموس : الخان والخوان في «خون» والخان : والحانوت أو صاحبه وخان التجار^(٣) . والجواليقي يفسر لنا كلمة خان بأنها الفندق بلغة أهل الشام : خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن . سمعه عن الفراء : سمعت أعرابياً من قضاة يقول فتنق للفندق وهو الخان^(٤) وآدي شير يقول . الخان فارسي بحت وهو الحانوت وهو موجود في جميع اللغات الشرقية الدارجة وأصل الكلمة آرامي وهو يطلق على الدكان والمخدع والماخور . والخان يأتي بمعنى آخر عند آدي شير وهو السلطان ولقب سلاطين الخطا وتركستان^(٥) . وقد جاء عند الجاحظ بالمعنى الذي أورده الجواليقي وهذا مما يفهم من النص الذي ورد عند الجاحظ ونصوص أخرى غيره في كتب الجاحظ تشير إلى معنى السكن الذي يأوي إليه المسافرون .

(١) العرب - الجواليقي ص ١٧٠ وحاشية ص ١٨٠

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٧ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ١٣٠ .

(٤) العرب للجواليقي ص ٢٣٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٥٨

٣ - الألبسة :

وردت ألفاظ كثيرة في كتابات الجاحظ تشير إلى أنواع مختلفة من الألبسة ومكملاتها وأدوات التجميل وغيرها من الأمور التي يهتم بها الفرد في حياته اليومية في عصر الحضارة العباسية .

وكانت معظم الألفاظ التي تدخل في مجال الألبسة ذات أصل إيراني ، وهذا ما نجده عندما نتصفح كتب الجاحظ ورسائله ، فهي خير دليل لنا في عالم الأزياء وملحقاتها .

بَزِيُون : وردت في قول الجاحظ يصف أحدهم قال : وحين جاء من واسط ، لم يجئ معه بشئ من خبر أبي حمزة ولا بشئ من مقاريض واسط ، وبَزِيُون واسط^(١) وقد تناولت المعاجم لفظة البزيون ، فالمعرب يصف البزيون بأن السندسي ضرب من البزيون يتخذ من المرعزاء ولم يختلف أهل اللغة في أنه معرب وفسروه بأنه الإيباج الرقيق وبأنه السندسي قال الراجز .

وليلة من الليالي حندس لون حواشيها كلون السندس^(٢)

وفي القاموس البزيون كجردحل وعصفور : السندس . وبازن بالحق : جاء به^(٣) ، وآدي شير يذكر أصل الكلمة وهو لغة في كون بالفارسية وفيه لغات البزيون والبزيون ضرب من نسيج البز أو من رقيق الديباج مركب من بز ومن بون أي يشبه البزيون لغة في كون بالفارسية^(٤) .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) المعرب الجواليقي ص ١٧٧ .

(٣) ق م . الفيروز آبادي ج ١ ص ٢٦٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٢٢ .

جَرَبَان : ذكرها الجاحظ بقوله : «حتى قتلناهم وتركناهم في أضيق من جربان»^(١) وهذه اللفظة في القاموس الجربان القميص بالكسر والضم : جيبه . وجربان السيف وجربانه حده أو شئ يجعل فيه السيف وغمده وحمائله^(٢) . وفي المعرب أعجمي معرب وأن جربان الدرع جيبها ، وقال أبو حاتم : كريبان بالفارسية . وأنشد ابن حبيب لجرير :

إذا قبل هذا البين راجعت عبرة لها بجربان النيقة واكف^(٣)

وفي شفاء الغليل جربان القميص : لبيته^(٤) .

بَرْنَكَان : ذكرها الجاحظ وهو يصف أحد بخلائه فقال : فمضي ساعته إلى منزله فجعله برنكاناً لامرأته^(٥) . ولفظة برنكان في القاموس هي الكساء الأسود والمادة برك ، وفيها لغات البركان والبركاني مشددتين ، والبرنكان كزعفران والبرنكاني والجمع برانك^(٦) وفي المعرب البرنكان بالفارسية وهو الكساء والجمع برانك وقد تكلمت به العرب^(٧) .

كَرَابِيس : ذكرها الجاحظ وهو يصف إنارة القناديل : جلله بالجلال وغطاه بالكرابيس وطبع سلاسل القناديل حتى ذهبت عنها ذلك التلألؤ^(٨) وقد فسرت لفظة الكرابيس في المعاجم المختلفة ففي القاموس كرابيس فارسي ،

(١) صناعات القواد ص ٣٨٤ .

(٢) ق . م . الفروز آبادي ج ٢ ص ٤٦٧ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٩٩ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجي ص ٩٢ .

(٥) البخل ص ٣٦ .

(٦) ق : م الفيروز آبادي ج ١ ص ٢٥٩ .

(٧) المعرب الجواليقي ص ٥٦ .

(٨) الحيوان ج ١ ص ٥٧ .

وهذا ما نقله الجواليقي في المعرب والكرباس الثوب الذي من القطن الأبيض وفارسيته بالفتح^(١) وآدي شير يقول الكرباس بمعنى الثوب من القطن الأبيض والكرباس بالفارسية ضرب من الثياب الكتانية^(٢) وفي معجم استاينجس كرباس نسيج قطني خشن فارسي الأصل^(٣).

قَلَنْسَوَة : ذكرها الجاحظ على لسان أحد بخلائه فقال : «ومن الإصلاح الواجب قلب خرقة القلنسوة إذا اتسخت»^(٤) وذكرها في موضع آخر في رسائله فقال : «ونحن أصحاب التجافيف والأجراس والبازيكنند واللبود الطوال والأغماد المقفعة والشوارب المعقربة والقلانس الشاشية والخيول السهرية والكافركوبات والطبرزينات في الأكف والخناجر في الأوساط»^(٥) ففي هذا النص نجد كلمات متعددة ذات أصول إيرانية وهذا مما تثبتته المعاجم المختلفة ، فقد جاء في القاموس المحيط : القلنسوة تلبس في الرأس ، والجمع قلانس ، وقلانيس ، وقلنس . وأصله قلنسو إلا أنهم رفضوا الواو لأنه ليس اسماً آخره حرف علة قبلها ضمة فصار آخره ياء مكسور ما قبلها فكان كقاضي ، وقلاسي وقلاس وتصغيره : قلينة وقلينية وتقلنس : النسبة إليها قلنس . وقلنسوة : حصن بفلسطين والتقليس : الضرب بالدف . والغناء . واستقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو^(٦) . أما آدي شير فيقول نقلاً عن الأب أنستاس أنها تعريب ويحتمل أن تكون معربة عن الفارسي «كله بوش» وهو مركب من كله أي رأس ومن بوش أي غطاء ولعل الأجدد أن يقال : إن القلنسوة لغة في

(١) المعرب الجواليقي ص ٢٩٤ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٣٣ .

(٣) معجم استاينجس ص ١٥١٩ .

(٤) البخل ص ١٠٥ .

(٥) الرسائل ج ١ ص ١٩ .

(٦) ق. م الفيروز آبادي ج ٣ ص ٦٨٣ .

القلوسة كما تقول العامة ، وأن القلوسة مأخوذة عن الفرنس وعن الفارسي كلاه ويقال أيضاً بالسريانية الدارجة^(١) . وفي أبنية الصرف عرفت القلنسة بأنها ما توضع فوق الرأس^(٢) .

تجافيف : التي جاءت في النص السابق معربة عن الفارسية كما ذكرها الجواليقي وقال التجفاف فارسي معرب . وأصله بالفارسية «تن باه» أي حارس البدن وفي الحديث قال أبو فرقد : ورأيت على تجافيف أبي موسى الديباج^(٣) وقال آدي شیر : التجفاف معرب تنبناه أي حارس البدن^(٤) . وقال الخفاجي تجفاف : معرب تنبناه أي حارس البدن^(٥) وقالت د. خديجة الحديثي التجافيف جمع تجفاف بكسر التاء وهي آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقويه الحرب^(٦) .

بازبکند : وقد ذكره الجاحظ بقوله : «ومنهم من يلبس القباء ومنهم من يلبس البازبکند»^(٧) ولم أجد شرحاً للفظه البازبکند في جميع المعاجم ، وقد أورد الأستاذ عبد السلام هارون شرحاً في حاشية البيان والتبيين وفي رسائله يوضح معنى هذه الكلمة ويرجح أنها كساء يلقي على الكتف وباز بالفارسية بمعنى الكتف^(٨) وفي العامية العراقية لفظة مقاربة للفظه البازبکند وهي «البازبند» ومعناه دعاء مكتوب يحفظ في جلد ويشد على الذراع أي هو

(١) الألفاظ الفارسية آدي شیر ص ١٢٨ .

(٢) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٥١٣ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٩١ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شیر ص ٣٤ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٨٢/٥٩ .

(٦) أبنية الصرف د. خديجة الحديثي ص ٤٥٩ .

(٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٥ .

(٨) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٥ الحاشية .

كالحجاب يشد على الذراع ، وهذه اللفظة تستعمل إلى الآن في إيران بنفس المعنى العامي العراقي .

طَبْرَزِينَات : التي ذكرها الجاحظ في رسائله فقال : والطبرزينات في الأكف^(١) . قال الجواليقي الطبرزين معرب فارسي وتفسيره فأس السرج لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به وقد تكلمت به العرب . قال جرير في رجل من بني كليب يقال له مجيب أنه بقرقة فلم يحقوا عليه شيئاً فخلوا عنه : كساد مجيب الخبيث تلقى يمينه طبرزين قين مقضبا للمفاصل^(٢)

وقال عنه الخفاجي : الطبرزين سمي به لأنهم كانوا يعلقونه في السروج ويقال له عند العجم تبر^(٣) . ولم يذكره آدي شیر ، ومن تأكيد الجواليقي نفهم بأن اللفظة من أصل إيراني .

جَوَاشِن : فقد ذكرها الجاحظ في بيانه فقال : «ولا تعرفون الأقيية ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود ولا التجافيف ولا الجواشن ولا الخوذ»^(٤) . وقد فسرت كلمة الجوشن في القاموس المحيط بأنها الصدر ، والدرع وإلى عملها نسب عبد الوهاب بن رواج بن الجوشني ومن القدماء القاسم بن ربيعة . ومن الليل وسطه أو صدره وعينية بن عبد الرحمن ابن جوشن^(٥) . وقال الخفاجي : اسم جيل بحلب وكذا وقع في شعر أبي فراس وفسره به ابن خالويه في شرحه^(٦) . وقال آدي شیر : الجوشن الصدر

(١) الرسائل ج ١ ص ١٩ .

(٢) المعرب للجواليقي ص ٢٢٨ .

(٣) شفاء الغليل ص ١٧٦ .

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ .

(٥) ق . م الفيروز آبادي ج ١ ص ٥٥٧ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجي ص ٩٨ .

والدرع ومن الليل وسطه فارسيته جوشن وهو مثل الزرد يلبس على الظهر والفرق بينه وبين الزرد أن الزرد يكون من حلقة واحدة فقط والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك ويطلق بالفارسية على الصدر ووسط الليل أيضاً والجوش بالعربية لغة في الجوشن^(١) .

تالسان : أو طيلسان فقد ذكرها الجاحظ باللفظتين قال في البيان والتبيين تالسان وقال في موضع آخر من بيانه طيلسان : فأتيته فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشى مسدولة^(٢) .

وقد فسرت المعاجم كلمة طيلسان وأطالت في تفسيرها ، قال الفيروز أبادي طيلسان مثلثة اللام ، عن عياض وغيره : معرب أصله تالسان من «طلس» وطلس الكتاب يطلسه محاه - كطلسه - والطلس بالكسر - الصحيفة أو الممحوة والوسخ من الثياب . وجلد فخذ البعير إذا تساقط شعره والذئب الإمعط . وبالفتح الطيلسان الأسود . والطلاسة - مشددة : خرقعة يمسح بها اللوح . والأطلس : الثوب الخلق^(٣) ، وقال الجواليقي الطيلسان : أعجمي معرب بفتح اللام والجمع : طيالسة بالهاء وقد تكلمت به العرب وأنشد ثعلب :

كلهم مبتكر لشانه كاعم لحية بطيلسانه^(٤)

وقال 'عاجي طيلسان بفتح اللام معرب جمعه طيالسة^(٥) .

وقال آدي شير في شرحه للفظ طيلسان : معنى كساء مدور أخضر لا أسفل له لحمته أو سداه من صوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ وهو

(١) الألفاظ الفارسية ص ٤٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٤٢ ، وأدب الكاتب ص ٢٩٢ .

(٣) ق . م . للفيروز آبادي ج ٣ ص ١١٨ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٢٧

(٥) شفاء العليل للخفاحي ص ١٧٥ .

من لباس العجم وهو معرب من تالسان وفسر بكساء يلقي على الكتف مركب من طرة وهو طرف العمامة ومن سان وهي أداة تشبيه^(١) وفي أبنية الصرف الطيلسان مثلثة اللام معرب أصله : تالسان أي أعجمي وطيلسان بفتح الطاء واللام إقليم واسع من نواحي الديلم^(٢) . وفي حاشية المعرب تالسان جاء في المعيار وآدي شير أنه معرب تالسان بكسر اللام وبأنه ثوب يلبس على الكتف ويحيط بالبدن خال عن التفصيل والخياطة^(٣) . وما تقدم يتضح أن لفظة طيلسان أعجمية معربة عن تالسان وهذه الأخيرة هي لفظة إيرانية محضة .

سَراويل : وقد ذكرها الجاحظ في النص السابق فقال : وسراويل وشى مسدولة^(٤) وقد فسر اللسان لفظة سروال وسراويل بأنها ألفاظ فارسية معربة وقال نقلاً عن الأصمعي : لم يعرف الأصمعي فيها إلا التأنيث وعن الليث السراويل أعجمية أعرب وأثنت والجمع سراويلات قال سيوييه ، ولا يكسر لأنه لو كسر لم يرجع إلا إلى لفظ الواحد فترك ، وقد قيل سراويل جمع واحده سرواله . والأزهري يقول : جاء السراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة . قال : وقد سمعت غير واحد من الأعراب يقول سروال^(٥) . وفي المعرب السراويل لفظ أعجمي معرب^(٦) وفي شفاء الغليل جاءت لفظة سرويل معربة عن شلوار^(٧) . أما آدي شير فيفصل ويسهب في تفسير هذه الكلمة فيقول سروال معرب شروال وأصله سربال مركب من سراي فوق ومن بال أي

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١٣ .

(٢) أبنية الصرف د . خديجة الحديثي ص ٤٩٧ .

(٣) حاشية المعرب أحمد شاكر ص ٢٢٧ .

(٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٣٤٢ .

(٥) اللسان ج ٢ ص ١٣٨ .

(٦) المعرب الجواليقي ص ١٩٦ .

(٧) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٤٧ .

القائمة . وفيه بالعربية لغات سروال وسرويل وسراوين وسراويل وسروال .
وبنوا منه أفعالاً منها سرول وتسروول وسربل وتسربل ومن الفارسي أخذ
اليوناني والآرامي وقيل إن أصله آرامي^(١) .

تَكَكَ : ذكرها الجاحظ فقال : قد جذبته إلى حب الحمام ، وعمل
التكك^(٢) . ولفظة تكك مرتبطة بالسراويل ، وهذا ما ذكره القاموس التكة
بالكسر : رباط السراويل والجمع تكك وتكة قطعة أو وطئه فشدخه كتكته^(٣) .
وفي المعرب التكة هي تكة السراويل المعروفة وعن ابن دريد قال : أحسبها
معربة وقد تكلموا بها قديماً^(٤) . وفي شفاء الغليل : التكة ما تربط به السراويل
معرب جمعه تكك^(٥) . أما أصل الكلمة فلم أجده وأغلب الظن أنها جاءت عن
الفارسية فهي معربة كما ذكرت المعاجم .

هَمِيَان : قال الجاحظ «ولقد صحب منهم ناس رجلاً خرج من الري
وفي حقوه هميان فكان لا يفارق معظم الناس»^(٦) . ومعنى الهميان في
القاموس المحيط التكة ، والمنطقة . وكيس للنفقة يشد في الوسط وله هميان
أعجر ، وهمايين عجر وابن قحافة السعدي ، ويضم أو يثلث^(٧) . أما المعرب
فيورد لنا أصل الكلمة بأنها فارسية معربة وقد سمت العرب هميان وهو هميان
ابن قحافة السعدي ، أحد الرجاز^(٨) . أما الخفاجي في كتابه شفاء الغليل

(١) الألفاظ الفارسية المعربة أدبي شير ص ٨٨ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ١١٨ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي ج ١ ص ٣٧٣ .

(٤) المعرب الجواليقي ص ٩٠ ، المزهري ٢٨٥ / ١ .

(٥) شفاء الغليل الخفاجي ص ٨٣ .

(٦) الحيوان ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٧) ق . م الفيروز آبادي ج ٤ ص ٥٣٦ .

(٨) المعرب للجواليقي ص ٣٤٦ .

يقول: الهميان ما يشد به الوسط معرب وسموا به^(١). وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة يقول آدي شير: هميان فارسيته هميان وهو كيس يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط^(٢). وفي حاشية المعرب يقول المحقق أحمد محمد شاکر: هو الكيس تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط. ويطلق الهميان أيضاً على شداد السراويل أي التكة وقال ابن دريد في الجمهرة أحسبه فارسياً معرباً. وقال في الاشتقاق «وأحسب أن الهميان المعروف ليس بعربي محض»^(٣).

دواويج: نوع آخر من أنواع اللبس ذكرها الجاحظ بقوله «وتفسد بذلك اللحف والدواويج والجباب»^(٤) قال في القاموس الدواج، كرمان، وغراب: اللحف الذي يلبس والمادة «دوج»^(٥) وفي المعرب الدواج قال أبو حاتم هو الدواج بالتخفيف، الذي تقول له العامة دواج بالتشديد وهو فارسي معرب^(٦). وفي كتاب الألفاظ الفارسية المعربة قال: الدواج والدواج اللحف الذي يلبس فارسيته دواج^(٧) وقد زاد المحقق في حاشية المعرب نقلاً عن ابن دريد وابن منظور قال: ذكره ابن دريد في الجمهرة بالتشديد فقط ولم يفسره، وقال: أحسبه أعجمياً معرباً ونقل عنه ذلك صاحب اللسان وفسره بأنه ضرب من الثياب^(٨).

الدياج: تأتي في مجال كلامنا عن اللبس وهي مما كان يستعمله

(١) شفاء العليل للخفاجي ص ٢٦٩.

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٨.

(٣) المعرب ص ٣٤٦.

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٣٢٢.

(٥) ق. م للفيرور آبادي ج ٢ ص ٢٢٨.

(٦) المعرب للجواليقي ص ١٤٧.

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٦٨.

(٨) حاشية المعرب ص ١٤٧.

المقتدرون الوجهاء في العصر العباسي ، وقد ذكرها الجاحظ في رسائله وفي كتابه التبصر بالتجارة فقال : «وفي الأهواز الديباج والخرز»^(١) . وقد فسر القاموس المحيط هذه اللفظة بأنها معربة ولم يذكر أصلها وذكر أن جمع الديباج هو ديباج ، وديباج والناقاة الفتية الشابة والدبج المادة لهذه الكلمة^(٢) وفي المعرب قال : الديباج أعجمي معرب . وقد تكلمت به العرب قال مالك بن نويرة : ولا ثياب من الديباج تلبسها . ويجمع على ديباج وديباج . على أن تجعل أصله مشدداً وأصل الديباج بالفارسية ديوباف أي : نساجة الجن^(٣) .

وفي المخصص يقول ابن سيده هو الديباج بالكسر والفتح كلام مولد ، وقال سيويه : من قال ديباج فهو بمنزلة دينار . ومن قال ديباج فهو عنده بمنزلة بيطار وتصغيره كتصغيره وجعله فيما أحقوه بأبنية كلامهم من الفارسية كما فعلوا ذلك بدينار ودرهم^(٤) . وفي شفاء الغليل الديباج معرب ديوباف أي نساجة الجن^(٥) أما في الألفاظ الفارسية لآدي شير فهو يشرح هذه الكلمة بصورة مفصلة فيقول الديباج معرب ديبا وهو الثوب الذي سدها ولحمته حرير وقيل إن ديبا بالفارسية مركب ديوأي جن ومن «باف» أي نسيج وقالت فيه العرب : دبج أي نقش ودبج أي زين والدباج والديباجة إلى غير ذلك^(٦) .

سَبَج : ذكرها الجاحظ فقال : فيزعم أن سواد السبج ، وبياض الثلج وحمرة العصفور وصفرة الذهب وخضرة البقل إنما تحدث عند رؤية الإنسان^(٧) .

(١) الحيوان ج ٤ ص ١٣٨ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ١٤٥ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ١٤٠ .

(٤) المخصص - ابن سيده ج ١ ص ٧٦ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١١٩ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة ص ٦ .

(٧) الحيوان ج ٥ ص ٨ .

ومعنى السبج يذكره القاموس المحيط بأن السبجة بالضم والسيجة : كساء أسود وتسبج : لبسه ، والبقيرة كالسبيج . وسبجة القميص بالضم لبنته^(١) . وفي المعرب السبج : خرز أسود قال الأزهري وهو معرب ، أصله شبه^(٢) . وفي شفاء الغليل السبج خرز أسود فارسي معرب والسبجة الثوب البقير معرب سبي^(٣) أما آدي شیر فهو يوضح المعنى فيقول السبج الخرز الأسود معرب شبه . قال في البرهان القاطع : شبه بفتح الباء حجر أسود بارق يشبه الكهرباء خفة وملاءمة . وهو نوعان : نوع منه موجود في دشت قبجاق في تركستان ، وهو في الأصل ماء ثم يجمد . والنوع الثاني معدني يؤتي به من بلاد جيلان . وقال صاحب المفردات : إن هذا الحجر هو روح التوتياء . ويقال له «مارصني» أيضاً . وهو بارد يابس . إذا حمله أحد الناس حفظه من إصابة العين والحريق . وإذا علقه في رأسه دفع عنه الصداع . وإذا نظر إلى مرآة مصنوعة منه زال البياض من عينه إذا كان فيها . وإذا كحل عينه منه قوى بصره وإذا وضع هو أي السبج على النار اشتعل مثل الخطب وبعث برائحة تشبه رائحة النفط . والسبجة والسيجة فسر بكساء أسود ، والسبيج البقيرة تعريب شبي وهو الفروة . وبنوا منه فعلاً وقالوا تسبج أي لبس السبجة^(٤) .

صندل : وقد وردت عند الجاحظ وهو يصف منافع الصندل في التجميل والتطيب قال : فلست أرى شيئاً خيراً من اتخاذ مشط صندل فإن ريحه طيبة والشعر سريع القبول^(٥) ، وقد شرحت لفظة الصندل في المعاجم المختلفة ، قال صاحب القاموس : الصندل خشب . أجوده الأحمر ، أو الأبيض محلل

(١) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٥٠٦ .

(٢) المعرب - الجواليقي ص ١٨٣٦ .

(٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٤٤ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شیر ص ٨٣ .

(٥) البخلاء ص ٦٠ .

للأورام ، نافع للخفقان والصداع ، ولضعف المعدة الحارة والحميات . وصندل البعير والحمار : ضخم رأسه وصلب وعظم فهو صندل كجعفر^(١) وقال أبو منصور الجواليقي : وليس لصندل الطيب أصل في اللغة . ولكن يقولون : بعير صندل : إذا كان صلباً^(٢) . وقال الخفاجي : صندل : لطيّب ليس بأصيل ، وبمعنى البعير الصلب عربي صحيح^(٣) ، ويقول آدي شير : الصندل شجر هندي طيب الرائحة تعريب جندل وصندل بالتركية والكردية وأما الصندل بمعنى الصلب العظيم والضخم الرأس من الجمال والحمير فمعرب عن سندل ومعناه الأحقق الثقيل^(٤) . وفي معجم استاينجس الصندل خشب ذو رائحة نفاذة طيبة وينقع خشب الصندل بالماء ويمرر على حجر وأصله فارسي^(٥) .

دُرَز : ذكرها الجاحظ وهو يصف معركة على لسان أحد الخياطين فقال : فما كان بقدر ما يخطط الرجل درزاً حتى قتلناهم وتركناهم^(٦) . وقد فسر صاحب اللسان لفظة الدرز بأنها لفظة فارسية معربة وهي من مادة درز ، والدرز : واحد دروز الثوب والدرز زئير الثوب وماؤه وهو دخيل . وبنو درز : الخياطين والحاكّة^(٧) .

٤ - اللهو والملاهي والالعاب :

يدخل في مجال اللهو الأعياد والمهرجانات وأدوات اللهو وملاعبه ألفاظ منها :

- (١) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٨٥٨ .
- (٢) المعرب الجواليقي ص ٢٠٢ .
- (٣) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٠ .
- (٤) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٨ .
- (٥) معجم استاينجس ص ٧٩٣ .
- (٦) مناقب الترك ص ١٩ .
- (٧) اللسان ج ٢/ ١٣٥٩ ط دار المعارف .

نيروز : والمهرجان في أحد نصوص الجاحظ قال : «وأهدت إليه في النيروز تكة وسكراً وفي المهرجان خاتماً وتفاحة»^(١) وقد فسرت المعاجم لفظة النيروز على أنه أول يوم من السنة أي رأس السنة ، ففي القاموس فسر النيروز هو أول يوم من السنة ، معرب نوروز . وقدم إلى على شئ من الحلاوى فسأل عنه فقالوا : للنيروز ، فقال : نيروزنا كل يوم . وفي المهرجان ، قال مهرجاننا كل يوم^(٢) . وفي المعرب النيروز والنوروز : فارسي معرب . وقد تكلمت به العرب قال جرير يهجو الأخطل :

عجبت لفخر التغلبي وتغلب تؤدي جزى النيروز خضعاً رقابها^(٣)

وفي شفاء الغليل نيروز ونوروز فارسي معرب تكلموا به قديماً وأبدلوا واوه ياء إلحاقاً له بديجور تقريباً من التعريب ، قاله الواحدي : وفي تاج الأسماء النوروز نزول الشمس أول الحمل والنيروز هو اليوم الأول من «فروردين ماه» وهو أول شهور الفرس ولا أدري ما سنده في التفرقة بينهما^(٤) . وقال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة النوروز والنيروز أول يوم من السنة الشمسية لكن عند الفرس عند نزول الشمس أول الحمل فارسيته نوروز ومعناه يوم جديد . وربما أريد به يوم فرح وتنزه^(٥) .

مهرجان : وردت عند الجاحظ في النص السابق من كتابه القيان ، فسرّها الخفاجي بأنها أول نزول الشمس في برج الميزان ، وقع في شعر السري والبحثري ولم ترد في الكلام القديم^(٦) وتفسير لفظة المهرجان عند آدي شير مفصلاً وفيه استطراد . قال : المهرجان عيد الفرس مركب من مهر بمعنى المحبة

(١) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي ج ٤ ص ٤٦٨ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٣٤٠ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجي ص ٢٥٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة ، آدي شير ص ١٥١ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجي ص ٢٣٩ .

ومن كان بمعنى المتصلة . وكان المهرجان يوافق أول الشتاء ثم تقدم عند إهمال الكبس حتى بقى في الخريف وهو اليوم السادس عشر من شهر «مهر» وذلك عند نزول الشمس أول الميزان . وكان للفرس عيدان كبيران النوروز والمهرجان . وكان هذا الأخير ستة أيام . والداعي إلى تسميته بالمهرجان أن المالك والحكام كانوا يترحمون فيه على جميع الرعايا والبرايا فيقدمون لهم الطعام . وذهب قوم إلى أن ملكاً ظالماً اسمه مهرمات في ذلك اليوم . فتذكروا لنجاتهم فيه من ظلم هذا الملك اتخذوه عيداً في كل سنة^(١) .

طَنْبُور : وهى من أدوات اللهو وقد جاءت عند الجاحظ في وصية عثمان الخياط للصمصام من فتياه قال : «عليكم بنيذ التمر ، وضرب الطنبور»^(٢) وقد جاء في القاموس المحيط الطنبور والطنبار - بالكسر : معرب ، أصله «دنبه بره» شبه بألية الحمل . وطنوبرة : بلدة في الأندلس والمادة «طنبر»^(٣) وفي المعرب الطنبور : الذي يلعب به ، معرب ، وقد استعمل في لفظ العربية وروى أبو حاتم عن الأصمعي : الطنبور دخيل وإنما شبه بألية الحمل ، وهى فارسية «دنب بره» فقل طنبور . والطنبار لغة فيه^(٤) . وفي شفاء الغليل الطنبور فارسي معرب وطنبار لغة فيه^(٥) وفي الألفاظ الفارسية المعربة الطنبور والطنبار من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار معرب تنبور أصله «دنبه بره» أي آلية الحمل سمى به على التشبيه^(٦) وفي كتاب أبنية الصرف الطنبور معرب أصله دنبه بره - شبيه بألية الحمل^(٧) .

(١) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٤٧ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي ج ٣ ص ١٠١ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٢٢٥

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٥ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١١٣ .

(٧) أبنية الصرف د . خديجة الحديثي ص ٤٩٧ .

صَنْج : وقد ذكره الجاحظ في وصفه لأداة من الأدوات قال : «ولهم الكنكلة وهي وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والصنج»^(١) والصنج في القاموس شئ يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر وآلة بأوتار يضرب بها معرب . وما أدري أي صنج هو : أي أي الناس وبضمتين قصاع الشيزي والأصنوجة بالضم : الدوالقة من العجين . وليلة قمراء وصناجة : مضيئة^(٢) . والصنج في المعرب هو الذي تعرفه العرب والذي يتخذ من صفر ، يضرب أحدهما بالآخر . قال الأعشى :

والناي نرم ويربط ذي بحسة والصنج يبكي شجوه أن يوضعا

فأما الصنج ذو الأوتار فتحتفظ به العجم وهما معربان وسموا الأعشى صناجة العرب لجودة شعره^(٣) والصنج في الألفاظ الفارسية المعربة صفيحة مدورة من النحاس يضرب بها على آخر مثلها للطرب تعريب سنج^(٤) .

بِرَابِط : فقد ذكرها الجاحظ في تساؤلاته العديدة التي تضمنتها رسالته التربيع والتدوير قال : «قدمتم أقليدس مع صنعه البرابط والمعازف»^(٥) ، وهذه اللفظة فسرها القاموس بصيغة المفرد بربط : كجعفر : العود . معرب بربط : أي صدر الأوز لأنه يشبهه^(٦) . وفي المعرب فسر كلمة بربط معرب معروف وهو ملاهي العجم سبه بصدر البط . والصدر بالفارسية «بر» فقل «بربط» وقد تكلمت به العرب قال الأعشى :

(١) فخر السردان على بالبيضان ص ٢٢٣ .

(٢) ق. م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٨٥٧ .

(٣) المعرب للجواليقي ص ٢١٤ .

(٤) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٠٨ .

(٥) التربيع والتدوير ص ٨٢ .

(٦) ق. م الفيروز آبادي ج ١ ص ٢٣٨ .

والناي نرم وبربط ذي بحـة والصنج يبكي شجوه أن يوضعا^(١)

والخفاجي قال : البربط من الملاهي عود الطرب معرب قيل شبه بصدر البط وبر الصدر^(٢) أما أدى شير فيذكر أصل كلمة بربط «بربت» وهى العود وأصل معناه صدر الأوز لأنه يشبهه^(٣) .

صَوَلْجَان : وقد ذكرها الجاحظ في رسائله وفي أماكن عديدة من كتبه مثل كتاب التاج قال : ومن حق الرجل على الملك إذا ضرب معه بالكرة أن يتقدم بدابته على دابة الملك وصولجانه على صولجان الملك^(٤) وفي القاموس الصولجان بفتح الصاد واللام : المحجن والجمع صوالجة وصلج الفضة : أذابها^(٥) . والمعرب يفسر كلمة الصولجان بأنها فارسي معرب وكذلك في كل كلمة فيها صاد وجيم وهو المحجن والجمع صوالجة والهاء للعجمة . لأنهما لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب^(٦) وفي شفاء الغليل الصولجان : بمعنى المحجن معرب جمعه صوالجة^(٧) أما أدى شير فيقول : الصولج والصولجانة العود المعوج تعريب جوكان والكردى جوكان^(٨) وفي حاشية المعرب يقول المحقق : لقد زاد اللسان الصولج والصولجانة وفسره بأنه العود المعوج ونقل عن التهذيب «الصلجة» بضم الصاد وفتح اللام مشددة ونقل تفسير ذلك كله عنه بأنه عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب فأما العصا التي

(١) المعرب الجواليقي ص ٧١ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ص ٦٦ .

(٣) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ١٨ .

(٤) التاج ص ٧٣ .

(٥) ق. م. الفيروز آبادي ج ٢ ص ٨٧١ .

(٦) المعرب للجواليقي ص ٢١٣ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٧٠ .

(٨) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ١٠٩ .

أعوج طرفاها خلقة في شجرتها فهي «محجن»^(١) .

نَرْد : والتخت واللفظة : نرد جاءت عند الجاحظ وهو يصف أحدهم يأمر غلامه «يا غلام هات خوان النرد . وهو يريد تخت النرد»^(٢) واللفظتان متلازمتان دائماً وقال صاحب القاموس عن النرد أنه معرب وقد وضعه أدي شیر بن بابك ولهذا يقال النرد شیر^(٣) وجاء في المعرب : النرد أعجمي معرب . وفي الحديث من لعب بالنرد شیر^(٤) والخفاجي يورد نفس التعريف الذي جاء في المعرب بلفظه^(٥) . أما أدي شیر فهو يفصل معنى كلمة النرد فيقول هو شيء معروف يلعب فارسيته نرد وهو من وضع أردشير بن بابك من ملوك الفرس ولهذا أضيف إليه فقليل النرد شیر (محيط المحيط) . وقيل هو وضع بزر جمهر وقيل الإبل أقدم منه . والنرد عبارة عن سبع لعبات وهي بالفارسية فارد وزياد وستارة وخانة كير وطويل ودهزار ومنصوبة كما جاء في البرهان القاطع ونرد الفارسي يطلق أيضاً على طلاء مركب فمنه أيضاً العربي نرد بمعنى الطلاء^(٦) ويؤكد كلام أدي شیر ما قاله الفيروز آبادي في قاموسه أن النرد جوالق واسع الأسفل مخروط الأعلى ، يُسَفّ من خوص النخل ثم يخيّط ويضرب بشرط من الليف حتى يتمتن فيقوم قائماً ينقل فيه الرطب أيام الخراف . وأيضاً هو طلاء مركب يتداوى به^(٧) .

(١) المعرب الحاشية ص ٢١٣ ص ١٨ .

(٢) البخلاء ص ٣٦ .

(٣) ق . م . الفيروز آبادي ج ٤ ص ٣٥٣ .

(٤) المعرب الجواليقي ص ٣٣١ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٦٠ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة أدي شیر ص ١٥١ .

(٧) القاموس المحيط الفيروز آبادي ج ٤ ص ٣٥٣ .

تَخْت : الملازمة للنرد يصفها القاموس بأنها وعاء يسان فيه الشباب^(١) وأدي شير وصف لفظة التخت بأنها فارسية محضة وأصل معناها لوح من خشب وهو تخت بالتركية والكردية أيضاً^(٢) .

جَلَاهِق : ذكرها الجاحظ قائلاً «ويختدون بفراخ الحمام أولاد الناس ويرمون بالجلاهق»^(٣) وقد فسر القاموس المحيط الجلاهق بالبندق الذي يرمى به وذكر أن أصله فارسي وتدعى بالفارسية جلّه وهي كبة غزل . والكثير جلّها ، وبها سمى الحائك^(٤) . والمغرب فسر الجلاهق بأنها الذي يرمى به الصبيان ، وهو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن القوس ، فارسي ، وأصله بالفارسية جلاهة ، الواحدة جلاهقة . والاثنتان جلاهقتان . قال النضر : ويقال جهلقت جلاهقا قدم الهاء وآخر اللام^(٥) . وفسر آدي شير الجلاهق بالبندق الذي يرمى والحائك وأن أصله بالفارسية جلّه وهو كبة من الغزل والكثير منها جلّها وبها سمى الحائك بالفارسية وهو أيضاً جولّها بالتركية والكردية^(٦) .

بَنْجَكَان : وردت عند الجاحظ في مجال ذكره للألفاظ الفارسية في بيانه قال : «ولا الرمي بالبنجكان والزرق بالنفط والنيران»^(٧) وجاء في المغرب تفسير لهذه اللفظة الفارسية قال : هي لعبة لهم تسمى فنجان بالفارسية فعربها . ونقل في اللسان كلام ابن السكيت هذا ، ولكن «بنجكان» بالباء الفارسية المنقوطة بثلاث نقط وهي تعرب باء أو فاء . وفي الجمهرة وفي الصحاح

(١) القاموس المحيط الفروز آبادي ج ١ ص ٣٦١ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٣٤ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٩١ .

(٤) ق . م . الفيروز آبادي ج ١ ص ٥٢٢ .

(٥) المغرب للجواليقي ص ٩٦ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ٤٣ .

(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨ .

والقاموس أنها بالفارسية بنجه»^(١) .

شَطْرَنْج : هذه اللعبة العقلية التي كانت سائدة في عصر الجاحظ وها نحن نرى في نص له من رسائله يخاطب أحد أصدقائه فيقول : «وأنت تعد في الشطرنج زبرب وأنا في الشطرنج لا أحد»^(٢) وقد فسرت المعاجم هذه الكلمة وأسهب في تفسيرها ففي القاموس ذكر الشطرنج : لعبة والسين لغة فيه من الشطارة ، أو من التشطير أو معرب والشيطرج بكسر الشين : «دواء معرب جيترك بالهندية نافع لوجع المفاصل»^(٣) . وفي المعرب شرح معنى الكلمة بأنها فارسي معرب . وقال : إن بعضهم كسر شينه ، ليكون على مثال من أمثلة العرب^(٤) وفي شفاء الغليل شطرنج : قال الحرير بفتح الشين والقياس كسرهما لأنهم لم يقولوا فعلل بفتح الفاء وقيل عنه أن ابن القطاع نقله عن سيبويه ومثل له ببرطح وهو حزام الدابة ويقال بالسين والشين والمعروف فيه الفتح . وقيل هو عربي من المشاطرة والصحيح أنه معرب صدرتك أي مائة حيلة والمقصود الكثير وقيل معرب شدرنج أي من اشتغل به ذهب عناؤه باطلاً^(٥) .

وصاحب الألفاظ الفارسية يشرح لنا معنى كلمة الشطرنج بأنها لعبة مشهورة والسين لغة فيه . وأن أصله معرب عن شتردتك أي ستة ألوان وذلك لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه وهي الشاه والفرزان والرخ والفرس والفيل والبيدق ولكل قطعة شكل مخصوص ومشية مخصوصة وهو من مخترعات الفرس . وذكر آدي شير أنه جاء في البرهان القاطع : شترتك بالكاف الفارسية السطرنج وهو لعبة معروفة من مخترعات داهر الحكيم

(١) المعرب للحوالي ص ٢٣٧ .

(٢) في الجد والهزل ص ٢٦٦ .

(٣) ق. م. الفيروز آبادي ج ٢ ص ٧١٣ .

(٤) المعرب للحوالي ص ٢٠٩ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٥٨ .

الهندي . وذهب قوم إلى أن هذه اللعبة اخترعت في زمان أنو شروان . ويقول آدي شير : وعندني أن الفارسي شترنك أصله شاه ترنك أي الشاه لطيف أو الشاه اللطيف أو مركب من شت وهو تخفيف شتل ويطلق على الحصاة التي المقامر يعطيها بعد نهاية اللعب إلى الذين حضروا المجلس ومن رنك ومعناه القمار . أو مركب من شتر وهو العدو باللغة الهندية ومن رنك ومعناه الحيلة والمشية أي حيلة العدو أو مشيته ومن الفارسي مأخوذ اليوناني والتركي والكردي سطرنج وهي مأخوذة من «شاه ترنك»^(١) .

نِيرَنْجَات : وردت عند الجاحظ في تساؤلاته الكثيرة التي جاءت في رسالته التربيع والتدوير قال «وخبرني ما النيرنجات وما البارباري وما الكرويات وما الخواتيم»^(٢) وفي المعرب نجد معنى لفظة النورج والنيرج لغتان . وأهل اليمن يقولون نورج وهو الذي يداس به الطعام ، من حديد كان أو من خشب وهذا الكلام هو النص الحرفي للقاموس المحيط^(٣) . وجاء في المعرب أن النيرج : ضرب من الوشى والنيرج : السريعة ونقل عن الأزهرى عن ابن دريد النرجة : الخشبة التي تكرب بها الأرض . وفي نوادر الأعراب النورج : السراب . وسكة الحراث . وقال الليث النيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتليس . وهذا كله دخيل لأن النون والراء لا يجتمعان في كلمة من كلام العرب^(٤) . وفسرت الكلمة نيرج في شفاء الغليل بشكل مقتضب : هي ضرب من الوشى وبمعنى السريعة . وأخذ كالسحر وليس به ، فعرب^(٥) ، وآدي شير يعطينا الشرح الوافي لكلمة نيرنج مفرد النيرنجات قال : النيرنج أخذ

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) التربيع والتدوير ص ٧٨ .

(٣) ق . م . الفيروز آبادي ج ٤ ص ٤٥٨ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ٣٣٥ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٦٢ .

تشبه السحر وليست بحقيقته . والنيرج النمام . ونورج الرجل اختلف إقبالاً وإدباراً ، وكذا في الكلام وهي النميمة والمشى بها . كل ذلك راجع إلى معنى الكلمة الفارسية «نيرنك» ومعناها الحيلة والمكر والسحر والطلسم . والكلمة مركبة من «نو ورنك» أي اللون الجديد أو الهيئة الجديدة . والنيرج بمعنى القوى أو القوة إذ يقال ربح نيرج أي عاصف فمعرب عن نيرو ومعناها القوة . والنيرج بمعنى سكة الحراث والظاهر أنه مأخوذ عن الآرامي^(١) . والذي يعنينا هو تفسير الكلمة بمعنى الخدعة أو الحيلة ونيرنك في البرهان القاطع هي الحيلة .

المهن والمهنة :

تكلم الجاحظ عن أصحاب الحرف والصناعات المختلفة وقد وردت ألفاظ إيرانية تدل على مختلف الحرف والصناعات في ذلك العصر ، وقد كانت من الألفاظ الوافدة التي دخلت العربية مع التيار الحضاري الذي بلغت الحضارة العباسية أوجها في عصر الجاحظ عصر الحضارة العباسية المزدهرة .

ومن الألفاظ التي دخلت مجال الحرف والحرفيين وأصحاب الصناعات والوظائف المختلفة في المجتمع العباسي .

شاكرية : وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : «فلذا جاوز وثب على عراقيب دواب الشاكرية»^(٢) وقال في وصفه للنصارى : «ولبسوا الملحم والمطبعة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين»^(٣) وقد فسر القاموس لفظة الشاكري : الأجير والمستخدم ، معرب جاكرو والمادة شكر»^(٤) وقال صاحب

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٥٥ .

(٢) الحيوان ج ٢ ص ١٣٠ .

(٣) رسالة الرد على النصارى ص ١٨ .

(٤) ق. م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٧٤١ .

الألفاظ الفارسية الشاكري الأجير قيل معرب جاكرو وهو العبد ، محيط المحيط وعند أنه تعريب شاكر ومعناه السخري وهو مركب من شاه أي ملك ومن كار أي عمل^(١) .

هندسة : وصاحبها المهندس ذكرها الجاحظ في معرض كلامه عن أنواع العلوم قال : «وكان يدعي بحضرة أبي إسحاق علم الحساب ، والكلام والهندسة واللحون»^(٢) ولفظة الهندسة والمهندس فسرهما القاموس : الهندسة مشتق من الهنداز ، معرب آب أنداز فأبدلت الزاي سينا لأنه ليس لهم دال بعده زاي . والمهندس : مقدر مجاري القني حيث تحفر^(٣) وفي المعرب المهندس مشتق من الهنداز وهي فارسية والاسم الهندسة^(٤) . وقال الخفاجي في شفاء الغليل : المهندس الذي يقدر مجاري القني والأبنية وأصله مهندز فأبدلوا زايه سينا لأنه ليس في كلامهم زاي قبلها دال^(٥) . ويفسر آدي شير لفظة الهندسة والمهندس والهندسي وهندس : كل ذلك مأخوذ عن (اندازه) ومعناه القياس والوزن والتقدير والتخمين^(٦) وفي حاشية المعرب ذكر المحقق نقلاً عن اللسان ويقال فلان هندوس هذا الأمر ، وهم هنادة هذا الأمر ، أي العلماء به ، ورجل هندوس إذا كان جيد النظر مجرباً^(٧) .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير ص ١٠٢ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١١٠ .

(٣) ق . م . الفيروز آبادي ج ٤ ص ٥٣٩ .

(٤) المعرب - الجواليقي ص ٣٥٢ .

(٥) شفاء الغليل - الخفاجي ص ٢٤٠ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٥٨ .

(٧) المعرب - الحاشية ص ٣٥٢ ص ١١ .

دِهْقَان : لفظة وردت عند الجاحظ بقوله : «وما عندي لك إلا ما قال الدهقان لأسد بن عبيد الله وهو على خراسان»^(١) وقد ذكر القاموس لفظة الدهقان بالكسر والضم القوي على التصرف مع حدة . والتاجر . وزعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم ، معرب الجمع دهاقنة ، ودهاقين ، والاسم الدهقنة وهي بهاء والمادة (دهق)^(٢) وفي شفاء الغليل دهقان بفتح الدال وكسرها فارسي معرب ده خان أي رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم ولذلك تسب به العرب^(٣) . وفي المعرب : الدهقان فارسي معرب وقال أبو عبيدة يقال دهقان ودهقان لغتان والجمع دهاقين^(٤) . وفسرت لفظة دهقان في شفاء الغليل - يفتح الدال وكسرها - فارسي معرب : ده خان ، أي رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم ولذلك تسب به العرب^(٥) أما آدي شیر فيقول عن الدهقان القوي على التصرف وزعيم فلاحي العجم تعريب دهكان . وقيل أصل «دهكان» ده خان أي رئيس القرية وقالوا فيه دهقن وتدهقن^(٦) .

بَازِيَار : وقد ذكرها الجاحظ قال : «ثم بلغ من رقة طبع البازي وعتقه أنه ينقطع برد البازيار له إلى مسقطه من يده»^(٧) وقد فسر القاموس لفظة البازيار معرب بازدار وهي الأكار وفيها المادة من برز وجمعها بيازة وقد أوردها الجاحظ بقوله : «على أن الكلب في تتبع الدراج والإصعاد خلف الأرناب في الجبل الشاهق من الرفق وحسن الاهتداء والتأني ما يخفى مكانه عن البيازة

(١) في الجدل والهزل ص ٢٤٤ .

(٢) ق . م . الفيروز آبادي ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٢٥ .

(٤) المعرب للجواليقي ص ١٤٦ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٥ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدي شیر ص ٦٨ .

(٧) في الجدل والهزل ص ٢٧٧ .

والكلابين^(١) والبيزار : الذكر . وحامل البازي معرب بازيار ويجمع بيزار
بيارة^(٢) والمعرب فسر لفظة البيارة بأنها جمع بيزار كما قال الكميت :

كأن سوابقها في الغبار صقور تعارض بزارها^(٣)

وشفاء الغليل فسر البيزار معرب بازيار كما في الصحاح للجوهري
واستعملوا أيضاً بازدار لكنه محدث كقول أبي فراس :

ثم تقدمت إلى الفهاد والبازداريين باستعداد

ثم تصرف فيه المولدون حتى قالوا لصناعته بزده من قولهم بازدار^(٤) .
والبيزار عند أدى شير بمعنى الأكار تعريب بازيار وهو تحريف برزيار بالفارسية
ومنه السرياني بمعنى يباع البزور . والبيزار بمعنى حامل البازي فمعرب
عن بازدار^(٥) . ويعلق محقق المعرب على كلام الجواليقي بأنه قاصر مجمل
إذ لم يبين معنى البيزار وله معان منها : الذي يحمل البازي ، ومنها
الأكار^(٦) .

البنادر : والبنادرة وقد ذكر الجاحظ اللفظة فقال : « وقد بلغ من تبرك
التجار بهم أن صيارفة البصرة وبنادرة البريهارات لما رأوا ما كسب فرج أبو
روح السندی لمولاه من المال والأرضين اشترى كل امرئ منهم غلاماً سندياً^(٧) »
والقاموس يفسر البنادرة بأنهم تجار يلزمون المعادن أو الذين يخزنون البضائع

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) ق . م . الفيروز آبادي ج ١ ص ٢٦٥ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٧٨ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجي ص ٦٢ .

(٥) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٢١ .

(٦) المعرب الحاشية ص ٧٨ .

(٧) فخر السودان على البيضاء ص ٢٢٥ .

للغلاء جمع بNDAR ، والبندر : المرسى والمادة منها « بند »^(١) وقال أدى شير البندار : التاجر الذى يلزم المعادن فارسيته بNDAR وأصل معناه صاحب الأساس^(٢) .

مكدى : وقد ذكر الجاحظ الكدية والمكدين فى بخلائه وأفاض فى وصفهم ووصف مهنتهم قال « وخدمت الخلفاء والمكدين وخالطت النساء والفتاك » وقال : « وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة هو خالويه المكدى وكان قد بلغ فى البخل والتكدية وفى كثرة المال المبالغ التى لم يبلغها أحد »^(٣) ولفظة مكد فى القاموس أقام والتكدية بالضم شدة الدهر كالكادية . وأكدى : بخل أو قل خيره . أو قلل عطائه . ككدى كرمى وامرأة مكدية رتقاء . وأيضا الكدية الأرض الغليظة والصفاء العظيمة الشديدة . والشئ الصلب بين الحجارة والطين وما جمع من طعام أو تراب أو نحوه . فجعل كئبه كالكادية والكداة^(٤) . أما الخفاجى فقد شرح كلمة كدية ومكدى أكثر ما يقوله أهل المشرق يقولون المكدية للسؤل الطوافين على البلاد ، والصواب رجل مكد من قولك حفر فأكدى إذا بلغ الكدية فم ينبط ماء والكدية أرض صلبة إذا بلغها الحافر ترك الحفر ويقال أعطى فأكدى أى قلل وقيل قطع وقال المكدى بمعنى سائل . قال الحريرى قولهم لمن يكثر السؤال مكد أصله مجد لاشتقاقه من الاجتداء وكان الأصل فى المجدى المجتدى فأدغمت التاء فى الدال ثم ألقيت حركة الحرف المدغم على ما قبله كما فعل ذلك فى قراءة من قرأ من لا يهدى إلا أن يهدى والأصل فيه يهتدى ، أقول هذا غريب وأغرب منه قول بعض أهل العصر إن التكدى معرب كداى كردن عربته الفقهاء ولم يوجد فى كتب

(١) ق . م الفيروز ابادى ج ١ ص ٣٢٦ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٢٨ .

(٣) البغلاء ص ٤٨ ، ص ٤٦ .

(٤) ف . م الفيروز ابادى ج ٤ ص ٢٧ .

اللغة بهذا المعنى وهذا كله خطأ فإنه عربى صحيح قال الراغب فى مفرداته الكدية صلابة فى الأرض يقال حفر فأكدى واستعير ذلك للطالب الملحف والمعطى المقل .^(١) وفى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة كدى الرجل سأل . وتكدى تسول . والكدية والكداية : كل ذلك مأخوذ عن كدا ومعناه التسول والفقير المحتاج ومنه الكردي كدا أى الفقر^(٢) .

قهرمان : تدخل فى مجال حديثنا عن المهن وقد وردت عند الجاحظ بقوله « إنه إذا دعى على مائدته بفضل دجاجة أو بفضل رقاق أو غير ذلك ، رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان حتى يصك له بذلك إلى صاحب المطبخ »^(٣) . والقهرمان لم يذكره الفيروز آبادى فى قاموسه وذكر الشارح للقاموس قال : إنه فارسى معرب ، وهو من أمناء الملك ويقال فيه قرهمان مقلوب^(٤) والمعرب ذكر كلمة قهرمان بأنه أعجمى ولم يعرف الكلمة أى تعريف آخر سوى أن أصله قرمان^(٥) والخفاجى يقول إن قهرمان معرب كهرمان كذا فى شرح الكتاب وقيل معرب قرمان^(٦) أما أدبى شير فيقول القهرمان هو الوكيل وبالفارسية القهرمان معناه الأمر صاحب الحكم^(٧) .

ديدبان : ذكرها الجاحظ « قالوا يا احترس للديدبان »^(٨) والقاموس المحيط يقول عن الديدبان معرب ولفظة الديدب : حمار الوحش ، والرقيب ،

(١) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٢٨ ، ص ٢٣٧ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة أدبى شير ص ١٣٢ .

(٣) البخلاء ، ص ٥٦ .

(٤) ق . م الفيروز آبادى ج ٣ ص ٧٠٨ .

(٥) المعرب للجوالقى ص ١٨٦ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٠٦ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة أدبى شير ص ١٣٠ .

(٨) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٨٩ .

والطليعة^(١) ، وفي المعرب الديدبان فارسي معرب ، وعن ابن دريد الديدبان يريدون الديدبان ، أي الربيثة ، وقال أبو بكر : ولا أحسب العرب تكلمت به^(٢) ويؤكد الخفاجي أن الديدبان بمعنى رقيب فارسي معرب .^(٣) أما أدى شير فيفصل الكلمة الديدب والديدبان الرقيب والطليعة مركب من ديد أي نظر ومن بان أي صاحب^(٤) وفي أبنية الصرف أن الديدبان الحارس^(٥) .

بَسْتَانِيَان : قال الجاحظ في معرض كلامه عن الألفاظ الفارسية التي كانت سائدة في العصر العباسي نقلا عن لسان أحدهم : « إن أبي كان أشتريان يريد جمالا وأبو زيد كان بستان بان »^(٦) ولفظة « البستان بان » أطال في شرحها المعرب واقتضب في تفسيرها القاموس ولم يذكر سوى البستان بمعنى الحديقة^(٧) ، أما أصلها فقد أوضحه الجواليقي قال : البستان فارسي معرب ويجمع بساتين . ومن لفظة البستان هذا الذي يقال له بست ولم يحك أحد من الثقات كلمة عن العرب مبنية من باء وسين وتاء ، وقد أوضح الشارح معنى البست بفتح الباء وسكون السين : هو السير أو ما فوق العنق بفتح العين والنون أو السبق في العدو . قاله في القاموس . وقال أيضا . وأما بست بضم الباء وسكون السين : مكان بسجستان معروف^(٨) وقال أدى شير البستان فارسي محض وهو مركب من بوى أي رائحة ومن ستان أي

(١) ق . م الفيروز آبادي ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) المعرب للجواليقي ص ١٤١ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ١١٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٦١ .

(٥) أبنية الصرف د . خديجة الحديثي ص ٤٨٠ .

(٦) البنيان والتبيين ج ٢ ص ٨٢ .

(٧) ق . م - الفيروز آبادي ج ١ ص ٢٦٩ .

(٨) المعرب للجواليقي ص ٥٣ - ٥٤٥ .

محل .^(١) وفي حاشية البيان والتبيين يقول الأستاذ عبد السلام هارون إن البستان بان أى بستانى بالفارسية^(٢) .

فَيْج : ذكرها الجاحظ قائلا : « ولخبط الشجر ، وللفيج ولنلمكارى ، فإنهما يتخذان المخاصر »^(٣) فسر القاموس لفظ فيج : الوهد والمطمئن من الأرض^(٤) والمعرب يشرح الفيج : رسول السلطان على رجليه . وليس بعربى صحيح وهو فارسى . ومنه الفائج من قولك مر بنا فائج من وليمة فلان . أى فيج ممن كان فحين طعامه^(٥) وفى شفاء الغليل فيج جمع فيوج معرب بيك قال أبو منصور ليس بعربى صحيح^(٦) وأدى شير يقول : الفيج رسول السلطان القادم على رجليه معرب عن بيك .^(٧)

بريد : فقد وردت عند الجاحظ بقوله : « كان فى طريق الموصل سكة بريد ، وبقرب السكة مسجد ومستراح للمسافر »^(٨) وقد شرح القاموس المحيط كلمة « بريد » المرتب والرسول والمادة « برد » وبرده وأبرده : أرسله بريداً ، والرسل على دواب البريد وسكة البريد محلة بخوارزم .^(٩) وفى المعرب البريد أنه الوعوع ومنه فرائق البريد ونقل عن الدميرى فى حياة الحيوان أن السير بيايين موحدين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ضرب من السباع يعادى الأسد . من العدو لا من العدوان ، ويقال له البريد ويقال له الفرائق بضم

(١) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٢٢ .

(٢) البيان والتبيين / الحاشية ج ٢ ص ٨٢ .

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٨ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى ج ٣ ص ٥٤٠ .

(٥) المعرب للجوالقى ص ٢٤٣ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٩٩ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٢٢ .

(٨) كتاب البغال ص ٢٣٦ .

(٩) ق . م الفيروز ابادى ج ١ ص ٢٤٤ .

الفاء وكسر النون وهو هندي معرب . وفسر صاحب اللسان والصحاح والفرائق بأنه البريد . وكلام ابن دريد يدل على أنه الذي يتقدم صاحب البريد أى الذي يدل صاحب البريد على الطريق .^(١) وشفاء الغليل يقول البريد : هو فى الأصل البغل كلمة فارسية وأصله بريده دم أى محذوف الذنب لأنه يقال دابة البريد كانت كذلك .^(٢)

أما آدى شير فيفسر معنى البريد : قيل أصله فارسي من « بردن » أى نقل وحمل . وقيل رومى أصله Reredus وهو دابة البريد وهنا أفضل الأصل الرومى على الفارسى . والبريد الرسول ومنه قول بعض العرب الحمى بريد الموت أى رسوله^(٣) . ومن التفاسير التى وردت فى المعاجم لكلمة بريد لا نستطيع أن نجزم بالأصل الحقيقى للكلمة فمرة هى فارسية الأصل ومرة رومية المنشأ وهكذا لم يستقر رأى على أصلها ومن أين جاءت فى ذلك العصر عصر الجاحظ .

وفى مجال كلامنا عن المهن نذكر الأدوات التى كانت تستعمل فى تلك المهن ونذكر الوسائل التى تتعلق بأصحاب المهن وهم يؤدون أعمالهم ومن الأشياء التى تتعلق بالمهن القريب والكربج والدرياجة والسنبوق وأيضا المنجنيق وهذه لها استعمالات متباينة ولكنها تدخل فى مجال الألفاظ الإيرانية التى تختص بالصناعات والحرف .

كُرْبِج : قال : « فحين صار المال فى أيديهما قصد البعض الكرابج فابتاعا من الطعام ما اشتها »^(٤) وقد فسر القاموس لفظة الكربج كقرطوق وهى الخانوت

(١) المعرب - الجواليقى ص ٢٣٨ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٧ .

(٣) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ١٨ .

(٤) البيان والتبيين ج٣ ص ٥١ .

أو متاع حانوت البقال .^(١) والمعرب يفسر الكريج بأنه معرب وأصله بالفارسية كربه . ويقال للحنوت كريج ، وكربق^(٢) وذكر المعرب تقول العرب : قربق وكربق وكريج . والجمع كرايج والقربق دكان البقال^(٣) وفي شفاء الغليل كريج : وكربق وقربق الحانوت معرب^(٤) وفي كتاب الألفاظ الفارسية القريج الحانوت معرب كربه . والقربق والكريج والكربق لغات فيه^(٥) .

بَرَبَنْد : وقد ذكرها الجاحظ في بخلائه قال : « هذه لا تصعد ولا يرتقى عليها إلا بالتبليا والبربند^(٦) » . قال أدى شير عن لفظ البربند بأنها معربة وهي البريطاء أى الثياب ومعربها البربند ومعناها الصدرية وهي ثياب يلبسها الأطفال والنساء على صدورهم^(٧) . ولم يوضح لنا أدى شير معنى اللفظة كما أوردها الجاحظ . وطه الحاجري فسر اللفظة بمعنى مقارب لورودها عند الجاحظ وذكر أنها آلة أو أداة لصعود النخل فارسية معناها الرباط ولا تستعمل الآن في العراق^(٨) وقد وهم الحاجري بقوله هذا إذ أن هذه الآداة لا تزال تستعمل في العراق لصعود النخل ، ويؤكد الكرملى أن البربند هو الحابل أو الكر يصعد به على النخل وأورد كلام المعجم الذهبى بأن البربند حزام الظهر . وفي تكملة المعجمات العربية بمعنى طوق الفرس^(٩) .

(١) ق . م فيروز آبادى ج٤ ص ٣٠ .

(٢) المعرب للجواليقى ص ٢٨٠ .

(٣) المعرب الجواليقى ص ٢٨٠ ، ص ٢٩٢ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٢٥ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٢٤ .

(٦) البخلاء ص ٢١٢ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٨ .

(٨) البخلاء طه الحاجري ص ٤٠٨ .

(٩) المساعد ج٢ ص ١٨١ .

دَرِيَاَجَة : أوردها الجاحظ فى كلامه عن السمك وطرق صيده قال : «ينصبوا له الشصوص للسمك ، ويسكروا الدراياجة على صغار السمك لا يدخلوا فى السواقى»^(١) . ويعلق طه الحاجرى على لفظة الدراياجة بأنها من الكلمات التى لم تكن المعاجم بتدوينها . وقد شرحها السيد سليمان فيض الموصلى نزيل البصرة . قال : استفادة من وجود المد والجزر فى البصرة يفصل صيادو السمك قسما صغيرا من الماء ممايلى الشاطئ بالقصب أو بجريد النخل ، على هيئة قوس طرفه الأسفل يفصل باليابسة وطرفه الأعلى منفصل عنها بمقدار قليل ليتمكن السمك من الدخول فى الماء أثناء المد . ويعبرون عن ركز القصب أو الجريد بهذه الصورة بالتسكير بمعنى السد ، ويسمون القسم المحصور بين السكر والشاطئ درياجة وهى البحيرة بالفارسية»^(٢) .

سَنَبُوقَة : تدخل فى مجال حديثنا عن الصناعات وأصحابها ، وقد ذكرها الجاحظ قال : بعث ألف سنبوقة فى كل سنبوقة ألف رجل»^(٣) ومعنى هذه السنبوقة ، جاء فى القاموس السنبوق . كعصفور : زورق صغير^(٤) وفى المعرب المعنى غير واضح للفظه السنبوقة فقد ذكر الجواليقى السنبك والجمع السنابك : طرف مقدم الحافر . فارسى معرب . وقال بعضهم : سنبك كل شئ : أوله^(٥) وفى شفاء الغليل السنبوك : سفينة صغيرة تستعمله أهل الحجاز وعبر به فى الكشف وقيل من سنبك الدابة على التشبيه ولم نره فى كلامهم قديما^(٦) .

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) البخلاء ص ٣٧١ طه الحاجرى .

(٣) فخر السودان على البيضان ص ٢١٧ .

(٤) ق . الفيروز ابادى ج ٢ ص ٦٢٤ .

(٥) المعرب الجواليقى ص ١٧٧ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٤٤ .

وأدى شير قال : السنبوك السفينة الصغيرة حكاة الزمخشري فى الكشف وهى لغة أهل الحجار^(١) .

بال : ذكرها الجاحظ فقال : « أهل الكوفة ، فإنهم يسمون المسحاة بال ، وبال بالفارسية »^(٢) ولفظة بال فسرهما أدى شير بمعنى المر معرب بيل .^(٣) وفى معجم استاينجس لفظة بال من الألفاظ الفارسية الأصل وهى أداة للزراعة^(٤)

شصوص : وردت عند الجاحظ فى حديثه عن صيد الأسماك فقال : ومثل ذلك ما قد كلفهم أن ينصبوا له الشصوص للسك^(٥) وقد فسر لفظة الشصوص فى اللسان بأنها شئ يصاد به السمك وقال ابن دريد : لا أحسبه عربيا . وفى حديث ابن عمر فى رجل ألقى شصه وأخذ سمكه . الشص والشص بالكسر والفتح ، حديدة عقفاء يصاد بها السمك .^(٥) وفى معجم استاينجس الشص حديدة معقوفة يصاد بها السمك والجمع شصوص وهو فارسى معرب .^(٦)

جَمَازَات : تدخل فى مجال الحرفيين وأعمالهم ، قال الجاحظ يصف رحلة بحرية : « وقد علمتم أن أول شأن الجمازات ، أن أم جعفر أمرت الرحالين أن يزيدوا فى سير النجبية التى كانت عليها »^(٧) ولفظة الجمازات لم أجد شرحا لها فى معظم المعاجم اللغوية وفى معجم استاينجس وجدتها بمعنى المركب الذى يسرع فى سيره وهى من الألفاظ الفارسية^(٨) .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٩٥ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٩ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٦ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٤٩ .

(٥) اللسان ج٢ ص ٣١٣ .

(٦) معجم استاينجس ص ٧٤٥ .

(٧) الحيوان ج١ ص ٨٣ .

(٨) معجم استاينجس ص ٣٧١ .

بِرْكَار : ذكرها الجاحظ بقوله : وصاغوا من المنافع كالقرصطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكونيا وكالشيزان والبركار ^(١) وقد فسرت هذه اللفظة في شفاء الغليل ، البركار : آلة معروفة لم يسمع عنها في شعر قديم والذي قاله الدينوري أنه فرجار بالفاء معرب بركار وقال الأرجاني : كأني مثل بركار الدائرة ^(٢) أما أدى شير فيقول : البركار معرب بركار وهي آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر والفرجار والفركار لغتان فيه . ^(٣) وفي غرائب اللغة البركار من الألفاظ الفارسية المعربة . ^(٤) وفي معجم استاينجس البركار من الألفاظ الفارسية الأصل ^(٥) .

بِرْجَاس : وقد ذكرها الجاحظ فقال : « رمى المجثمة ، والبرجاس والطائر الخطاف » ^(٦) وقد تناولت المعاجم اللغوية هذه اللفظة بشروح عديدة ففي القاموس البرجاس بالضم : غرض في الهواء على رأس رمح أو نحوه مولد ^(٧) . وفي شفاء الغليل البرجاس : الغرض مولد عن الجوهرى وبرجيس نجم المشتري فارسي أيضا ^(٨) . وفي كتاب الألفاظ الفارسية : البرجاس غرض في الهواء على رأس رمح أو نحوه فارسيته برجاس ومعناها هدف السهم ولعل أصل اللفظة يوناني ^(٩) . أما معجم استاينجس فيؤكد أن اللفظة برجاس فارسية

(١) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٢) شفاء الغليل الحفاجي ص ٦٩ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٢٠ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢١٩ .

(٥) معجم استاينجس ص ١٧٧ .

(٦) مناقب الترك ص ٢١ .

(٧) ق . م الفيروز آبادي ج ١ ص ١٤٠ .

(٨) شفاء الغليل الحفاجي ص ٦٩ .

(٩) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٨ .

الأصل وهى بمعنى أداة لنوع من اللعب فى الماء ويستعمل فيها نوع من الأدوات التى تشبه الرمح^(١) .

نيزك : قال الجاحظ هى نوع من الرماح : « للرماح طبقات : فمنها النيزك »^(٢) وقد فسر القاموس هذه اللفظة بالرمح القصير ونزكه : طعنه به ، وفلانا أساء القول فيه ورماه بغير الحق^(٣) . وفى المعرب النيزك : أعجمى معرب وقد تكلمت به العرب الفصحاء قديما . قال الشاعر : من الوجد شكته صدور النيازك^(٤) . وفى شفاء الغليل ينازك جمع يتزك وهو رمح قصير فارسى معرب نيزه تكلمت به الفصحاء قاله الجوهري واستعمله الحكماء فى شعلة ترى كالرمح وهو أحد أقسام الشهب وصرفته العرب ، وقع فى مسلم نزكوه أى طعنوه^(٥) . وعند آدى شير النيزك هو الرمح القصير تعريب نيزه . والنيزق لغة فيه ومنه فعل نزك أى طعن بالنيزك^(٦) . وفى معجم استاينجس يؤكد أن لفظة النيزك فارسية الأصل معربة^(٧) .

ميشار : يستعملها النجارون وذكرها الجاحظ فى حديثه عن أدوات النجارة فقال : تحت القدوم والمثقب والميشار^(٨) وقد جاء فى معجم استاينجس معنى هذه الآلة بأنها تستخدم فى النجارة وهى فارسية معربة^(٩) .

(١) معجم استاينجس ص ١٧٠ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٤ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى ج ٤ ص ٣٥٧ .

(٤) المعرب الجوالقى ص ٣٣٢ .

(٥) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٠ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٥٢ .

(٧) معجم استاينجس ص ١٤٤٢ .

(٨) الحيوان ج ٥ ص ٤٨٢ .

(٩) معجم استاينجس ص ١٣٦٨ .

أَسَاكِفَة : ذكرها الجاحظ في كتاباته قال : فإنني أزعم أن جلده لا يدبغ ولا يتتفع به إلا الأساكفة^(١) لم أجد تفسيراً لهذه اللفظة في معظم المعاجم العربية ولكن وجدت في معجم استاينجس أن معنى لفظة أساكفة تعنى صانعي الأحذية وهي من الألفاظ الفارسية المعربة^(٢) .

بَاضُوزَكِي : ذكرها الجاحظ مبينا مهنة صاحبها فقال : وربما بيع الجلد جلد الماعز فيشتريه الباضوزكي^(٣) قال الأب أنستاس الكرملى الباضوزكي تصحيف البازكي لغة في قولك البازركان وبعضهم يقولها بمعنى الوغال ، وهو المغلواني عند العوام^(٤) وفي معجم استاينجس وردت لفظة البازكان بمعنى Atrader وهي من الألفاظ الفارسية^(٥) .

كَاجَار : من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ في البخلاء وفي أماكن أخرى من كتاباته قال : « وأنا كنت كاجار في حداثة سني »^(٦) ولفظة الكاجار لم أجد تفسيراً لها في معظم المعاجم إلا في معجم استاينجس وصف الكاجار بأنه صانع الأثاث المنزلي وأصل الكلمة فارسي^(٧) .

مَنْجَنِيْق : قال الجاحظ في معرض كلامه عن آلات الحرب : « ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة ولا المجانيق »^(٨) وهذه اللفظة تختلف اللغويون في لفظها وفي أصلها فالقاموس يذكر المنجليق : المنجنيق . وبكسر

(١) الحيوان جـ ٤ ص ٧٦

(٢) معجم استاينجس ص ٤٧ .

(٣) الحيوان جـ ٥ ص ٤٧٧ .

(٤) المساعد . الأب أنستاس جـ ٢ ص ١٢٣ .

(٥) معجم استاينجس ص ١٤٥ .

(٦) البخلاء ص ٤٦ .

(٧) معجم استاينجس ص ١٠٠٠ .

(٨) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٧ .

الميم : آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنوق معربة وقد تذكر ، فارسيته من جه نيك : أى أنا ما أجودنى . والجمع منجنيقات ومجائق ومجانيق ومادتها منج^(١) والمعرب يفسر لفظة المنجنيق الذى اختلف فيه أهل العربية فقال قوم : الميم زائدة . وقال آخرون بل هى أصلية . وأخبرنا ابن بNDAR عن ابن رزمة عن أبى سعيد عن ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : سألت أعرابيا عن حروب كانت بينهم فقال : كانت بيننا حروب عون تفقا فيها العيون ، مرة نمجنق وأخرى نرشق . فقله « نمجنق » دال على أن الميم زائدة ولو كانت أصلية لقال نمجنق . وكان المازنى يقول : الميم من نفس الكلمة والنون زائدة لقولهم « مجانيق » فسقوط النون فى الجمع كسقوط الياء فى : عيضمور « إذا قلت «عضاميز» ويقال منجنيق ومنجنيق بفتح الميم وكسرهما . وقيل الميم والنون فى أوله أصليتان . وقيل : زائدتان وقيل : الميم أصلية والنون زائدة . وهو أعجمى معرب . وحكى الفراء منجنوق بالواو . وحكى غيره منجليق . وقد جنق المنجنيق ويقال جنق^(٢) .

أما الخفاجى فيشرح لنا تفسير لفظة منجنيق بأنها معربة « من جه نيك . أى أجود أو أنا شىء جيد لأنه لا يجتمع الجيم والقاف فى جملة عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما فى القاموس وضبطه أبو منصور بفتحها آلة لرمى الحجارة كالمنجنوق ومنجليق لغات فيه معربة وقيل الأقرب أنه معرب « منجل نيك »^(٣) ويؤكد آدى شير كلام الخفاجى بأنها آلة ترمى بها الحجارة فارسيته « من جه نيك » أى أنا ما أجودنى (محيط المحيط) . والمنجنوق لغتان فيه وبنوا منه أفعال جنق . وجنق ومنجنق . ويحتمل أن يكون أصل الكلمة

(١) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٢٨٦ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٣٠٨ ، ص ٣٠٩ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٤٠ .

فارسيًا ، وذلك إما لأنها مأخوذة عن : من جه نيك أو مركبة من : منك جنك ينك « أى أسلوب جيد للحرب أو أصلها منجك نيك ، وأن منجك معناها الارتفاع إلى فوق وكان اسم لعبة^(١) . وفى أبنية الصرف المنجنيق : أداة من أدوات الحرب ترمى بها الحجارة^(٢) . ويقول الأستاذ عبد السلام هارون : المجانيق جمع منجنيق معرب من النارسى منجنيك وهذه مأخوذة من اليونانى ويضطرب اللغويون العرب فى تأصيلها من الفارسى^(٣) .

ويتبع الصناعات والحرف أنواع العملات إذ أنها العامل الحيوى لاستمرار الحياة الاقتصادية وما فيها من نشاطات وقد وردت فى كتب الجاحظ أنواع كثيرة من العملات .

قراريط : والدائق والدرهم بأنواعه والدينار ، وفى نص للجاحظ من كتابه البخلاء يذكر فيه القراريط « إن إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوائق وإنفاق الدوائق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير »^(٤) .

طسوج : وقد حدد الجاحظ مقدار الطسوج . قال : « الطسوج أربعة فلوس »^(٥) وقد فسر القاموس الطسوج كسفود : الناحية . وربع دائق معرب^(٦) وفى المعرب طسوج معرب^(٧) وفى معجم استاينجس لفظة طسوج فارسية معربة وهى تعادل أربعة وعشرين حبة فى الدرهم^(٨) .

(١) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ١٤٦ .

(٢) أبنية الصرف د . حديجة الحديثى ص ٥٢٢ .

(٣) حاشية البيان والتبيين ج٣ ص ١٧ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٤) البخلاء ص ١٠٦ .

(٥) البخلاء ص ١٢٦ .

(٦) ق . م ج٣ ص ٧٦ .

(٧) المعرب للجوالقى ، ص ٧٦ .

(٨) معجم استاينجس ص ٨١٥ .

صَكَّ : تتعلق بالأمر المادية ، وقد ذكرها الجاحظ بقوله : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل إقطاع وكل إنفاق^(١) ، وفي اللسان لفظة الصك والجمع صكاك فسرهما ابن منظور بأنها فارسي معرب والصك : الكتاب وجمعه أصك وصكوك وصكاك . قال أبو منصور : والصك الذى يكتب للعهد معرب أصله جك ويجمع صكاكا وصكوكا . وكانت الأرزاق تسمى صكاكا لأنها كانت تخرج مكتوبة^(٢) .

دَوَانِيق :^(٣) يقول الجاحظ : إنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم ، وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير ويشرح القاموس لفظة الدائق ويحددها بأنها سدس الدرهم ، ويورد مشتقات الدائق كالداناق . ودنق يدنق ويدنق دنوقا : أسف لدقائق الأمور . والدنق بضمين : المقترنون على عيالهم . والتدنيق الاستقصاء . وإدامة النظر إلى الشيء . ودنو الشمس للغروب^(٤) ومع كل هذا الشرح المطول للقاموس إلا أنه لم يورد لنا أصل الكلمة . وفي المعرب ذكر الدائق : معرب بكسر النون وهو الأفصح الأعلى^(٥) . والدائق فى شفاء الغليل معرب دانه^(٦) وآدي شير يقول الدائق معرب دانك وهو بمعنى الحبة مطلقا ويقدر بسدس الدرهم^(٧) .

دينار : ذكر القاموس أنه معرب أصله دنار ، بتضعيف النون فأبدل من إحداهما ياء لثلا يلبس بالمصادر ككذاب ، ودنر وجهه تدنيرا : تلالاً . ودينار

(١) الحيوان ج١ ص ٦٩ .

(٢) اللسان ج٢ ص ٤٥٩ .

(٣) البخل ص ١٠٦ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى ج٢ ص ٢١٩ .

(٥) المعرب الجوالقى ص ١٤٥ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ١٢٠ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ٦٦ .

مدنر : كثر دنانيره^(١) والمعرب يؤكد أن لفظة دينار فارسية معربة وأصله دنار وهو وإن كان معرباً فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار فقد صار كالعربي ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه لأنه خاطبهم بما عرفوا واشتقوا منه فعلاً ، قالوا : رجل « مدنر » : كثير الدنانير^(٢) . وفي شفاء الغليل الدينار قال عنه الراغب معرب دين آر أى الشريعة جاءت به ، والشراب الدينارى نسبة إلى ابن دينار الحكيم مولد^(٣) .

إِسْتَار : وردت عند الجاحظ فى قوله : ويفرغ قربه فى قنای فلا يصيب إستاراً واحداً^(٤) فى مجال الألفاظ الإيرانية التى تعنى بالماكيل . وفسرها المعرب : قال أبو سعيد سمعت العرب تقول للأربعة « إستار » لأنه بالفارسية « جهار » فأعربوه فقالوا « إستار » قال : الإستار رابع أربعة . ورابع القوم « إستارهم » وهذا الوزن يقال له « الإستار » معرب أيضاً أصله جهار فأعرب فقل إستار . ويجمع « أساتير » ويقال لكل أربعة « إستار »^(٥) والإستار فى شفاء الغليل : جمع أساتير ومعرب جهار وكلام أهل التفسير والقراء أربعة نفر وقد ورد فى الشعر القديم^(٦) .

ومن الوظائف الدينية التى يقوم بها الرؤساء الدينيون وتدخل فى مجال حديثنا عن المهن :

الْمَرَابِذَةُ : وردت عند الجاحظ فى قوله : « فأما نعمة الهرايذة ولغة

(١) ق المحيط الفيروز ابادى ج٢ ص ٢١٨ .

(٢) المعرب الجوالقى ص ١٣٩ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٢٤ .

(٤) الحيوان ج٣ ص ٢٣٧ .

(٥) المعرب الجوالقى ص ٤٢ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ٣٥ .

الموابذة فلصاحب تفسير الزمزمة ^(١) وتفسير لفظة الهرابذة جاء فى القاموس :
قومة بيت النار للهند ، أو عظماء الهند ، أو علماؤهم ، أو خدم نار المجوس .
الواحد كزبرج . والهربذة سيردون الخبب والهربذى : مشية فى اختيال وعدا
الجميل الهربذى : أى فى شق ^(٢) .

وفى المعرب الهربذ : بالكسر واحد الهرابذة وهم خدم النار . وقيل حكام
المجوس الذين يصلون بهم . أعجمى معرب . وقد تكلمت به العرب قديما .
ومشيتهم الهربذى وقال امرؤ القيس :

إذا زاعه من جانبيه كليهما مشى الهربذى فى دفة ثم فرفرا

ويجمع هرابذة وهرابذ ^(٣)

وهربذ فى شفاء الغليل : جمعه هرابذة خدم النار أو حكام المجوس
معرب ^(٤) والهرابذة لفظة فسرهما آدى شير : قومة بيت النار للهند وهم
البراهمة . وقيل عظماء الهند وقيل علماؤهم وقيل خدم نار المجوس الواحد
هربذ (محيط المحيط) والمعنى الأخير أصح لأن الفارسية هربذ إمام خدم نار
المجوس وسيدهم يحكم ويفصل بينهم ^(٥) . ويفصل لنا معنى الهرابذة الأستاذ
عبد السلام هارون بأنها جمع هربذ واحدة هرابذة المجوس ، وهم قومة بيوت
النار التى للهند فارسية معرب وتقييد بيوت النار بالهندية هو المذكور فى
المعاجم العربية ، وهى مكونة من كلمتين : هير بمعنى النار وبد بمعنى الحافظ
والقيم ^(٦) .

(١) البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٣ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى جـ ٤ ص ٤٩٨ .

(٣) المعرب الجوالقى ص ٣٥١ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٦٨ .

(٥) الالفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٥٧ انظر البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٣ .

(٦) حاشية البيان والتبيين جـ ٣ ص ١٣ الأستاذ عبد السلام هارون .

مَوَابِذَة : وردت فى النص السابق فسرهما آدى شير : المؤبذ والموبذان فقيه الفرس وحاكم المجوس فارسيته موبد وجمعه موبدان^(١) وجاء فى حاشية البيان والتبيين تفسيراً لكلمة الموابذة جمع موبذ وهو قاضى المجوس فارسى معرب وتركيبه من كلمتين مو بمعنى الدين وبد أى الحافظ أو القيم^(٢) .

بَذَ : التى جاءت كقاسم مشترك بين اللفظتين ووردت عند الجاحظ فى الحيوان قال : « وما الفرق بين البد والوثن » وقال : كإنفاق الهند على سدنة البددة^(٣) والبد بالضم : العرض . والصنم معرب بت والجمع بددة وأبداد وبيت الصنم^(٤) هكذا فسرت كلمة بد فى القاموس المحيط ، أما فى المعرب فالبد : الصنم فارسى معرب والجمع البددة^(٥) وفى شفاء الغليل البد : معرب صنم جمعه بددة^(٦) وفى حاشية المعرب زاد عما قاله الجواليقى وقال نقلاً عن ابن دريد : فأما البد الذى يسمى به الصنم الذى يعبد فلا أصل له فى اللغة . وقال نقلاً عن ابن سيده : هو بيت فيه أصنام وتساوير ، معرب بت «^(٧)» .

زَنْدِيق : والزنادقة وقد جاءت عند الجاحظ فى أماكن كثيرة جداً من حيوانه قال : « إن إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب . كإنفاق النصارى على البيع »^(٨) ولفظة الزنديق يطول الكلام فى شرحها ، فالقاموس يفسر الزنديق بالكسر : من الثنوية ، أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة

(١) الألفاظ الفارسية المعربة آدى شير ص ١٤٨ .

(٢) البيان والتبيين الحاشية / ج٣ ص ١٣ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٣) الحيوان ج١ ص ٥٦ ، ج١ ص ٥ .

(٤) ق . م الفيروز آبادى ج١ ص ٢٢٨ .

(٥) المعرب الجواليقى ص ٨٣ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٤ .

(٧) حاشية مجلة العرب ص ٨٣ ص ٦ .

(٨) الحيوان ج١ ص ٥٦ .

والربوبية ، أو من يظن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب « زن دين » أى دين المرأة والجمع زنادقة أو زناديق . وقد تزندق والاسم الزندقة^(١) ويفسر الجواليقى لفظة الزنديق بأنها ليست من كلام العرب . وإنما تقول العرب : رجل زندق وزندقى : إذا كان شديد البخل . وإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملحد و « دهرى » . فإذا أرادوا معنى السن قالوا دهرى . قال : وقال سيبويه الهاء فى زنادقة عوض عن الياء فى زنديق . قال ابن دريد قال أبو حاتم : الزنديق فارسى معرب . كان أصله عنده زنده كرد . زنده : الحياة وكرد : العمل . أى : يقول بدوام الدهر . قال أبو بكر : قالوا : رجل زندق وزندقى . ليس من كلام العرب وهو الذى ينظر فى الأمور . وقال الجواليقى متابعاً كلامه عن الزنديق وسألت أبا حاتم فقال : هو فارسى معرب . أى الدنيا زينده فقط إذا حيا الدهر^(٢) . والخفاجى يفسر معنى الزنديق إذ أنه ليس من كلام العرب وإنما تقول العرب رجل زندق وزندقى أى شديد البخل وإذا أرادوا ما تقول له العامة ملحد قالوا دهرى ، وإذا أرادوا المسن قالوا دهرى بالضم للفرق بينهما والهاء فى زنادقة عوض عن الياء عند سيبويه^(٣) . وأدى شير يفسر الزنديق : فسر بالقائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة أو من يظن الكفر ويظهر الإيمان . قال البعض إنه معرب عن زن دين أى دين المرأة . وقيل إنه تعريب زنديك وهو الذى يعمل بموجب ما هو مسطور به فى الزند . لكن الزنديق ورد ذكره فى كتاب افراهاط الحكيم الفارسى الذى عاش فى الجيل الرابع للمسيح . وورد أيضاً ذكر الزنادقة قبل تأليف الزند أى فى كتاب الأفسستا . وقد اتخذ هذه الكلمة الفرس المحدثون فتلفظوا بها على صورة « زنديك » ومنها اشتقت لفظة زنديق^(٤) .

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ ٢ ص ٤٨١ .

(٢) المعرب - الجواليقى ص ١٦٦ .

(٣) شعاع الغليل الخفاجى ص ١٣٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة لدى شير ص ٨٠ ، ٨١ .

مَنَانِيَّة : ذكرها الجاحظ في الحيوان قال : « كان أبو إسحاق يسأل المنانية^(١) ومنان من الألفاظ الفارسية المعربة ولهم آلهة خاصة »^(٢) ولفظة زرادشت قال الجاحظ ذاكرة هذه اللفظة وهو يسخر منها : « وزعم زرادشت أن العظايا ليست من ذوات السموم^(٣) . وقد فسرهُ استنجاس Aprahamni وهي من الألفاظ الفارسية .

كَهْيَان : قال الجاحظ عنها : سمت الفرس بالفارسية العرب والأعراب : كهيان والكه بالفارسية الجبل^(٤) وفي معجم استاينجس معنى كهيان العالم بالدنيا من الألفاظ الفارسية^(٥) . ولفظة فيلسوف هي بنفس المعنى للفظة السابقة قال الجاحظ متسائلا : سألتك عن الفيلسوف وعن علته في المد والجزر^(٦) أصل هذه هذه الكلمة فارسي كما ورد في معجم استاينجس وقد عرف لفظة الفيلسوف بأنه العارف الذكي أو الذي يعرف الكثير^(٧)

كوكلة : قال الجاحظ عنها : ومن واضع الكوكلة ؟^(٨) وقد فسرت هذه اللفظة عند استاينجس بأنها نوع من المعتقدات أو الخرافات وهي من الألفاظ الفارسية الأصل^(٩) .

مجانسات : قال الجاحظ : المكامنات والمجانسات^(١٠) وقد فسر صاحب

(١) الحيوان ج ٤ ص ٤٤١ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٣٢٠ .

(٣) الحيوان ج ٤ ص ٢٩٦ . وانظر أيضاً : معجم استاينجس ص ٦١٤ .

(٤) الحيوان ج ٥ ص ٦٩ .

(٥) معجم استاينجس ص ٤٤ .

(٦) التريب والتدوير ص ٤٤ .

(٧) معجم استاينجس ص ٩٤٥ .

(٨) التريب والتدوير ص ٨٤ .

(٩) معجم استاينجس ص ١٠٦٣ .

(١٠) ذم أخلاق الكتاب ص ١٩٢ .

اللسان لفظة المجانسة والتجنيس . يقال : هذا يجانس هذا أى يشاكله ، وكان الأصمعى يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا إذا كان من شكله ، ويقول : ليس بعربى صحيح ، ويقول : إنه مولد وقول المتكلمين : تجانس الشيثان ليس بعربى ، كلام مولد إنما هو توسع^(١) وهذه اللفظة فى معجم استاينجس من الألفاظ الفارسية^(٢) .

كَارَنَامِك : قال الجاحظ متعجبا : جعلت فداك كيف حفظك لكتاب كارنامك^(٣) ؟ وشرح استاينجس هذه اللفظة بأن كار بمعنى عمل « نامك » نامى بمعنى كتاب والمعنى إجمالا الكتاب الذى يحوى السيرة أو يحوى الأعمال وهو من الألفاظ الفارسية المحضة^(٤) .

العلوم الطبيعية :

مجال العلوم الطبيعية يشمل عدة نواح من الطبيعة كحياة الحيوان وعلم النبات واحتياجات هذه الكائنات الحية من غذاء ومواد أساسية لاستمرارها فى الحياة . وفى مجال النباتات يورد الجاحظ أسماء لنباتات متنوعة الأصول كالإيرانية والآرامية واليونانية وغيرها من الأصول الأجنبية .

والألفاظ ذات الأصول الإيرانية هى : الأرز والصنوبر والتانبول والنيلوفر والداذى والجاورس والرزدق والباذامك والباذروج وغيرها من الألفاظ الإيرانية المعربة ، فلقد وردت لفظة .

أرز : عند الجاحظ فى حديثه عن أحد البخلاء قال : يشتري لنا أرزا

(١) اللسان ص ٥١٤ ج ٣ .

(٢) معجم استاينجس ص ١١٧٥ .

(٣) الترييع والتدوير ص ٨٤ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٠٠٣ .

بقشره ويحمله معه ، ليس معه شيء مما خلق الله إلا ذلك الأرز»^(١) والمعاجم فسرت لفظة الأرز بتفاسير مختلفة ، في القاموس الأرز شجر الصنوبر ، أو ذكره ، كالأرزة أو العرعر . وبالتحريك شجر الأرز . والمأرز كمجلس - الملجأ : والأرز - كأشد ، وعتل وطنب ورز^(٢) . ونلاحظ أن تفسير القاموس للفظه الأرز غير واف . أما المعرب فقد فسر الأرز على وزن أفعل واعتبر الهمزة فيه رائدة وذكر أن فيه لغات كأرز وأرز . وأرز مثل كتب وأرز مثل كتب ورز وعن ابن سيده أن أصل الأرز رز « فكهوا التشديد وأبدلوا من الزاي الأولى نونا كما يقولون في « إنجاص » إجاص^(٣) . وفي المساعد الأرز نبات من أصل شرقي ويعتقد بعضهم أنه من الفارسية ولكنه ليس منها لأنه في الفارسية الحديثة برنج ، ولعله في السنسكريتية^(٤) . وقد وردت الأرز عند استاينجس بأنها من الألفاظ الفارسية الأصل^(٥) . أما لفظة أرز التي وردت عند الجاحظ بقوله : لو أن إنسانا أراد أن يخرج القطران من الصنوبر والزفت من الأرز لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقه ويقشره^(٦) « هذه اللفظة لم أجد لها تفسيراً في المعاجم يوضح معناها سوى معجم استاينجس يذكر أن ثمر الأرز يستخرج منه القطران وهو يقصد الصنوبر^(٧) . وفي القاموس إن أرز الكلام التامه^(٨) وقال أدى شير الأرز معرب عن الأرث وهو القيمة وما يدفع

(١) البخلاء ص ١٢٩ .

(٢) ق . م الفيروز آبادي ج١ ص ١٣٢ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٣٤ .

(٤) المساعد ج١ ص ١٨٢ .

(٥) معجم استاينجس ص ٧٩٤ .

(٦) الحيوان ج٥ ص ٥٢ .

(٧) معجم استاينجس ص ٧٩٤ .

(٨) ق . م الفيروز آبادي ج١ ص ١٣٢ .

بين السلامة والعيب في السلعة^(١) وهذا المعنى بعيد عن مجال كلامنا عن النباتات .

صَنُوبَر : ذكرها الجاحظ فقال : أن يخرج القطران من « الصنوبر^(٢) » وقد شرحت هذه اللفظة في المعاجم ، فقال الفيروز ابادي إن الصنوبر شجر وهو ثمر الأرز والمادة منه صن^(٣) وقال الجواليقي : فأما هذا الصنوبر فأحسبه معربا^(٤) . وأصل الصنوبر هو الفارسي كما يؤكد استاينجس فيقول بأن الصنوبر فارسي الأصل وأنه شجر ثمر الأرز Anycone-Bearing Tree^(٥) .

تَانِبُول : فقد ذكره الجاحظ بقوله مخاطبا أحدهم : أنك الذي علمتهم مضغ التانبول ودبغ تحمير الأسنان^(٦) وقد فسر القاموس لفظة التانبول بأنه اليقطين الهندي وفيه لغتان التامول وهو اليقطين الهندي والتانبول وهو ضرب من اليقطين ، طعم ورقه كالقرنفل يعضغونه بقليل من كلسن ، وهو مشه ، مطرب ، باهي ، مقولثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند يمازج العقل قليلا ، وينبت كاللوييا ويرتقى في الشجر^(٧) . أما أدى شير فقد فسر لفظة التامول بأنه ضرب من اليقطين ينبت كاللوييا ويرتقى في الشجر وطعم ورقه كالقرنفل يعضغونه بقليل من كلس وفارسيته تنبول وتامول لغة فيه^(٨) .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٨ .

(٢) الحيوان ج٥ ص ٥٢ .

(٣) ق . م ج٢ ص ٨٦٢ .

(٤) المعرب الجواليقي ص ٢١٢ .

(٥) معجم استاينجس ص ٧٩٤ .

(٦) التريبع والتدوير ص ٨٥ .

(٧) ق . م الفيروز ابادي ج١ ص ٣٧٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٣٦ .

دَازِي : وردت عند الجاحظ بقوله : ولهم صب الزردج واستخراج النشاستج وتعليق الخيش واستخراج الداذي^(١) ولم ترد هذه اللفظة في المعاجم اللغوية سوى إشارة بسيطة ذكرها الجواليقي ، إن الداذي هو العطية^(٢) ، أما أدى شير فقد شرح لفظة الداذي بأنها نبات له عنقود طويل تعريب دادي وهو نبات طوله قدر شبر حبه شبيه بالشعير لكنه أضعف منه وهو مر ونافع من البواسير^(٣) . وفي معجم استاينجس ذكر أن الداذي هو الدادي من أصل فارسي وهو نبات صغير الحبة يشبه الحنطة أو القمح^(٤) .

جَاورِس : ذكرها الجاحظ فقال : « كما يدخر من خاف الحصار الأكارع والجاورس »^(٥) ولفظة الجاورس أجمعت المعاجم الحديثة على أنها فارسية الأصل ، فاستاينجس يقول إنها من الألفاظ الفارسية المعربة وفيها لغتان كاورس وجاورس^(٦) . ورفائيل نخلة يقول : الجاورس والكاورس من الألفاظ الفارسية^(٧) . أما الأستاذ عبد السلام هارون فيشرح لفظة الجاورس بأنها حب الدخن وهو الذرة الدقيقة^(٨) .

بَازَامِك : ذكرها الجاحظ فقال إن الفارسي يتفاءل إليه : لأن اسمه بالفارسية بازامك أى يبقى وبالعربية خلاف ، والخلاف غير الوفاق^(٩) وقد

(١) الحيوان جـ ١ ص ٨٢ .

(٢) المعرب الجواليقي ص ٧٣ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٦٩ .

(٤) معجم استاينجس ص ٤٩٥ .

(٥) الحيوان جـ ١ ص ٤٤٢ .

(٦) معجم استاينجس ص ٣٥٤ .

(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٢٢ .

(٨) حاشية الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٧ .

(٩) الحيوان جـ ٣ ص ٤٥٧ .

فسرت هذه اللفظة في معجم استاينجس بأنها بذور لشجرة تنبت على الشواطئ وهي فارسية الأصل^(١) .

نِيلُوفَر : من النباتات ذات الأصل الإيراني ذكرها الجاحظ بقوله : والنيلوفر الذى ينبت فى الماء يغيب الليل كله ويظهر بالنهار^(٢) وقد فسرت هذه اللفظة فى القاموس بأنها ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة ، بارد فى الثالثة . رطب فى الثانية ملين صالح للسعال وأوجاع الجنب والرئة والصدر . وإذا عجن أصله بالماء وطلّى به البهق مرات أزاله . وإذا عجن بالزفت أزال داء الثعلب^(٣) .

ولفظه النيلوفر فسرّها الخفاجى بقوله فى أشعار المتأخرين وهو مولد ، قال أمين الدولة ، هو اسم فارسي معناه النيلى الأجنحة والنيلى الأرياشى وربما سمى أرياشا ومنه نوع تسميه أهل مصر عرائس النيل وهو معروف^(٤) . أما آدى شير فيفصل فى تفسير لفظة النيلوفر ويقال النيوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس يطول بحسب عمق الماء فإذا ساوى سطحه أوراق وأزهر وإذا بلغ يسقط عن رأسه ثمر داخله بزر أسود . فارسيته نيلوپر وهو مركب من نيل وهو الذى يصبغ به ومن بر وهو اسم الجناح فكأنه قيل مجنح نبيل لأن الورقة كأنها مصبوغة الجناحين وقال صاحب البرهان القاطع : النيلوفر ورد معروف يظهر فى طلوع الشمس فوق الماء ويزهر وفى غروبها يقع فى الماء^(٥) .

(١) معجم استاينجس ص ١٤١ .

(٢) الحيوان ج٦ ص ٣٦٤ .

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى ج٤ ص ٤٦٩ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢٥٨ ، وانظر أيضا حياة الحيوان للدميرى ١٩٦/٢ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٥٥ .

رَزْدَق : ذكرها الجاحظ في بيانه قال : « ويسمون السمييط الرزدق »^(١)
فسرها الجواليقي : أرض سوداء وفيها لغات رزتاق ورزداق والجمع رساتيق^(٢) .
والخفاجي يفسر الرزدق : سطر من النخل معرب وفيه لغات رستاق ورزداق^(٣)
وعند أدى شير الرزدق : الصف من الناس والسطر من النخل معرب «رسته»^(٤)
وقال استاينجس في معجمه : إن الرزدق هو السطر من النخل وهو فارسي ،
معرب رسته^(٥) .

جُون : وردت عند الجاحظ ولها عدة تفاسير فالجاحظ يقول : « وكان ولد
عبد المطلب العشرة السادة دما ضخما ، نظر إليهم عامر بن طفيل يطوقون
كأنهم جمال جُون »^(٦) والجُون في القاموس : النبات يضرب إلى السواد من
خضرته ، والأحمر ، والأبيض والأسود . والنهار والجمع جُون بالضم .
ومن الإبل والخيول : الأدهم^(٧) .

وأدى شير يقول الجون معرب كون ومعناه اللون ومما يؤيد تعريبه أنه يأتي
بمعنى الأبيض والأسود والأخضر والأحمر والأدهم ، وقالوا فيه جان
وجهه أي اسود وتجون باب العروس أي يبيضه إلى غير ذلك . ومنه
السرياني . والأرمني ويقربه السانسكريتي أي الصبغ^(٨) . وفي أئينة الصرف :
الجون بالفتح النبات يضرب إلى السواد من خضرته والأحمر والأبيض

(١) البيان والتبيين ج١ ص ١٩ ، أدب الكاتب ٣٨٨ .

(٢) المعرب الجواليقي ص ٧٥ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٣٣ .

(٤) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٧١ .

(٥) معجم استاينجس ص ٥٧٤ .

(٦) فخر السودان على البيضاء ص ٢٠٩ .

(٧) ق . م الفيروز ابادي ج١ ص ٥٦٢ .

(٨) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٤٩ .

والأسود والنهار . الجمع جون بالضم والجون من الإبل والخيل :
الأدهم^(١) .

آب : قال الجاحظ : ألى يذوق الدهر آب سرد وقال آب است نبذ
آست.^(٢) فسرت كلمة آب فى شفاء الغليل بأنها من أسماء الشهور وهى
أعجمى معرب عن ابن الأعرابى قاله ابن سيده فى المحكم^(٣) .

أما آدى شير فيقول عن آب : الأبواب « الماء والسراب معرب آب وهو الماء
وهو أيضا Ap بالسنسكريتية وآو بالكردية أو مأخوذة عن الحبشى Ababi
ومعناها الموج^(٤) .

حياة الحيوان وعالم الحيوان تناوله الجاحظ وأسهب فى التحدث عنه فى
كتابه المسمى بالحيوان وهناك مجموعة من الألفاظ الإيرانية الأصل تتعلق
بالحيوان وما يختص به من مخلفات وأوساخ ، وقد ذكرها الجاحظ وهى :

شَبْدِيز : وقال عنها الجاحظ «والله أن لو نتجت فى كل عام ألف شبديز»^(٥)
وقد فسر الخفاجى لفظة الشبديز فقال : شبداز بمعنى أدهم معرب شبديز ،
وقد ذكرها ابن الرومى بقوله : وبين شبداز وبرذونكم وشبديز فرس معروف
أهداه ملك الهند لكسرى كما فى محاضرات الراغب .^(٦) وآدى شير قال
الشبداز . تعريب شبديز معناه الأدهم . وهو اسم حصان لكسرى أبرويز قيل
كان أطول من سائر الأحصنة بأربعة أشبار وكان كسرى قد أتى به من بلاد

(١) أبنية الصرف د. خديجة الحديثى ص ٤٦٨ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٤٣ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٤٨

(٤) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٦ .

(٥) فى الجد والهزل ص ٢٥٩ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٦٠ .

الروم^(١) وفسرها الأستاذ عبد السلام هارون في حاشية الحيوان : أن الشبديز ضرب من الخيل قاتم اللون أصداً ولفظه فارسي وهذا الكلام نقلا عن معجم استاينجس^(٢) .

شَبُوط : من الألفاظ الإيرانية المعربة التي ذكرها الجاحظ ، فقال على لسان أحد البخلاء : اشترى مرة شبوطه وهو ببغداد وأخذها فائقة عظيمة وغالى بها وارتفع في ثمنها وكان بعد عهده بأكل السمك وهو بصرى لا يبصر عنه^(٣) ولفظة الشبوط في القاموس : سمك دقيق الذنب ، عريض الوسط ، لين أملس . ويضم كالقدوس والواحدة بهاء وقد تخفف المفتوحة^(٤) . وفي المعرب الشبوط : ضرب من السمك أعجمي وقال الليث : والشبوط لغة فيه وهو دقيق الذنب . عريض الوسط لين الملمس صغير الرأس^(٥) وفي شفاء الغليل الشبوط : سمك ويقال بالمهملة معرب^(٦) .

سَنَانِير : أوردها الجاحظ في كتاباته فقال : رعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عضه الأسد وأن الخنزير خلق من سلحة الفيل^(٧) وقد جاء في القاموس السنور كالسنار - كرمان - وفقارة العنق ، وأصل الذنب والجمع سنانير^(٨) . والسنور في المعرب بمعنى الدروع وقيل كل سلاح يتقي به فهو سنور

(١) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٩٧ .

(٢) معجم استاينجس ص ٧٣١ .

(٣) البخلاء ص ١٠٠ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى ج٢ ص ٦٦٧ .

(٥) المعرب الجواليقي ص ٢٠٧ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٥٩ .

(٧) الحيوان ج٥ ص ٣٤٧ .

(٨) ق . م الفيروز ابادى ج٢ ص ٦٢٨ .

معرب .^(١) وفي شفاء الغليل السنور الدرع معرب وقيل كل سلاح^(٢) .

ومما سبق في كلامنا عن لفظة السنور نجد أنها معربة ولكن غير معروفة الأصل إذ أن المعاجم لم توضح أصل الكلمة واكتفت بأنها معربة . قال الدميري : السنور بكسر السين المهملة وفتح النون المشددة واحد السنائر ، وقال ابن قتيبة يقال للأنثى سنورة مولد ليس من كلام العرب^(٣) .

وَرَشَان : قال الجاحظ في حيوانه : « للورشان هداية ، وإن كان دون الحمام »^(٤) وقد تناولت المعاجم هذه اللفظة بالشرح والتفسير ، ففي القاموس جاء الورشان - محرقة - طائر . وهو ساق حر لحمه أخف من الحمام وهي بهاء والجمع ورشان بالكسر ووراشين والمادة ورش .^(٥) وفي اللسان الورشان : طائر شبه الحمامة وجمعه ورشان بكسر الواو وتسكين الراء مثل كروان جمع كروان على غير قياس والأنثى ورشانة وهو ساق حر والجمع الوراشين والورشان أيضا^(٦) . وفي شفاء الغليل فسر الورشان بأنه طائر شجي الصوت . وهو لفظ فارسي معرب^(٧) وفي معجم استاينجس يصف الورشان بأنه فارسي الأصل وهو حمام خشبي Weed Pigeon^(٨) .

زُرْزُور : ذكرها الجاحظ فقال : ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرزور^(٩)

(١) المعرب الجواليقي ص ٢٠٠ .

(٢) شفاء الغليل الحفاجي ص ١٤٨ .

(٣) حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٥٧٨ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ١٣٨ .

(٥) ق . م الفيروز ابادي ج ٤ ص ٥٩٨ .

(٦) اللسان ابن منظور ج ٣ ص ٩١٠ .

(٧) شفاء الغليل الحفاجي ص ٢٧٢ .

(٨) معجم استاينجس ص ١٤٦٣ .

(٩) الحيوان ج ٣ ص ٢٣٣ .

وقد جاء وصف هذا اللفظ في معظم استاينجس بأنه بمعنى الطائر الصغير وأصله فارسي معرب إلى العربية^(١) .

سِيمَرَك : ذكرها الجاحظ في كلامه عن الألفاظ الفارسية فقال : واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كأنه قال : هو وحده ثلاثون طائراً ، لأن قولهم بالفارسية سى هو ثلاثون بالعربية ، مرك بالفارسية هو الطائر بالعربية^(٢) وقد جاء في معجم استاينجس أن السيمرك حيوان أسطوري وأصله فارسي وهو من الطيور الخرافية^(٣).

شَاهْمَرَك : أوردها الجاحظ في أماكن عديدة من كتاباته فقال في الحيوان : وربما قتل السنابير وبنات عرس ، والشَاهْمَرَك^(٤) ، وتفسير هذه اللفظة لم أجده في المعاجم المختلفة حتى معجم استاينجس المختص بالألفاظ الفارسية لم ترد عنده وإن جاءت في حاشية الحيوان نقلاً عن المخصص وهو طائر طويل الساقين ، وعن الأب أنستاس ماري أورد الأستاذ عبد السلام هارون وصفه لهذه اللفظة بأنه طائر طويل الساقين وبالفرنسية Echassier ويقول الأستاذ عبد السلام إن الجاحظ عد الشاهمرك من الحيوان الذي يأكل الحيات^(٥) . وتدخل في مجال الألفاظ الخاصة بالحيوان .

هَزَارْدَسْتَان : ذكرها الجاحظ قال : « وقد تهيأ للهازردستان - وهو العندليب - ألوان آخر^(٦) » فسرهما القاموس هزاردستان : طائر فارسيته

(١) معجم استاينجس ص ٦١٥ .

(٢) الحيوان ج٧ ص ١٢١ .

(٣) معجم استاينجس ص ٧١٨ .

(٤) الحيوان ج٤ ص ٣٠١ .

(٥) الحيوان ج٣ ص ٣٣٦ .

(٦) الحيوان ج٥ ص ٢٨٩ .

«هزاردستان»^(١) وشفاء الغليل يفسر هذه اللفظة هزار : طائر مشهور فارسيته هزاردستان^(٢) . ويقول صاحب الألفاظ الفارسية : العندليب فارسيته هزاردستان وله أيضا أسماء أخرى بالفارسية منها هزار آوا وهزار آواز^(٣) .

جاموس : حيوان ذكره الجاحظ بلفظ الكاوماش والجاموس والجواميس . قال « والجواميس هي ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية كاوماش »^(٤) فالجاموس فسرہ القاموس : معرب كاوميش والجمع الجواميس وهي جاموسة . وجموس الودك : جموده أو أكثر ما يستعمل في الماء جمد ، وفي السمن وغيره جمس . والجاميس من النبات : ما ذهب غضوضته^(٥) . وفي المعرب جاموس : أعجمي وقد تكلمت به العرب قال الراجز : والأقهبين الفيل والجاموسا^(٦) . والجاموس عند الخفاجي معرب معروف « كاوميش »^(٧) وآدى شير الجاموس : معرب كاوميش ومنه الأرامي والأرمني والكردى^(٨) وفي حاشية الحيوان قال الأستاذ عبد السلام هارون كاوميشن بالجاف الفارسية «كاو» بمعنى البقر . وميش بكسر الميم كسر إمالة . ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالالف ومعنى ميش الضأن^(٩) .

(١) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٥٠٧ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٧٠ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ١٥٧ .

(٤) الحيوان ج٥ ص ٤٥٩ .

(٥) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ٥٢٧ .

(٦) المعرب - الجواليقى ص ١٠٤ .

(٧) شفاء الغليل الخفاجى ص ٩٣ .

(٨) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٤٤ .

(٩) حاشية الحيوان ج٥ ص ٤٥٩ الامتاز عبد السلام .

كَرْكَدَنْ : من الألفاظ التي ذكرها الجاحظ في حيوانه : « فأما الهند ففتنتهم بالكركدن أشد من فتنتهم بالفيل »^(١) وقد فسرت هذه اللفظة في المعاجم المختلفة مثل القاموس الكركدن : دابة تحمل الفيل على قرننها والعامية تشدد النون^(٢) . وقال آدي شير الكركدن فارسيته « كركدن » ومنه الأرامي ويقربه الروسي^(٣) .

أَشْتَرَكَا وَبَلْنَك : ذكرها الجاحظ في الحيوان قال : « زعموا أن الزرافة خلق مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية وبين الذئب وهو ذكر الضباع وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها بالفارسية « اشتركا وبلنك » وتأويل اشتر بعير وتأويل كاوبقرة وتأويل بلنك الضبع^(٤) . وقد فسر آدي شير هذه اللفظة بأنها مركبة من ثلاثة أسماء : اشتر أى جمل وكا : أى ثور وبلنك أى نمر ومعناها الزرافة وهى حيوان قصير الرجلين طويل اليدين رأسه كرأس البعير ، وقرنه كقرن البقرة وجلده كجلد النمر وعنقه كعنق الفرس تعريب زرنابه^(٥) .

بَرَسْتُوج : قال الجاحظ في حيوانه : « قواطع السمك ، كالأسبور والجواف والبرستوج »^(٦) وهذه اللفظة لم أجد لها ذكراً في المعاجم القديمة ووجدت شرحها في المساعد للأب أنستاس قال نقلا عن القزويني في كلامه عن سمك البحر العربى : ومنها البرستوج قال البحريون : إن البرستوج يقبل من بلاد الزنج ، يستعذب ماء دجلة البصرة ، وهناك لغة في البرستوج وهى

(١) الحيوان ج ٧ ص ١١١ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى ج ٤ ص ٤١ .

(٣) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ١٣٤ .

(٤) الحيوان ج ١ ص ١٤٣ .

(٥) الألفاظ الفارسية آدي شير ص ٧٨ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٢٥٩ .

الطرسوج ولها تصحيف الترستوج وهو البرشتوك أيضا ، واستاينجس يذكر لفظة البرستوج بأنها فارسية معربة وتدعى بالبرستوك Aswallaw^(١) .

كوسج : من الألفاظ الإيرانية التي تدخل مجال حياة الحيوان قال الجاحظ فى كلامه عن الأسماك : « فأما الرق والكوسج فهو من أعجب طعام البحرين »^(٢) وهذه اللفظة جاءت فى القاموس : سمك خرطوم كالمنشار . والناقص الأسنان . والبطي من البراذين^(٣) . وفى المعرب الكوسج فارسى معرب . قال بعضهم كوسق . وكان الأصمعى يقول : الكوسج : الناقص الأسنان . قال أبو بكر : الأسنان والأضراس اثنان وثلاثون فإذا نقصت فهو كوسج . قال الأصمعى : ومن الفارسي المعرب الكوسج والجورب ، والجوسق وكذلك الكوسج : اسم سمكة من سمك البحر . فارسى معرب واسمه بالعربية اللحم^(٤) . قال ابن السكيت : وتقول الكوسج للكوسج ولا تقل الكوسج^(٥) . وكوسج فى شفاء الغليل : معرب كوسه بمعنى ناقص الشعر وقيل ناقص الأسنان والأول هو المعروف واشتقوا منه فعلا فقالوا من طالت لحيته تكوسج عقله ويقال كوسق وهو اسم سمكة وهو معرب أيضا ، ولقد أجاد الباخري فى قوله : بليت بكوسج فى عارضيه^(٦) . وآدى شير يقول الكوسج : الإثبط والناقص الأسنان قال الأزهري : لا أصل له فى العربية . وقال بعضهم معرب وأصله كوسق أو كوسه . وقيل هو عربى من كسج الرجل أى لم يثبت له لحية . قلت إن كسج مشتق من الكوسج والكوسج معرب عن

(١) المساعد ج٢ ص ١٩٤ .

(٢) الحيوان ج٤ ص ٤٥ .

(٣) ق . م الفيروز آبادى ج٤ ص ٩٩ .

(٤) المعرب الجوالقى ص ٢٨٣ .

(٥) إصلاح المنطق لابن السكيت ١٦٥ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٢٤ .

كوسه وهو الأثظ والذي أسنانه ثمانية وعشرون ومنه كوسه بالتركية والسريانية الدارجة والكردية^(١) .

سلحفاة : قال الجاحظ : « وزعم أن السلحفاة والرق والضفدع ، مما لا بد له من التنفس ولا بد لها من مفارقة الماء »^(٢) في القاموس السلحفية كبلهنية . والسلحفاة .

سلحفاء ، ويقصر والسلحفا مقصورة ساكنة اللام ، مفتوحة الحاء ، والسلحفاة بكسر السين وفتح اللام . دابة . ينفع دمها ومرارتها المصروع والتلطيخ بدمها : المفاصل^(٣) . وفي المعرب السلحفاة : فارسية معربة وأصلها سولاح باي ، وذلك أن لرجلها ثقبه من جسدها تدخل فيها .^(٤) وفي شفاء الغليل السلحفاة : معرب سولاح باي^(٥) وأدى شير يقول السلحفاة : دابة برية ونهرية وبحرية لها أربع قوائم تختفى بين طبقتين صقيلتين^(٦) .

سمندل : من الحيوانات التي ورد ذكرها في كتابات الجاحظ قال : « وكأنك لا ترى أن في فارة البيش وفي السمندل آية غريبة وصفة عجيبة »^(٧) في القاموس لفظة سمندل : طائر بالهند لا يحترق بالنار .^(٨) وسمندل في المعرب لم يذكره المؤلف وورد ذكره في الحاشية قال : السمندل بالسلام وفي آخره الراء سمندر ولكن الظاهر من صنيع صاحب القاموس وقال الدميري في حياة الحيوان السمندر : بالراء دابة معروفة عند أهل الهند

(١) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ١٤٠ .

(٢) الحيوان ج٤ ص ١٤٤ .

(٣) ق . م الفيروز آبادي ج٢ ص ٥٩٢ .

(٤) المعرب الجواليقي ص ١٩٩ ، وحياة الحيوان للدميري ٥٠٦/١ .

(٥) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٤٨ .

(٦) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٩٢ .

(٧) الحيوان ج٢ ص ١١١ .

(٨) ق . م الفيروز آبادي ج٢ ص ٦٢١ .

والصين^(١) . والسمندل والسمندر والسميدر . ذكرها آدى شير لسغات فى لفظة السمندل وقال : إنها دابة معروفة عند أهل الصين والهند وسمهاها الجوهري السندل بغير الميم وابن خلكان السمند بغير اللام . فقال البعض إنه طائر بالهند يأكل اليش ويستلذ بالنار ولا يحترق بها . وقال القزوينى السمندل نوع من الفار يدخل النار والمعروف أنه طائر فارسيته سمندر . وفيه لغات بالفارسية سمندل وسمندور وسمندروك وقال فى البرهان القاطع : سمندر على وزن قلندر دابة قدر الفارة تتكون فى النار وحين خروجها منها تهلك^(٢) .

زَنْدِيل : قال الجاحظ : « فيكون طبع ذلك وإن قل يفسخ الفيل والزنديل »^(٣) والقاموس يشرح لفظة الزنديل : الفيل العظيم معرب^(٤) . وفى المعرب الزنديل : قال أبو العلاء : والزنديل أيضا : أنثى الفيلة . قال : أعظمها شأنا ، وهو فارسى معرب^(٥) والزنديل والزندفيل قال عنه آدى شير : هو الفيل العظيم مركب من زنده أى ضخم ومن بيل أى فيل^(٦) .

بَيْر : وهذه اللفظة وردت عند الجاحظ بقوله : « كبار السباع وأشرافها ورؤساؤها وذوو النباهة منها كالأسد والنمر والبير وأشباه ذلك »^(٧) وتفسير هذه اللفظة عند الجوالقى البير بباءين . وهو جنس من السباع . وأحسبه دخيلا وليس من كلام العرب . والفرس يسمونه « بقر »^(٨) والقاموس فسرهما بكلمة واحدة بأنها معرب^(٩) والخفاجى يفسر البير بجنس من السباع دخيل من كلام

(١) المعرب - الحاشية ص ١٩٦ ش ١ / حياة الحيوان للدميرى ج١ ص ٥٧٤ .

(٢) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٩٤ .

(٣) الحيوان ج٢ ص ١٣٧ .

(٤) ق . م الفيروز ابادى ج٢ ص ٤٨١ .

(٥) المعرب الجوالقى ص ١٧٦ ، وحياة الحيوان ١ / ٤٥٠ .

(٦) الألفاظ الفارسية آدى شير ص ٨٠ .

(٧) الحيوان ج٢ ص ١١ .

(٨) المعرب الجوالقى ص ٦٢ ، ٢٣٨ ، حياة الحيوان ١ / ١٥٦ .

(٩) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ٢٠٩ .

العرب وقيل هو الفرائق^(١) . أما أدى شير يقول عن البير : الأسد الهندي^(٢) .

أَرِيَّان : فقد ذكرها الجاحظ بقوله : « ناس يزعمون أن الحية مسخ ، والضب مسخ ، والكلب مسخ ، والأرييان مسخ »^(٣) وقد فسرت المعاجم لفظة الأرييان بالقاموس يذكر الأرييان بالكسر سمك وبقلة^(٤) . والأرييان عند أدى شير كما قال : فسر بسمك أبيض كالودود لعله مثل الفارسي أرييان وهو جراد البحر قيل عنه إن رأسه مربع صدفى الجسم إلى النصف وفى كلا طرفيه عشر أرجل شبيه بأرجل العنكبوت وفى رأسه قرنان وقرنان آخران تحت عينيه^(٥) .

الفَنَك : تطلق على اسم حيوان ذكره الجاحظ بقوله : « وليس الصوف إلا للضأن وذوات الوبر كالإبل والثعالب والخرز والأرنب ، وكلاب الماء والسمور والفنك^(٦) ، والقاموس يفسر الفنك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء ، وأشرفها ، وأعد لها^(٧) ، أما أدى شير يقول الفنك : الساعة من الليل أو القطعة منه تعريب بنك والفتح لغة منه ، والفنك فارسي محض وهو حيوان فروته أحسن الفراء وأعد لها^(٨) .

سِرْجِين : من مخلفات الحيوان قال الجاحظ : « وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين »^(٩) ولفظة السرجين والسرقيين فى القاموس بمعنى الزبل

(١) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦٢ .

(٢) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ١٦ .

(٣) الحيوان ج٦ ص ٧٩ .

(٤) ق . م الفيروز آبادى ج١ ص ١٢٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٧١ .

(٦) الحيوان ج٥ ص ٤٨٤ .

(٧) ق . م الفيروز آبادى ج٣ ص ٥٢٨ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٢٢ .

(٩) صناعات القواد ص ٣٨١ .

معرب سركين بالفتح^(١) . وفى المعرب يقول أبو منصور : والسرقين : معرب أصله سرجين . قال الأصمعى : لا أدري كيف أقوله^(٢) . والخفاجى يقول : سرجين بالكسر معرب ويقال سرقين ولا يصح الفتح لأنه ليس فى كلامهم فعلين^(٣) وأدى شير يقول السرجين والسرقين تعريب سركين وهو الزبل^(٤) . وفى حاشية المعرب فسر المحقق السرجين بالزبل وهو تعريب سركين بالكاف الفارسية التى تنطق كالجيم غير المعطشة^(٥) .

سَنَخ : من المخلفات والقاذورات ونصف بها الحيوان والإنسان على السواء ، قال الجاحظ : ومع ذلك إن سنخ الكتابة بنى على أن لا يتقلدها إلا تابع ولا يتولاها إلا من هو فى معنى الخادم^(٦) . والسنخ وردت فى القاموس السنخ بالكسر : الأصل ومن السن : متببه ومن الحمى : سورتها . والسنخ محركة البعير وسنخ الدهن كفرح - رنخ ومن الطعام : أكثر والسناخة : الريح المنتنة كالسنخة . والوسنخ وآثار الدباغ^(٧) . والسنخ عند أدى شير الوسنخ ، والسناخة الريح المنتنة والوسنخ^(٨) . وفى معجم استاينجس سنخ بمعنى الوسنخ The Root of any thing وهى من الألفاظ الفارسية الأصل^(٩) .

(١) ق . م الفيروز آبادى جـ ٢ ص ٥٤٥ .

(٢) المعرب الجوالقى ص ١٨٦ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٨٦ .

(٤) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٨٩ .

(٥) المعرب - الحاشية ص ١٨٦ .

(٦) ذم أخلاق الكتاب ١٩٠ .

(٧) ق . م الفيروز آبادى جـ ٢ ص ٦٢٦ .

(٨) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٩٥ .

(٩) معجم استاينجس ص ٧٠٠ .

العلوم الطبيعية :

دخلت الألفاظ الإيرانية مجال العلوم الطبيعية وغطت كافة المجالات العقاقير والمواد الطبية والنباتات والحيوانات . وهذه المجالات المتنوعة نجدها في طيات كتابات الجاحظ ، فلو تصفحنا تلك الكتابات نرى أن الألفاظ الإيرانية الأصل تحتل حيزا كبيرا يشمل جميع مجالات الحياة .

ففي مجال الطب والعلاج والعقاقير نجد الكثير من الألفاظ الإيرانية .

جواهر : ذكره الجاحظ بقوله : الفلز : جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس والآل^(١) «^(١) وقد فسرت المعاجم لفظة الجواهر بأنه كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ومن الشيء ما وضعت عليه جبلته . والجريء المقدم^(٢) وهذا ما جاء في القاموس ، أما العرب فقد وصف الجواهر وذكر أصله بأنه جاء عن الفارسية وهو لفظ معرب ، وجواهر الشيء : أصله وكذلك الذي يخرج من البحر وما يجري مجراه في النفاسة مثل الياقوت والزبرجد . قال المعري : ولو حمل على أنه من كلام العرب لكان الاشتقاق دالا عليه فإنهم يقولون : فلان جهير أى حسن الوجه والظاهر فيكون الجواهر من الجهارة التي يراد بها الحسن . وقد تكلمت به العرب قال أبو دهب الجمحي : لؤلؤة الغواص ميزت من جواهر^(٣) ويقول أدى شير الجواهر الأصل وكل حجر كريم تعريب « كوهر » والجوفر لغة فيه^(٤) .

زرنيج : وردت عند الجاحظ مع معادن أخرى في نص واحد قال الجاحظ : « وكذلك الزاج والمغرة والزرنيج والمرتك والكبريت والقار والتوتياء

(١) البيان والتبيين ج١ ص ٣١ .

(٢) ق . م الفيروز ابادي ج١ ص ٥٦٢ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٩٨ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شير ص ٤٦ .

والنوشادر والمرقشياء والمغنطيس . ومن يحصى عدد أجزاء الأرض وأصناف الفلز^(١) . وقد فسر القاموس الزرنينج بأنه حجر أبيض وأحمر أو أصفر^(٢) . وفي شفاء الغليل : الزرنينج معروف فارسي^(٣) ويفسر الزرنينج صاحب الألفاظ الفارسية المعربة بحجر له ألوان كثيرة إذا جمع مع الكلس حلق الشعر تعريب زرنى^(٤) .

آنك : التى وردت فى النص مناقب الترك ص ٢٣ فسرهما أدى شير بأنها فارسية معربة والآنك هو الأسرب فارسيتها آنك وهو بالسريانية والعبرانية القصدير^(٥) . وفى أبنية الصرف الآنك بالمد وضم النون وليس أفعل غيرها ، الرصاص أو أبيضه أو أسوده أو خالصه^(٦) .

نوشادر : فى النص مناقب الترك ص ٢٣ فسر أدى شير اللفظة فقال : النوشادر : مادة صلبة ذات طعم حامض حاد وتعرف بكبريت الدخان وملح النار تعريب نوشادر وقد قال فى البرهان القاطع : النشادر ضربان معدنى ومصنوع . وهو أيضا نشادر بالتركية والكردية^(٧) .

المعادن التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته :

مغنطيس :^(٨) ولفظة المغنطيس فسرهما استاينجس فى معجمه بأنها حجر الحديد وهى من الألفاظ الفارسية المعربة^(٩) .

(١) مناقب الترك ص ٣٣ .

(٢) ق . م الفيروز آبادى ج ٢ ص ٤٤٩ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٤٠ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧٩ .

(٥) مناقب الترك ص ٢٣ وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٢ .

(٦) أبنية الصرف د . خديجة الخديشى ص ٤٤٤ .

(٧) الألفاظ الفارسية أدنى شير ص ١٥٣ .

(٨) الحيوان ج ٤ ص ١١٢ .

(٩) معجم استاينجس ص ١٢٨٢ .

توتياء : يقول الجواليقي في معربه التوتياء حجر يكتحل به وهى معربة ونقل عن القاموس المحيط بأنها حجر^(١) . والخفاجى يصف لفظ التوتياء كحل معرب وهو ممدود^(٢) . وفى معجم استاينجس التوتياء من الألفاظ الفارسية المعربة Tutty^(٣) .

مرقشياء : التى ذكرها الجاحظ فى النص الحيوان ج٤ ص ١١٢ فسرهما استاينجس بأنها نوع من الحجر وهى فارسية معربة^(٤) وفى غرائب اللغة وردت ضمن الألفاظ الفارسية المعربة^(٥) .

الزنجفور : من المعادن ذكرها الجاحظ فقال : وصفة الزجاج والفسيفساء والأسرنج والزنجفور واللازورد^(٦) . فسرت فى معجم استاينجس على أنها الرصاص الأحمر وهى لفظة فارسية معربة^(٧) .

أشرنج : الحيوان ج١ ص ٨١ وصفها الأب أنستاس بأنها الاسفيداج من مادة سفدج وأنه السيلقون عند الغير أو الزرقون كما قال ابن البيطار^(٨) . وفى معجم استاينجس الأشرنج هو الرصاص الأحمر وهو فارسى معرب^(٩) .

أزورد : التى وردت فى النص الحيوان ج١ ص ٨١ فسرهما أدى شير بأنها

(١) المعرب الجواليقي ص ٨٨ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٨٢ .

(٣) معجم استاينجس ص ٣٣ .

(٤) معجم استاينجس ص ١٢١٨ .

(٥) غرائب اللغة العربية ميخائيل نخلة ص ٢٠٥ .

(٦) الحيوان ج١ ص ٨١ .

(٧) معجم استاينجس ص ٦٢٤ .

(٨) المساعد الاب أنستاس ج١ ص ٢١٠ .

(٩) معجم استاينجس ص ٥٧ .

معدن مشهور تعريب لازورد^(١) . وفي معجم استاينجس اللازورد حجر ذو لون أزرق ولفظه لازول Lajulli^(٢) .

زجاج : وصفها الجاحظ بأنها لفظ مولد قال الجاحظ : قال العجب أن الزجاج وهو - مولد - وقد يجرى مع الذهب في كثير من مفاخر الذهب^(٣) .
والزجاج وصفه صاحب اللسان بعدة معان ولغات قال : الزجاج ، والزجاج والزجاج : القوارير والواحدة من ذلك زجاجة ، بالهاء ، وأقلها الكسر . قال الليث : والزجاجة في قوله تعالى ﴿المصباح في زجاجة﴾ : القنديل . وأجماد الزجاج : بالمصمان ، ذكره ذو الرمة^(٤) . ويؤكد معجم استاينجس أن الزجاج لفظ فارسي معرب^(٥) .

زئبق : وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ في وصفة علاجية قال : « وما يعالج به القمل أن يطلى أصول ريشه بالزئبق المحلل بدهن البنفسج »^(٦) .
ولفظه الزئبق فسرهما القاموس كدرهم وزبرج معرب . ومنه ما يستقى من معدنه ومنه ما يستخرج من حجارة معدنية بالنار . ودخانه يهرب الحيات والعقارب من البيت ، وما أقام منها قتله^(٧) . وفي المعرب الزئبق معروف وهو معرب ويقال له أيضا الزاودق ودرهم مزابق ولا تقل مزبق^(٨) . وأدى شير قال الزئبق سيال معدنى معروف معرب زيوه^(٩) .

(١) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٤١ .

(٢) معجم استاينجس ص ١١١١ .

(٣) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٥ .

(٤) اللسان ص ١٢ .

(٥) معجم استاينجس ص ٦١١ .

(٦) الحيوان ج ٣ ص ٢٧٤ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٨) المعرب الجواليقي ص ١٧٠ .

(٩) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٧٦ .

مِينَا : ذكرها الجاحظ في حيوانه وهي من الألفاظ الإيرانية الواردة على العربية قال الجاحظ : « المينا له أصل قائم وقد عمله الناس »^(١) والميناء بالكسر قال عنها القاموس جوهر الزجاج^(٢) . والمينا في شفاء الغليل مرسى السفن مشتق من الوناء وهو الفتور لسكونها فيه^(٣) . وأدى شير يقول الميناء بمعنى جواهر الزجاج تعريب الفارسي مينا^(٤) .

مَرْدَارَسَنج : من المعادن ذكره الجاحظ قال : للمردارسنج في العالم أصل قائم . والرصاص يدبر فيستحيل مردارسنجا^(٥) . والقاموس يقول عن المردارسنج معرب مردارسنك^(٦) . لم يذكر هذه اللفظة سوى أدى شير إذ يقول المرداسنج والمرداسنك : الآنك المحرق تعريب مرداسنك ومعناها الحسبر المحرق^(٧) .

جَوَارَشَن : مادة طبية ذكرها الجاحظ قائلا : « إنك لست تدري أنهم الكواكل جوارشن كان عندي^(٨) . وهذه اللفظة فسرهما طه الحاجري : قال تجيء هذه الكلمة بالنون كما هنا وخالية منها كما ذكرها أدى شير في كتابه ، وقال إنها عند الأطباء نوع من الأدوية تعريب كوارش ومعناه الهضام . وهذا الذي ذكره أدى شير يوافق ما ذكره التهانوي في كشف اصطلاحات الفنون كما يسائر سياق الحديث في هذا الموضع من البخلاء ، ولكن هذه الكلمة تعرضت

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٠ .

(٢) ق . م الفيروز ابادي ج ٤ ص ٣٠٥ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ٢٤٤ .

(٤) الألفاظ الفارسية ادی شیر ص ١٤٩ .

(٥) الحيوان ج ٥ ص ٣٥٠ .

(٦) ق . م الفيروز ابادي ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٧) الألفاظ الفارسية ادی شیر ص ١٤٤ .

(٨) البخلاء ص ٣٥ .

فيما بعد لنوع من التوسع اللغوي^(١) . أما أدى شير يقول الجوارش : نوع من الحلويات يصنع من السكر . وعند الأطباء نوع من الأدوية تعريب كوارش وأصل معناه الهضام^(٢) .

الأدوية التي وردت عند الجاحظ إيرانية الأصل .

قَرْمَز : من الأدوية التي وردت عند الجاحظ بقوله : « وإذا وصفوا حمرة القرمز وحمرة الذهب قالوا : ما هو إلا نار »^(٣) والقاموس يفسر القرمز بالكسر : صبغ أرمني يكون من عصارة دود يكون في آجامهم . وقيل هو أحمر كالعدس محبب يقع على نوع من البلوط في شهر آذار ، فإن غفل عنه ولم يجمع صار طائراً ، وطار ، وهذا الحب منه يسمى القرمز من خاصيته صبغ ما كان حيوانيا كالصوف والقزدون القطن^(٤) . وفي المعرب والقرمز . أعجمي معرب . وقد تكلموا به قديما^(٥) . وفي شفاء الغليل القرمز صبغ معروف قيل إنه معرب^(٦) . أما أدى شير فيقول : القرمز صبغ أرمني يكون من عصارة دود يكون في آجامهم قيل هو أحمر كالعدس محبب يقع على نوع من البلوط في شهر آذار فإن غفل عنه ولم يجمع صار طائراً فارسيته قرمز^(٧) .

بَرَسَام : مرض ذكر الجاحظ فائدة نسوع من الأدوية في علاجه قال : «وهي تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم»^(٨) والقاموس أورد

(١) البغلاء ص ٢٩٩ طه الحاجري .

(٢) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٤٠ .

(٣) الحيوان ج ٥ ص ٩٤ .

(٤) ق . م الفيروز آبادي ج ٣ ص ٦٠٥ .

(٥) المعرب للجواليقي ص ٢٦٩ .

(٦) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢١١ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٢٥ .

(٨) البيان والتبيين ج ٣ ص ٦٨ .

لفظة مبرسم واشتقاقاتها البرسام علة يهذى فيها وبرسم بالضم فهو مبرسم^(١) . والمعرب يفسر البرسام معرب وهو هذه العلة المعروفة « فبر » هو الصدر وسام من أسماء الموت . وقيل بر معناه الابن . والأول أصح . لأن العلة إذا كانت فى الرأس يقال لها سرسام . وسر هو الرأس . وقيل تقديره : ابن موت .^(٢) وفى شفاء الغليل البرسام اسم مرض معرب وبر الصدر وسام الموت فهو كبرسام^(٣) . وأدى شير يصف البرسام التهاب يعرض للحجاب الذى بين الكبد والقلب . فارسيته تبرسام ، وهو مركب من بر وهو الصدر ومن سام أى الالتهاب . والجرسام والبلسام لغتان فيه . وقالوا فيه برسم وبرسم ويلسم^(٤) .

أيارجات : تدخل فى مجال الشئون الطبية وقد ذكرها الجاحظ قائلاً : « والأشربة والأنجات والأيارجات »^(٥) والأيارجات فى القاموس مفردة أيارجة معجون مسهل معروف جمعه أيارج معرب أياره . وتفسيره الدواء الإلهي^(٦) .

موم : من المواد الطبية ووردت عند الجاحظ بقوله : « والأعصار الذى يخرج من شق البحر وكصوت الموم »^(٧) وكلمة موم لها عدة أصول فمنهم من يقول إنها عربية الأصل كما فى الجمهرة يقول ابن دريد : والموم الشمع عربى معروف والبرسام عند العرب فقد يدل هذا على أن الكلمة عربية^(٨) . وفى القاموس موم بالضم الشمع ، وأداة للحائك يضع فيها الغزل وينسج به .

(١) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ٢٤٩ .

(٢) المعرب الجوالقى ص ٣١٢ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦١ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٩ .

(٥) الحيوان ج١ ص ٨١ .

(٦) غرائب اللغة نخلة اليسوعى ص ٢١٧ .

(٧) الحيوان ج٥ ص ١٠١ .

(٨) الجمهرة ابن دريد ج٣ ص ١٩٨ .

وأداة للإسكاف . والبرسام وأشد الجدرى^(١) . والمعرب عرف لفظة موم باقتضاب شديد فذكر الموم : البرسام^(٢) . ولكن الخفاجى يشرح هذه اللفظة ويجد أصلا لها يقول : الموم بمعنى الشمع فارسى تكلموا به ونبه عليه فى شرح الفصيح نقلا عن أئمة اللغة وكلام القاموس يوهم خلافة وهو وهم^(٣) . وأدى شير يقول الموم : بمعنى الشمع فارسى تكلموا به^(٤) .

بِنَفْسِج من الأدوية وكان يستعمل دهنه فى الطب كما ذكر الجاحظ : « وما يعالج به الخنان أن يلين لسانه يوما أو يومين بدهن البنفسج »^(٥) والقاموس يشرح لفظة البنفسج ويبين فوائده : البنفسج : شمه رطبا ينفع المحرورين ، وإدامة شمه ينوم نوما صالحا ومرباه ينفع من ذات الجنب ، وذات الرئة ، نافع للسعال والصداع^(٦) . والمعرب يذكر كلمة البنفسج بأنها معربة وقد تردد فى الشعر القديم بقلة^(٧) . وفى شفاء الغليل البنفسج معرب بنفشه تكلمت به العرب وورد فى الشعر القديم^(٨) . وصاحب الألفاظ الفارسية قال : عن البنفسج تعريب بنفشه نبات من نجوم الأرض طيب الرائحة ومنه بنفشه بالتركية وبنفش بالكردية^(٩) .

تَرْيَاق : من الأدوية ذكره الجاحظ فقال : باعنى سحواء ثلاثين أفعى

(١) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٢٢٩ .

(٢) المعرب الجوالقى ص ٣١٢ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٣٥ .

(٤) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ١٤٨ .

(٥) الحيوان ج٣ ص ٢٧٣ .

(٦) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ٣٢٧ .

(٧) المعرب الجوالقى ص ١٠٥ .

(٨) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦٧ .

(٩) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٢٨ .

بدينارين وأهدى إلى خمساً اصطادها من قبالة القلب ، في تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال وأردتها للترياق^(١) .

والترياق بالكسر وصفه صاحب التماموس بدواء مركب اخترعه ماغنيس ، وثممه أندروماخر القديم بزيادة لجوم الأفاعى فيه ، وبها كمل الغرض . وهو مسميه بهذا لأنه نافع من لدغ الهوام السبعية . وهى باليونانية ترياء نافع من الأدوية المشروبة السمية^(٢) .

والترياق في المعرب رومي الأصل وفيه لغات : الدرياق والترياق وهو معرب^(٣) وفى شفاء الغليل ترياق : معروف معرب وفيه لغات^(٤) ونقل عن اللسان أن الترياق فارسي معرب قال حكى ابن خالويه أنه يقال طرياق لأن الطاء والدال والتاء من مخرج واحد ، ودرياق بفتح الدال وكلها معناها واحد : دواء السموم^(٥) .

مرهم : يدخل فى مجال الأدوية والتطبيب وقد وردت هذه اللفظة فى حديث الجاحظ عن أحدهم قال : لا يحتاج إلى طيب ولا إلى مرهم ولا إلى علاج^(٦) والمرهم فى اللسان من مادة رهم وقد فسره ابن منظور بأنه طلاء يطلى به الجرح ، وهو آلين ما يكون من الدواء مشتق من الرهمة للينة وقيل هو معرب^(٧) .

بیمارستان : مكان العلاج وجاء ذكره عند الجاحظ فى أماكن عديدة منها

(١) الحيوان ج٤ ص ١١٤ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ٣٦٨ .

(٣) المعرب ص ١٤٢ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٨٣ .

(٥) حاشية المعرب ص ١٤٢ .

(٦) الحيوان ج٢ ص ١٧٥ .

(٧) اللسان ج٣ ص ٢٤٣ .

فى صناعات القواد : لقيناهم فى مقدار صحن البيمارستان^(١) وهذا البيمارستان ذكره القاموس - بفتح الراء - : دار المرضى معرب^(٢) . وقال الجوالىقى المارستان بفتح الراء فارسى . ولم يجرىء فى الكلام القديم .^(٣) وقال الخفاجى بيمارستان : لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لأن بيمار معناها المريض وستان هو الموضع وأول من صنعه بقراط وسماه أخشندوكين^(٤) أما أدى شير فيقول : المارستان دار المرضى تصحيف بيمارستان وهو مركب من بيمار أى مريض ، ومن ستان أى محل المريض . ويقال له بالتركية خسته خانه^(٥) .

ألفاظ خاصة بأدوات الكتابة والورق :

هناك ألفاظ تدخل فى مجال الثقافة وما يتبعها من علوم أو فنون أو أدوات كتابية تحتاج لها النهضة الثقافية فى العصر العباسى المزدهر بعلومه وعلمائه .

مَهَارِق : من الأدوات الكتابية ذكرها الجاحظ فى كتابه فقال : «والمهارق ، ليس يراد بها الصحف والكتب ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق وأمان^(٦) » وقد تناولت المعاجم لفظة مهارق بالشرح والتفسير ، وفى القاموس مهراق ومهراق : صبه . وأصله . أراقه يريقه إراقة . ومهراق بتسكين هائهما فلا يمكن أن ينطق بهما ، لأن الهاء والفاء جميعا ساكنا والمهراق كمكرم : الصحيفة معرب وجمعه مهارق والهراق

(١) صناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٢) ق . م النور ابادى .

(٣) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ١٤٧ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٧٩ .

(٥) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شير ص ١٤٥ .

(٦) الحيوان ج١ ص ٧٠ .

بالكسر : الثوب الخلق^(١) . وفي المعرب المهارق : القراطيس . وأصلها فارسي معرب . وقالوا : هي خرق كانت تصقل ويكتب فيها . وأصلها مهر كردة أى : صقلت بالخرز . وقال الأزهري : المهارق : الصحائف الواحد مهرق ، وقد تكلمت به العرب قديما وهو معرب^(٢) . وفي شفاء الغليل مهرق : صحيفة معرب (مهره) جمعه مهارق تكلموا به قديما وقد يخص بكتاب الفهد كما فى شرح الحماسة^(٣) وأدى شير يقول : المهرق بمعنى الصحيفة تعريب مهرة^(٤) .

طومار : ذكرها الجاحظ فى رسائله قال : ثم جعلت الكتاب فى سدس طومار ليكون المغرور أوثق بها^(٥) قال صاحب القاموس الطامور ، والطامور : الصحيفة والجمع طوامير : وكسكر وسنور : الأصل . والتطهير : الطى . وإرخاء الستر^(٦) . وفى المعرب طومار : معروف وهو معرب زعموا هكذا فسر لفظة الطومار أبو منصور تبعا لابن دريد^(٧) . وفى اللسان الطومار : واحد المطامير وعن ابن سيده كما جاء فى اللسان الطامور والطومار الصحيفة ، قيل : هو دخيل قال وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسقاط ، وإن كانت الواو بعد الضمة ، فإنما كان ذلك لأن موضع المد إنما هو قبيل الطرق مجاورا له كآلف عماد وياء عميد وواو عمود ، فأما واو طومار فليست للمد لأنها لم تجاوز الطرف . فلما تقدمت الواو فيه ولم تجاور طرفه قال : إنه ملحق ، قال : بنيت على هذا من سألت مثل

(١) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٥٠٢ .

(٢) المعرب : الجوالقى ص ٣٠٣ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٣٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٤٨ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٢ .

(٦) ق . م الفيروز ابادى ج٣ ص ٩٦ .

(٧) المعرب الجوالقى ص ٢٢٥ .

طومار وندياس لقلت سوال وسيال^(١) . وفي شفاء الغليل الطومار معروف معرب^(٢) . أما في معجم استاينجس فقد جاءت لفظة طومار بمعنى A Long roll Avelume أي الصحيفة الطويلة وأصل الكلمة فارسي^(٣) .

كَاغْد : قال الجاحظ : وكأنها من ورق أطباق صغار الكاغد المزرة^(٤) . في القاموس لفظة الكاغد : القرطاس ، معرب^(٥) . ويقول صاحب الألفاظ الفارسية إن الكاغد فارسي محض بمعنى القرطاس والكاغد لغة فيه ومنه الكردي كاغز وأما القرطاس فمعرب اليوناني^(٦) ويؤكد استاينجس في معجمه أن الكاغد ورق شو فارسي^(٧) .

بَنَكَامَات : ذكرها الجاحظ في حديثه عن الحياة العلمية قال : وملوكنا وعلمائنا يستعملون بالنهار الأسطرلابات وبالليل البنكامات^(٨) « هذه اللفظة فيها آراء لغوية فمنهم من يلفظها بنكابات، ومنهم من يقول بنكامات كما وردت عند الجاحظ ، وقد شرح هذا القول الخفاجي قال : البنكامات مفردهما بنكام لفظ يوناني ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل وهو معرب عربي أهل التوقيت وأرباب الأوضاع ، ووقع في شعر المحدثين في تشبيه الخصر قال : وخصره شد بينكام ثم قال : وتقلبه العامة فتقول : منكاب وهو غلط^(٩) . فما ذكره

(١) اللسان ج٢ ص ٦١٤ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٥ .

(٣) معجم استاينجس ص ٨٢٢ .

(٤) الحيوان ج٧ ص ٣٢ .

(٥) ف . م الميرور ابادي ج٤ ص ٦٢ .

(٦) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٣٦ .

(٧) معجم استاينجس ص ١٠٠٦ .

(٨) الحيوان ج٢ ص ٢٩٤ .

(٩) شفاء الغليل الخفاجي ص ٧٤ .

الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، ويسلق الأستاذ عبد السلام هارون في استدراكاته على الحيوان إن لفظة بنكام قد وجدها في العملة (جـ ٢ ص ٢٢١) في وصف شعري ومن الوصف فهم أنه آلة مائية لا رملية كما قال الخفاجي^(١) ولفظة بنكاب وردت في معجم استاينجس بمعنى مخالف جدا لللفظة بنكام التي وردت في نص الجاحظ فالبنكاب كما فسرنا استاينجس هو شراب محضر من نبات قصب هندي وهو ثقيل كالخشيش^(٢) وهذا الكلام ليس له علاقة لغوية بمعنى البنكام كما ذكره الخفاجي والأستاذ عبد السلام هارون .

جريب : من الألفاظ التي وردت عند الجاحظ وهي وحدة للمساحة قال عن أحد البخلاء : « وكان يملك خمسمائة جريب »^(٣) ولفظة الجريب قيل إنها كلمة عربية وهي مكيال للمساحة المزروعة ، وقد جاء في القاموس الجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة والجمع أجربة ، وجربان والمزرعة والوادي^(٤) . وفي المعرب : فأما الجريب من الأرض فأحسبه معربا وهذا كلام ابن دريد كما ورد في المعرب^(٥) وفي اللسان نقلا عن الأزهرى : الجريب من الأرض مقدر معلوم الذراع والمساحة ، وهو عشرة أقفزة ، كل قفيز منها عشرة أعشاء ، فالعشير جزء من مائة جزء من الجريب . والجريب : قدر ما يزرع فيه من الأرض . قال ابن دريد لا أحسبه عربيا^(٦) . ويؤكد لنا استاينجس في معجمه بأن الجريب فارسي معرب وأنه يعني مكيال يتسع لمساحة مزروعة من الأرض مقدارها ١٤٤ ياردة^(٧) .

(١) الحيوان جـ ٢ ص ٣٧٩ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٢) معجم استاينجس ص ٢٠٣ .

(٣) البخلاء ص ١٠٣ .

(٤) ق . م الفيروز ابادي جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٥) المعرب الجواليقي ص ١١١ .

(٦) اللسان ص ٤٢٩ .

(٧) معجم استاينجس ص ٣٦١ .

القَمَطَر : لفظة وردت عند الجاحظ بصيغة الجمع قماطر قال فى الحيوان : كثيرا ما يكون فى المكان الترب من الصناديق والقماطر والأسفاط^(١) والقماطر شرحها القاموس كعلايط والقمطر : كسجل : الجمل القوى الضخم . والرجل القصير وبالتشديد شاذ . وذكر الجوهري هذه اللفظة بعد قمطر : وهم^(٢) . وفى اللسان قمطر : الجمل القوى السريع وقيل الجمل الضخم القوى والجمع قماطر^(٣) . وفى شفاء الغليل قمطر : اسم وعاء تكلمت به العرب وفيه لغات^(٤) . ويذكر فى معجم استاينجس أصل الكلمة فارسي ومعناها الجمل القوى أو الرجل القصير^(٥) .

دَوَالِ بَاي : حيوان خرافى . فقد ذكر الجاحظ لفظة الدوال باي فى رسائله فقال : هذا سوى ما قالوا فى الشق والواق واق والدوال باي^(٦) . ولفظة الدوال باي فسرهما الأستاذ عبد السلام هارون فى حاشية الرسائل نقلا عن معجم استاينجس قال : يزعمون أن الدوال باي يطلق على جنس هندی ويزعمون أن له أرجلا دقيقة مرنة شبيهة بالسيور ويزعمون أيضا أنه كسيح يتحين فرصة العثور على المسافرين ويلح عليهم ليحملوه^(٧) . وفى معجم استاينجس تفسير لفظة الدوال باي حرفا بأنه اسم لناس من الهند قيل إن أرجلهم ضعيفة (رقيقة) وممطوطة مثل شرائط من الجلد ، وأصله فارسي محض^(٨) .

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤١٥ .

(٢) (ق . م الفيروز ابادى ج ٣ ص ٦٨٩ .

(٣) اللسان ص ١٦٣ ج ٣ .

(٤) شفاء الغليل للخفاجى ص ٢١١ .

(٥) معجم استاينجس ص ٩٨٨ .

(٦) كتاب البغال ص ٣٧٤ .

(٧) حاشية كتاب البغال ص ٣٧٤ الأستاذ عبد السلام هارون .

(٨) معجم استاينجس ص ٥٣٩ .

مارد : ذكرها الجاحظ متسائلا عن أصلها فقال : ولم وقع عليه إذا اسم شيطان ومارد وعفريت وأشباه ذلك ^(١) وقد فسرت هذه اللفظة في معجم استاينجس بأنه شئ خرافى خارق القوة وهى من الكلمات الفارسية المحضة ^(٢) .

ولفظه مرد ومردة ذكرها الجاحظ فى كتاباته فقال : ومردة الأعراب وفتاك نهريط ^(٣) وقال : « يسموننى مردا وما أنا والمرد ^(٤) » وقد فسرت لفظة مرد فى المعاجم مثل القاموس قال الفيروزابادى : مرد كنصر وكرم . ومرودا ، ومرودة ، ومرادة ، فهو مارد ومريد ، ومتمرد : أقدم وعثا . أو هو أن يبلغ الغاية التى يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف والجمع مردة . ومرداء ، ومردة : قطعه ومزقه أى مزق عرضه ^(٥) . ولم أجد تفسيراً للفظه المرد فى المعرب فقط ذكرها فى الحاشية محقق الكتاب نقلا عن القاموس . وفى معجم استاينجس قال المرد الرجل الشجاع البطل واللفظة فارسية ^(٦) .

بوش : وهى تعنى الجمع من الناس ذكرها الجاحظ على لسان أحد بخلائه قال : وإذا كثر الصبيان وتضاعف البوش نزعتم مسامير الأبواب ^(٧) « وفى معجم استاينجس البوش حشد أو مجموعة كبيرة من الناس وأصلها فارسية ^(٨) .

شَبَّ كُور : وقد ذكرها الجاحظ فى الحيوان مفسرا معناها وأصلها قال :

(١) الحيوان ج ٦ ص ٢٧٢ .

(٢) معجم استاينجس ص ١١٣٩ .

(٣) البخلاء ص ٥٠ .

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٢ .

(٥) ق . م الفيروز ابادى ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٦) معجم استاينجس ص ١٢١١ .

(٧) البخلاء ص ٨٢ .

(٨) معجم استاينجس ص ٢٠٧ .

والذى لا يصير منهم بالليل تسميه الفرس شب كور وتأويله أنه أعمى ليل وليس له فى لغة العرب اسم أكثر من أنه يقال لمن لا يصير بالليل هدبد^(١) . ولم أجد تفسيراً لهذه اللفظة إلا فى معجم استاينجس وفى غرائب اللغة ، وفى استاينجس : شبكور : الذى لا يرى فى الليل وأصلها فارسى^(٢) . كما هو واضح من نص الجاحظ وفى غرائب اللغة شبكور : الذى لا يرى فى الليل وشب : ليل وكور أعمى وهى من الألفاظ الفارسية^(٣) .

ومن ألفاظ صفات الإنسان وخلقه وردت فى كتابات الجاحظ ألفاظ إيرانية الأصل .

روسبيد : من صفات الإنسان وردت فى شعر أحد الشعراء العباسيين وذكرها الجاحظ على أنها لفظة تتداولها العامة من الناس ، قال الشاعر ابن ربيعة بن مفرع : سميه روسبيد است^(٤) . وفى معجم استاينجس شرح مفصل لهذه الكلمة : روسبيد بمعنى الصادق النقى الممتاز العظيم وتكون الكلمة من رو بمعنى وجه وسبيد أبيض وهذا كناية عن الشخص الأمين أى أبيض الوجه وأصلها فارسية محضنة^(٥) .

بانوان : صفة الإنسان ذكرها الجاحظ فى كلام أبى الفاتك فقال : ولا شحاذ ولا كاغانى ولا بانوان^(٦) وفى معجم استاينجس ورد تفسير لهذه اللفظة رغم أننى لم أجدها فى معجم اللسان ولا القاموس وغيرها من المعاجم

(١) الحيوان ج٣ ص ٥٣٥ .

(٢) معجم استاينجس ص ٦٣١ .

(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٣٦ .

(٤) البيان والتبيين ج١ ص ١٤٣ .

(٥) معجم استاينجس ص ٥٩٤ .

(٦) البخلاء ص ٤٦ .

اللغوية ، وتفسير البانون عند استاينجس هو الشخص الذى له صوت ناعم ، وأصل اللفظة فارسية^(١) .

خَشْيَ بَخْر : وقد ذكرها الجاحظ وشرح معناها فقال : الدرهم البغلى مكتوب عليه بالفارسية خش بخر ترجمة هذه الكلمة : كل طيباً ، والدرهم البخى مكتوب عليه : ضرب هذا الدرهم . وهما مختلفان^(٢) . واللفظة خشى بخر شرحها الجاحظ شرحاً وافياً ، وفي الحاشية زاد الأستاذ عبد السلام هارون على شرح الجاحظ فقال : خشى بمعنى اللذيذ الحسن الطيب وهو (الخوشى) وخر هى فى الكتابة الفارسية خور بمعنى كل والباء تزداد أحياناً قبل الأمر فى الفارسية^(٣) .

نَحْرِير : من صفات الإنسان هذه اللفظة وردت عند الجاحظ فى أماكن عديدة من كتاباته ، وقد قال فى الحيوان : « مما لا يعرفه إلا الراوية والنحرير »^(٤) وقال فى الرسائل : وإن كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً^(٥) أما تفسير لفظه النحرير فى المعاجم فى القاموس لم أجد هذه اللفظة وفى اللسان وجدتها بمعنى الحاذق الماهر العاقل المجرب ، وفى المعرب النحرير : ضد البليد وكان الأصمعى يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هى كلمة مولدة^(٦) . وقال صاحب اللسان : النحرير الرجل الطين الفطن المتقن البصر فى كل شىء ، وجمعه النحارير . وفى حديث حذيفة : وكلت الفتنة بثلاثة : بالحاد النحرير وهو الفطن البصير بكل

(١) معجم استاينجس ص ١٥٢ .

(٢) كتاب البغال ص ٢٧٩ .

(٣) كتاب البغال ص ٢٧٩ الحاشية .

(٤) الحيوان ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٥) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٥ .

(٦) المعرب الجوالقى ص ٣٣١ .

شيء^(١) أما فى معجم استاينجس فقد أورد كلمة التحرير ضمن الألفاظ الفارسية المعربة وذكر معناها بالفاهم الفطن Skilful Knowing^(٢) .

الألفاظ اليونانية :

كان للثقافة اليونانية أثر كبير فى المسلمين وخاصة الفلسفة اليونانية والطب ، وكان العرب يقتبسون الألفاظ اليونانية فى كل هذه المجالات ، وقد أصبح العراق فى زمن الخلفاء العباسيين أهم منبع للثقافة اليونانية العلمية ، فنجد الألفاظ اليونانية المعربة فى كل فرع من فروع العلوم الرياضية والطبية والفلسفة ، وأهم الألفاظ اليونانية التى عربت قد وردت عند الجاحظ فى كتاباته وسوف أذكر بعض الألفاظ ومجالاتها .

أسقف : وجائليق ذكرهما الجاحظ فى نص له من رسالته فى الرد على النصارى فقال : « ومديحهم للجائليق والمطران والأسقف والرهبان »^(٣) قال الجواليقى فى تفسير لفظة أسقف : وأسقف النصارى أعجمى معرب . وقالوا « أسقف » بالتخفيف والتشديد . ويجمع أساقفة وأساقف وقد تكلمت به العرب^(٤) . وقال الأب أنستاس : همزته أصلية ، بمعنى ناظر الكنيسة عند النصارى أو من كان فوق الكاهن . وليس بعربى ، والكلمة من اليونانية بمعنى الرقيب والساھر والمحافظ^(٥) .

الجائليق : الذى ورد ذكره عند الجاحظ فى الرد على النصارى ص ٢٠ لم أجده فى المعاجم العربية وفى كتاب غرائب اللغة فسر الجائليق : الأعلى مقاما

(١) اللسان ج٣ ص ٥٩٥ .

(٢) معجم استاينجس ص ١٣٩٠ .

(٣) الرد على النصارى ص ٢٠ .

(٤) المغرب الجواليقى ص ٣٥ .

(٥) المساعد الأب أنستاس ج١ ص ٢٢٢ .

من الأساقفة وهى من الكلمات المقتبسة عن اليونانية^(١) .

نواويس : ذكرها الجاحظ قال : « ولذلك لا يدفنون موتاهم ، ولا يحفرون لهم القبور ويضعونهم فى النواويس وضعا^(٢) . وفى شفاء الغليل النواوس : بمعنى القبر قاله ياقوت ، وقال صاحب المصباح مقبرة النصارى^(٣) . وفى البرهان القاطع ناورس بمعنى مقبرة المجوس وبمعنى بيت النار وهى كلمة يونانية دخلت الفارسية أما العرب فطوعوها فى الجمع لأصول العربية^(٤) ومما تقدم من تفاسير نجد أن الخفاجى يقول بأن النواويس تطلق على مقبرة النصارى ، والجاحظ يشير فى نصحته إلى مقابر المجوس وربما كانت هذه الكلمة تعنى مقابر غير المسلمين عامة .

وفى مجال الألفاظ التى تعنى بالتلف أو بالأشياء المستعملة فى البيت والحياة اليومية ذكر الجاحظ الفسيفساء والابنوس والآتون والقرطاس والمنجنون وهناك ألفاظ كثيرة غيرها وقد ذكر هذه الألفاظ على سبيل المثال لا الحصر قال الجاحظ فى نص له ذاكراً لفة **الفسيفساء** : «وصنعة الزجاج والفسيفساء»^(٥) وهذه اللفظة يونانية الأصل وقد عربت إلى العربية وهى بمعنى حصاة التبليط وقد ذكرها صاحب غرائب اللغة العربية (فى جدول الكلمات المقتبسة عن اليونانية^(٦) .

أبنوس : ذكره الجاحظ فى كلامه فى حديثه عن أنواع العصا قال : « وعصا الأبنوس وعصا أخرى كريمة العيدان »^(٧) ولم أجد ذكراً لهذه الكلمة فى معاجم اللغة وإنما رفائيل نخلة ذكرها فى جدول الكلمات المقتبسة من اليونانية إلى العربية^(٨) وبدون أى تعليق يذكر سوى لفظها اللاتينى Evenes .

قَرطاس : أوردها الجاحظ فى السبخلاء وفى أماكن أخرى من كتبه قال : «وما كان من القراطيس فللطرار . وما كان من الصحف فلرؤوس الجرار»^(٩)

(١) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٦ . (٢) الحيوان ج٣ ص ٣٦٨ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٥ . (٤) البرهان القاطع ص ٥٧ .

(٥) الحيوان ج١ ص ٨١ . (٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٢ .

(٧) البيان والتبيين ج٣ ص ١٢١ . (٨) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥١ .

(٩) السبخلاء ص ١٤٣ .

وقد فسرت المعاجم لفظة القرطاس ، ففي القاموس : القرطاس مثلثة : الكاغد . وبالكسر : الجمل الأدم ، والجارية البيضاء المديدة القامة . والصحيفة من أى شيء كانت . وكل أديم ينصب للنضال . والناقة الفتية . برد مصرى . ودابة قرطاسية : لا يخالط بياضها شيء^(١) . وفي الجمهرة أشار إلى القرطاس والقرطاس^(٢) كأمثلة على الكلمات التى تأتى بحركتين ولم يعلق على الكلمة بأى تعليق أما المعرب قال : القرطاس قد تكلموا به قديما . ويقال أن أصله غير عربى^(٣) . وفي غرائب اللغة : القرطاس ورق يكتب عليه وفي اللاتينى Khartis ووردت الكلمة فى جدول الألفاظ اليونانية التى نقلت إلى العربية^(٤) .

منجنون : أوردها الجاحظ فى حيوانه قال : « فكأنه منجنون غرف من بحر وصب فى جدول يفيض إلى ذلك النهر »^(٥) قال رفائيل نخلة فى غرائب اللغة : منجنون منجنين : دولاب تديره دابة لاستقاء الماء وأسطوانة عمودية متحركة فى فحل السفن الذى يرفع المرساة من قعر البحر ويقابلها فى اللاتينية Manganen^(٦) .

رطلية : من العملات وقد ذكر الجاحظ هذه اللفظة فى مجالات كثيرة ، ففي رسائله قال « فما كان بقدر ما يصفى الرجل دنا حتى تركناهم فى أضيق من رطلية »^(٧) يقول الكسائى : وتقول رطل بكسر الراء للذى يعكل فيه قال

(١) ق . م الفيروز ابادى جـ ٣ ص ٥٩٥ .

(٢) الجمهرة لابن دريد جـ ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) المعرب - الجوالقى ص ٢٧٦ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٤ .

(٥) الحيوان جـ ٥ ص ٣٩ .

(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٧٠ .

(٧) صناعات القواد ص ٣٩ .

الشاعر : لها رطل تكيل الزيت فيه^(١) وهو الرطل للمكيال وألفاظه : والألفاظ في المكيال الكسر وفي الرخو الفتح . وفي القاموس الرخو مثاقفة . واقتصر الجوهري على الكسر والفتح وفي التهذيب عن الليث الكسر والألفاظ^(٢) . والرطل والرطل من الألفاظ التي جاءت في جدول اليونانية وفي اللاتينية يقابلها Litra^(٣) ولم يذكر صاحب غرائب اللغة لها تفسيراً أو ردتاً من الألفاظ اليونانية الأصل .

درهم : وردت عند الجاحظ كثيرا ، وفي البخلاء قال : لا ودرهم درهم . أموال بيت الأموال إلا بدرهم من هنا ودرهم من ههنا^(٤) . وارتأى الدرهم اختلفت المعاجم في منشئها فمن المعاجم ما يذكر أنها آرامية ومنها ما يذكر أنها يونانية ، ولنتعرض قصة هذه الكلمة ومشتقاتها . في القاموس : الدرهم : كمنبر ، ومحراب ، وزبرج . والجمع دراهم ، ودراهيم . ودرهم درهم بفتح الهاء : كثيرها ولا تقل درهم ، لكنه إذا ورد اسم المفعول قال شعل حاصل . ودرهمت الخباري : صار ورقها كالدرهم . وشيخ مدرهم - كمشعل : ساقط كبرا ، والمادة « در »^(٥) . والمعرب يذكر : الدرهم : تكلمت به العرب قديما ، إذ لم يعرفوا غيره ، والحقوه بهجرع قال الشاعر : وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم^(٦) . وشفاء الغليل يفسر درهم : معرب درم^(٧) . وأدى شير يؤكد كلام الخفاجي مع ذكر أصل الكلمة درهم : تحريب درم ومنه

(١) ما تلحن فيه العوام - للكسائي (ثلاث رسائل) ص ٣١ .

(٢) السابق ص ٣٢ تعليق المحقق .

(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .

(٤) البخلاء ص ٦٣ .

(٥) ق . م الفيروز ابادي ج ٢ ص ١٧٦ .

(٦) المعرب الجواليقي ص ١٤٨ .

(٧) شفاء الغليل للخفاجي ص ١٢٠ .

اليوناني ومنه أخذ السرياني ومن الفارسي مأخوذ الكردي وراق والتركي درهم^(١) . وفي حاشية المعرب قال المحقق أحمد شاکر نقلا عن كتاب النقود العربية للأب أنستاس الكرملی قال : « والدرهم فی اليونانية دراخمی » ولسنا نرى فی شيء من هذا دليلا على عجمة الكلمة ولعلها مما فقدت أصولها وأوزانها من كلام العرب القديم . وبقي بعض فروعها فقالوا : رجل مدرهم على اسم المفعول ، إذا كان كثير الدراهم . حكاه أبو زيد ، قال : ولم يقولوا : درهم يعنى فعلا مبنيا للمجهول . وقال ابن جنی « لكنه إذا وجد اسم المفعول فالفعل حاصل » يعنى أن القياس يقتضيه فلا حاجة إلى إثباته بالسمع . وقالها درهمت الخبارى : استدارت فصارت على أشكال الدراهم . اشتقوا من الدراهم فعلا وإن كان أعجميا « هذا نص اللسان ولكن الاشتقاق يؤيد عربيتها إذا لم يثبت أنها معربة^(٢) » .

ومجال آخر من مجالات الألفاظ اليونانية المعربة وهو عالم الحيوان وأسماء بعض النباتات التى جاءت فى كتابات الجاحظ فمن الحيوانات التى ذكر أسماءها : البراذين والد لعين والأرضة .

البراذين : قال الجاحظ : وكيف يجعلون البرذون لاحقا بالعتيق وإن الفرس من أعراق البراذين شيء من الهجنة ؟^(٣) ونجد لفظة البرذون فى غرائب اللغة من ضمن الألفاظ اليونانية وأصلها جاء من اللاتينية حسب ما ذكره مؤلف الكتاب بأنها من الكلمات المقتبسة من اللاتينية وقد اندمجت فى العربية بواسطة اليونانية وفسر معناها بقول : برذون : فرس غير أصيل أو بغل Berda أو Byrdonis^(٤) . وفى المساعد فسرت لفظة البرذون بالكديش فى

(١) الألفاظ الفارسية المعربة ادى شیر ص ٦٢ .

(٢) حاشية المعرب ص ١٩٦ .

(٣) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٧٧ .

يومنا هذا . والبرذونة أو الكديشة أو الرمكة أنثى البرذون أو الكديش من اللاتينية^(١) .

دلفين : فقد ذكره الجاحظ مع الحيوانات البحرية قال : والتمساح والدخس والدلفين واللخم والبنبك وغير ذلك من الأصناف^(٢) . ولفظة الدلفين ذكرها صاحب غرائب اللغة العربية في جدول الألفاظ اليونانية ، وذكر ما يقابلها في اللاتينية Dhelfin^(٣) .

ديماس : لفظة جاءت عند الجاحظ في حديثه عن الحمام قال : « فيقص جناحه ويلقيه في ديماس فنيب جناحه »^(٤) وفسر رفائيل نخلة هذه اللفظة بالمكان العميق الذي لا يدخله نور وأورد مثلاً على أن سجن الحجاج سمي بالديماس بسبب ظلمته ، ويقابلها في اللاتينية Dhimecien وهي من الألفاظ اليونانية التي اقتبستها العربية^(٥) .

دفلى : وهي من النباتات التي قال عنها الجاحظ : « ولا تغلط الخيل إلا في الدفلى وحده »^(٦) وفي الحاشية أورد الأستاذ عبد السلام هارون تعريفا لهذه الشجرة بأنها مرة من السموم . وفي غرائب اللغة العربية دفلى : غار ويقابلها في اللاتينية Dhafni وهي من الألفاظ اليونانية الأصل^(٧) .

بيطار : ذكرها الجاحظ في كلامه عن معالجة الحيوان قال : أحتاج إلى

(١) المساعد جـ ٢ ص ١٩٢ .

(٢) الحيوان جـ ١ ص ٣١ .

(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .

(٤) الحيوان جـ ٣ ص ٢٢٩ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .

(٦) الحيوان جـ ٥ ص ٣١٢ .

(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٨ .

الأخفاء من حافره ، وإلى أن يختلف به إلى البيطار^(١) وكلمة يبطار جاءت في غرائب اللغة من الكلمة المقتبسة عن اليونانية ولم يذكر أى شرح للكلمة سوى ما يقابلها في اللاتيني Ippiyatres^(٢) .

ثم نأتى إلى مجال الألفاظ اليونانية التى دخلت مجالات الأدوات والآلات والعلوم الطبيعية والعلوم الفلكية وأصل المعادن وتعدينها وهذا كله ورد عند الجاحظ فى كتاباته المتعددة ، يذكر فيها العلوم والأدوات التى تستعمل فى تطهيرها والفلك والتنجيم وغيرها من العلوم التى تعرض لها الجاحظ فى كلامه عن «ظاهر ازدهار الحضارة وما اقتبس عن اليونان وشاع بين أفراد المجتمع العباسى فى عصره ، فهو يذكر القرسطونات والاصطرلابات والفلز والإكسير والإذليم والهيولى والطلسم وأسرُس وأرثما طيقى وغيرها من مئات الألفاظ التى وردت فى كتبه ورسائله ، وقد ذكرت بعض الأمثلة التى وردت فى تلك الكتب لآيين إلى أى مدى دخلت الألفاظ المعربة عن اليونانية فى لغة الناس فى ذلك العصر العباسى المزدهر .

قرسطونات : ذكرها الجاحظ فقال : « وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمصلحة التى فى الحمامات وفى الاصطرلابات ، والقرسطونات »^(٣) وقد جاء فى غرائب اللغة لفظة قرسطون أو قارسطون فى جدول الألفاظ اليونانية ولم يعلق المؤلف بأى تعليق آخر . وفسر الأستاذ عبد السلام هارون فى حاشية رسالة مناقب الترك نقلا عن النزعة المبهجة لداود الأنطاكى قال جاء فى هامش تذكرة داود «علم مركز الأتقال مثال القرصطون . يعنى القيان » ويبدو أنه ضرب من القيان^(٤) .

(١) الحيوان ج ٧ ص ١٠٠ .

(٢) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ٢٥٦ .

(٣) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٤) الرسائل ج ١ الحاشية ص ٦٨ .

أسطرلابات : وردت في نص من رسالة الجاحظ مناقب الترك يقول فيه .
« وصاغوا من المنافع كالقرصطونات والقبانات والأسطرلابات وآلة الساعات »^(١)
والأسطرلاب فسر في القاموس رجل سطر أسطرا وبنى عليها حسابا ، فقيل
أسطرلاب ، ثم مزجا ونزعت الإضافة ، فقيل الأسطرلاب : مصرفة
والأسطرلاب لتقدم السين على الطاء^(٢) . وفي شفاء الغليل الأسطرلاب قال
الخفاجي تسمى الآلات التي يعرف بها الوقت أسطرلاب والطرجهارة وهي آلة
مائية وبنكام وهي رملية . وكلها ألفاظ غير عربية . . ذكره في نهاية الأرب^(٣) .
والأسطرلاب وصفه الأستاذ عبد السلام هارون في حاشية رسائل الجاحظ قال :
هو مقياس للنجوم وأصله باليونانية أسطرلابون واصطر هو النجم ، ولابون
هو المرأة وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات في هذا المعنى وهو أنهم
يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وقد وقع صاحب القاموس
في هذا الوهم الذي بنى عليه الخوارزمي في مادة الأدب^(٤) . وفي غرائب اللغة
تعد لفظة الأسطرلاب من الألفاظ اليونانية التي اقتبستها العربية وهي آلة
فلكية^(٥) . وفي المساعد قال الأب أنستاس : أسطرلاب كلمة يونانية اللسفة
والتركيب من أسترون أي نجم ، ولبانين أي أخذ وهي آلة يقاس بها موقع
النجوم . وذهب بعضهم إلى إرجاع هذه الكلمة الدخيلة إلى العربية إرجاعا
مضحكا ، قال الفيروز ابادي في القاموس مادة لوب : واللاب : رجل سطر
أسطرا وبنى عليها حسابا . والحكاية ظاهرة التلقيق وكلام الفيروز ابادي لم
يقنع الزبيدي فنقل هذه العبارة ببعض الزيادة^(٦) .

(١) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٢) ق . م الفيروز ابادي ج ١ ص ١٨٠ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ٥١ .

(٤) حاشية الرسائل عبد السلام هارون ص ٦٨ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥٢ .

(٦) المساعد الأب أنستاس ج ١ ص ٢١٣ .

فلز : قال الجاحظ معددا أنواع الفلزات : وأصناف الفلز من الذهب والفضة والرصاص والنحاس ^(١) وقد فسر الفلز فى غرائب اللغة ، فلز ، فلز خبث الحديد أو معدن آخر على الأرجح وهى من الألفاظ اليونانية المعربة ^(٢) .

إكسير : قال الجاحظ متسائلا عن الإكسير : « وما القول فى الإكسير والتلطيف ؟ » ^(٣) قال الخفاجى : الإكسير معروف وأهل الصناعة تسميه الحجر المكرم ، قال أبو هلال فى كتاب الصناعتين وابن المعتز فى البديع إنه مولد يعاب استعماله ^(٤) . وفى المعجم الكبير فسرت الأكسير معرب كسيريون فى اليونانية : مسحوق مجفف يوضع فوق الجروح ومادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن البرخيص ذهباً ^(٥) .

إقليميا : من الألفاظ اليونانية التى دخلت اللغة العربية فى زمن الجاحظ مع التزح الحضارى للثقافة اليونانية ، وقد ذكرها الجاحظ فى حيوانه قال : « وللتوتياء أصل قائم ، فيدبرون إقليميا النحاس فتستحيل توتياء » ^(٦) وقد فسرت المعاجم لفظة الإقليم ، فالقاموس يذكر الإقليم كقنديل : واحد الأقاليم السبعة ^(٧) والمعرب يفسر الإقليم : ليس بعربى محض ^(٨) . أما المعجم الكبير فهو يفصل الشرح فى تفسير لفظة إقليم : « الأصل يونانى وهو منطقة ومنه بالمعنى نفسه قليما فى السريانية : قسم من الأرض تتشابه أجزاؤه فى مظهر أو أكثر من

(١) الحيوان جـ ٥ ص ١٠١ .

(٢) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٣ .

(٣) الحيوان جـ ١ ص ٦ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٤٠ .

(٥) المعجم الكبير جـ ١ المجمع اللغوى ص ٣٩٠ .

(٦) الحيوان ٥ ص ٣٥٠ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى جـ ٣ ص ٦٨٣ .

(٨) المعرب الجوالقى ص ٧١ .

المظاهر الطبيعية والبشرية ، ويمتاز عما حوله . وعند جغرافى العرب القدماء : أحد الأقاليم السبعة لأنهم قسموا المعمور سبعة أقسام على موازاة خط الاستواء ، ليكون كل منها تحت مدار واحد حكما فتشابه أحوال البقاع الواقعة فى ذلك القسم وقد قسموا تلك الأقسام بالأقاليم . وإقليمىاء الفلز : ثفل يعلو الفلز عند السبك يرسب ، إذا دار أو دخان^(١) .

هَيُولَى : ذكرها الجاحظ فى كتاباته قال فى الحيوان : « وكان يتعجب من القول بالهيولى »^(٢) وقد فسرت لفظة الهيولى فى المعاجم المختلفة بالقاموس يفسر الهيولى : القطن وشبه الأوائل طينة العالم به ، أو هو فى اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية وكيفية ، ولم يقترن به شىء من سمات الحدث ، ثم خلت به الصنعة ، واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم^(٣) . وفى شفاء الغليل هيولى : فى الزهر هى فى كلام المتكلمين أصل الشىء فإن يكن من كلام العرب فهو صحيح فى الاشتقاق ووزنه فعولى ، وقيل هو مخفف هيئة أولى والصواب أنه لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة ، وفى الاصطلاح جوهر فى الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال محل للصورتين النوعية والجسمية^(٤) . وفى أبنية الصرف : الهيولى : القطن وأوردت المؤلفة كلام القاموس المحيط حرفيا ، فإذا لا جديد أضيف لتفسير هذه اللفظة بعدما عرفها القاموس وشفاء الغليل وإن كان صاحب غرائب اللغة فسر اللفظة فى جدول الألفاظ اليونانية وقال هى المادة فى الفلسفة وفى اللاتينى Ili^(٥) .

(١) المعجم الكبير ج١ ص ٣٨٣ ، المجمع اللغوى .

(٢) الحيوان ج٥ ص ٥٠ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٥٥٦ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٨ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٧١ .

طَلْسَم : من الألفاظ اليونانية التي ذكرها الجاحظ في حيوانه فقال : فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لا دعوا الطلسم ^(١) ولفظة الطلسم في القاموس كسبعر فهو أعجمي ^(٢) والخفاجي يقول طلسم بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة قال ابن الرومي :

وفى لطفك طلسم لحالى أى طلسم

ويقول الخفاجي إن الطلسم غير عربى وكأنه مأخوذ من لغة اليونان ^(٣) . وفى شرائب اللغة يؤكد المؤلف أن لفظة طلسم من الألفاظ اليونانية التي اقتبسها العربية ومعنى الطلسم : كتابة يستعملها الساحر زاعما أنه يدفع بها الأذى وأيضا هى طمس من الطقوس الدينية وفى اللاتينية Telezma ^(٤) .

أسرس : من الألفاظ التي وردت فى كتابات الجاحظ وقد ذكرها فى أماكن متفرقة من كتبه وفى الحيوان قال : « وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس ^(٥) ولم أجد فى المعاجم القديمة تفسيراً لهذه اللفظة وفى معجم محدث وجدتها بتفسير أن أسرس من عوالم بعض المجوس وهى من الكلمات اليونانية Asures وتعنى النجس ^(٦) .

الألفاظ الآرامية :

يظهر أن أكثر الكلمات الآرامية التي تسربت إلى العرب وملئت بها كتب

(١) الحيوان ج ٥ ص ٣٩٩ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى ج ٣ ص ٨٧ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجي ص ١٧٩ ، والبيت فى ديوان ابن الرومي .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦١ .

(٥) الحيوان ج ٣ ص ٣٧٠ .

(٦) المساعد الأب أنستاس ج ١ ص ٢١٠ .

الأدب واللغة تعنى بالأمور الدينية لم يكن يعرفها العرب أو أسماء أشياء عرفها العرب بعد اتصالهم بالرومان . وكتب الجاحظ خير دليل في العصر العباسي عصر ازدهار الحضارة ونقل النصارى من النساطرة واليعاقبة كلمات كثيرة من اللغة السريانية إلى اللغة العربية وكانت هناك محاولات كثيرة للنقل والتعريب ازدهرت مع ازدهار الحضارة في العصر العباسي والجاحظ يورد في كتبه بعض هذه الألفاظ .

ففي مجال الأمور الدينية نرى كلمات كثيرة تخص النصارى وغيرهم من الأمم غير الإسلامية وقد ذكر الجاحظ في كتاباته النسطوري والبيعة والدير والناقوس والشبور والأكليل والسفر وغيرها .

الألفاظ التي تتعلق بالمسائل الدينية لغير المسلمين كلمة .

نسطوري : وردت عند الجاحظ وهو يصف الرهبان قال : « رهبان الزنادقة سياحون وكأنهم جعلوا السياحة بدل تعلق النسطوري في المطامير »^(١) وقد فسرت المعاجم هذه الكلمة بتفسيرات عديدة فالقاموس يذكر النسطورية : بالضم ، وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون وتصرف في الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية نسطورس^(٢) . وفي المعرب النسطوري قال الأزهرى : والنسطورية : أمة من النصارى . يخالفون بقيتهم وهو بالرومية نسطورس^(٣) . والنسطورية في شفاء الغليل : طائفة من النصارى منسوبة إلى نسطورس معربة^(٤) .

(١) الحيوان ج٤ ص ٤٥٨ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٣٦٤ .

(٣) المعرب الجواليقي ص ٣٣٠ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٦٠ .

بيعة : قال الجاحظ فى بيانه : « فعلت معه فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة »^(١) .

والبيعة بالكسر فى القاموس : متعهد النصارى . والجمع كعنب . وهيئة البيع كاجلسة^(٢) وفى المغرب البيعة والكنيسة : جعلهما بعض العلماء فارسين معربين . وفى حاشية المغرب أنه « لا دليل على عجمية الكلمة » ومع هذا فالكلمة آرامية لأن العين الآرامية تقابل الضاد العربية . وفى اللسان كنيسة اليهود وجمعها كنائس وهى معربة أصلها كنشت ثم نقل عن الجوهرى أن الكنيسة للنصارى^(٣) وفى كتاب غرائب اللغة العربية بيعة : كنيسة Bica : بيضة ، قبة . كانت قبة فى كثير من الكنائس القديمة . وقد ذكرها المؤلف فى الجدول الذى أعده للكلمات الآرامية الأصل^(٤) .

إكليل : التى وردت عند الجاحظ بقوله فى إحدى رسائله : وأيها أجمل وأشكل : اللمة أم خط اللحية أم الإكليل^(٥) ولفظة إكليل التى وصفها رفائيل نخلة بأنها آرامية الأصل وهى بمعنى التاج ، وفى اللاتينية Kiile^(٦) .

مطران : لفظه وردت عند الجاحظ قال : « ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز المطران كلام »^(٧) . وردت هذه اللفظة فى المعاجم القديمة بدون ذكر لأصلها ومن أين جاءت ، فالقاموس يذكر : مطران النصارى لكبيرهم

(١) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) ق . م الفيروز ابادى ج ١ ص ٣٥٠ .

(٣) المغرب الجوالقى ص ٨١ ص ١٤ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٥ .

(٥) التريب والتدوير ص ٦٢ .

(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٣ .

(٧) البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٤ .

ليس بعربى محض^(١) والمعرب يردد نفس القول : مطران النصارى ليس بعربى محض^(٢) . وشفاء الغليل يكرر قول المعرب قال أبو منصور ليس بعربى محض وهو عابد النصارى^(٣) أما رفائيل نخلة فيقول إنها يونانية المنشأ وأن المطران بين الأسقف والبطريرك^(٤) .

ناقوس : تدخل فى مجال كلامنا عن الأمور الدينية ذكرها الجاحظ متسائلا : قلت فلم تضرب الناقوس ؟ قال : جعلت فداك إن أبى نصرانى وهو صاحب البيعة^(٥) . والناقوس فى القاموس المحيط عرفه بأنه الذى يضربه النصارى لأوقات صلاتهم خشبة كبيرة طويلة ، وأخرى قصيرة ، واسمها الويل وقد نقش بالويل الناقوس والنقس : العيب والسخرية^(٦) . أما المعرب فلم يفسر الكلمة ولم يعطنا أى توضيحات عن منشئها وظل على حيرته إذ يقول الجواليقى فأما القاموس فينظر فيه أعربى هو أم لا^(٧) .

وإذا دققنا النظر فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة وجدنا مؤلفه أدى شير يقول : وكما أن الآرامية استعارت من الفارسية ألفاظا كثيرة كذلك أعارتها أيضا كلمات عديدة منها أفشاثا وتنور ، وناطورى ، وناقوس^(٨) . وهذه اللفظة وجدتها فى الجدول المعد للألفاظ الآرامية الأصل التى دخلت اللغة العربية ، فهى من الكلمات الدخيلة الآرامية وقد عرفها المؤلف بقوله : ناقوس : قطعة

(١) ق . م الفيروز ابادى ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٢) المعرب الجواليقى ص ٣١٥ .

(٣) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٣٥ .

(٤) فرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٦٩ .

(٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٨ .

(٦) ق . م الفيروز ابادى ج ٤ ص ٤٢٦ .

(٧) المعرب الجواليقى ص ٣٣٩ .

(٨) الألفاظ الفارسية أدى شير ص ٨٩ .

طويلة من الخشب أو حديد كانوا يضربونها لدعوة النصارى إلى الكنائس ، وقد استعملت هذه الكلمة بمعنى جرس ولفظها في اللاتينية Nequeuche^(١) .

دير : ذكرها الجاحظ في رسائله قال : « فخطبها زياد وكانت في دير لها فكشفت عن رأسها ، فإذا رأس مخلوق »^(٢) . والدير في القاموس : خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديار . ويقال لمن رأس أصحابه : رأس الدير ودير الزعفران : موضعان^(٣) ولم تذكر في المعرب وإنما جاءت في الحاشية : فإن دير باللغة البهلوية معناها القبة^(٤) . وما أكد لنا أن لفظة دير آرامية الأصل رفائيل نخلة قال : الدير : بيت الرهبان والأصل دار ، وديراني منسوب إلى دير وقد ذكرها في الفهرس المعد للكلمات الآرامية الأصل وهذا هو مرجعنا الوحيد الذي ذكر أصل الكلمة دير^(٥) .

بطريق : لفظة تدخل في مجال الكلمات التي تتعلق بالديانات وقد وردت عند الجاحظ في كتبه مثل قوله : « كردوية الأقطع رئيس بطارقة سندان »^(٦) والبطريق في القاموس سيد المجوس ، والقائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل والجمع بطارقة^(٧) . والمعرب يفسر البطريق بلغة الروم : هو القائد وجمعه بطارقة وقد تكلموا به . ولما سمعت العرب بأن البطارقة أصل رئاسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق . وإنما يريدون به

(١) غرائب اللغة لعربية رفائيل نخلة ص ٢٠٨ .

(٢) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٧٢ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى ج٢ ص ٢٤٠ .

(٤) المعرب الحاشية ص ١٨٧ س ٢٠ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٢ .

(٦) البرصان والعيان ص ٣٣٣ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ٢٨٧ .

المدح وعظم الشأن قال أبو ذؤيب : هوازن يحدوها كماء بطارق^(١) . والخفاجى فى شفاء الغليل يقول : بطريق : قائد الروم معرب^(٢) . وأدى شير يقول : البطريق الرجل المختال المزهو^(٣) .

شَبُور : وردت لفظة الشبور بقوله : « ظهرت الآية فى شأن داود وطالوت فى القرن وشبور اليهود من القرن »^(٤) وهذه اللفظة فسرها الجوالقى : والشبور شئ يتفخ فيه . وليس بعربى صحيح^(٥) ، والخفاجى يقول شبور كتور البوق معرب^(٦) . وشبور فى غرائب اللغة تدخل ضمن الألفاظ الآرامية وأصلها Chifeure والمعنى البوق^(٧) . وفى حاشية المعرب أورد المحقق نقلا عن اللسان أنه البوق . وفسروه أيضا بالقبع - يعنى بضم القاف وسكون الباء - واللفظة عبرانية^(٨) .

سِفَر : من الألفاظ الدينية ذكرها الجاحظ فى رسائله : وأى شئ عندك فى آصف وفى سفر آدم^(٩) وقد فسر رفائيل نخلة السفر : كتاب كبير ، جزء كامل من التوراة وهى من الألفاظ الآرامية السريانية^(١٠) .

ومجال آخر للألفاظ الآرامية الأصل وهو الألفاظ التى تتعلق ببعض الوظائف أو المهن مثل لفظة .

(١) المعرب - الجوالقى ص ٧٦ .

(٢) شفاء الغليل للخفاجى ص ٦٦ .

(٣) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٢٤ .

(٤) الحيوان ج ٧ ص ٢٤٦ .

(٥) المعرب للجوالقى ص ٢٠٩ . انظر الفهرست لابن النديم ص ٤٠ .

(٦) شفاء الغليل الخفاجى ص ١٥٨ .

(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٩٠ .

(٨) المعرب الحاشية ص ٢٠٩ .

(٩) الترييع والتدوير ص ٨ .

(١٠) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٧ .

أَرْكَنْدُ : من الألفاظ التي تختص بالألقاب وقد وردت عند الجاحظ في تساؤلاته الكثيرة التي تضمنتها رسالته التبريع والتدوير قال : وأين كتب قوم صنعة السند هند والأركند ^(١) ولم أجد تفسيراً لهذه اللفظة إلا في كتاب المساعد قال أركنده : أو أركنطه : كلمة آرامية ، وهي في هذه اللغة «أركونطا» وهي من اليونانية Arken أى رئيس ومقدم وقائد . وإذا خص بالخيول كان معناه رأس أصائل الخيل أو يكون رأساً لخيول أصائل ^(٢) .

أَكَارَ : تتعلق بالمهن وقد وردت هذه اللفظة عند الجاحظ في نص يوضح لنا مهنة هذا الأكار فقال : « إذا صعد ابن الأكار إلى نخلة له ليلتقط له رطباً ملاً فاه ماء » ^(٣) وفسر لنا كتاب غرائب اللغة العربية لفظة أكار بمعنى حراث وأصلها آرامي ، وفي اللاتينية Akere ^(٤) .

نَاطُورٌ : فقد وردت عند الجاحظ في بخلائه وفي أماكن أخرى من كتبه قال : « فمررنا بناطور على نهر الأبله ، ونحن تعبون فجلسنا إليه » ^(٥) ولفظة ناطور فسرتها المعاجم وأفاضت في تفسيرها فناطور في القاموس : حافظ الكرم والنخل أعجمى الجمع نطار ونطراء ونواطير ، ونطرة والفعل : النطر ، والنطارة بالكسر . وابن الناطور : صاحب إبلية وصاحب هرقل ، كان منجماً ، سقف على نصارى الشام ويروى فيه بالظاء من النظر ^(٦) . وابن دريد يفسر لفظة الناطور : ليس بعربي إنما هي كلمة من كلام أهل السواد لأن النبط يقلبون الظاء طاء ألا ترى أنهم يقولون برطلة وتفسير ذلك ابن الظل وإنما

(١) التبريع والتدوير ص ٨١ .

(٢) المساعد الأب أنستاس ج١ ص ١٩٢ .

(٣) البخل ص ١٢٩ .

(٤) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ١٧٣ .

(٥) البخل ص ١٩٧ .

(٦) ق . م الفيروز ابادى ج٤ ص ٣٩٠ .

الناطور الناطور بالعربية فقلبوا الظاء طاء والناطور الأمين وأصله من النظر^(١) .
وفى المغرب فسرت الناطور : حافظ النخل والشجر وقد تكلمت به العرب .
قال أبو حاتم : قال الأصمعي : هو الناطور والنبط تجعل الظاء طاء ، ألا
تراهم يقولون برطلة « وإنما هو ابن الظل ، وسموا الناطور « ناظورا » لأنه
ينظر^(٢) . وقال أدى شير : كما أن الآرامية استعارت من الفارسية ألفاظا كثيرة
كذلك أعارتها أيضا كلمات عديدة منها تنور وباجورا وداغول وناطوري^(٣) وفى
حاشية المغرب وفى اللسان رأى أبو حنيفة بأن الناظر ، والناطور عربية ، وأن
الأزهري تردد بين أن تكون عربية أو من كلام أهل السواد ثم نقل عنه
قال : ورأيت بالبيضاء من بلاد بنى جذيمة عرازيل سويت لمن يحفظ ثمر
النخيل وقت الصرام ، فسألت رجلا عنها فقال : هى مظال النواطير ، كأنه جمع
الناطور^(٤) . وصنف الكلمة رفائيل نخلة فى جدول الكلمات الآرامية الأصل
وقال : ناطور حارس الكرم أو نحوه^(٥) . فالطاء العربية يقابلها الطاء فى الآرامية .

الأَكْرَة : وهذه عودة أخرى للفظة أكار ، وقد وردت عند الجاحظ فى
البخلاء وغيرها من كتاباته قال مينا عمل الأكرة : « والرطب أهون على أولاد
الأكرة وعلى أولاد غير الأكرة »^(٦) .

وتفسير هذه اللفظة جاء مفصلا فى المساعد قال الأب أنستاس : قال
اللغويون أكار وجمعها أكرة . وهذا عندى غير صحيح لأن فعّال لا يكسر إذا
كان وصفها ، ولاسيما لا يكسر على (فعلة) ، قال التاج بن مكتوم فى
التذكرة : لم ينكر علماء العربية واللغة من جموع التكسير إلا ما جاء على وزن

(١) الجمهرة . ابن دريد - ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٢) المغرب الجوالقى ص ٣٣٤ .

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٨٩ .

(٤) المغرب - الحاشية ص ٣٣٥ ، واللسان ج ٣ ص ٤٦٣

(٥) غرائب اللغة رفائيل نخلة ص ٢٠٨ .

(٦) البخلاء ص ١٣٣ .

فعَّال لثلا يذهب منه بناء المبالغة ومع ذلك فقد ورد في كلامهم : جبار وجباير وجبابرة ، دجال ودجاجلة ، وشماس ، وشماسة ، إلى غيرها ، وإنما أكرة جمع أكر ، ككافر وكفرة . وجاحد وجحدة ، وكاتب وكتبة . وللمادة الآرامية الأصل : أكر « معنى ومبنى ، والأكار « أكار » مبنى ومعنى بزيادة الألف في الآخر على مألوف ما يرد من تلك اللغة ، والأكر في تلك اللغتين : الحفر وهو من شغل الفلاح أو الحراث ثم خص الاستعمال المؤاكرة ، وهي المخابرة أيضا بمعنى المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الأرض كالثلث أو الربع أو غيرهما^(١) .

ومجال آخر من مجالات الحياة المعيشية التي دخلت فيه الألفاظ الآرامية الطعام ومتطلباته من المواد الأولية أو الأدوات والأواني وغيرها من الأشياء التي تحتاج لها عملية تحضير الأطعمة فلفظة صحناء وإجانة وخردل وبطم ومشان ونارجيل وصعتر وسفرجل كلمات كلها من أصل آرامي وفدت إلى المجتمع العباسي ، وشاعت في عصر ازدهار الحضارة العباسية وأوردها الجاحظ في كتاباته .

لفظة **الصَّحْنَاء** : ففي نص له من كتاب البخلاء قال : وخبز الشعير والصحناء والكراث والجواف جميعا تصير إلى ما ترون «^(٢) وقد فسر القاموس الصحنا ، الصحناء - يمدان ويكسران : أدام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة^(٣) . والمعرب يوضح لنا معنى اللفظة صحناء ومن أين جاءت للعربية قال أبو بكر : والصير الذي يسمى الصحناء أحسبه سريانيا معرباً ، لأن أهل الشام يتكلمون به^(٤) . وفي غرائب اللغة جاءت لفظة صحناء في جدول

(١) المساعد - الأب انستاس ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢) البخلاء ص ١١٤ .

(٣) ق . م الفيروز ابادي ج ٢ ص ٨٠١ .

(٤) المعرب - الجواليقي ص ٢١٦ .

الكلمات الآرامية الأصل وفسر معناها : سمك صغير مملح وفيها لغات صحنى ، صحناء وفي اللاتينية Sahnite وهى طعام من سميكات^(١) .

وإِجَانَة ذكرها الجاحظ مخاطبا أحد البخلاء قال : « فإذا غبت عن إجانة النورة »^(٢) قال الكسائى : وما تلحن فيه العوام لفظة إجانة بإسقاط النون^(٣) . وهذه اللفظة فسرها المعجم الكبير الذى أعده المجمع اللغوى ، وذكر لنا أصل الكلمة الأول وتطورها قال : الإجانة فى الأكديّة Agannu ، أجن : وعاء فى العبرية Aggan أجان = فى الآرامية اليهودية والسريانية Aggana أجانا = فى الحبشية Aigan عيجن أو Aigan عيجان . وقد انتقلت الكلمة إلى العربية من الآرامية^(٤) . ولكن هذا القول مغاير لما جاء فى غرائب اللغة العربية بأن لفظة إجانة من الكلمات المقتبسة عن اليونانية وهى إناء لغسل الثياب Anguiyen^(٥) وواضح أن الكلمة سامية كما جاء فى المعجم الكبير مع العلم بأن رفائيل نخلة كلامه منطقى جدا ولا يزال استعمال هذه اللفظة فى العراق حسب ما ذكره فى كتابه . أما لفظة **خَرْدَل** فقد وردت عند الجاحظ بقوله : « والخردل لا يرادم : قل لى أى شئ طبائع هؤلاء »^(٦) . تفسير هذه الكلمة وجدته فى غرائب اللغة العربية بأنها من أصل آرامى وفى اللاتينية Hardle^(٧) . ولفظة **الصَعْتَر** ذكرها الجاحظ وصفا للعلاج قال : « والقنفذ وابن عرس إذا ناهشا الأفاعى والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر

(١) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٩٢ .

(٢) البخلاء ص ٤٤ .

(٣) ما تلحن فيه العوام - الكسائى ص ٢٨ .

(٤) المعجم الكبير ١/ ١٠٥ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ٢٥١ .

(٦) البخلاء ص ٥٥ .

(٧) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٠ .

البرى «^(١) من الألفاظ التى أوردها رفائيل نخلة التى ترجع إلى أصول آرامية وفى اللاتينية Setre^(٢) .

والسفرجل ورد عند الجاحظ فقال : إنهم ربما فلقوا السفرجلة أيام السفرجل للنقل والأكل «^(٣) وتفسير لفظة السفرجل وجدته فى غرائب اللغة العربية ضمن الألفاظ الآرامية الأصل التى دخلت إلى العربية ، وفى اللاتينية Sfargle^(٤) . ولفظة أخرى تدخل فى مجال الأطمعة : **البطم** وقد جاء ذكرها عند الجاحظ فى حيوانه قال : « وأشجار البطم وهى الحبة الخضراء بعيدة المنابت منا »^(٥) وفى غرائب اللغة البطم من الألفاظ الآرامية الأصل ولفظها فى اللاتينية Betmte^(٦) .

ولفظة **النارجيل** قال الجاحظ فى حيوانه : « ويزعم أهل الحجاز أن نخل النارجيل هو نخل المقل ولكنه انقلب لطباع البلدة »^(٧) وقد فسرت المعاجم لفظة النارجيل تفسيرات مختلفة فى القاموس جوز الهند واحدته بهاء . وقد يهمز ونخلته طويلة تميد بمرتقيها حتى تدنيه من الأرض لنا . ويكون فى القنو الكريم منها ثلاثون نارجيلة . ولها لبن يسمى الأطواق ذكر فى القاف . وخاصية الزنج منها : إسهال الديدان . والطرى باهى جدا^(٨) . وأدى شير يفسر النارجيل :

-
- (١) الحيوان جـ ٧ ص ٣٣ .
 (٢) غرائب اللغة العربية ميخائيل نخلة ص ١٩٢ .
 (٣) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٨ .
 (٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٧ .
 (٥) الحيوان جـ ٥ ص ٤٥٣ .
 (٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٤ .
 (٧) الحيوان جـ ٤ ص ١٣٠ .
 (٨) ق . م الفيروز ابادى جـ ٤ ص ٣٥٢ .

بجوز الهند تعريب ناركيل . ومنه النارجيلة لآلة يشرب بها التبك لأنها قد تتخذ منه وهو بالسريانية^(١) .

ومجال آخر من المجالات التى دخلت فيها الالفاظ الآرامية الأصل واستعملت من قبل الناس فى المجتمع العباسى فى تسمية الأشياء مثل **الْكُوْثَلَة** ، وقد ذكرها الجاحظ فى بيانه قال : « فقال الشيخ الملاح : لا إله إلا الله ، ما أحسن ما جلس على كوئله »^(٢) وتفسير هذه اللفظة جاء فى غرائب اللغة بأنها آرامية الأصل ومعناها مؤخرة السفينة وفى اللاتينية Kawtle^(٣) . وفى مجال الأشياء التى أطلق عليها اللفظ الآرامى الأصل كلمة **طَبْطَابَات** ، وهذه اللفظة ذكرها الجاحظ فى رسائله قال : « اختاروا البراذين للصوالة والطبطابات والمشاوله »^(٤) وتفسير هذه اللفظة جاء فى غرائب اللغة العربية طبطابة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة وقد أوردها المؤلف فى جدول الكلمات التى اقتبست عن الآرامية^(٥) .

ولفظه **قَرْمِيد** وردت عند الجاحظ فقال « كانت الدار مقرمدة أو بالأجر مفروشة »^(٦) ، وقد فسرت لفظة القرميد فى القاموس « القرمد » : ما طلى به كالزعفران ، والجص وحجارة لها خروق تنضج ويبنى بها . والخزف المطبوخ ، والأجر كالقرميد . والمقرمد : مطلى بشبه الزعفران وبناء مقرمد . مبنى بالأجر والحجارة أو مشرف عال .^(٧) وفى المعرب قال ابن دريد : القرميد قالوا . هو

(١) الالفاظ الفارسية أدى شير ص ١٥١ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) غرائب اللغة العربية ميخائيل نخلة ص ٢٠٤ .

(٤) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٥) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٩٣ .

(٦) البخله ص ٨٤ .

(٧) ق . م الفيروز ابادى ج ٣ ص ٦٠٥ .

الأجر بالرومية أو شئ يشبهه . وقال الليث : القرميد : كل شئ يطلى به للزينة نحو الجص ، حتى يقال : ثوب مقرمد بالزعفران والطيب ، أى مطلى . قال النابغة يصف ركب امرأة : (رابى المجسة بالعبير مقرمد) أى : مطلى بالزعفران . قال : القراميد فى كلام أهل الشام آجر الحمامات ، وهى بالرومية قرميدى . وعن ابن عربى : يقال لطوابيق الدار القراميد واحدها قرميد . وقيل : هى الصخور^(١) . والقرميد فى شفاء الغليل : معرب رومى الأصل وفى الرومية « كرمد » وفى شرح الحماسة : قرمد رومى معرب وأصله قرميد . وهو الأجر أو شئ يشبهه وقيل شئ كالجص يطلى به وقيل حجارة محرقية أو خزف مطبوخ وتصرفوا فيه ، ورد فى الشعر القديم ويقال ثوب مقرمد بالزعفران أى مطلى^(٢) .

ولفظه **تموز** وردت فى مجال الأشياء والأوقات والمكايل وهى لفظة تعنى بالوقت فى تحديد الشهور ، وقد ذكرها الجاحظ فقال : « ولو كان هذا البرد الحادث فى تموز وآب لكان إباناً لهذا الكساء »^(٣) وتموز لفظة تدل على اسم أحد الأشهر الشمسية ، وقد وضعها ميخائيل نخلة فى جدول الألفاظ الآرامية التى اقتبستها العربية^(٤) .

أما لفظة **الأبلة** فقد أوردها الجاحظ فى كتبه وخاصة كتاب البخلاء قال : « سمعت شيخاً من مشايخ الأبلة يزعم أن فقراء أهل البصرة أفضل من فقراء أهل الأبلة^(٥) » هذه اللفظة فسرّها الجواليقى وأسهب فى تفسيرها وكيف جاءت إلى العربية ومتى استعملت والأبلة عرفها أبو منصور فقال : أصل هذه الكلمة

(١) المعرب الجواليقى ص ٢٥٤ .

(٢) شفاء الغليل الخفاجى ص ٢٠٧ .

(٣) البخلاء ص ٥٩ .

(٤) غرائب اللغة العربية وقائيل نخلة ص ١٧٥ .

(٥) البخلاء ص ١٢٥ .

بالنبطية . هو بالتا . فغلطت الفرس فقالوا « هوب لت » فعربتھا العرب فقالوا « الأبله » قال أبو حاتم الأصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية فقالوا « هو بالتا » وقال غيره : الأبله تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها يقال لها « هوب » خمارة ، فماتت فجاء قوم من النبط يطلبونها ، فقيل لهم « هوب ليكا » أي ليست فغلطت الفرس فقالوا : « هوب لت » فعربتھا العرب فقالوا « الأبله » . والأبله أيضا : القدرة من التمر . وقال بعض أهل العلم : بها سميت الأبله وقال أبو علي : وزن الأبله « فعلة » تكون الهمزة أصلية . ولا قال قائل : إنه أفعلة والهمزة زائدة « مثل أبلمه » وأسمته « لكان قولا »^(١) .

وفي مجال الألبسة وردت بعض الألفاظ الآرامية في كتب الجاحظ مثل جودابة ، والراذع ، فلفظة **الجُودَابَة** ذكرها الجاحظ في البخلاء قال : « وقد أتيتم نهطه أو بجودابة أو بعصيدة أو ببعض ما يجري في الحلق ولا يساغ بالماء ولا يحتاج فيه إلى مضغ »^(٢) « ففى نص الجاحظ لفظة الجودابة تعنى نوعاً من الطعام ووافق الجاحظ قوله هذا أدى شير فقط أما بقية معاجم اللغة فقد اتفقت على أن الجودابة نوع من الألبسة فترى القاموس يؤكد أن الجودى الجودياء مدرعة من صوف للملاحين »^(٣) . والخفاجى يؤكد هذا القول بأن الجودبا كساء نبطية^(٤) . أما أدى شير فيوافق رأى الجاحظ بأن الجوداب طعام يتخذ من سكر ورز وجوز ولحم تعريب كوزاب^(٥) وفي غرائب اللغة العربية يقول المؤلف أن جودياء مدرعة من صوف يلبسها النواتى وقد وضعها في جدول الألفاظ

(١) المعرب الجوالقى ص ١٧ ، ١٦ .

(٢) البخلاء ص ١٢٧ .

(٣) ق . م الفيروز ابادى جا ص ٥٥٣ .

(٤) شفاء الغليل الخفاجى ص ٩٢ .

(٥) الألفاظ الفارسية ادى شير ص ٣٩ .

الآرامية الأصل^(١) . وبعد هذا التفسير المنوع للكلمة لا أدري هل هى طعام أم كساء أم أن الاختلاف فى الحروف أدى إلى هذا الخلط ؟

لفظة **بِرَازِع** تدخل فى مجال الأكسية وردت عند الجاحظ فى البخلاء قال : « ما وجد من صوف ، فكان وجهه أن يباع إذا اجتمع من أصحاب البرازع »^(٢) وهذه اللفظة فسرها الأب أنستاس البرذعة : ثوب طويل ينحدر من أعلى صدر لابس إلى قدميه مفتوح الأعلى بقدر دخول الرأس فيه وهى لفظة مغربية^(٣) وقال رفائيل نخلة البرذعة من الألفاظ الآرامية الأصل وفى اللاتينية Bardate^(٤) .

وآلفاظ آرامية أخرى وردت عند الجاحظ وتدخل فى مجال الحيوانات وحياتها وما يتعلق بها ، فمن الحيوانات التى ذكرها الجاحظ وكان أصلها من الآرامية **الزرافة** ، قال الجاحظ : « وزعم أن الزرافة خلق مركب بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية »^(٥) ولفظة الزرافة هى آرامية كما ذكر رفائيل نخلة وفى اللاتينية Zenfe^(٦) .

وحيوان آخر هو **الأطْرَغْلَة** وقد ذكر الجاحظ هذا الحيوان فى كتاب الحيوان . قال : « وبين الأطرغلة والشقران قتال ، لأنه يقتل الأطرغلة ويطلبها »^(٧) وتفسير هذه اللفظة جاء فى المعجم الكبير : أطرغل : وقد انتقلت الكلمة الأكديّة إلى السريانية والآرامية اليهودية والعبرية المتأخرة مع إبدال اللام

(١) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٧ .

(٢) البخلاء ص ١٤٢ .

(٣) المساعد الأب أنستاس ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٤ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ١٤٢ .

(٦) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٨٤ .

(٧) الحيوان ج ٢ ص ٥١ .

بعد الراء نونا فى هذه اللغات الثلاث ، وهى طائر مشهور يصاد ، يسمى فى مصر : قمرى وفى الشام تزغل وفى العراق شفين والواحدة بقاء والجمع أطرغلات^(١) .

وحىوان آخر هو **التَّين** وقد ورد عند الجاحظ فى رسائله قال : ولا والله إن بى قوة على الثعبان فكيف التين^(٢) . وقد فسرت هذه اللفظة فى غرائب اللغة العربية ولم أجدها فى غيره من معاجم اللغة ، قال رفائيل نخلة : التين حية كبيرة وهى من الألفاظ التى اقتبستها العربية من الآرامية^(٣) .

أما كلمة **الاصْطَبِل** فهى تدخل فى مجال الحيوانات وإن كانت لا تدل على حيوان وإنما على موضع لجميع الحيوانات أو لبعضها ، وقد وردت عند الجاحظ بقوله : لقيناهم فى مقدار صحن الاصطبل^(٤) وقد فسرت المعاجم هذه اللفظة قال الفيروز ابادى الاصطبل كجرذل : موقف الدواب . شامية^(٥) . وقال الجوالقى الاصطبل ليس من كلام العرب وهذا القول نقلا عن ابن دريد^(٦) . والخفاجى يقول اصطبل : بلغة أهل الشام معناه الأعمى ، كما فى كتاب الهميان ولذا قال ابن عباد جروا الاصطبل فى قصته مع المعرى^(٧) . وفى المعجم الكبير الاصطبل معرب من اليونانية Stables وفى الآرامية اصطبل^(٨) .

(١) المعجم الكبير ص ٣٤٨ المجمع اللغوى الجزء الأول .

(٢) فى الجد والهزل ص ٢٥١ .

(٣) غرائب اللغة العربية رفائيل نخلة ص ١٧٥ .

(٤) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٥) ق . م الفيروز ابادى ج١ ص ١٥٤ .

(٦) المعرب الجوالقى ص ١٩ .

(٧) شفاء الغليل الخفاجى ص ٦١ .

(٨) المعجم الكبير ص ٣٣١ المجمع اللغوى الجزء الأول .

الألفاظ الهندية :

الألفاظ الهندية عربت أيام كان العرب يتاجرون مع الهند وينقلون سلعا هندية ، ويحملون مع هذه السلع أسماءها ، وقد كان من أتى بغداد من أطباء الهند وغيرهم يحملون معهم كتباً وصحفاً في مواضيع شتى منها الأدب^(١) ، وذكر الجاحظ في بيانه^(٢) أن يحيى بن خالد اجتلب أطباء من الهند وكان معهم صحف في موضوعات غير موضوعاتهم الطبية وكان العلماء يخالطونهم والتراجمة ينقلون من الهندية إلى العربية ، وقد نقلت إليهم جملة صيغت في كتب البلاغة العربية في شتى المجالات وهي ما أسموه « بمقتضى الحال » من الألفاظ الهندية التي وردت في كتب الجاحظ ورسائله لفظة بلادر ولفظة بر بهار والجمع بر بهارات ولفظة الأنبيجات ، وهناك ألفاظ كثيرة غيرها ولكن المجال لا يسع لإحصائها .

لفظة **بَلَادِر** ذكرها الجاحظ فقال : وإن البلاد إنما صار يصلح الفعل ويورث الحفظ لأنه صالح للعصب^(٣) . قال أدى شير : البلاد نبات ثمره شبيه بنوى التمر ولبه مثل لب الجوز حلو وقشره متخلخل مثقب . معرب بلادر وأصل معنى بلادر بالهندية الصدقة قيل إن هذا النبات يقوى الحفظ ولهذا يعرف بحب الفهم وثمر الفهم ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون^(٤) . وقال الأستاذ عبد السلام هارون البلاد لفظة هندية . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفي داخلها مادة إسفنجية بها شئ شبيه بالدم^(٥) .

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين ج١ ص ٢٤٦ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ٧٩ .

(٣) الحيوان ج٣ ص ٣٥٩ .

(٤) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ٢٥ .

(٥) الحيوان ج٣ ص ٣٥٩ الحاشية .

ولفظة **البريهار** والجمع بربهارات قال الجاحظ : فبلغوا أيضا فى البريهار والمعرفة بالعقاقير^(١) . والبربهارات ذكرها الجاحظ فى رسائله فقال : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات »^(٢) وفى حاشية الرسائل شرح واف للفظة البريهار قال الأستاذ عبد السلام هارون البريهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الحشيش والعقاقير والفلسوس وغيرها ، يقول البحرية وأهل البصرة لها : البريهار . وقال الأب أنستاس مارى : المراد بها توابل بر الهند^(٣) .

أما لفظة **الأنبجَات** قال الجاحظ فى حيوانه يصف هذه اللفظة فى حديثه عن الأدوية والعقاقير . « إن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل وكذلك الأنبجَات^(٤) » . قال الخفاجى مفسرا لفظة الأنبجَات : هى المربيات وهى فاكهة هندية تبنى فأطلق عند الأطباء على سواء وهى غير عربية كذا فى مفتاح العلوم للخوازمي^(٥) . وفى المغرب الذى كان من المفروض ذكره قبل كتاب الخفاجى . الأنبجَات ضرب من الأدوية وهى جمع أنبج وهى فاكهة هندية وأظنه معربا^(٦) . وأدى شير يقول الأنبج ثمر شجرة هندية وهو ضربان لوزى وتفاحى تعريب أنبه^(٧) .

(١) الحيوان ج٣ ص ٤٣٥ .

(٢) فخر السودان على اليبضان ص ٢٢٥ .

(٣) حاشية الرسائل ج٥ ص ٢٢٥ .

(٤) الحيوان ج٥ ص ٤٢٩ .

(٥) شفاء الغليل للخفاجى ص ٥٨ .

(٦) المغرب للجوالقى ص ٤٣ .

(٧) الألفاظ الفارسية المعربة أدى شير ص ١٥٠ .

ثانياً: الكلمات الدخيلة بين الجمود وتكوين مشتقات في العربية :

الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية لا تبقى على حالتها الأصلية بل تصاغ في قالب بحيث تتغير أكثر حروفها إذا كان فيها من الحروف ما ليس في العربية ويتبدل شكل تركيب هذه الألفاظ وبنائها حتى يوافق الأبنية العربية أو يكون قريباً منها . ويعرف اللفظ الدخيل في اللغة العربية من فقدان الصلة بينه وبين إحدى مواد الألفاظ العربية ، ولو نظرنا إلى اللفظ الدخيل وتبيننا حروفه وإلى اللفظ الأصلي الذي يمكن أن يكون مشتقاً منه لم نجد له أصلاً أو وجدنا الصلة المعنوية منقطعة بينه وبين الأصل ، وقد يقع الاشتباه لوجود أصل عربي يشابه اللفظ الدخيل ولا بد من البحث التاريخي للفظ الأجنبي لمعرفة أصله ، وفي هذا المجال يقول الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس : إن استعارة اللفظ الأجنبي رغم وجود نظير أصيل له يعبر عن نفس المعنى تؤدي عادة إلى تطور في دلالة اللفظ الأصيل وإذا لم ينكمش يندثر الأصل ولم تتغير نظرة المجتمع إليه فلم تنكمش دلالته أو تتطور عاش مع اللفظ الأجنبي ويكون منهما ما يسمى بالترادف في اللغات . وتقتصر الاستعارة عادة على الألفاظ والكلمات ولا تكاد تتعداها إلى العناصر اللغوية الأخرى كالصرف والاشتقاق وتركيب الجمل^(١) . والتأثير الذي يحدث عادة بين اللغات كالأصوات والصيغ والتراكيب يكاد يكون منعماً بالنسبة للغة العربية فلم تتغير أصوات الحروف العربية ولا تأثرت أبنية العربية وأوزانها^(٢) . وقد لاحظ الجاحظ أن كثيراً من أصوات اللغات الأجنبية لا يصورها الخط العربي ، ولو تصفحنا كتابات الجاحظ لوجدنا ملاحظاته القوية في شتى الظواهر اللغوية ولجد فيضاً من هذه الملاحظات القيمة في البيان والتبيين على وجه الخصوص وفي كتبه الأخرى . والجاحظ يصور لنا ظاهرة القدرة الاشتقاقية للكلمات الأجنبية المعربة الدخيلة من الألفاظ الإيرانية واليونانية والآرامية والهندية التي اشتقت من هذه الكلمات الدخيلة صيغاً وفق الأبنية والأوزان العربية ، وقد أمكن تصنيفها إلى صيغ متنوعة . ومن الملاحظ

(١) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٥٠ . (٢) فقه اللغة العربية محمد المبارك ص ٢٩٥ .

أن هذه الصيغة الاشتقاقية أكثرها صيغ اشتقاقية للأسماء باختلاف أنواعها من جموع سالمة أو تكسير . أما الأفعال فقد كانت الصيغ الاشتقاقية منها نادرة جدا . وصيغ الأسماء أبرزها وأوضحها في كتابات الجاحظ هي صيغ جمع المؤنث السالم ويليه جمع التكسير أما المثني وجمع المذكر السالم فقد كان قليل الوجود عنده .

جمع المؤنث السالم :

اهتم الجاحظ بصفة خاصة بجمع **المؤنث السالم** حتى إنه جاء بصيغ لألفاظ لا يمكن أن يصاغ منه جمع مؤنث سالم ، وهذا استخدام لغوي خاص بالجاحظ وهذا ما سوف نلاحظه في صيغه من خلال كتاباته .

الألفاظ الدخيلة التي أوردها الجاحظ وقد جمعت جمعا مؤنثا سالما كثيرة جدا لا يمكن حصرها مثل الشاهمرك والجمع **شاهمركات** وقد وردت عند الجاحظ في كلامه عن الطير قال : « فأما الطير والسودانيات والحصانيات والشاهمركات وغير ذلك من أصناف الطير »^(١) وذكر المفرد بقوله : « ولذلك تأكلها الأوعال والخنازير والقنافذ والعقبان والشاهمرك »^(٢) وكلمة سراويل وقد جمعها **سراويلات** قال : « ولقد رأيته وإن ريق سراويله نورة »^(٣) والجمع ذكره فقال « ولا تعرفون الأقبية ولا السراويلات »^(٤) والفالودج والجمع **فالودجات** ، وقد ذكر هذه اللفظة الفالودج : فالودج وفالودق قال : وأطعموا بدل الحيس الفالودج^(٥) وقال : ولم يطعم الناس أحد منهم ذلك الطعام إلا عبد الله بن جدعان ، وهو الفالودق^(٦) أما الجمع فقد ذكره جمعا مؤنثا سالما قال :

(١) الحيوان ج٣ ص ١٨ .

(٢) الحيوان ج١ ص ٢٨ .

(٣) البخل ص ٢٤ .

(٤) البيان والتبيين ج٣ ص ١٨ .

(٥) البلدان ص ٧ .

(٦) البخل ص ٢٢٩ .

«الشبارقات والأخبصة والفالوذجات»^(١) والبيمارستان جمعها **بيمارستانات** قال الجاحظ : « لقيناهم فى مقدار صحن البيمارستان»^(٢) وبيمارستانات والجمع المؤنث السالم قال : « ورعموا أنهم لم يروا رجلا لم يختلف إلى البيمارستانات»^(٣) « والخان لفظة أوردها الجاحظ واشتق منها جمعا مؤنثا سالما **خانات** . قال : « إن أنا خلفته فى الخان وليس عنده من يحفظه فش الباب وسرق»^(٤) وقال : « ثم إنا نزلنا بعض الخانات وإن البيوت ملاء روثا وترابا»^(٥) . ومن هذه الصيغة الاشتقاقية ذكر لفظة سكرجة وجمعها سكرجات جمعا سالما وأوردها فى النصين التاليين . قال : « أن خذ تلك السلة ، قال فكشفها فإذا برغيفين يابسين وسكرجة كامح شبت»^(٦) ، **وسكرجات** ذكرها فقال : « ما يفضل فى الجامات والسكرجات»^(٧) ولفظة **الجامات** التى وردت فى النص السابق كانت جمعا مؤنثا سالما للفظه جام التى ذكرها الجاحظ فى البخلاء فقال : جاءنى بجام لبأ»^(٨) ولفظة طباهج أورد الجاحظ صيغة اشتقاقية من هذه اللفظة **طباهجات** وهى جمع المؤنث السالم . قال : إن سمع نشيش اللحم فى المقلَى وشم الطباهج « وقال « جعلنا الواحد طباهجة ، والآخر كردناجا»^(٩) أما الجمع فقد ذكره فى الحيوان وفى أماكن أخرى من كتبه

(١) البخلاء ص ٢٠٣ .

(٢) الصناعات القواد ص ٣٨٣ .

(٣) الحيوان ج٥ ص ٣٥٣ .

(٤) الحيوان ج٣ ص ٤٥٢ .

(٥) البيان والتبيين ج٣ ص ٤٧ .

(٦) الحيوان ج٣ ص ١٩ .

(٧) البخلاء ص ١٢٠ .

(٨) البخلاء ص ١٢٣ .

(٩) البخلاء ص ٢٣ ص ٢١٢ .

قال : « وللعصافير طباهجات وقلايا تدعى العصافيرية »^(١) وقال يعدد آلات الحرب : ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العرادة »^(٢) وقد جاء بصيغ اشتقاقية لهذه الألفاظ المفردة الرتيلة والعرادة جمعها مؤنثا سالما قال : « وآلات الحرب كالمجانيق والعرادات ، والرتيلات »^(٣) ولفظة طبرزين جمعها على **طبرزيئات** جمع مؤنث سالم ، قال فى رسائله : كان على صيغة الطبرزين »^(٤) وقال : « من العصى نصب المساحى والمرور والقدم والفؤوس والمعاول والمناجل والطبرزيئات »^(٥) ، ولفظة ترياق ذكر الجاحظ صيغة اشتقاقية لها وهى **الترياقات** جمع المؤنث السالم قال « باعنى حواء ثلاثين أفعى بدينارين وأهدى إلى خمسا اصطادها من قبالة القلب ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال وأردتها للترياق »^(٦) وصيغة جمع المؤنث السالم ذكرها الجاحظ بقوله « هو الذى حبيب إلى الآخر أن يكون صيادا للأفاعى والحيات ، يتبعها ويطلبها فى كل واد وموضع وجبل للترياقات »^(٧) .

جمع المذكر السالم :

أما جمع المذكر السالم فهذه الصيغة وردت عند الجاحظ بشكل قليل جدا لا يمكن أن يقاس على جمع المؤنث السالم الأكثر ورودا ومن الألفاظ التى ذكرها الجاحظ فى كتبه وجاءت فيها صيغ اشتقاقية لمذكر سالم لفظة مكدى والجمع **مكديون** قال : « وخدمت الخلفاء والمكدين »^(٨) والمفرد ذكره بقوله

(١) الحيوان جـ ٥ ص ٢٢٢ .

(٢) البيان والتبيين جـ ٣ .

(٣) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٤) الرسائل جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٥) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٣ .

(٦) الحيوان جـ ٤ ص ١١٤ .

(٧) الحيوان جـ ١ ص ١٤١ .

(٨) البخل ص ٤٨ .

«خالد بن يزيد مولى المهالبة - هو خالويه المكدي»^(١) ولفظة دهقان والصيغة المشتقة منها **الدهاقين** جمع مذكر سالم . وقد جاء فى رسائل الجاحظ قوله عن الدهقان : « وما عندى لك إلا ما قال الدهقان لأسد بن عبد الله وهو على خراسان »^(٢) والدهاقين : « فزعم لى بعض الدهاقين قولاً لا أدرى كيف هو »^(٣) ولفظة أخرى اشتقت منها صيغة جمع المذكر السالم الشطرنج والجمع **شطرنجيون** قال الجاحظ عن لعب الشطرنج « أنت تعد فى الشطرنج زبرب وأنا فى الشطرنج لا أحد » وقال : « فمع من تعيش ؟ أمع الشطرنجيين »^(٤) .

صيغ المثني

وردت عند الجاحظ بشكل نادر جداً إذ أنه لم يشتق من الكلمات الدخيلة صيغ المثني إلا فى حالات مثل قوله **جرذقتان** مثني جرذقة ، وقد وردت هذه اللفظة فى البخلاء قال : « أرى أحدهم يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها فى الخل »^(٥) وقال يصف أحد أصدقائه البخلاء : « يأخذ حرف الجرذقة فيغمسها فى الخل »^(٦) . وذكر الجاحظ صيغة النسب بالفارسية قال : « أبى كان اشترىان وأبو زيد كان **بستان يان** »^(٧) ومفرد البساتين ذكره بقول : « اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً فى داره بخراسان »^(٨) . وقد أورد الجاحظ عدة صيغ لجمع المؤنث السالم ولم أجد مفرداً لها مثل كلمة شبارقات وأيارجات والنيرنجات ، والقبنات وقد جاءت هذه الألفاظ التسي لا مفرد لها فى ثنايا كتبه قال عن الشبارقات : « أبا فلان ما أدمك ؟ فيقول الشبارقات والأنخبة »^(٩) وقال يذكر

(١) البخلاء ص ٤٦ .

(٢) فى الجد والهزل ص ٢٤٤ .

(٣) الحيوان ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) فى الجد والهزل ص ٢٦٦ ، ٢٥٨ .

(٥ ، ٦) البخلاء ص ٢٤ ، ص ٥٥ .

(٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٢ .

(٨) البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٢ .

(٩) البخلاء ص ٢٠٣ .

الأيارجات والأبنجات : « والأشربة والأبنجات والأيارجات^(١) » وهو يتساءل في رسالته الترييع والتدوير عن النيرنجات : « وخبرني ما النيرنجات وما البارباي وما الكرويات^(٢) ؟ » وقال : « وصاغوا المنافع كالقرصطونات ، والقبانات ، والاسطرلابات^(٣) » .

صيغة جمع التكسير

فقد أوردها الجاحظ باشتقاقات متنوعة تماثل الأوزان التي يتخذها جمع التكسير من الكلمات العربية مثلاً كلمة سكباجة وردت عند الجاحظ في رسائله وفي أماكن أخرى قال : « أما في الصيف فسكباجة حامضة عذبة^(٤) » وقد اشتق منها الجاحظ الجمع **سكباج** على الوزن التالي { فعلال } وأوردها بقوله « قطع لحم سكباج مبرد^(٥) » ولقطة خيشة اشتق منها صيغة الجمع **خيوش** وقد وردت الكلمات هذه عند الجاحظ في كتاباته قال : « خيشتى أرض ، وماء خيشتى من بشرى ويثى أبرد^(٦) » ففي هذا النص وردت كلمة خيشتى صيغة النسب ، وفي نص آخر قال : لو كانوا إذا جلسوا فى الخيوش واتخذوا الحمامات فى الدور^(٧) فصيغة خيوش جمع تكسير على وزن { فعول } ، وصيغة أخرى من صيغ جمع التكسير اشتقها الجاحظ من المفرد دائق ، وتنوز ، وأنبار ، وسنور ، ومنجنيق وجاموس ، ودينار وصهريج جاءت هذه المفردات على وزن جمع التكسير { فعاليل } مثل **دوانيق ، وتنانير ، واناير** ،

(١) الحيوان ج ١ ص ٨١ .

(٢) الترييع والتدوير ص ٧٨ .

(٣) الرسائل مناقب الترك ص ٦٨ .

(٤) فخر السودان على اليفضان ص ١٨٢ .

(٥) البغلاء ص ٢٣ .

(٦) البغلاء ص ١٠٢ .

(٧) البغلاء ص ٢٠٥ .

وسنانير ، ومجانيق ، وجواميس ، ودنانير ، وصهاريج ، وقد جاءت هذه الألفاظ المفردة ومشتقاتها في كتابات الجاحظ بقوله : « اشترى لحم بقر بدرهم واشترى بصلاً بدانق^(١) » والجمع لهذه اللفظة أورده بقوله : « أكسب **الدوانيق** شغلك عن أن تقول يا أبا سعيد^(٢) ؟ » وتنور قال الجاحظ على لسان أحد بخلائه : « ضع الجدى فى التنور حين نضع الخوان^(٣) » وأورد الجمع قائلاً : « ثم لا ينصبون **القنائير** ولا يمكنون القدور^(٤) » ولفظة أنبار قال الجاحظ فى صناعات القواد : « لقيناهم فى مثل بيت الأنبار » وقال **أنابير** فى نفس الموضع : « وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سرجين^(٥) » . وذكر لفظه سنور **وسنانير** فقال : « وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد^(٦) » ، وسنانير ، ومن فضيلة ما فى السنانير أنها تضع فى السنة مرتين^(٧) . ثم لفظه منجنيق **ومجانيق** ذكرهما بقوله : « نصبوا منجنيقهم حول بيتي^(٨) » وقال : « ولا تعرفون من آلة الحرب الرتييلة ولا العرادة ولا المجانيق^(٩) » وجاموس اشتق منها **جواميس** وذكرهما فى نص واحد فقال : **الجواميس** هى ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية كاوماش^(١٠) ودينار الجمع **دنابير** أوردهما الجاحظ فى كتاباته فقال : « وأربعين ومائة ألف دينار

(١) البيان والتبيين ج٢ ص ٢١٩ .

(٢) البخلاء ص ١٢١ .

(٣) البخلاء ص ٥٦ .

(٤) البخلاء ص ٨٣ .

(٥) صناعات القواد ص ٣٨١ .

(٦) الحيوان ص ٥ ص ٣٤٧ .

(٧) الحيوان ج٥ ص ٣١٨ .

(٨) الحيوان ج٥ ص ٢٩٨ .

(٩) البيان والتبيين ج٣ ص ١٧ .

(١٠) الحيوان ج٥ ص ٤٥٩ .

فأقسمها^(١) » وقال : « إنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير^(٢) » ولفظة أخرى من صيغ الجموع التي على وزن { فعاليل } وهي صهريج وقد اشتق منها الجاحظ الجمع **صهاريج** على وزن { فعاليل } لفظه صهريج ذكرها بقوله : « أمرت بصهريج لى فى بستان عليه نخل مطل^(٣) » وصهاريج ذكرها الجاحظ فى نفس المكان من رسالته هذه قال : « أحب إلينا من صهاريج ملئت للعب^(٤) » .

ومن جموع التكسير **طوامير** ومردة وصكاك ، وقد جاءت هذه الاشتقاقات من ألفاظ إيرانية الأصل ، فلفظة الطوامير مفردا طومار ذكرها الجاحظ بقوله : ثم جعلت الكتاب فى سدس طومار ليكون المغرور أوثق بها^(٥) « والجمع طوامير على وزن { فعاليل } أورده الجاحظ فى رسائله فقال : ورب كلام قد ملأ بطون الطوامير قد عرف جملة وما فيه^(٦) » ولفظة **مردة** ذكرها الجاحظ فقال : ومردة الأعراب وفتاك نهريط^(٧) « هذه اللفظة جاءت على وزن { فعلة } من المفرد مرد الذى ذكره الجاحظ فى بيانه يسومونى مردا^(٨) » .

أما لفظه **صكاك** التى ذكرها الجاحظ فى حيوانه : لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل أقطاع^(٩) « هذه اللفظة على وزن { فعال } ومفردا

(١) البخلاء ص ٤١ .

(٢) البخلاء ص ١٠٦ .

(٣) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٨ .

(٤) الحنين إلى الأوطان ص ٣٩٩ .

(٥) كتاب القيان ص ١٧٢ .

(٦) كتمان السر وحفظ اللسان ص ١٤٩ .

(٧) البخلاء ص ٥٠ .

(٨) البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٢ .

(٩) الحيوان ج ١ ص ٦٩ .

ذكره الجاحظ بقوله : « ثم نهض بالصك وعليه طيسته^(١) » ، أما لفظ **سراويل** : « وسراويل وشى مسدولة » على وزن فواعيل وسراويلات : « تعرفون الأقبية ولا السراويلات^(٢) » جمع مؤنث سالم ، قال الليث في اللسان أعجمية أعربت وأثنت والجمع سراويلات^(٣) ، وكذلك لفظة تكة : وأهدت إ في النيروز تكة وسكرا^(٤) ، وجمعها **تكك** قال : قد جذبه إلى حب الحمام وعمل التكك^(٥) « على وزن { فعل } النيروزي : تنازعا في العنب النيرو ، والرازي صيغة النسب .

ومن صيغ الجموع اشتق الجاحظ الصيغ التالية **برابط** وقلانس على و فعالل وجواهر من المفردات بربط ، وقلنسوة ، وجوهر وقد جاءت صيغ الج التي ذكرها الجاحظ على وزن { فواعل } وسوف أذكر النصوص التي جاءت ، الكلمات المفردة وجموعها ، فلفظة بربط ذكرها الجاحظ في التربيع والتد قال : وخبرني عن صيغة البربط^(٦) « وفي نفس الرسالة ونفس الموضع ، الجمع برابط فقال : « وهلا قدمتم أقليدس مع صيغة البرابط والمعازف^(٧) والقلنسوة ذكرها الجاحظ مع جمعها **قلانس** في أماكن كثيرة لا تحصى مثل : في البخلاء : « ومن الإصلاح قلب خرقة القلنسوة إذا اتسخت^(٨) » وذا موضع من رسائله ذكر القلانس قال : « ونحن أصحاب التجاف والأجراس والبازبكند واللبود الطوال والأغماد المقفعة والشوارب المعز

(١) البخلاء ص ١٤٢ .

(٢) البيان والتبيين ج٢ ص ٣٤٢ .

(٣) البيان والتبيين ج٣ ص ١٩ .

(٤) كتاب القيان ص ١٧٣ .

(٥) الحيوان ج١ ص ١١٨ .

(٦، ٧) الترييع والتدوير ص ٨٢ - ٨٣ .

(٨) البخلاء ص ١٠٥ .

والقلانس الشاشية^(١) « { قلانس = فعالل } ثم ذكر الجواهر **والجواهر** فقال
فى البيان والتبيين : الفلز : جواهر الأرض من الذهب والفضة والسنحاس
والآنك وغير ذلك^(٢) . والجواهر جاءت فى نص من نصوص الجاحظ قال :
« وإذا عرفتم الجواهر وحفظوها من القوى ، فعند ذلك فتعاطوا الإنكار
والإقرار^(٣) » .

ومن صيغ الجمع التى وردت عند الجاحظ **زنادقة** جمعاً لزنديق ،
بيازرة ، جمعاً لبزيرار وموابذة جمعاً لموبذ ، وصوالجة جمعاً لصوجلان وقد
كانت على وزن { فعالة } وجاءت فى نصوص من كتابات الجاحظ مثل لفظة
زنديق وردت فى الحيوان وكذلك جمعه الزنادقة ، قال الجاحظ فى حيوانه :
« ومسألة أخرى سأل عنها أمير المؤمنين الزنديق الذى كان يكنى بأبى على^(٤) »
وزنادقة : « إن إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب . كإنفاق النصارى على
البيع^(٥) » ولفظة بازيرار صاغ منها الجاحظ الجمع على **بيازرة** وهى على الوزن
{ فعالة } من جمع التكسير فى العربية ، وقد وردت عند الجاحظ فى قوله :
« بلغ من رقة طبع البازى وعتقه أنه ينقطع برد البازيرار له إلى مسقطه من
يده^(٦) » وذكر البيازرة جمعاً للبازيرار فقال : « يخفى مكانه على البيازرة
والكلابين^(٧) » ولفظة موبذ اشتق منها الجاحظ صيغة للجمع **موابذة** على وزن
{ فعالة } وقد وردت لفظة موبذ فى النص التالى : « وحكى الموبذ أنه قرأ فى

(١) مناقب الترك ص ١٩ .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص ٣١ .

(٣) الحيوان ج٣ ص ٣٧٤ .

(٤) الحيوان ج٤ ص ٤٤٢ .

(٥) الحيوان ج١ ص ٥٦ .

(٦) الرسائل ج١ ص ٢٧٧ .

(٧) الحيوان ج٢ ص ١٢٠ .

سيرة اسفنديار بن يستاسف من لهراسف بالفارسية^(١) « وقال عن الموابذة : فأما نغمة الهرابذة ولغة المرابذة فلصاحب تفسير الزمزمة^(٢) » . وذكر الصولجان وجمعها **الصوالجة** فقال : « أن يتقدم بدابته على دابة الملك وصولجانه على صولجان الملك^(٣) » وقال ولذلك اختاروا البراذين للصوالجة والطبطابات^(٤) « ووزن آخر من أوزان الجمع اشتقه الجاحظ من لفظة « البد » وجمعها **البددة** ، وقد جاءت هذه اللفظة في كلام الجاحظ : « ما الفرق بين البد والوثن » وقال ذاكرًا الجمع بددة^(٥) : كإنفاق الهند على سدنة البددة^(٦) . وصيغة الجمع بددة جاءت على وزن { فعلة } .

صيغ الأفعال

في الكلمات الدخيلة التي وردت في مؤلفات الجاحظ فهي صيغ نادرة وقليلة الوجود وقد وردت الأفعال **تمجست** و**تزندق** ، وقد صاغها الجاحظ من الألفاظ مجوس وزنديق ، وقد ذكر الجاحظ هذه الأفعال في كتاباته عدة مرات وفي أماكن مختلفة من رسائله وكتبه ، قال يذكر لفظة مجوس : قال فهؤلاء المجوس يرتعون البصرة وبغداد وفارس^(٧) « واشتق منها صيغة تمجست فقال : « وتهود ذو نواس وتمجست ملوك سبأ^(٨) » . ولفظة زنديق ذكرها الجاحظ قال

(١) الحنين إلى الأوطان ص ٤٠٨ .

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٣ .

(٣) التاج ص ٧٣ .

(٤) البغال ص ٣٧٦ .

(٥) الحيوان ج ١ ص ٥ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ٥٦ .

(٧) البخل ص ١٠٤ .

(٨) الترييع والتدوير ص ٧٦ .

« سأل عنها أمير المؤمنين الزنديق الذي كان يكنى بأبى على^(١) » واشتق من هذه اللفظة صيغة تزندق وهى على وزن تفعل فقال : « ونحن لم نر أحدا قط ألد ولا تزندق من قبل الغلط فى كلام الإمامة والاختلاف فيها^(٢) » وهكذا نرى أن ورود صيغ الأفعال فى الكلمات الدخيلة عند الجاحظ قليل ، والصيغ التى وردت : تمجست على وزن تفعلت وتزندق على وزن تفعل .

الألفاظ الآرامية الدخيلة والصيغ الاشتقاقية عند الجاحظ :

هذه الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية وردت عند الجاحظ بشكل قليل بالنسبة للألفاظ الإيرانية وفى مجال القدرة الاشتقاقية جاءت صيغها على هيئة الجمع وإن كان جمع المؤنث السالم هو الغالب على هذه الصيغ الاشتقاقية ثم جمع التكسير ، أما جمع المذكر السالم فيكاد يكون نادرا جدا . وقد جاءت بعض الصيغ على وزن النسب وهى قليل الورد .

جمع المؤنث السالم للألفاظ الآرامية ذكره الجاحظ فى أماكن عديدة وصفحات كثيرة من كتاباته منها الرسائل والحيوان والبيان والتبيين فقد جاءت الألفاظ : طبطابات وأطرغلات وديورات ، فقد وردت لفظة المفرد طبطاب فى قول الجاحظ : والنزو على الخيل صغارا ، ومثل الطبطاب والصوالجة^(٣) وقال يذكر الجمع **طبطابات** : اختاروا البراذين للصوالجة والطبطابات والمشاولة^(٤) .

أما لفظة الأطرغلة مفرد **الأطرغلات** فقد ذكرها الجاحظ فى حديثه عن

(١) الحيوان ج٤ ص ٤٤٢ .

(٢) العثمانية ص ٢٧٠ .

(٣) مناقب الترك ص ٢٢ .

(٤) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

الطيور قال : وبين الأطرغلة والشقراق قتال لأنه يقتل الأطرغلة^(١) « وقال : الأطرغلات والحمام البرى فإنها تبيض مرتين فى السنة^(٢) » .

واللفظة دير مفرد **ديورات** التى ذكرها الجاحظ فقال فى حديثه عن إحدى نساء العرب المعروفات : فخطبها زياد وكانت فى دير لها^(٣) « وأورد الجمع ديورات وهو جمع استحدثه الجاحظ فى استخدامه اللغوى للألفاظ فقال : كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين فى الديورات والبيوت^(٤) » .

صيغ الجمع

وردت عند الجاحظ فى ألفاظ الأكرة وسفرجل وبيع وغيرها كثير ، وهذه مجرد أمثال لألفاظ جموع التكسير التى ذكرها الجاحظ فى كتاباته واشتقها عن الألفاظ الآرامية وقد ذكر مفرداتها مثل أكار بقوله : إذا صعد ابن الأكار إلى نخلة له ليلتقط له رطباً ملافاً ماء^(٥) « أما الجمع **أكرة** فهو على وزن { فعلة } وقد ورد عند الجاحظ بقوله : والرطب أهون على أولاد الأكرة^(٦) » .

ولفظه السفرجلة وردت عند الجاحظ فى نص مع الجمع **السفرجل** فقال فى الحيوان : « أنهم ربما فلقوا السفرجلة أيام السفرجل للنقل والأكل^(٧) » وقد جاءت لفظة السفرجل على وزن { فعلل } أما لفظة بيعة فقد ذكرها الجاحظ فقال : فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة^(٨) « **والبيع** صيغة الجمع أوردها الجاحظ

(١) الحيوان جـ ٢ ص ٥١ .

(٢) الحيوان جـ ٣ ص ١٧٠ .

(٣) فصل ما بين العداوة والحسد ص ٣٧٢ .

(٤) الرد على النصارى ص ٢٠ .

(٥) البخلاء ص ١٢٩ .

(٦) البخلاء ص ١٣٣ .

(٧) الحيوان جـ ٣ ص ٣٤٨ .

(٨) البيان والتبيين جـ ٣ ص ٤٨ .

يقوله : إن إنفاق الزنادقة على تحصيل الكتب كإنفاق النصارى على البيع^(١) « وصيغة الجمع وردت على وزن { فعل } ومن الصيغ الاشتقاقية للألفاظ الآرامية المعربة التى وردت عند الجاحظ صيغة النسب مثل **نسطورى** قالها الجاحظ فى حديثه عن النصارى : تعلق النسطورى فى المطامير .

أما الألفاظ اليونانية الدخيلة والصيغ الاشتقاقية التى وردت عند الجاحظ من هذه الألفاظ معظمها كان صيغاً لجمع المؤنث السالم وجمع التكسير وإن كان جمع المؤنث السالم يحتل مركز الصدارة من بين الجموع وصيغها المتنوعة^(٢) .

فمن صيغ **جمع المؤنث السالم** التى وردت فى كتابات الجاحظ مثل القرسطون والجمع **قرسطونات** وقد ذكر القرسطون فقال متسائلاً : ومن صاحب القرسطون^(٣) ؟ والجمع ذكره فقال : وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات^(٤) « . القرسطون : يقول القالى : قال الخليل : القرسطون بفتح القاف والراء وسكون السين وضم الطاء هو القبان بلغة أهل الشام وهو القلسطون باللام^(٥) . ولفظة الأسطرب والجمع **أسطربالات** قال الجاحظ : ومن صاحب الأسطرب^(٦) ؟ وقال : وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والأسطربالات^(٧) « . ولفظة إجانة والجمع منها **إجانات** قال الجاحظ فى حديثه عن الأوانى التى تستعمل لغسيل الثياب : وكانت عندهم أوعية

(١) الحيوان ج١ ص ٥٦ .

(٢) الحيوان ج٤ ص ٤٥٨ .

(٣) الترييع والتدوير ص ٤٤ .

(٤) مناقب الترك ص ٦٨ .

(٥) البارع للقالى ص ٥٥٤ .

(٦) الترييع والتدوير ص ٤٤ .

(٧) مناقب الترك ص ٦٨ .

يغسلون فيها ثيابهم يقال لها الإجانات وقال : وإذا هو قد أخرج إجانة كان فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب^(١) .

ومن صيغ الجمع التي وردت عند الجاحظ وكانت مقتبسة عن اليونانية لفظة براذين ودراهم . وقد ذكر الجاحظ البرذون مفرد البراذين بقوله : وكيف يجعلون البرذون لاحقاً بالعتيق وإن دخل الفرس من أعراق البراذين شيء من الهجنة^(٢) « أما الجمع براذين فهي على وزن { فعاليل } وقد وردت عند الجاحظ بقوله في النص السابق من أعراق البراذين ، ولفظة دراهم قال الجاحظ : وهل اجتمعت أموال بيوت الأموال إلا بدرهم^(٣) وقال : كان على باب داره درهمان وقيراط^(٤) « أما الجمع فقد ذكره الجاحظ بقوله : من المنكر أن يشتري جدى بعشرة آلاف دراهم^(٥) إن لفظة دراهم على وزن { فعالل } صيغة اشتقاقية من الصيغ التي جاءت عن الكلمات اليونانية . وكذلك لفظة رطل وقد جاء الجاحظ بصيغة التانيث منها رطلية وذكر الرطل فقال : ما شربت أمس بمقدار نصف رطل^(٦) « وقال : حتى تركناهم في أضيق من رطلية^(٧) « ولفظة رطلية على وزن { فعلية } وهي مصدر صناعي .

(١) الحيوان ج٢ ص ٢٤٩ .

(٢) كتاب البغال ص ٣٧٦ .

(٣) البخل ص ٣١ .

(٤) البخل ص ٣١ ، ص ٣٥ .

(٥) البخل ص ٤٣ .

(٦) البخل ص ١١٧ .

(٧) صناعات القواد ص ٣٩٠ .

الخاتمة

أن اهتمام الجاحظ بالمجتمع الإسلامي وتطوره قد ساعده إلى حد كبير على إدراك مسألة مهمة ، هي اللغة وتطورها في إطار التطور الاجتماعي .

فاللغة في كتابات الجاحظ ذات صلة وثيقة بفئات الناس الاجتماعية وطبقاتهم . لست أريد أن أعرض للجاحظ هنا فله السبق حيث كان الفكر في مرحلة من البحث وراء العلل التي لم تكن آثارها اتضحت للفكر الإسلامي بعد فأناز طريقها أبو عثمان .

وفي دراستنا لألفاظ الحضارة العباسية في ضوء كتابات الجاحظ برزت لنا عدة أمور منها ظاهرة التخصص في العمل والمعرفة التي يصورها الجاحظ في كتاباته ويتخذ آراءها موقفاً محدداً تبعاً لطبيعة التخصص ومجاله .

وأمر آخر اهتمامه بمنزلة الحرف وأصحابها في المجتمع وقد أظهر الجاحظ اهتماماً كبيراً في هذا المجال فهو يهتم بالفرق بين لغة العامة ولغة الخاصة ويتضح هذا في تصنيفه الناس إلى صنفين : عامة وخاصة ، وذلك عند الحديث عن البلاغة ومستوى المتكلمين في مراعاة أصول لغتها .

والجاحظ مولع بإظهار أثر الصنعة في اللغة ، وهو يتقصد المتكلم أو الخطيب الذي يعجز عن الاتيان بألفاظ مناسبة للمقام فيضطر إلى استعمال ألفاظ تنسب إلى صناعته أو اختصاصه ، كأن يستعمل المتكلم ألفاظ الفلسفة وعلم الكلام ، فإذا وقف ليخطب أتى بألفاظ الأيسية ، والليسية والجوهر والعرض والجاحظ في بخلائه يقصد إلى استغلال هذه الناحية لخلق فن جديد من الاضحاك والامتناع ، فمن بين بخلائه متكلمون يستغلون حجج المنطق وعلم الكلام في أمور لا تمت إلى المنطق أو علم الكلام بصلة ، وكأن الجاحظ قصد إلى وضع ألفاظ المتكلمين على ألسنتهم ، لينقلها من باب الجدل إلى

معرض الهزل ولفظتا الجوهر والعرض من أكثر الألفاظ التي كان المتكلمون مولعين بها .

ويقصر الجاحظ اهتمامه على الناطقين باللغة العربية أصلاً وحسب ، وهو يخرج من اعتباره الفلاحين والصناع والباعة والحشوة لأن الغالبية العظمى من هؤلاء لا تفهم الفصحى بسهولة ، ويبدو أن لغتهم اختلطت فيها العربية بلغات أخرى . ويعطينا الجاحظ الدليل على هذا في أكثر من موضع من كتاباته المتعددة . ويبدو أثر اللغة الفارسية وغيرها من اللغات الأجنبية المحلية واضحاً في الاستخدام اللغوي للمجتمع العباسي وذلك بصور مختلفة ، ولا يقتصر هذا الأثر على دخول ألفاظ غير عربية الأصل في اللغة العربية ، بل وفي شيوخ اشتقاقات من هذه الأصول الأجنبية أيضاً .

أما المحاورات في كتابات الجاحظ - وتأتي في أمثلة كثيرة - تبدو المحاوراة وكان الجاحظ لم يحدث فيها تحويراً كبيراً ، إلا ليلائم بينها وبين ما يصلح للكتابه فقط ، في حين هو نقل الحديث بروحه وبالطريقة التي تحدث بها صاحبه ، والجاحظ في أحيان كثيرة ينقل لنا النص عن عامة الناس دون تحوير . وهناك ألفاظ في العامية انتقلت من معناها وصارت تتضمن معاني أخرى في لغة الكلام ، وهذا المدلول ندركه من الاستعمال لا من المعجم ، ومن أمثلة ذلك لفظتا (التبلىة والبرنبد) وهما غير عربيتين وأيضاً لفظ الناطور . ويشير الجاحظ إلى أن لفظة الناطور كانت شائعة في سواد العراق بصورة خاصة .

ويكشف لنا الجاحظ عن جوانب مهمة من لغة المكديين وأصحاب الصنعة على لسان خالويه المكدي ، كما يكشف عن لغة أهل الفتوة على لسان أبي الفاتك الذي يصفه بأنه قاضي الفتيان . ولقد وجد الجاحظ الحاجة ماسة لأن

يشرح ما ورد من ألفاظ في حديث خالويه (البخلاء ص ٤٤ - ٤٦) مما يشير إلى أن هذه اللغة لم تكن شائعة أو معروفة عند جميع الناس وفي متابعة هذه الألفاظ في المعاجم اللغوية وجدنا الاختلاف كبيراً بين ما قصد إليه أبو الفاتك وبين ما فسرتة لنا هذه المعاجم .

وبحث الجاحظ أيضاً في لغة الحيوان وترقيتها من القط والكلب إلى القرد ، وعدد الحروف التي تنطق بها (الحيوان ج ٥ ص ٨٩) . فهذا الكتاب يدرس ألفاظ الحضارة العباسية بضوء ما عرضه الجاحظ فيعطينا صورة واضحة للحضارة العباسية ، يعطينا صورة لتكتل الناس على أساس الحرف ، ولتكتلهم على أساس القوميات ، وفي هذا العمل قصدت طوائف معينة من الألفاظ وهي :

- ١ - اللفظ القديم الذي ذكره الجاحظ واندثر في عصرنا هذا ، وهو مفيد لو احسنا اختياره .
- ٢ - واللفظ القديم الذي كان من مادة المصطلح العلمي ويحسن استخدامه في عصرنا هذا .
- ٣ - اللفظ الأعجبي الدخيل مما عرّبه العرب أو مما لم يعرّبوه ، وفي ذلك أهمية حضارية تاريخية ، ذلك أن نوع هذه المعربات تكشف عن فوائد تتصل بالحضارة .
- ٤ - اللفظ العامي الذي استخدمه الجاحظ لغرض ما ، واللفظ الذي ولده العوام في عصره مما لا يمكن أن نجد له أصلاً قديماً .
- ٥ - اللفظ الذي يكشف عن خصوصية جاحظية كأن يتفرد الجاحظ بصوغه وبنائه ، ولم نجده في المعاجم اللغوية .

هذه جملة فوائد عرضت لها في هذا الكتاب الذي وسمته بعنوان « الفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ » وهذا شيء من فيض أبي عثمان عمرو من بحر الجاحظ الذي عرفته فأنست بالفاظه . وتعقيبها لاقف عليها وقفة جديدة اتوسم فيها خدمة اللغة العربية .

الكشاف اللغوي للكتاب

**يضم هذا الكشاف الالفاظ الحضارية
التي تناولها الكتاب مع مواضع ورودها في صفحاته**

الكلمة	الكلمة
اجاتنة ٧١ ، ٥٨١ ، ٦٠٣	حرف الالف
اجراس ١٨٦	آب
اجسراف ٣١٦	آبار الزور ٩٦ ، ٢٣٣ ، ٣٢١
اجسرام ٣١٩ ، ٣٢٠	اباضية ٢٠١
اجر ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٧٣ ، ٥٨٤	اباضي ٢٠١
اجذاع ٣٠٧	ابرردس ٢١٤
اجماع ٢٠٦	إبرة ١٥٠ ، ١٥٣
احتكار ٢٤٤ ، ٣٦٦	إبزار ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ٤٥٣
أحرار ٢٨٨	إبله ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣٣ ، ٢٥٢ ، ٥٨٤
أحنف ٢٧٧	ابنجات ٢٧٩ ، ٤٢٩ ، ٥٨٩
أخبصة ٩٠	ابنوس ١٣١ ، ٣٠٦ ، ٥٦٣
أخصاص ٢٤	أبو مارس ٢١٤
آدام ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢٦٠	إساة ٢١٤
أدحاض ٢٠٦	أترج ٢٦٠ ، ٣٠٢
آدم ٢٦٠	أئون ١٥٤
أدير ١١٥	أثمان ٢٥٣
أراييح ٤٣٣	أطاط ٢٧٧
أرباء ١٧٤	أمد ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٥٠
أربيان ١٢١ ، ٥٤٣	أجام ٣٩
أرت ١٤٣ ، ١٤٤	اجانات ٧١ ، ٦٠٣
أرحاء ١٠٩	

الكلمة	الكلمة
أردن ١٦٤	أستفشار ٣٦٩
أرز ٥٢٨ ، ٦٤	استف ٣٠٤
أرزة ٥٤٣ ، ٢٩٥ ، ٩٠	استنباط ٢٠٦
أردية قطرية ٦٣	استنطى ٤٠٦
أركند ٥٧٨	أسحال ١٦٩
أزارقة ١٤٩	أسر ٢٧٥
أرج ١١٨	أسرس ٥٧٢
إرار ١٥٣	أسرنج ٧٤ ، ٧٣
أزر ٦٤	إسطلابات ٦٠٣ ، ٥٦٩
أرققي ١٤٨	إسطيل ٤٠٨ ، ٥٧ ، ٥٥
أزقة ٣٥٤ ، ٢٢	أسقف ٢٠٩
أرم ٢٧٦	إسكرجة ٣٦٣
أزور ٢٠٥	أسلحة ١٩٤
أزورد ٥٤٧	إسهال ١٤٩
أرياء ٢٧٤	أسياف ٣٦٢ ، ٣١٦
أس ٣٠٤	إسيكرة ٨٠
أساقفة ٢٠٩	أشباه ٣١٨
أساكفة ٥١٩	أشبانيين ١٢٦
أساور ١٨	أشتركاوبلنك ٥٣٩
أستار ٥٢٣	أشتر مرغ ٢٩٥
إستمام ٤٠٨	أشترنج ٥٤٧

الكلمة	الكلمة
أغوار ٣١٧	اشتريان ٤٧٦
أنتك ٤٠٤	أشراط ١٧٩
أقبية ٦٧، ٦١	أشربة ٤٦٩
إقتصاد ٢٤٤	أشقىل ٢٠٨
أقط ٩٦، ٩٥	أشكنج ٤٧٤
إقطاع ٣٦٧، ٢٤٧	أشلوما ١١٥، ٤٤٤
إقليميا ٥٧٠، ٣١٢	إثنان ٤٦٨، ٢٨١، ١١١
أكار ٥٧٨، ٢٢٥، ٤١، ٣٩	إصبار ١٠٨، ٩٦
أكرار ٢٥١	إصطبل ٤٥٧، ١٥٣، ١٤٩
أكراد ٣٩	أصطلابات ٣٢٢
أكسرة ٦٠٢، ٥٧٩، ٤١، ٣٩	أصناف ٣٧٠
أكسيرات ١١٩	إضحيانة ٣١٥
أكسير ٤٥٥	أضمة ٢٨٣
أكسية ٣٦	أطرغلات ٦٠١
إكليل ٥٧٤	أطرغلة ٥٨٦
آلات ١٨٤	إطلع ٣٧٦
ألف ٣٤٠	أعالي ٣٤١
التهاب ٤١٠، ٢٧٥	إمذار ٣٠٧، ١٠٢
السراح ٢٧٠	أغداق ٢٣١
إمارة ٣٤٧	إعلاج ٣٩
امير الجيش ١٨٣	أغلل ٣١٦

الكلمة	الكلمة
حرف الباء	أنابير ٢٢٩، ١٥٤، ١٥٣، ٥٦٩، ٤٦٦
بابل ١٦٢	أنبار ٢٢٩
بايكير ١٨٠	انبجات ٥٨٩
باب الجسر ٢٥٨، ١٩	أنبذة ١١٢
باذامك ٥٣١	إنبوبة ٢٨٢
باذنجان ٤٤٩، ٣٠٢	آنك ٥٤٦
باذورج ٣٠٣، ٤٦١	أندلس ١٦٩
بارباري ٤٧٦	أنديّة ٧١
بارجين ٤٦٥، ٨٠	أنباط ١٧٣
باريسار ٥٠٧	اهواز ١٦٦
باريكند ٤٨٨، ٦١	أواخي ٣٨٧
باضوركي ٥١٩	اوارى ١٤٨
باطنة ١٩	أوب ٢١
بالوعة ١٥٥	اوفاق ٤٣٤
بالوعات ٣١	أوقية ٢٥٠
باكورات ٥٣١	أوكية ٤٣٤، ٢٢٩
بال ٥١٦، ٢٩٢	أيارجات ٥٩٤، ٥٥١، ٢٨٠
بانوان ٥٦٠، ٥٦	إيقاع ١٣٣
باورات ٢٥١	إيوان ٤٧٨، ١٥٤
باور ٢٥١	

الكلمة	الكلمة
ببركار ٥١٧	ببغاء ٢٨٩
ببرم ١٠٩	بببر ٥٤٢
ببرمة ١٠٩	ببخور ١٢٩
ببرنية ١٠٩	ببدة ٦٠٠
ببرني ٣٠٣	ببذ ٥٢٥
ببرنكان ٤٨٦، ٤٦٠، ٤٩٩	ببرابط ٥٩٨، ٤٩٩
ببرنج ١٦١	ببراطات ١٣٤
ببروج ٢١٣	ببرادات ١١٩، ١٠٩
ببزار ١٥٦	ببراذين ٦٠٤، ٥٦٦
ببزارون ٤١	ببراذع ٥٨٦، ٤٦٩
ببزاورد ٤٤٨، ٨١	ببربط ١٣٣
ببزيل ١١٣	ببريهار ٥٨٩، ٢٨٠
ببزيون ٤٨٥، ٦٢	ببريهارات ٢٨٠
ببستان بان ٥٩٤، ٥١١	ببريند ٥١٤، ٢٣٠
ببستندود ٩٨	ببريد ٥١٢، ٢٦١
ببشم ٢٧٦	ببر ٢٢٨
ببصرة ٥٣، ١٨، ١٧، ١٦	ببرجاس ٥١٧، ٩٨
ببط ٣٤	ببرستوج ٥٣٩، ٢٩٢
ببطارقة ٢١٠	ببرسام ٥٥٠
ببطريق ٥٧٦	ببرش ٢٧٢
ببطم ٥٨٢، ٣٠٦	ببرص ٢٧٢

الكلمة	الكلمة
بياح ٨٧	بفداد
بيادره ٢٢٨ ، ٢٢٦	بفلات ٤٧ ، ٤٦
بياررة ٥٩٩ ، ٤٨ ، ٣٨	بقال ٤١٣
بيت المقدس ١٦٣	بقيري ٩٧
بيت الأنبار ١٥٤	بلابل ٢٨٩
بيسري ٣٩٨ ، ٤٨ ، ٤٧	بلادر ٥٨٨
بيضان ١٧٤	بلاط ٩
بيطار ٥٦٧ ، ٢٩٩	بلالية ٣٦ ، ١٨
بيع ٦٠٢ ، ٢١٠	بلنك ٢٩٠
بيعة ٥٧٤	بلور ٢٣٣
بیمارستان ٥٥٣ ، ١٥٣ ، ١٥٢	بنادره ٥٠٨ ، ٢٤٥
بیمارستانات ٥٩٢ ، ٢٨٢	بنجكان ٥٠٢
بيوت ٢٣	بنفسج ٥٥٢ ، ٢٥٨ ، ١١٣
	بنكامات ٥٥٦
	بننى ٢٩٢ ، ٨٧
	بنوي ١٩٤
	بوارى ٤٧٦ ، ٣٤
	بـ اسير ٢٧٥
	بـ ...واري ١٧٥
	بوش ٥٥٩ ، ٢٣٧
	بهق ٢٧٢
حرف القاء	
تاريخات ٤٢٧	
تانبوك ٥٣٠ ، ٢٨٠	
تاويل ٢٤٣ ، ٢٠٧	
تبيت ١٦٩	
تبليا ٢٣٠	
تشمير ٢٤٤	

الكلمة	الكلمة
تجافيف ٤٨٨ ، ٦٢	تجافيف ١٤٦ ، ١٣١
تجسس ١٨١	تقعير ١٤٦ ، ١٣١
تجوير ٣٨٥ ، ٢٠٧	تقييه ٣٨٩ ، ٢٠٠
تجمير ١٢٧	تكة ٦٣
تخت ٥٠٢	تكدية ٥٥
تدبيق ١٣٧	تكك ٥٩٨ ، ٤٩٢
تدخين ١٢٩ ، ١٢٧	تاريد ٢٨٦
ترجمان ٢٧١	تمجست ٦٠٠
ترياقات ٥٩٣ ، ٢٧٨	تمطيط ١٤٦
ترياق ٥٥٢ ، ٢٧٩	تمور ٥٨٤ ، ٣٢١
ترنجين ٤٥٥ ، ٣٠٢	تنانير ٥٩٦ ، ٧٣
تزنديق ٦٠٠	تنور ٤٦٦ ، ١٥٤ ، ٧٣
تسريح ٣٥٥ ، ٧٠	تنجيم ١٢٧
تسوية ٣٨٨	تنين ٥٨٧ ، ٢٩٨
تشرين الاول ٣٢١	توتياء ٥٤٧ ، ٢٧٩
تشديق ١٤٦ ، ١٣١	توت ٣٠٣
تشيع ٢٠٧	تورا ٢١٣
تعديل ٢٠٧	تورية ٣٤٨ ، ٢٠٧
تعطيل ٣٧٧ ، ٢٠٧	تولد ٣٩٣ ، ٢٠٨
تفاح ٣٠٣ ، ٩٩ ، ٩٨	حرف الثاء
تقامر ٩٨	تريدة ٨٤

الكلمة	الكلمة
جيس ٢٥	ثريد ٨٤ ، ٨٦
جيسين ٢٥ ، ٤٧٦	ثغور ١٨٢
جشقة ٢٠٩	ثلجاء ٣١٥
جسد ٢٢٣	ثلج ٩٩ ، ١١٤ ، ١١٨
جندام ٢٧٣ ، ٣٠٧	٣٩٠
جرار ١١٧	ثنوية ١٩١
جرادق ٩٣ ، ١٥١	ثنوي ١٩٣
جربان ١٥٣ ، ٤٨٦	تزلزل ٢٧٦
جرب ٢٧٣	
جرثومة ٢٩٩ ، ٣٥٢	
جردبيل ١٠٤	
جردقتين ٩٥ ، ٥٩٤	
جرذقة ٥١ ، ٤٤٦	
جرذق ٩٣	
جرري ٨٧ ، ٢٩٢	
جريب ٢٤٩	
جزء ٣١٩	
جزر ٢٢٣	
جص ٢٥ ، ٤٧٣	
جمائل ١٢١ ، ١٢٢	
جمالة ١٢١ ، ١٢٢	
	حرف الجيم
	جائليق ٢٠٩ ، ٥٦٢
	جادة ٢٢ ، ٤٧٤
	جاورس ٣٠٦ ، ٥٣١
	جام ٧٨ ، ٥٩٢
	جامات ٧٨ ، ٤٦٢ ، ٥٩٢
	جاموس ٥٣٨
	جائحة ٢٤٤
	جباب ٦٠
	جبر ٢٠٥
	جبة ٦٠
	جبرية ٢٠٥

الكلمة	الكلمة
جسودابية ٥٨٥ ، ١٥٢ ، ٨٣ ، ٨١	جعفرية ٢٥٥
جوارشن ٤٨٩ ، ٩٧	جعفريات ٢٥٥
جواسق ٢٤	جفلة ١٠٤
جواميس ٥٩٦	جفنة ١١٣
جوامر ٥٩٩ ، ٣١٢	جفير ٢٢١
جوافة ٨٧	جلاب ٤٧٢ ، ١١٣
جواف ٢٩٢	جلال ٣٠٠ ، ١١٠
جور ٣٠٦	جلاليب ٤٣٦ ، ٦٠
جورينج ٤٥٧ ، ٩٤ ، ٨٩ ، ٨٨	جلاهق ٥٠٢
جولان ١٦٣	جلة ٣٣٦ ، ١٨٩ ، ١١٠
جون ٥٣٣	جلسن ٣٠٩
جوهمر ٥٤٥ ، ٢٠٨	جمارة ٣٠٣
جيسران ٤٦٠ ، ٩٩	جمارات ٥١٦ ، ٢٥٥ ، ٦٣
جيزة ٣٩٦ ، ٢١	جمالة ١٢٢ ، ١٢١
حرف الحاء	جمهور ٣٣٦ ، ١٧٧ ، ١٦٠
حاشية ٣٣٥ ، ١٧٧	جننة ٦٤
حاجب ٣٣٤	جنديابور ٢٥٢ ، ١٨١
حاكاة ٢٣٧ ، ٤٢	جنسد ٢٥٢ ، ١٨١
حائك ٤٢	جهارسوك ٢٢
حاري ١٢٩	جهمية ٢٠٦
حانرت ٢٤١	جورب ٦٨

الكلمة	الكلمة
حشوة ٤٠، ٣٧	حساوي ١٢٩
حشوية ٢٠٥	حبة خضراء ٤٦٦
حصر ٣٤	حب الأراك ٣٠٥
حضور ٢٥٥	حسب ١١٧
حطامات ١٠٠	حبرة ٦٥
حقنة ٢٨٢	حُبسة ١٤٣، ١٤١
حُلْكة ١٤٣، ١٤١	حبشة ١٦٥
حكومة ٣٩٦، ١٦٠	حبلات ٦٨
حلا ٢١٤	حجاب ١٧٨
حلقان ٣٠٣	حجامة ٤١
حلق ١٣٧	حجامون ٤٢
حلوان ٢١٤	حراس ٤٥، ٤٢
حلي ٧٣	حراقات ١٨٥
حمامات ١٤٨، ٣٠	حربية ١٩
حمص ١٦٣	حرر ١٢٨
حموه ٤٠٧	حرفة ٣٦٣
حمرى ٢٧٦	حرس الأسواق ١٨٠
حناط ٣٨	حزورة ١٦٤
حناء ٢٥٨	حزون ٢٣٩
حنطة ٢٢٨	حسك ١٨٦
حزن ٢٥٨	حسو ٨٩

الكلمة	الكلمة
خرس ١٠٢	حواري ٩٤
خريطة ٣٢٢	حواضين ٣٠٤
خروج ٣٠٥	حوانيت ٢٤١
خريجة ٣٦، ١٨	حوزة ٢٧
خشخاش ٣٠٥	حورك ٦٤
خش بخر ٥٦١	حيسة ١٠٠، ٥٨٩
خشكار ٤٥٥، ٩٣	حيس ٨٩
خشكنان ٤٥٦	حيز ٣١٩
خضرة ٣٨٣	
خطاط ٤١٤	حرف الخاء
خطرة ١٣٥	خارجي ٢٠٠
خطل ١٣٦	خانات ٥٩٢، ٢٦١
خفاتين ٦٧، ٦١	خان ٤٨٤، ٢٦١
خفاف ٦٧	خبار ١٥٠
خلاسية ٢٩٠	خباص ٤١٤
خلاخيل ٦٨	خبز ١٠٠، ٩٢، ٩١
خلقة طير ١٣٦	خبيص ٩٠
خلنجي ٦٧	خراسان ١٦٧
خلنجية ٨٩	خريز ٤٥٨، ٣٠٣
خليدية ٣٦، ١٨	خرج ١٢١
خمارون ٤٤، ٤٢	خردل ٥٨١، ٣٠٥

الكلمة	الكلمة
داء الفيل ٢٩٢	خموم ٣١٥
دبابات ١٨٤	خناقون ٤٢٣، ٤٣، ٤٢
دباسي ٢٨٥	خنان ٢٨٧
دباغون ٤٢	خنزوانة ٦٩، ٦٨
دبسة ٤٦٣، ١٠٩	خسوارج ٢٠٠
دبس ٩٥	خوان ٤٦٤، ٧٦، ٧٥
دبسوق ١٥٨	خسوذات ٤٨٥
دبيل ١٩٣	خوز ١٧٣
دثار ٧٩	خوطبان ٣٠٨
دجاج ٨٦	خول ٤٠٥، ٣٣٨
دجلة ٢٥٢	خيار ٤٥٩، ٣٠٢
دحل ٢٢٣	خيزران ٣١٧
دخنة ١٢٩	خيش ٤٧٧، ٣٢
دراجة ١٨٢	خيشة ٤٧٦
دراعة ٣٦	خيوسر ٥٩٤، ٤٣٥، ٣٢
دراهم ٦٠٤، ٢٥١	- -
درب ٢١	حرف الدال
درج ٣٠	داذي ٥٣١، ٤٧٠، ١١٣
درجمة ٣٠	دابة ١٣٧
درز ٧٠	دارصيني ٤٥٣، ٣٠٦، ٩٧، ٩٦
درسب ٢١٥	دانق ٢٥١

الكلمة	الكلمة
دماقین ٥٩٤ ، ٢٢٥	در دور ٣١٦
دمقان ٥٠٧ ، ٢٢٥	درکسا داب ٣٦
دمشق ٢٠٤	درور ١٥٠
دهسري ٢٠٣	دروغ ١٩٣
دهریة ٢٠٣	درونند ٤٧٥
دهلیز ٤٧٨ ، ٢٨	درهم ٥٦٥ ، ٢٥١
دهن البنفسج ٧٠	دستنج ٤٦٣ ، ١٤٩
دهماء ١٧٧	دستفشار ٤٧١
دهنناء ١٦٤	دقاع ٣٩٤ ، ١٠٤
دوال بای ٥٥٨	دفاتر ٢٧١
دوانسق ٥٩٦	دفلی ٥٦٧ ، ٣٠٨
دواویج ٤٩٣ ، ٦١	دقاقون ٢٤٠
دوخلة ١١١	دلاک ٤١٣ ، ١٠٧
دود القز ٢٩٨	دمازدکیة ١٢٩
دورق ١٥٨	دمشق ٣١٥
دوشاب ٤٧٠ ، ١١٢	دملجان ٦٨
دوشاخ ١٧٠	دلفین ٥٦٧
دولبة ٣٩٥ ، ١٦٠	دن ١٥٥
دیباج ٤٩٣ ، ١٥٦	دنانیر ٥٩٦
دیجراجة ٨٥	دنهش ١٤١
دیدبان ٥١٠	دهساس ٢٢٣

الكلمة	الكلمة
ريباط ١٨٢	دير ٥٧٦ ، ٢١١
ربيع ٢٢٢	ديصانية ١٩٥
رحبة ٢٣	ديكبريكة ٨١
رتبة ١٤٤ ، ١٤١	ديماس ٥٦٧ ، ٢٨٦ ، ١٨١
رتيلة ١٨٤	دينار ٥٢٢
رتيلات ٥٩٣ ، ١٨٤	ديناورية ١٩٥
رخام ٢٩٦	ديوارت ٦٠٢ ، ٢١١
رخمة ٢٩٦	
رغ ٢٢٤	حرف الذا
رداء ٦٦	ذبحه ٢٧٣
ردن ٦٤	
رديني ١٨٥	حرف الراء
رزات ٢٧	راسات ٤٢٧
رزة ٢٧	راسي ٤٣٧
رزق ٢٠٠ ، ١٨٥	راس جالتوت ٢١٣
رسن ٤٧٥	راعبي ٢٨٥
رشموم ٦٨	راعوفة ٢٣١
رصاص ٣١٠	رافضة ١٩٩
رطلية ٥٦٤ ، ٢٥٠ ، ١٥٥	رافضي ١٩٩
رطل ٢٥٠	رافدين ١٥٢
رعة ١٢٣	رائغ ١٨

الكلمة	الكلمة
سرجين ١٥٠، ١٥٣، ٢٩٩،	زنديق ٥٢٥
٥٤٣	زواقيل ٥٨
سرطان ٢٧٤	زيتونات ٩٥
سرنديب ١٦٠	زيدية ١٩٥
سريير ٣٤	زئبق ٥٤٨، ٣١٠
سطوح ٢٩	
معللة ١٢٦، ٢٩٦	حرف السين
سعاللي ٢٩٧	ساباط ٤٧٩، ٢٨
سفر ٥٧٧	ساج ٤٧٦
مفرجل ١١٦، ٣٠٣، ٥٨٢	ساسنة ١٧٦
مكان ٢٥٧، ٣٦٠	ساملوك ٤٠٤
مكباج ١٥٢، ٤٤٥	سباريت ٢٢٣، ١٠٠
مكباجة ٨١	سباخ ٢٢٣
مكرجة ٧٧، ٧٨، ٥٧٤	سبيج ٤٩٤، ٦٩
مكرجات ٧٧، ٧٨، ٤٦٢،	سبابجة ٣٦، ١٨
٥٩٢	ستيرات ٤٣١
مكة ٢٢، ٢٦٠	سدة ١٩
مكك ٣٥	سدر ٣٠٤
مكنجين ١١٣، ١١٤، ٤٧١	سراري ٤٧
ملحفاة ٥٤١	سراويل ٥٩١، ٤٩٠
ملاء ٨٦، ٩٦	سراويلات ٥٩٨، ٤٩٠

الكلمة	الكلمة
شارع ٣٩٩	سمندل ٢٨٨ ، ٥٤١
شاطئ النيل ١٦٥	سميط ٢٦
شاكزية ١٨٢ ، ٢٦٢ ، ٥٠٥	سنانير ٥٩٦ ، ٥٣٥
شامات ١٦٣	سنباب ٥٣٥
شاهسفرم ٤٤٩	سنخ ٥٤٤
شاهمركات ٢٩٠ ، ٥٩١	سندان ١٦٨
شاهمرك ٢٩٠ ، ٥٣٧	سندي ١٤٣ ، ٤٨
شبارق ٥٩٤	سنور ٥٤١
شبارقات ٨١ ، ٤٤٧ ، ٥٩٤	سنبوقة ٥١٥ ، ٢٥٥
شيسور ٢١٣ ، ٥٧٧	سودان ١٧٤
شب كـ سور ٥٥٩	سوق الكلاع ٢٥٨
شبلديز ٢٩٨ ، ٥٣٤	سويق ٩١
شبرطة ٨٦ ، ٢٩٢	سهريز ٤٦٠ ، ٩٩
شبرط ٨٦ ، ٢٩١ ، ٥٣٥	سياحة ٥٦٢
شبور ٢١٥	سياح ١٦٢
الشبه ٣١١	سياسة ٣٣١ ، ١٦٨ ، ١٦٠
شحمة ١٣٧	سيلان ١٦٨
شخت ٢٧٢	سيمرك ٥٣٧
شرائف ٤٣٤	
شراع ٢٥٦	
شرطة ١٧٩	

حرف الشين

شاذروان

2.45K11

شريعة	٣٥٧ ، ٢٥٣	شهوة	٤٠٠
شصوص	٥١٦	شهر زور	١٦٧
شطرنج	١٣٥ ، ٥٠٣	شيزان	٧٠
شطرنجین	٥٩٤	شیراز	١٦٧
شططار	٥١	شيعه	١٩٧ ، ١٩٦
شععار	٦٤ ، ٦٣	شيع	١٩٦

صايون	١١١ ، ٢٨١ ، ٤٦٨
صاحب الحرم	٤٥ ، ١٨٠
صاحب المسلحة	١٧٩
صاحب الشرطة	١٧٩
صاحب اللواء	١٨٣
صاحب المعبر	٢٥٥
صبغ	١٠٧
صحاصح	١٢٣
صحناء	٥٨٠
صحن البيت	١٥٥
صحن المطبخ	١٥٥
صحن الكتاب	٢٣٧
صحن الاصطبل	٢٣٧

١٩٠ شعوبية
 ١٩١ شعوبى
 ٤١٩ شعبيزة
 ٨٦ شفقارق
 ٢٨٥ شفقنين
 ٢٩٦ شفق
 ١٦٣ شمات
 ٢١٥ شلنة
 ٩٩ ، ٩٨ شمام
 ١٩ شماسية
 ١٩ شميطة
 ٦٨ شنف
 ٢٦ شورج
 ٤٨ شوائين
 ٤٦٠ شهريسز

الكلمة	الكلمة
صينية ٧٩	صحن اليمارستان ٢٣٧
صينيّات ٤٢٧، ٧٩	صعتر ٥٨١، ٣٠٥
صيارفة ٢٤٥	صفريّة ١٩٠
صياقلة ٢٣٩	صقلية ١٧٠
صين ١٦٩	صقالبة ١٧٤، ١٧٣
صيرفي ٢٤٥	صقارين ٤٨
صيدلاني ٢٧٨	صك ٥٢٢، ٢٤٧
	صكاك ٥٩٧، ٢٤٧، ٢٣٧
حرف الضاد	صنج ٤٩٩، ١٣٣
ضرائك ١٠١، ١٠٠	صندل ٤٩٥، ٣٠٤
ضريبة ٢٤٤	صنوبر ٥٣٠، ٣٠٥
ضيّزى ٢٤٨	صنّف ٢٣٧
ضيعة ٢٢٢، ٢٢١	صنهرة ٣١٨
حرف الطاء	صهاريج ٥٩٧، ٢٣٢
طابق ١٠٩	صهريج ٤٨١، ٢٣٢
طائف ١٢٦	صوالجة ٦٠٠
طباطبة ١٢٨	صواقع ٣١٦، ٣١٥
طبّاطبات ٦٠١، ٥٨٣	صواعق ٣١٥
طبّطاب ١٣٦	صوامع ٢١١
طباهج ٤٥١	صومعة ٢١١
	صولجان ٥٠٠

الكلمة	الكلمة
طومار ٥٥٥	طبامجة ٥٩٢ ، ٨١
طوامير ٥٩٧	طبامجات ٥٩٢ ، ٨١
طوافين ٣٤٥ ، ٢٣٩	طنبرينات ٥٩٣ ، ٤٨٩ ، ١٨٤
طوراني ٢٨٥	طبرزين ٤٨٩ ، ١٨٤
طهائين ٤٨	طبرزد ٤٥١ ، ٩٦
طيلسان ٤٩٠ ، ١٤٩ ، ٦١ ، ٤٠	طبرزل ٤٥١
	طبرستان ١٦٨
حرف الظاء	طَبَّيق ٨١
ظهري ٣٤٥	طبقى ٨٠
	طرف ١٨
حرف العين	طست ٤٨٢
عارية ٤٢٢	طسوج ٥٢١
عامية ٣٤١	طيفره ٣٧٨ ، ٢٠٨
عراق ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٠٨	طفشيل ٨٣
عبادان ١٦٦	طفشيلة ٨٣
عتاق ٢٨٨	طلسم ٥٧٢ ، ١٢٧
عتبة ٢٨	طلع ٣٠٧
عترة ٣٤٢	مَلَق ٣١٢
عجوة ٩٠	طليمة ١٨٣
عجور ٣٩٩	طلانج ١٨٣
عجمة ١٤١	طنبور ٤٩٨

حرف الغين

الكلمة	الكلمة
فـتـك ٥٣، ٥٢	غـطـيـات ٤٢٩، ١٨٥
فـجـلـيـة ٨٤	غـلـاء ٢٤٤
فـدـان ١٥٤	غـلـاصـم ١٩٠
فـرـاء ٧٠	غـلـة
فـراشـيـن ٤٧	غـلـصـمة ١٩٠
فـرـات ٢٥٢	غـلـق ٢٧
فـراسـخ ٢٤٩	غـلـسى ٣٧٥
فـراعـنة ١٧٢	غـمـوس ١٠٨
فـرانـق ٢٦٢	غـول ٢٩٧، ١٢٦
فـرث ٣٠٠	
فـرضـة ٣٥٨، ٣١٦	حرف الفاء
فـرغـانة ١٦٩	فـانـيد ٤٥٧، ٨٨
فـرنجـة ١٧٤	فـاتـك ٥٣، ٥٢
فـرـوج ٢٩٠، ١٦٩	فـالـوذجـات ٥٩١، ٤٤٧، ٨٩، ٨١
فـريـك ٩٤	فـالـوذق ٨٩
فـسـتق ٤٥٧	فـالـوذج ١٥٢، ٨٩
فـسـفـاء ٥٦٣	فـالـوذ ١٥٢
فـسـيل ٣٠٧	فـالـج ٢٧٣، ٢٩٩
فـشـكار ٢٢٥	فـأفـاء ١٤٣، ١٤١، ٥١
فـشـكرة ٤٩	فـتـاك ٥٣، ٥١
فـطـر ٣٠١	فـتـوه ٨٨، ٥٢

الكلمة	الكلمة
قـرارـيـط ٥٢١، ٢٥١	فـلـز ٥٧٠، ٣٠٩
قـراطـيـس ٥٦٣، ٢٧٠	فـلاـحـون ٢٢٥
قـرامـيـص ٢٨٦	فـلـس ٢٥١
قـرـسـطـونـات ٥٦٨، ٦٠٣، ٣٢٢	فـنـك ٥٤٣
قـرـطـاس ٥٦٠	فـلـفـل ٩٨
قـرـطـيـم ٢٢٨	فـلـوس ٢٥١
قـرامـة ٣٠٠، ١٠١	فـهـادـين ٤٨
قـراـبـات ١٥٢	فـيـج ٥١٢، ٢٦٢
قـرـادون ٤٤	فـتـيان ٥٣، ٥٢، ٥١
قـصـاص ٥٠	
قـرمـيد ٥٨٣، ٢٥	حرف القاف
قـصـعة ١٥١، ٧٩	قـابـلة ١٣٠
قـطـاع ١٠٦	قـسـادة ١٧٨
قـطـران ٣١٠	قـصـاص ٥٠
قـطـرية ٦٠	قـسـاطـول ١٩
قـطـوع ٦٢	قـائـد ١٨٣
قـفـاعة ١٤٢	قـبـاب ٧٥
قـفـة ١١٠	قـبـانات ٥٩٤
قـفـزان ٢٥١	قـت ٣٠٠
قـلـانس ٥٩٨، ٦٥	قـدـرية ٢٠٣
قـلاسـون ٤٢٤، ٤٤	قـدور ١٥٢، ٧٤

الكلمة	الكلمة
كارس ١٥٨	قلس ٢٥٦
كاجار ٥١٩	قلنسوة ٤٨٧، ٦٥
كارنا مك ٥٢٨	قماري ٢٨٥
كاغد ٥٥٦	قماطر ٥٥٨
كاظمة ١٦٢	قمطر ٥٥٨
كاغاني ٥٦، ٥٥	قنزعة ٢٨٥
كافر كويات ١٨٥	قنن ٤٧
كامخ ٤٥٢، ١٠٨	قنبلة ٣٦
كاوماشي ٢٩٨	قنينة ١٥١
كباب ٨٧	قواصر ٣٢
كباد ٢٨٧	قوابل ١٣٠
كُتاب ٢٧٠	قولنج ١٤٩
كبريت ٤٧	قهرمان ٥١٠، ١٧٩
كبيرة ٣٦	قياس ٢٠٦
كتاتيب ٢٦٨	قيارات ٤٢٩
كتفية ٣٦، ١٨	قيان ٤٧
كدية ٥٣	قيم ٣٤٤، ١٧٩
كرابيج ٥١٣، ٢٤٢	قيراط ٥٩٨
كرابيس ٤٨٦	
كسراء ٢٣٨	
كرب ٣٠٧	

حرف الكاف

كار ٢٣٨

الكلمة	الكلمة
كناديج ٤٧٩، ٢٩	كربج ٥١٣، ٢٤٢
كننة ٢٨٦	كرنبية ٨٦
كنيسة ٢١١	كزبرة ٣٠٥، ٩٨، ٩٦
كهيان ٥٢٧	كساح ٢٣٩
كروشان ٤٧٠، ٨٧	كُساحة ٣٣٣، ٣٢، ٣١
كـور ١١٨	كساحون ٤٢٢، ٢٣٩
كوسج ٥٤٠، ٢٩٢	كستبان ١٥٠
كـور ٢٤٨، ٢١	كسكر ١٦٧
كوثلة ٥٨٣، ١٤٧	كسمير ٢٩٢
كوكلة ٥٢٧	كظفة ١٢٤
كيميا ٣١١	كمبى ٤١٧
	كمبتين ١٣٧
	كمك ٤٤٦
	كلّفة ٣٤
	كلاء ٢٥٣
	كلاسفر ٣٢١
	كلابن ٤٨
	كماءة ٣٠٢
	كمثرى ٣٠٢، ٩٨
	كنائس ٢١١
	كنكلة ١٣٤
حرف اللام	
لبا ٩٥، ٨٦	
لبان ٢٥٨	
لبد ٦٣	
لشق ٣١٥	
لشفة ١٤٤، ١٤١	
لحاف ٣٤	
لحن ١٤٦	
لحون ٥٢٧	

الكلمة	الكلمة
مباضع ١٥٣	لطاق ١٠٥
مبوسم ٢٧٤	لكام ٣٧٩ ، ١٠٥
مبضع ٢٨٢	لكنة ١٤١
مبطنة ٦٠	لوبييا ٤٥٤
مبطنات ٦٠	لوزينج ١٥٢ ، ٨٩
متشبهة ٤٣٢	ليط ٣٠٧
متكسبون ٤٤	ليفة ١٥٤ ، ١٥١ ، ٧١
متيامن ٤١٦	ليف ٣٠٦ ، ١٥١ ، ٧١
مثقال ٢٥٠	
مثلات ١٢٢	
مجانسات ٥٢٧	
مجاع ١٠٠	
محصصة ٢٥	
مجوس ١٩٤ ، ١٩٢	
محارب ٢٣	
محاري ٤٣٧	
محلة ٣٤٣ ، ٢٠	
محلقم ٣٨١ ، ١٠٥	
محقنة ٤٢٠ ، ١٥٣	
مخاد ٣٤	
مخصرة ١٣١ ، ٦٦	
	حرف الميم
	مار مامي ٤٦١ ، ٢٩٣
	مارد ٥٥٩ ، ١٢٦
	مازيار ١١٧
	ماء الهندبا ٢٧٩
	ماء الورد ٢٥٨
	ماعون ٨٣
	مانشا ١١٧
	مانية ١٩٣
	ماني ١٩٣
	مانوية ١٩٣
	مئزر ١٥١

الكلمة	الكلمة
مخارجات ٤٣١ ، ١٨٧	مخرج ٢٢٢ ، ٢٢١
مخرفج ٢٤٨	مهم ٥٥٣ ، ٢٨٣
مخطرائي ٤١٥ ، ٥٥	مزابيل ٢٣
مذاد ٤١٥ ، ١٠٥	مزاليج ٢٥٧
مدادين ٢٥٥	مزدكية ١٩٥
مداخله ٤١٩ ، ٢٠٨	مزدك ١٩٥
مدود ٣٥٩	مزملة ٤٢٠ ، ١١٧
مديبر ١٦٢	مزميلات ٤٢٩ ، ١١٧
مرداسنج ٥٤٩	مزيدي ٥٧
مرجل ٧٣	مساد ٣٤
مرابطة ٣٨٤ ، ١٨٣	مستحلم ٤٠٨
مريد ١٧	مسحاة ٢٢٩
مرسال ٣٧٨ ، ١٠٤	مستعرض ٤٠٩ ، ٥٥
مرط ٦٤	مسكة ٢٠٨
مرة سوداء ٢٧٩	مسرحة ٣٢
مرجئة ٢٠٤	مسنيات ٤٣٠ ، ٢٣٣
مرددي ٢٥٦ ، ١٤٧	مسلوس ٢٧٤
مرادي ٤٣٦ ، ٢٥٦	مسوح ٦٣
مربعة ٢٣	مسوغ ٤١٠ ، ١٠٦
مردة ٣٩	مشارة ٢٤٩ ، ٢٢٢
مرقشيا ٥٤٧	مشارع ٢٥٤

الكلمة	الكلمة
معصرة ١١٠	مشاعل ١٨٥
معدلون ١٧٩	مشان ٢٢٨
مميل ٢٧٢	مشاقص ١٨٥
معلاة ٢٨٧	مشاوله ١٨٦
معلج ١٨٨ ، ٢٣٩	مشبهه ٢٠٤
معينين ٤٢٤	مشتري ٣٢٠
مغارف ١٥٢	مشعب ٤١٧ ، ٥٧ ، ٥٦
مغريل ١٠٦ ، ٣٨٢	مصاص ١٨٩ ، ١٠٥
مغرة ٢٨٠	مصر ١٦٥
مغرب ١٦٥	مصنعة ٢٣٢
مغرفة ٨٠	مضايق ١٨٢
مغناطيس ٣١١ ، ٥٤٦	مطامير ٢١١
مغيرية ١٩٨	مطران ٥٧٤ ، ٢٠٩
مقدس ٥٦ ، ٣٩٢	مطبق ١٨٠
مقرقم ٢٧٢	مطرر ٢٤٠
مقرمدة ٥٨٣	مطهمات ٤٧ ، ٤٦
مقتنع ١٩٥	مناصر ٢٢٩ ، ١١٠
مقطعات ٦٠ ، ٦١	معاليق ٣٨٦
مقور ١٠٥ ، ٣٨٢	معتزلي ٢٥٥
مقين ٤٨	معتزلة ٤٢١ ، ٢٠٣
مكارين ٤٤	معجونات ٢٠٢ ، ١٥٢

الكلمة	الكلمة
مكائنات ٤٢٨ ، ٢٠٨	منانية ٥٢٧
مكاري ٢٣٨ ، ٢٣٧	منجنيق ٥١٩
مكحل ٧٠	منحار ٢٢٩
مكدي ٥٠٩ ، ٥٤	من والسلوى ٩٠
مكدين ٥٩٣ ، ٥٧ ، ٥٣	منجنون ٥٦٤ ، ٢٣٢
مكوك ٢٥٠	مهرجان ٤٩٧ ، ١٢٠
ملاح ٣٦١ ، ٢٥٤ ، ١٤٨	مهراق ٥٥٤ ، ٢١٤
ملال ٤٣٥	مهمور ٤١٠
ملاة ٣٤	موابلة ٥٩٩ ، ٥٢٥ ، ١٩٤
ملاة ٣٥٦ ، ١١٠ ، ١٠٩	مسور ٣٠٢ ، ٩٨
ملغم ٤١١	مراجاة ٤١٩ ، ١٨٦
ملحد ١٩٦	موقد ١٥٥ ، ٧٤
ملحدين ٤٢٣ ، ١٩٦	موصول ١٦٢
ملحنة ٦١	موقنان ٤٠
ملكائي ٢١٠	موم ٥٥١
ملكائية ٢١٠	مولتان ١٦٩
ممز ٢٤٨	ميشار ٥١٨
مملكة ٣٣٢ ، ١٦٠	ميننا ٥٤٩ ، ٣١٠
مناحات ١٢١	ميبختج ٤٦٩
مناسخة ٤١٨ ، ١٩٦	حرف النون
منافيش ٧٠	ناتبة ٣٩٢ ، ٨٨

الكلمة	الكلمة
نعال سبتية ٦٨	نابجي ٩٩
نعال بقرية ٦٨	ناشد ٣٤٦
نعامة ٢٩٥	ناطر ٥٧٨، ٢٢٦
نعمش ٦٢	ناقوس ٥٧٥
نفاج ١٢٤، ١٢٣	نجد ١٦٤
نفاض ٤١١، ١٠٥	نحل ٤٣٥، ١٩٦
نفاضة ٤٣٢، ١٨٢	نحلة ١٩٦
نفاطون ٤٢٤، ٢٣٩، ١٨٢، ٤٢	نحرير ٥٦١
نقط أزرق ٣١٠	نخالة ٩٥
نقب ٢٣	نحاسون ٤٤
نقرس ٢٧٣	نارجيل ٥٨٢، ٤٨٢، ٣٠٥
نقيب ١٨٣	نرد ٥٠١، ١٣٦
نقل ٤٦٩، ١١٦، ١١٤	نسطوري ٥٧٣، ٢١٠
نهاش ٤١٥، ١٠٥	نيثات ٤٣١، ٢١٠
نهارية ٤٢١، ٣٩٧	نشابون ١٨٢
نهاوند ١٧٠	نشاستج ٤٥٣، ٩٨، ٩٦
نراويس ٥٦٣، ٢١٢	نشاف ٤١١، ١٠٥
نوشادر ٥٤٦، ٢٨١	نشال ٤١٢، ١٠٧
نون ١٠٣	نشرة ١٢٩
نوبية ١٦٥	نشوار ٣٠٠
نيرنجات ٥٩٤، ٥٠٤، ١٢٧	نظائر ٣٥١، ٣١٨

الكلمة	الكلمة
هلبائا ٩٩	نيزك ٥١٨ ، ١٨٥
هماليج ٢٦٣	نيمبرشت ٤٥٢ ، ٩٦ ، ٨٥
هميان ٤٩٢	نيروزي ١٢٠
هندسة ٥٠٦	نيروز ٤٩٧ ، ١٢٠
هند ١٦٨	نيلوفر ٥٣٢
هور ٢٥٣	
هولي ٥٧١ ، ٣١٨	
	حرف الهاء
	هاتف ١٢٦
حرف الواو	هوان ٤٦٣ ، ١٠٩
واسط ١٦٢	هبيد ١٠١
واشي ١٩١ ، ٣٠٨	هجنة ١٨٨
وبئة ٣٨٥ ، ٢٨٣	هجناء ١٨٨
وجار ٧٣	هجين ١٨٨
ورشان ٥٣٦ ، ٢٨٦	هجمة ١٢٢ ، ١٢١
وراقين ٢٧١	هدبد ٢٧٨
وزارة ١٧٨	هدهد ٢٩٤
وزير ٣٣٤ ، ١٧٧	هسدي ٢٨٧
وشل ١٥٣	هراپذ ٥٢٣ ، ١٩٤
وقص ٢٧٧	هريسة ٨٥ ، ٨٣
وطسراط ٢٩٠	هزاردستان ٢٨٩ ، ٥٣٧
وظيفة ٣٦٩	هسيس ٣٠٠

الكلمة

وطيئة	٩٠
وكلاء	٢٢٤
وكيرة	١٠٢
وكيل	٢٢٦
ولاية	٣٣٣ ، ١٧٤
ولايات	٤٢٦ ، ١٦٠
ولاة	١٧٨

حرف الياء

ياسمين	٣٠٨
يخ	١١٤
يرمع	١٣٧
يقطين	٣٠١
يعاسب	٢٩٨
يعقوبية	٢١٠
ينساح	٣٧٥
يونانين	١٧٢

المصادر والمراجع

مؤلفات الجاحظ

كتب الجاحظ ورسائله المخطوطة والمطبوعة منها:

١- كتابات الجاحظ المخطوطة:

- ١ - مختارات فصول الجاحظ مخطوطة المتحف البريطاني تحت رقم ٣١٣٨ وقد اشتملت هذه المخطوطة على فصول من كتبه ورسائله ، منها :
 - ١ - فصل في صدر كتابه في المعلمين ص ٢ .
 - ٢ - فصل من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وضعة أصحابه ص ١١ .
 - ٣ - فصل في حجج النبوة ص ٩١ .
 - ٤ - فصل من كتابه في خلق القرآن ص ١٢١ .
 - ٥ - فصل من صدر كتابه في مقالة العثمانية ص ١٦١ .
 - ٦ - فصل من صدر كتابه المسائل والجوابات ص ١٧٩ .
 - ٧ - فصل من صدر رسالته في البلاغة والإيجاز ص ٢٢٠ .
 - ٨ - فصل من صدر كتابه في النبل والتنبل وذم الكبر ص ٢٢٨ .
 - ٩ - فصل من صدر كتابه في استحقاق الإمامة ص ٢٤٦ .
 - ١٠ - فصل من صدر كتابه في الجوابات في الإمامة ص ٢٧٩ .
 - ١١ - فصل من رسالته في تفضيل البطن على الظهر .

ب - كتابات الجاحظ المطبوعة:

- ١ - البخلاء تحقيق طه الحاجري - طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١ م .
- ٢ - البيان والتبيين (٤ أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون - نشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٨ .

- ٣ - التاج فى أخلاق الملوك ، ط أحمد زكى باشا القاهرة ١٩١٤ المطبعة الأميرية هذا الكتاب ما يزال يكتنفه الشك فى نسبته إلى الجاحظ .
- ٤ - التربيع والتدوير ، تحقيق شارل بيلا القاهرة ١٩٥٥ .
- ٥ - الحيوان (٧ أجزاء) ط الثانية تحقيق عبد السلام هارون مكتبة البابى الحلبي بمصر .
- ٦ - العثمانية تحقيق عبد السلام هارون - نشر دار الكاتب العربى ١٣٧٤ هـ .
- ٧ - البرصان والعرجان والعميان والحولان تحقيق محمد مرسى الخولى ط . دار الاعتصام للطبع والنشر - القاهرة - بيروت ١٩٧٢ م .
- ٨ - المحاسن والأضداد ، ط القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٩ - البلدان ، نشره : صالح أحمد العلى ، مستلة من مجلة كلية الآداب مطبعة الحكومة (بغداد - ١٩٧٠) .

المطبوع من رسائل الجاحظ:

- ١ - مجموعة رسائله تحقيق عبد السلام هارون نشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ، وتضم ١٧ رسالة هى :
 - ١ - رسالة مناقب الترك .
 - ٢ - المعاش والمعاد .
 - ٣ - كتمان السر وحفظ اللسان .
 - ٤ - فخر السودان على البيضان .
 - ٥ - فى الجد والهزل .
 - ٦ - فى نفي التشبيه .
 - ٧ - كتاب الفتيا .

- ٣ - مجموعة رسائله على هامش الكامل للمبرد عنوانها اختيارات عبيدالله بن حسان - على هامش الكامل للمبرد ط التقدم بمصر ١٣٢٣ هـ - ١٣٢٤ هـ وتضم هذه الرسائل ١٧ رسالة وهي :
- ١ - من كتابه في الحاسد والمحسود .
 - ٢ - من كتابه في المعلمين .
 - ٣ - من رسالته في مدح التجارة وذم عمل السلطان .
 - ٤ - من كتاب الترييع والتدوير .
 - ٥ - من رسالته إلى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وأصحابه .
 - ٦ - من كتابه في النساء .
 - ٧ - من رسالته إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك .
 - ٨ - من كتابه في خلق القرآن .
 - ٩ - من كتابه في الرد على النصارى .
 - ١٠ - من رسالة إلى أبي الفرج الكاتب في المودة والخلطة .
 - ١١ - من كتابه في استحقاق الإمامة .
 - ١٢ - من رسالة في استنجاز الوعد .
 - ١٣ - من رسالته في تفضيل النطق على الصمت .
 - ١٤ - من كتابه في صناعة الكلام .
 - ١٥ - صفات الشارب والمشروب .
 - ١٦ - من مقالته في الزيدية والرافضية .
- ٤ - ثلاث رسائل باعتناء يوشع فنكل ط الثانية ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٢ هـ . وهي :
- ١ - كتاب الرد على النصارى .
 - ٢ - ذم أخلاق الكتاب .

٣ - رسالة القيان .

- ٥ - نشرت بعض الرسائل مستقلة مثل التبصر بالتجارة نشر التونسى والتربيع والتدوير نشر شارل بيلا ، ومفاخر الجوارى والغلمان تحقيق شارل بيلا .
- ٦ - وهناك رسائل فقد الأصل وتبقى جزء منها مثل رسالة فى المغنين وقد سماها الساسى فى طبقات المغنين ورسالة فى الوكلاء فى مجموعة الساسى ٣ ورقات فقط وفى المتحف البريطانى ورقة ١٩٦ ب - ١٩٩ م نجد فصولا أخرى عدا التى نشرها الساسى فأضافه إليها - ورسالة فى فخر السودان ورسالة فى كتاب النساء وهى تحيى ضمن فصول عبدالله بن حسان المختارة ورقة ٥٢ - ٦٢ حاشية المبرد ط .

ونجد جملة من كتابات الجاحظ مبثوثة فى بطون أمهات الكتب مثل ثمار القلوب للثعالبي والفرج بعد الشدة للتونخى ويشير التونخى إلى نص نقله عن الجاحظ من كتاب اللصوص وكذلك البيهقى نقل نصا للجاحظ فى المحاسن والمساوى فيه إشارات لكتاب اللصوص الذى يعد من الكتب المهمة التى لم يصلنا نصها كاملا ونقل البيهقى فى كتابه هذا أطول نص للجاحظ عن كتاب حيل المكدين وكذلك ترد إشارات لهذا الكتاب عند البغدادى عندما نقد الجاحظ على اهتمامه بحيل المكدين .

المصادر والمراجع :

- ١ - د. إبراهيم أنيس .
- أ - دلالة الألفاظ ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- ب - من أسرار اللغة ، الطبعة الخامسة ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- ٢ - ابن الأثير ، (أبو الحسن على بن أبى محمد الملقب بعز الدين) ت ٦٣٠ هـ .
- الكامل فى التاريخ - طبعة بيروت ١٩٦٥ .

- ٣ - ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) ت ٥٩٧ هـ .
 - أ - مناقب بغداد ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣٤٢ هـ .
 - ب - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٩ هـ .
- ٤ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .

مقدمة ابن خلدون - تحقيق كاترميرج مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٠ عن طبعة باريس ١٨٥٨ .
- ٥ - ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصرى) الجمهرة فى اللغة ط حيدر آباد ١٣٥١ هـ .
- ٦ - ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحق) ت ٢٤٤ .
 - أ - إصلاح المنطق ط الثانية دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م .
- ٧ - ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل النحوى) ت ٤٥٨ هـ المخصص فى اللغة ط المكتب التجارى بيروت .
- ٨ - ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) ت ٢٧٦ هـ .
 - أ - عيون الأخبار القاهرة ١٩٦٣ .
 - ب - أدب الكاتب القاهرة ١٩٦٣ .
- ٩ - ابن قوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن القوطية الأندلسى) ت ٩٧ هـ .

الأنعال ، ط الأولى مطبعة مصر ١٩٥٢ .
- ١٠ - ابن كثير : عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى (ت ٧٧٤ البداية والنهاية مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٢ م .
- ١ - ابن النديم (محمد بن إسحق)

الفهرست ط . الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ وطبعة بيروت ١٩٦٥ .

- ١٢ - ابن منظور (جمال الدين محمد بن كرم) ت ٧١١ هـ - لسان العرب . دار الصادر ودار بيروت ١٩٥٥ م .
- ١٣ - أبو زيد الأنصاري (سعيد بن أوس بن ثابت) النوادر في اللغة ط . الثانية دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٦٧ م .
- ١٤ - أبو منصور الجواليقي (موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) ت ٥٤٠ المعرب في الكلام الأعجمي ط طهران ١٩٦٦ .
- ١٥ - أحمد أمين
- ضحى الإسلام ط . العاشرة دار الكتاب العربي لبنان .
- ١٦ - أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت ٢٨٤ هـ
- البلدان نشر دي غوية ليدن ١٨٩١ م .
- ١٧ - أحمد الحملاوي
- شذا العرف ط . السادسة عشرة مكتبة مصطفى البابي ١٩٦٥ م .
- ١٨ - إخوان الصفا
- رسائل إخوان الصفاء بيروت ١٩٥٧ م .
- ١٩ - آدم ميتز
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- ٢٠ - أدى شير
- الألفاظ الفارسية المعربة المطبعة الكاثوليكية لليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .
- ٢١ - الأزهرى (أبو منصور)
- تهذيب اللغة تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٤ م .

- ٢٢ - استاينجس
معجم استاينجس طبعة بيروت لبنان عن طبعة لندن ١٩٣٨ .
Persian English Dictionary
- ٢٣ - الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي) ت
٣٥٦ هـ الأغاني دار الثقافة بيروت ١٩٥٧ مصور عن طبعة بولاق
المصرية .
- ٢٤ - أنستاس ماري الكرمل
المساعد طبعة بغداد ١٩٧٠
- ٢٥ - البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي) الفرق بين الفرق
- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة ، القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٦ - البيهقي (إبراهيم بن محمد) ت ٣٢٠ هـ
المحاسن والمساوي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة النهضة ،
القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٧ - د. تمام حسان
أ - مناهج البحث في اللغة - مكتبة الأنجلو المصرية .
ب - اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٢٨ - التنوخي (أبو علي المحسن بن أبي القاسم) ت ٣٨٤ .
الفرج بعد الشدة ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
- ٢٩ - التوحيدى (أبو حيان) ت ٣٨٠ هـ .
الإمتاع والمؤانسة - مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة القاهرة -
١٩٥٣ م .
- ٣٠ - الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري) ت
٤٣٠ هـ خاص الخاص - دار مكتبة الحياة ، بيروت عن الطبعة الأولى
لدار السعادة بالقاهرة ١٩٠٩ .

- ٣١ - جب هاملتون
دراسات فى الحضارة الإسلامية - ترجمة إحساس عباس دار العلم
للملايين بيروت ١٩٦٤ .
- ٣٢ - جرجى زيدان
أ - تاريخ التمدن الإسلامى ط . دار الهلال القاهرة .
ب - الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ط ثانية دار الهلال ١٩٠٤ .
- ٣٣ - الجهشيارى (أبو عبدالله محمد بن عبدوس) ت ٣٣١ هـ .
الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة الحلبي القاهرة
١٩٣٨ م .
- ٣٤ - جروينيام جوستاف
حضارة الإسلام - ترجمة عبد العزيز جاويد القاهرة ١٩٥٦ .
- ٣٥ - الحريرى (أبو محمد القاسم بن على) ت ٥١٦ هـ .
درة الغواص فى معرفة الخواص - دار النهضة القاهرة .
- ٣٦ د . حسن ظاظا
كلام العرب من قضايا اللغة ، مكتبة الدراسات اللغوية ، مطبعة المصرى ،
١٩٧١ .
- ٣٧ - حسين نصار
المعجم العربى نشأته وتطوره - مكتبة مصر ١٩٥٦ م .
- ٣٨ - خديجة الخديشى
أبنية الصرف فى كتاب سيويه ط . بغداد ١٩٦٤ .
- ٣٩ - الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن أحمد)
ت ٤٦٣ تاريخ بغداد ، ط دار الكتاب العربى ، بيروت ١٩٣١ .

- ٤٠ - الخفاجي - (شهاب الدين أحمد الخفاجي)
شفاء الغليل ط . الأولى مكتبة الحرم الحسيني التجارية القاهرة ١٩٥٢ م .
٤١ - الدميري (كمال الدين محمد بن موسى الدميري) ت ٨٠٨ هـ .
حياة الحيوان الكبرى ط الثانية ، مطبعة البابي بمصر ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م .
٤٢ - الرازي (أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي)
كتاب الزينة ط . الثانية دار الكتاب العربي ١٩٥٧ .
٤٣ - رفائيل نخلة اليسوعي
غرائب اللغة العربية ط . الثانية المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠ م .
٤٤ - الزبيدي (محمد الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني
الواسطي) ت ١٢٥٠ هـ .
تاج العروس ط الأولى القاهرة ١٣٠٦ هـ (مصور عنها)
٤٥ - السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر)
ت ٩١١ هـ المزهري في علوم اللغة ط دار إحياء الكتب عيسى البابي .
٤٦ - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت ٣١٠ هـ
تاريخ الرسل والملوك ط . دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ .
٤٧ - طه الحاجري
الجاحظ حياته وآثاره - دار المعارف بمصر ١٩٦٢
٤٨ - الشرتوني (سعيد الخوري)
أقرب الموارد ط القاهرة . دار المعارف .
٤٩ - شارل بيلا
الجاحظ في البصرة وبغداد - ترجمة الكيلاني القاهرة ١٩٥٢ .
٥٠ - د . عبد الحميد الشلقاني
مصادر اللغة - منشورات الشركة العامة للنشر طرابلس ليبيا ١٩٧٧ .

- ٥١ - عبدالله أمين
الاشتقاق - ط . الاولى مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٥٦ م.
- ٥٢ - عبد الصبور شاهين
فى التطور اللغوى - مكتبة دار العلوم .
- ٥٣ على عبد الواحد وافى
أ - فقه اللغة ط الخامسة مطبعة لجنة البيان القاهرة ١٩٦٢ .
ب - علم اللغة ط الخامسة مطبعة لجنة البيان القاهرة ١٩٦٢ .
- ٥٤ - الفارابى
ديوان الأدب - تحقيق د. إبراهيم أنيس ود. أحمد مختار ، القاهرة
٥٥ - فندريس :
اللغة ترجمة محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلى - القاهرة ١٩٥٠ .
- ٥٦ - الفيروزآبادى
القاموس المحيط - طبعة القاهرة .
- ٥٧ - القالى (أبو على إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى) ت ٣٥٦ هـ
البارع فى اللغة - تحقيق هاشم الطعان مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٤ .
- ٥٨ - الكسائى
ماتلحن فيه العامة ثلاث رسائل - تحقيق عبد العزيز الميمنى القاهرة
١٣٤٤ هـ .
- ٥٩ - محمد المبارك
فقه اللغة وخصائص العربية ط الرابعة - دار الفكر بيروت .
- ٦٠ - محمود فهمى حجازى
- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة المكتبة الثقافية القاهرة .
- علم اللغة العربية وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٣ .

- ٦١ - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) ت ٣٤٦ هـ
مروج الذهب ط . منقحة - دار الأندلس بيروت ١٩٦٥ م .
- ٦٢ - مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) ت ٤٢١ هـ
تجارب الأمم تصحيح أمدرود مطبعة التمدن الصناعية القاهرة ١٣٣٣ هـ -
١٩١٥ م .
- ٦٣ - المقدسي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي البشاري)
أحسن التقاسيم باعثناء دي غويه . لندن ١٩٠٦ .
- ٦٤ - الهمداني (عبد الرحمن بن عيسى الهمداني)
- الألفاظ الكتابية ، اعتنى بتصحيحه الأب لويس شيخو ، مطبعة الآباء
اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٣ .
- ٦٥ - د . وديعة طه النجم
الجاحظ والحاضرة العباسية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٥ م .
- ٦٦ - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي
الحموي) ت ٦٢٦ هـ .
معجم البلدان ط . بيروت ١٩٥٥ .

هذا الكتاب

هذا عمل متميز في علم اللغة، وله أهميته
-أيضاً - في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية.
لقد تطورت اللغة العربية تطوراً بعيد المدى في
القرنين الثاني والثالث للهجرة، وأصبحت لغة
حضارة راقية.

وقد رصد الجاحظ في مؤلفاته الكثيرة
ملامح هذا التحول الذي تناوله هذا الكتاب. هنا
نجد ألفاظ الحضارة العباسية مصنفة في مجالات
الحياة المختلفة، وموثقة في ضوء نصوص كتب
الجاحظ، مع دراسة دلالتها بدقة في ضوء معاجم
التراث العربي وتأصيل الدخيل من الفارسية
واليونانية، واستخراج ملامح التغير الدلالي في
مرحلة من أهم المراحل في تاريخ اللغة العربية.

إنه كتاب يهم اللغويين والمؤرخين
والمتخصصين في الحضارة العربية والإسلامية.

عبد الله غريب